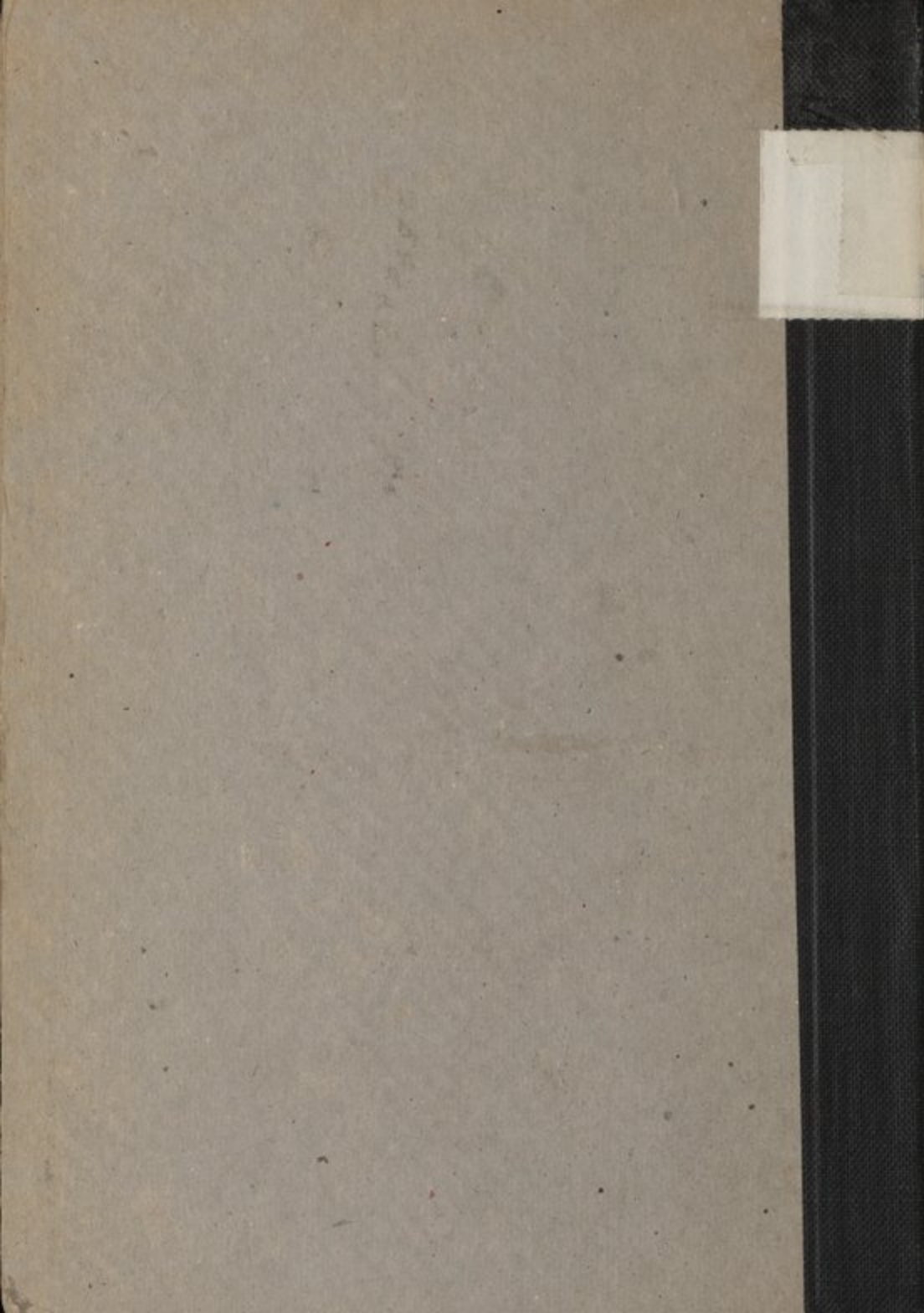




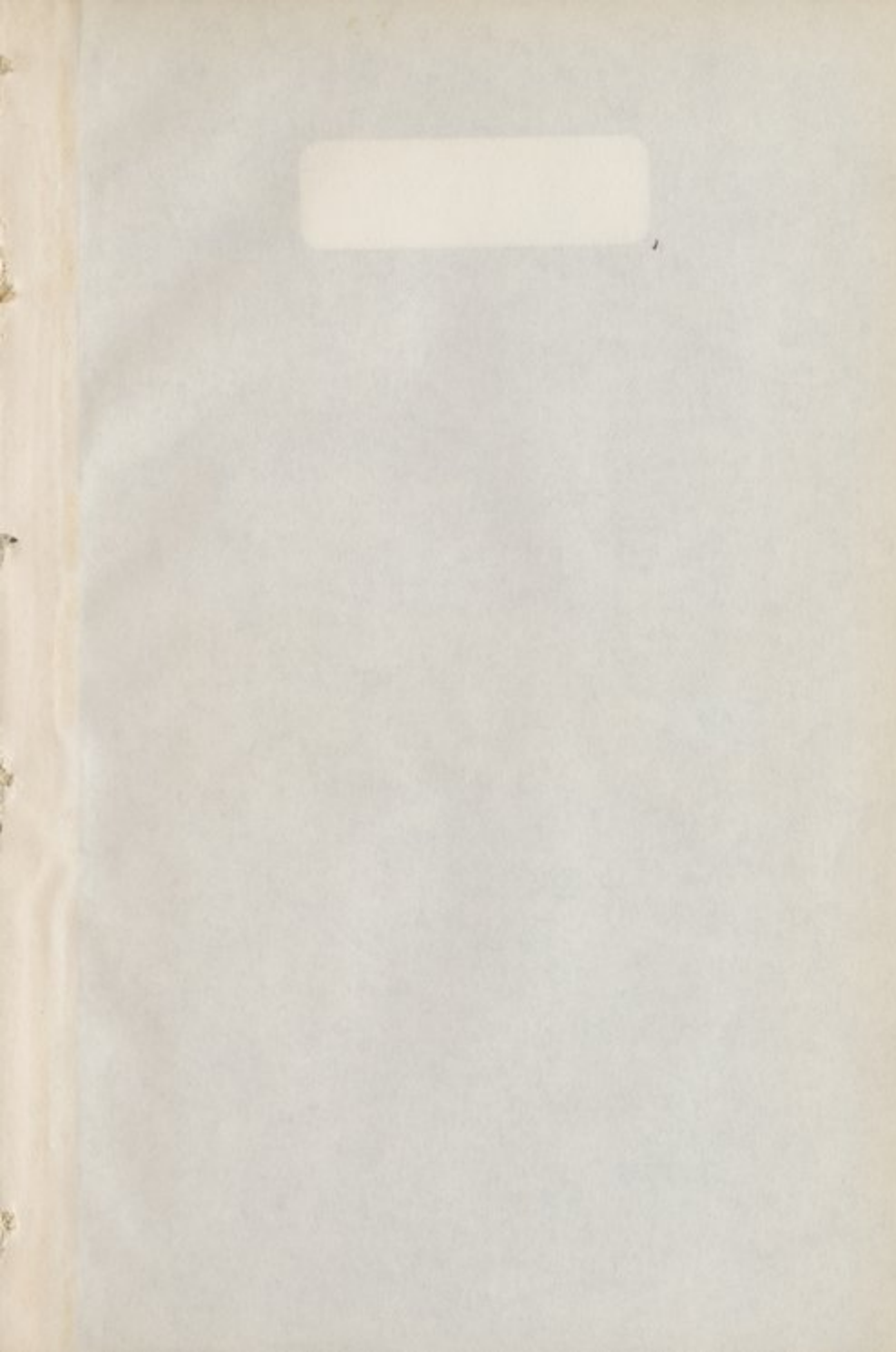
5084
.714
.1923

[illegible]

Princeton University Library



32101 055979643



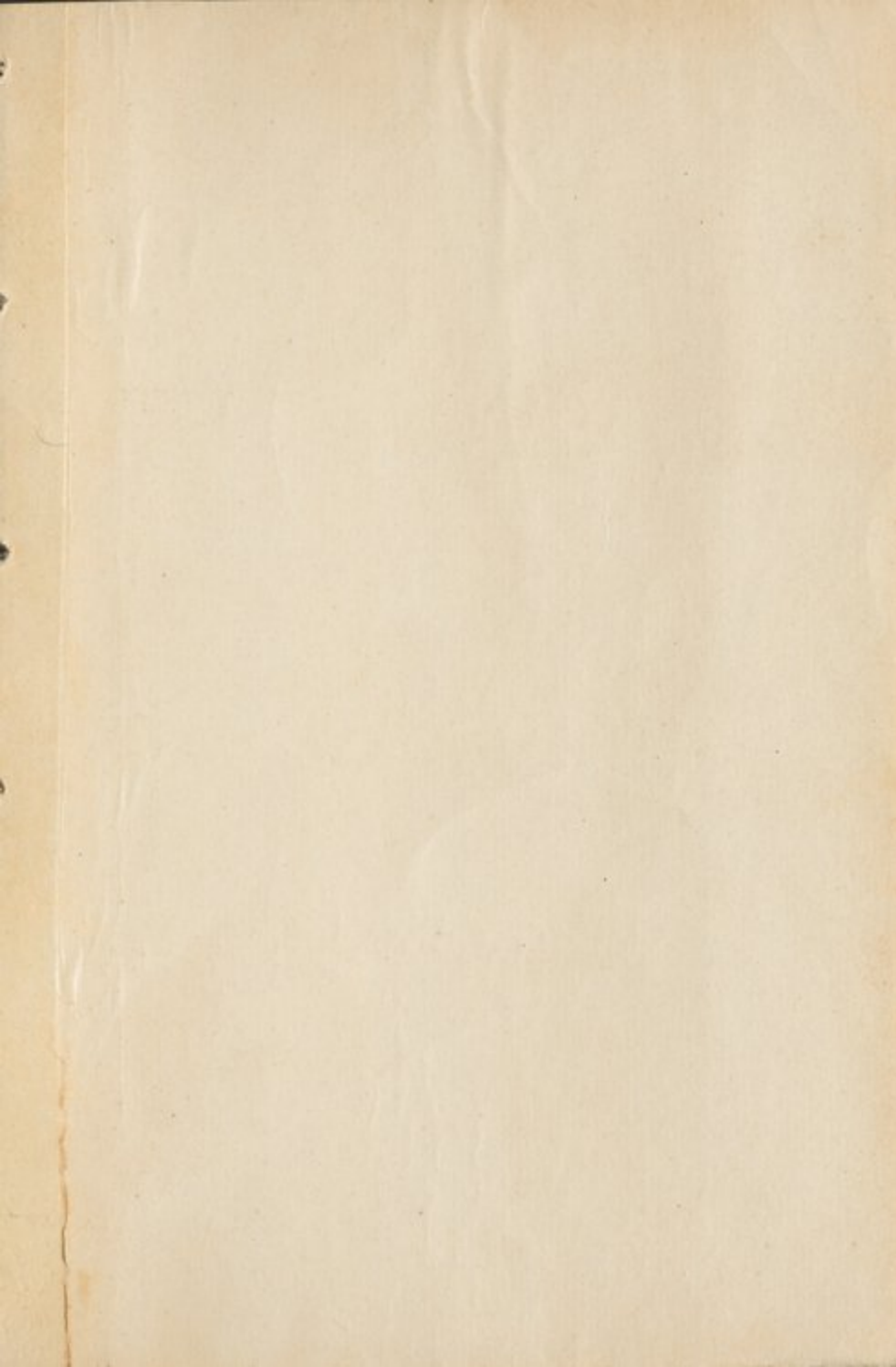


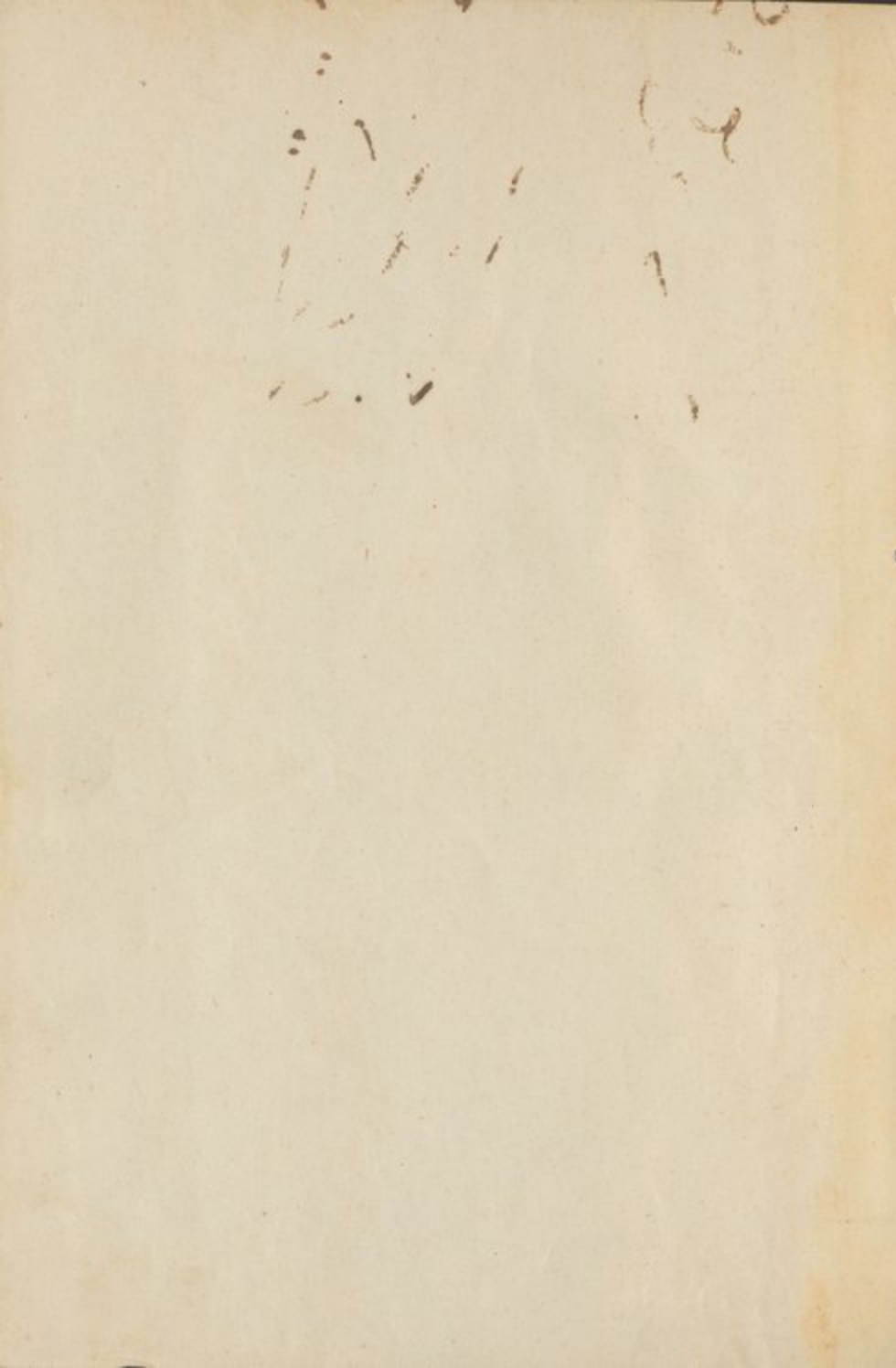
کتاب

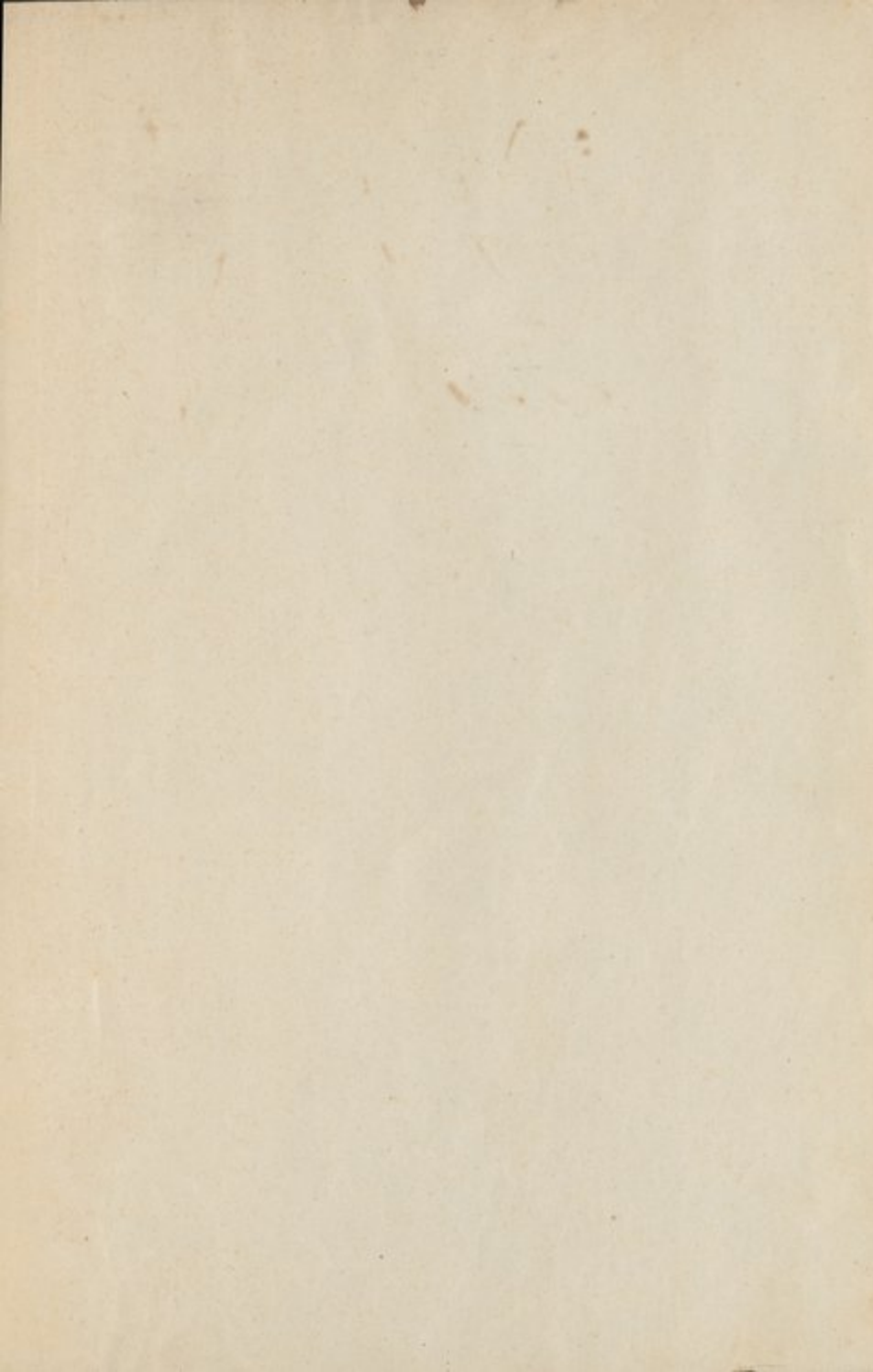
میزان الحنفی

طبعة ثانية منقحة









Pfander, Karl Gottlieb

امیر کی برادر

"BALANCE OF TRUTH"

مِيزَانُ الْحَقِّ

Mizān al-haqq

مِيزَانُ الْحَقِّ

لصاحب المناظرة الدكتور فندر الطائر الصيت

«طبعة ثانية منقحة»

نقحها و اضاف عليها نتائج الاكتشافات الحديثة

جناب العلامة البحاثة

الدكتور تسدل

المستشرق الطائر الصيت

ملئزم الطبع والنشر
مطبعة النسيم في المنيا بمصر

سنة ١٩٢٣

فهرست كتاب ميزان الحق

صحيفة

١ الديباجة الباب الاول

في بيان ان العهد القديم والجديد هما كلام الله ولم يحرفا ولم ينسخا .

- ٣٨ الفصل الاول— في شهادة القرآن للتوراة والانجيل
٦١ الفصل الثاني— في ان الكتاب المقدس لم ينسخ الخ
٩٤ الفصل الثالث— في ان اسفار العهد القديم والجديد المتداولة اليوم هي بعينها التي كانت بايدي النصارى واليهود في عصر محمد وقد شهد لها القرآن
١٢٦ الفصل الرابع— في ان اسفار العهدين القديم والجديد لم يعترها تحريف لا قبل محمد ولا بعده ولا في عصره

الباب الثاني

الغرض من هذا الباب ان نبين تعاليم الكتاب المقدس الاساسية الخ

- ١٦٤ الفصل الاول— في مختصر لمشماتات التوراة
١٨٢ الفصل الثاني— في صفات الله كما هي معلنة في الكتاب المقدس
١٨٦ الفصل الثالث— في حاله الانسان الاصلية الخ
٢٠٧ الفصل الرابع— في الطريق الذي عمله يسوع المسيح خلاص كل الناس
٢٣٧ الفصل الخامس— في التعليم باله واحد في ثلاث اقانيم

5084

(RECAP)

714

1923

65-14

- ٢٥٥ الفصل السادس — حياة المسيحي وسلوكه
 ٢٦٩ الفصل السابع — في خلاصة الأدلة على ان اسفار العهدين القديم
 والجديد تتضمن الوحي الحقيقي
 ٢٨٤ الفصل الثامن — في الكيفية التي انتشرت بها الديانة المسيحية في
 القرون الالى

الباب الثالث

بحث باخلاص في دعوى ان الاسلام دين الله الابدی

- ٢٩٦ الفصل الاول — في ايضاح سبب البحث
 ٣٠٢ الفصل الثاني — هل تنبأ الكتاب المقدس عن محمد؟
 ٣٤٤ الفصل الثالث — هل يمكن ان تكون فصاحة القرآن معجزة الخ؟
 ٣٦٤ الفصل الرابع — هل اذا فحصنا مشتملات القرآن تفيدنا انها من
 عند الله الخ؟
 ٤١٩ الفصل الخامس — بحث في المعجزات المنسوبة لمحمد الخ
 ٤٤١ الفصل السادس — في بعض اخلاق محمد الخ
 ٤٦٢ الفصل السابع — بحث في كيفية انتشار الاسلام الخ
 ٤٨١ الفصل الثامن — هو الخاتمة

مِيزَانُ الْحَقِّ

طبعة جديدة منقحة تنقيحاً عظيماً

(بقلم المستشرق الشهير الدكتور سنكاير تسدل)

—*—

الديباجة

الحمد لله الحي القيوم . الحكيم العليم بكل مجهول ومعلوم .
خالق ما في الارض والسموات . وموجد اسباب الحياة والمات .
سبحانه لا يسكن في مناسك من صنع البشر ولا يحتاج الى شيء
مما يملكون . لان يده مفاتيح الحياة وما كان وما يكون . لقد خلق
الناس من دم واحد «وهو المبدى المعيد» . واسكنهم في الارض
عسى ان يتامسوه فيجدونه مع انه عنهم غير بعيد . اذ به يحيون
ويتحركون ويوجدون كقوله : « ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما
توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من جبل الوريد »

اما بعد فلا يخفى على ذوي الافهام والالباب ان الله تعالى اسمه
وتقدس ورد عنه قوله : « كنت كنزاً مخفياً لم اعرف فاحييت ان
اعرف . فخلقت خلقاً وتعرفت اليهم في عرفوني » . فقد ابرأ الله
الانسان واقامه في هذا العالم الذي زانه بايات معرفته البيّنات . واذخر
خزائن حكمته الازلية التي لم يستعلن لنا منها الا الجزء اليسير وذلك
لكي نولي وجوهنا شطر حضرته القدسية فنسترشد بنور هدايته
الى معرفته ومن عرف الله تعالى كانت له حياة خالدة :-

« يا رب منك النفس والطعام وهكذا الحياة والانعام »
« وكل ذي الآلاء من نعماك نغنى بها يا رب من غناكا »
« انت لشوق النفس فينا موجد وبك عن سبل الضلال نبعد »

ولئن كان الناس في هذه الحياة الدنيا لا يبصرون الله المنزه عن
ادراك البصائر والابصار الا كما يرى الشبح في المرآة فانه وهو ينبوع
كل جود واحسان يريد ان ننظر الى جماله الكامل . وكماله الشامل .
لكي نتغير يوماً فيوماً بنعمته واحسانه وهداه . ونتحول الى قداسته
في باذخ مجده وعلاه . نامين في معرفته ومحبه . ومستزيدين من
لطفه ورحمته . فقد نفخ فينا نسمة الحياة لنلتمسه . وأرانا قبس الحق
الذي ترتاح اليه النفس لتقتبسه

على ان المرء وهو في حادثته . لا يأخذ من العلم الا يدياته . وهو يتدرج في مراقته من ابسطه الى اعلاه . فلا يبلغ ذروته الا بعد ان يجتاز ادناه . فيتلقى احرف الهجاء . قبل ان يدرك اقوال الفلاسفة او نشائد الشعراء . واعتبر ذلك التدرج في الانصاب على ادراك معرفة الله . اذ من اللازم ان نبدأ بالبسيط من العلم القريب من ذهن المرء حتى ننتهي الى اسماه . وماذا عسى أن يكون اقرب الى عقل المرء من ذاته . وادنى الى فكره من صفاته . وقد قال احد حكماء اليونان ، من قديم الازمان ، « اعرف نفسك » وبالحكمة تمسك ، وكانت اليونان تعجب بهذه الحكمة السنية حتى نقشوها على عمود هيكل لاحد آلهتهم الوثنية . وقال احد شعراء الرومان الكبراء . انها لحكمة سامية اوحى بها السماء . وعزى مثل هذه الحكمة الى علي بن ابي طالب . موضوعه بابلغ نص وافصح قالب . وهو قوله : « من عرف نفسه فقد عرف ربه ومن عرف ربه كل لسانه » ولا ينكر حكيم مهما اختلف طائفته ، وبعدت غايته ، ان هذا المقال يشف عن الحق والحكمة ، ويتخلل الصدق سدااته والاحمة ، فان معرفة النفس هي مفتاح نأمل ان ندرك به معرفة الخالق ، كما هو بلاهوته لائق ، واذا تغاضى المرء عن امانى نفسه ولم يسع ليعلم مشتبهيات قلبه ، فكيف

يستطيع وهو يجهل حالته الباطنة ان يبلغ معرفة ربه، الا ان معرفة الله تغلق دونه ولا تفتح له الا متى درس حالته، وعلم ما تتوق اليه روحه وعرف حاجته. فالمرء في حاجة الى معرفة الله لانه باعتبار عقله وروحه مخلوق على مثاله تعالى. وقد قال احد شعراء الفرس اننا اسرة الله اطفالاً ورجالاً. وقيل ايضاً ان الخلق عيال الله فاحب الخلق الى الله من احسن الى عياله

اجل ان الخطية واغواءات ابليس قد اضلت المرء عن السير في طريق الله. ومحت جانباً غير يسير من فطرته تعالى. ولكن لا يزال في باطن المرء بقية باقية تكفي ان تحمله على النفور من المحسوسات. وقد جاء في بعض الاساطير عن آدم انه لما طرد من الفردوس بكى السنين الطوال اذ لم يعد يسمع اصوات الملائكة الرخيمة بسبب بعده عن الله وضجيج العالم وصنجه. ولا تزال هذه الاسطورة تصدق على ابناء آدم ولذلك ترى قلوبهم ونفوسهم قلقة غير مطمئنة. وقد جاء في احد الامثال الحكمية القديمة ما نصه: «اللهم انك خلقتنا لاجل ذاتك فقلوبنا لن تستريح حتى تلتجئ اليك» وقال احد شعراء الفرس: واختر هو اك بمن في حبه وجدت كل النبيين رباً فائق النعم فالذين لم يصلوا بعد الى معرفة الاله الواحد الحقيقي لا يمكن ان

ترتاح نفوسهم الى الاديان الكاذبة او اللذات العالمية. بل هم اشبه
بسامح متعب يقتفي أثر «سراج الليل» حتى يغوص في بالوعة اليأس.
او هو كالمسافر العطشان وقد لاح له سراب عن بعد فتوهمه ماء
سائغاً فسار اليه حتى ادركه الخوار ولاقى حتفه في رمال جرداء محرقة
ولم يرو عطش روحه بماء الحياة. وقد قيل ان الدنيا تشبه سراباً بقيعة
يحبسه الظمان ماء يزخر فيها الشيطان للانسان الى المات

على ان الله برحمته تعالى لا يريد ان يضل الانسان في قفر هذه
الحياة بل ان يظل سائراً في الطريق القويم لانه تعالى انما جعلنا في
هذه الارض لكي نجده. وقد قيل من طلب شيئاً وجدّ وجد. ومن
قرع باباً ولجّ ولج. وقال احد شعراء الفرس:

واذا هوى ظل الاله على امرئ وجد الذي ينبغي ولو متأخراً
وكلا العقل والوحي يثبتان لنا هذا. فليس العمل سهلاً ولا
النجاح ميسوراً لمن يسعى الا اذا التمس الله من كل قلبه وسعى ان
يعرف ارادته المقدسة ليفعل بموجبها سواء كان في هذا العالم او العالم
الآتي. فاذا تم هذه الشروط كان له من نعمة الله مرشد الى الحق.
وقد جاء في احد الامثال انه: بالاعادة افادة وتكرار جرّ الجبل.
ولكن لا يخش طالب الحق ملاقة الصعائب. ولا يهرب من المحن

والمصائب. فان اهل الشر يكرهون الصلاح. والكثيرين من خيرة
الناس قد احتملوا الشقاء والطلاح
وقد قيل ان البلاء موكل بالانبياء ثم باولياء ثم بالامثل
فالامثل. وما اصدق قول الشاعر الفارسي:

من كان في وليمة ادنى الى مضيفه يلبس اثواب البلى
او بعبارة اخرى ان الباحث عن راحة الورد تصيبه الشوكة لانه:
في النار قد مد الملهى لك الحاكم الكون اخوانا
ولكن الجندي لا يستحق المكافأة قبل ان ينال الظفر.
لذلك يسعى آناء الليل واطراف النهار ولا يتقاعد حتى ينال
الاتصاف. وقد قال احد شعراء العرب المجيدين:

بقدر الكد تكتسب المعالي ومن طلب العلى سهر الليالي
يفوص البحر من طلب اللائى ويحظى بالسيادة والنوال
ومن طلب العلى من غير كد اضاع العمر في طلب المحال
ثم ان المرء اذا فخص ذاته وتأمل في مشتهيات قلبه رأى ان
فيه ميلا يحدوه بلا انقطاع الى التماس السعادة لنفسه. ومن كان
سفاهة الرأي طلب السعادة في امور هذه الدنيا الفانية من المحسوسات.
وفاته ان السعادة الناشئة عن الامور المادية المحسوسة انما هي زائلة

وليس في امكان النفس التي لا تزول ان تكتفي بها . وقد حكي انه كان في قديم الزمان ملك عظيم الجاه واسع الثروة لا يكاد يدرك غناه فراه احد الفقراء فغبطه وقال : ايها الملك العظيم الشأن ان سعادتك لنامة في هذه الدنيا . فامر الملك ان يكسى الرجل حلة ملوكية ثم دعاه الى وليمة فاخرة وامره ان يرفع بصره الى فوق . فنظر الرجل واذا فوق رأسه سيف مسلول معلق بشعرة . فارتاع . الرجل واستولى عليه خوف عظيم . حتى لم يستطع ان يأكل او يتنعم باسباب النعم المحيطة به . وهذه الحكاية تصدق على جميع البشر فان فوق رأس كل انسان سيف عزرائيل ملك الموت . وليت شعري كيف يستطيع الانسان ان يحظى بالسعادة الحقيقية في هذه الدنيا مع ان ملك الموت قد يناديه في اية لحظة بامر الله تعالى « يا غبي هذه الليلة تُطلب نفسك منك » ولقد صدق علي بن ابي طالب اذ قال :

انما الدنيا فناء ليس للدنيا ثبوت

انما الدنيا كبيت نسجته العنكبوت

ولقد يكفيك فيها ايها العاقل قوت

ولعمري عن قريب كل من فيها يموت

وبما ان الانسان ليس من الحيوانات العجم بل له روح وعقل

فهو لا يستطيع ان يحظى بالسعادة الحقيقية بواسطة المحسوسات ولا يمكن ان الاهواء واللذات الشهوانية تشبع طبيعته العليا ولو كانت تلك اللذات خالدة . فان الانسان قد يشبع ويشمئز منها حتى في هذه الحياة . نعم ان من الناس من تسعدهم اهواؤهم وشهواتهم فلا يستطيعون ان يخلصوا من اغلالها . ولكن اذا كانت تلك الاغلال وما يترتب عليها من الرق مما لا تحتمله النفس في هذه الحياة اذا تعرضت لها بضع سنوات فكيف يصدق ان نفس الانسان الخالدة ستمتع بتلك الشهوات في الفردوس على الدوام ؟ الا انه كلما توغل الانسان في الانهماك بشهواته على هذه الارض ازداد انحطاطاً في هذه الحياة وابتعاداً عن الله المقدسة ذاته المنزهة عن كل اثم وخطية . واذا اطلق المرء لنفسه عنان الاهواء والشهوات علمه الاختبار في ما بعد انه عوضاً عن ان ينال راحة القلب والطمانينة الباطنية وشبع القلب يزداد قلقاً وشقاءً ويتلوث ضميره برجاسة لاتمحوها توبة على الاطلاق . فضلاً عن انه ينال من تأنيب الضمير ما يملأه خوفاً ورعباً من غضب الله . ولقد صدق حافظ شاعر الفرس اذ قال :

اين السبيل الى السرور بموقف للنفس تطوى دونه الانجاد

وقوارع الاجراس تحذوا ظعننا وتقول شدوا قد دنا الميعاد
ان مجرد التفكير في غضب الله الاقدس على الخطية يلقي المرء
في بالوعة من اليأس

فضمير المرء يشهد عليه ويدينه مهما حاول ابليس ان يخدعه
ويوهمه ان الله لا يعاقبه . وان ما يصيب الجسد من مرض وما يحل
بضميره من تبكيت لا عظم برهان على ان للخطية عقاباً لا يغضي الله
عنه وكما قال علي ان حلاوة دنياك مسمومة فأنت لا تأكل الشهد الا بسم
ومن الناس من يزعمون ان السعادة هي في اقتناء الثروة الطائلة .
فيذخرون الاموال ، وكلما ازدادوا غنى ازدادوا طمعاً واتفى بهم
الامر الى انهم لا يشبعون ابداً من جمع المال . ولكنهم لا يعتمون
ان يداهم الموت فيختطفهم تاركاً وراءهم كنوزهم ومقتنياتهم . والمرء
رهين الموت لا يضمن لنفسه يوماً من الحياة بعد اليوم الذي هو
فيه ولو كان في عنفوان شبابه . والله در من قال :

يريد الفتى ان لا يموت خليه وليس الى ان لا يموت سبيل
واذا عري الانسان من كنوزه وخابت آمال مستقبله يرى نفسه
مضطراً ان يهجر مقامه الفاني ويولي وجهه شطر دار الخلود . ومن انفق
ايامه في جمع الثروة ثم باغته ملك الموت رن في اذنيه صوت قائل : «هلم

الآن ايها الاغنياء ابكوا مولولين على شقاوتكم القاذمة. غناكم قد تهرأ
وثيابكم قد اكلمها العث. ذهبكم وفضتكم قد صدأ وصدأهما يكون
شهادة عليكم ويأكل لحومكم كنار. قد كنزتم في الايام الاخيرة. هوذا
اجرة الفعلة الذين حصدوا حقولكم المبخوسة منكم تصرخ وصياح
الحصادين قد دخل الى اذني رب الجنود. قد ترفهتكم على الارض
وتنعمتم وريتم قلوبكم كما في يوم الذبح» (يعقوب ١: ٥-٥)

اجل. ان المرء لا يجمع الثروة دائماً بالالتجاء الى وسائل العنف
والظلم والخداع ولكن الثروة لا تسد الفراغ الذي تشعر به نفسه
مهما تكن الطرق التي جمعت بها امواله. لا سيما وانه لن يحمل معه
شيئاً منها عند مماته. والموت يصور لنا الاشياء بحقائقها ويرينا
بطلان الامور التي نسعى اليها. وقد قال احد الشعراء :

«ان موت كل انسان يتفق مع صفاته — للعدو موت العدو
وللصديق موت الصديق»
وقال غيره :

«من ذا الذي راس سهام الظلم في هذا العالم ولم يصبح هدفاً
لسهام نقمة اذلية. ومن ذا الذي رغب في ظلم غيره ولم يحذر الزمان»
ومن الناس من يسعى ليحظى بالسعادة باكتساب العلم غير

عابىء ان ما يتعلمه الانسان من امور العالم مبني على اسس زائلة فلا بد من زواله . ولا يخفى ان نفس الانسان ازلية فلا تسعدها معرفة الامور الزائلة وليس التشامخ طريق السعادة ولا يفوز بالنعمة عند الملك الا الكسير القلب

ولقد صدق من قال : « واما من جهة ما ذبح للاوثان فنعلم ان جميعنا علماء . العلم ينفخ ولكن المحبة تبني . فان كان احد يظن انه يعرف شيئاً فانه لم يعرف شيئاً بعد كما يجب ان يعرف » (١ كورنثوس ٨ : ٢١) ومن الناس ايضاً من يزعم ان السعادة هي في المجد والشرف والجاه . ومنهم من يلتمسها عن طريق آخر . وقد اتفق جميعهم على طلب الراحة والطمأنينة والسلام . ولكن الطرق التي اشرنا اليها ليس فيها ما ينيل المرء بغيته . واني لروح الانسان الخالدة ان تشبعها لذات هذه الدنيا الفانية ؟ قال السعدي شاعر الفرس :

خيلي هذا الكون ليس مخلداً فثق باله الكون واجعله ملتجأ
وحاذر من الدنيا فكم اطعمت فتى عليها وأردته قتيلاً مضرجا
فالامور الباقية هي وحدها التي تستطيع ان تشبع روح الانسان
الخالدة . اذاً لا راحة للنفس ولا طمأنينة للقلب الا في التماس معرفة
الله واخضاع ارادة الانسان . لارادته تعالى . فكل من طلب هذه

الكنوز الخالدة التي لم تكن كنوز قارون لتقاس بها وكل من سعى للحصول على السعادة الباقية التي لا يعترها الزوال يحب عليه باديء بدء ان يولي وجهه شطر الينبوع الازلي الذي هو ينبوع الحياة الخالدة اي الحق سبحانه وتعالى . ومتى وجده سرّاً بملاقاته . وخير افراح العالمين ما كان ناجماً عن الاقتراب من الله جل جلاله . وليس ثمت سعادة اتم من سعادة خدمته تعالى

ان الغاية من خلق الانسان هي ان يعبد الخالق ويخدمه . ولا يعيش كالوحوش التي تعيش لتأكل وتشرب بحيث يقف نفسه على خدمة بطنه ويندفع في لذاته . ولم يخلقه الله ليقتني الكنوز الزائلة ويلتمس الجاه الكبير والمجد العظيم في عيون ابناء جنسه . وانما خلق ليبلغ الى معرفة الخالق القدير فيخدمه بكل ولاء واخلاص . لان في تلك الخدمة الحرية التامة والنجاة من عبودية الشر والرجس والخطية . وعلى هذا المنوال فقط تنال السعادة الباقية . فيجب علينا ما دمنا في هذا العالم ان نسعى لبلوغ هذه الغاية الشريفة ولا نتقاعد حتى ندركها . ومن لم يهتم بهذه الامور بل اضاع سني حياته الثمينة على هذه الارض في طلب اللذات الفانية فكيف يستطيع ان ينجو من غضب الله ؟

ولكن كيف نستطيع ان نجد الله ونقترب اليه لنعرفه وهو
ازلي غير مدرك ولا منظور؟ يمكن ذلك بواسطة القوى العاقلة كما
يتوهم البعض؟

كيفية المرء ليس المرء يدركها فكيف كيفية الجبار في القدم
هو الذي انشأ الاشياء مبتدعاً فكيف يدركه مستحدث النسم
ان عقل الانسان القاصر المحدود لا يستطيع ادراك الخالق
الازلي الغير المتغير أو ادراك ذاته العالية التي لا تحدّها بدءاً ولا نهاية.
وقد قال ايوب الذي اشتهر بصبره اكثر من اشتهاره بحكمته:

«أ الى عمق الله تتصل ام الى نهاية القدير تنتهي . هو أعلى من
السموات فإذا عساك ان تفعل . اعمرق من الهاوية فإذا تدري»
(ايوب ١١: ٧ و ٨)

لا جدال في ان الانسان يستطيع ان يعرف بعض الامور عن
الله من غير طريق الوحي وذلك من معاينة احوال الخلق ومشاهدة
احوال ذاته . فهو يعرف ان الله موجود وانه متعال عن جميع خليقة
يديه مما على الارض أو في السماء وان حكمته تعالى غير مدركة وطرقه
تفوق العقل . على ان المرء لا يستطيع ان يعرف الله بدون وحي كما
يعرف الصديق صديقه أو الولد امه . اجل قد يعلم ان الله حكيم وان

رحمته فوق كل اعماله . وقد صدق الشاعر اذ قال :

كم ابدع الله من آيات حكمته اذ في حشا الام آي الحب قد سطرا
وانما الله قبل الام كان من لم يدر ذاك فلا نفع لديه يرى
واذا تأمل المرء في تلك القوة العليا التي تسير اجرام السماء في
افلاكها . وفكر في الحكمة التي تربط البشر بربط المساعدة المتبادلة .
وتعمن في العناية التي قد جعلت لكل مخلوق اعضاء تناسبه لاتمام
اعماله وللدفاع عن نفسه — اذا فعل المرء ذلك فقد يعرف شيئاً عن
صفات الله المجيدة واعمال رأفته ومحبته . وقد قال صاحب المزمور :
(مزمور ٩٤ : ٩ و ١٠)

غارس الاذن ألا يسمع اليوم الكلام

صانع العين ألا يبصر الكون دوام

هو تأديب الوردى ولهم ينمي الملام

ومرب عادل يمنح الفهم الانام

ان اخليقة كلها تنطق بافصح بيان بان الله قادر على كل شيء
كامل في حكمته ونعمته . واذا رجع المرء الى نور العقل والضمير الذي
قد اودعه الله فيه ادرك الفرق بين الخير والشر وبين العدل والظلم
واستطاع ان يميز الاشياء التي تسر الله من الاشياء التي تغضبه . ولا بد

ان يدرك ان العدل يقتضي معاقبة الائم ومكافأة البر. وان يعلم ان الله الذي اودع في نفس الانسان معرفة هذه الامور يجب ان يكون عادلاً ومقدساً وانه بناء على ذلك يكافى عامل الخير ويعاقب عامل الشر. اجل. يجب على الاقل ان يعرف الانسان جميع هذه الامور عن ارادة الله وصفاته تعالى وذلك من مجرد عقله وضميره. على ان الاختبار يدلنا على ان الانسان قد عجز عن ذلك بدون مساعدة الوحي الرباني. ووجود الوثنية برهان قاطع على هذا الامر. فان الكثيرين من الوثنيين هم على جانب عظيم من العلم والمعرفة والادراك ومع ذلك قد بقوا منذ العصور القديمة حتى اليوم مقيدين باغلال عباداتهم الباطلة غير مدركين ان الله اله واحد حي ازلي كلي الحكمة والقدرة والقداسة خالق الارض والسموات ما يرى وما لا يرى. ولقد تعاقبت الاديان بعضها تلو بعض في اصقاع العالم المختلفة. ولئن كان القوم قاطبة يتامسون الاله ويقرون بلزوم الدين فكثيراً ما اضلهم الشيطان وازاغتهم هواؤهم عن عبادة الخالق الى عبادة اجرام السماء او الاصنام او الموتى والحيوانات او غير ذلك من مشاهد الطبيعة. ولقد يتفق للمرء ان يدرك بعض الامور بواسطة عقله ولكنه لا يثق بصحة فكره فيظل قلقاً متردداً لا يعلم ماذا يصدق او ماذا يفعل. وقد اشتهر

افلاطون وارسطوطاليس من فلاسفة اليونان فنبغوا في الحكمة
والفلسفة ومع ذلك لم يدركوا وحدة الله وذاتيته ولا قداسته
ولا يغربن عن البال ان ما يؤثر في اعمال المرء ومعتقداته ليس
عقله فقط فان له اميالا شهوانية قد تملكته منه حتى اعمت بصيرته
عن الادراك. ولهذا لم يستطع ان يصل ولن يصل بمجرد قواه العقلية
الى الدرجة التي اشرنا اليها من معرفة الله تعالى. كما انه لم يتغلب على
اهوائه بمجرد قوته ولا استطاع ان يفعل المستقيم
واذا فرضنا ان الانسان يستطيع ان يبلغ بعقله تلك الدرجة
من معرفة الله فان مثل تلك المعرفة عن ذات الله وصفاته لا تروي
غليل القلوب المتعطشة. فالمرء لا يستطيع ان يعتمد على الاستنتاجات
التي يستنتجها عقله المحدود لان احكم الحكماء الذين طالما امعنوا
الفكرة في هذه الامور قد اختلفوا بشأنها فيما بينهم. لذلك كثيراً
ما تقوم الريب والشكوك في نفس الانسان فتضيع معها راحة
الفكر وطمأنينة السلام ولا يستطيع ان يعلم إرادة الله ووصاياه
المختصة بسلوك الانسان ولا ان يعرف كيف يرضيه تعالى. فاني له
اذن ان يقوم بما هي مشيئة الله وكيف يستطيع ان يرضي خالقه بل
كيف يحظى بالسعادة الحقيقية ما لم يفز برضى الله جل جلاله

فيتضح مما تقدم ان الوساطة الوحيدة لازالة شكوك
الانسان وإبطال ريبه هي الوحي الرباني اذ انه هو الوسيلة الوحيدة
لانتقاده من مواقف الشك وايصاله سالماً الى شاطئ اليقين فيستريح
ضميره لانه بذلك الوحي وحده يعلم كيف يرضي الله ويبلغ ميناء
الطمانينة والسلام ولا شك ان الله تعالى اودع في نفس الانسان
شوقاً دائماً الى السعادة الدائمة حتى يطالبها بكل قواه ويسعى لنيهاها.
ولا يحتمل ان الله الذي اوجد ذلك الظمأ في نفس المرء لا يوجد الماء
الذي يرويه . ولما كان الاختبار قد علمنا ان الانسان لا يستطيع ان
يبلغ غايته بدون مساعدة الوحي كانت ضرورة الوحي مساماً بها عند
جميع اولي الالباب . ومن توهم انه لا حاجة للمرء الى الوحي بحجة ان
نور العقل المحدود يستطيع ان يوصله الى معرفة الله وادراك مشيئته
المقدسة فيكتسب بذلك رضا تعالى وينال السعادة الدائمة— فقد
نسي ان الحكماء في جميع العصور والاجيال كثيراً ما غاصوا في
بحور الافكار فلم يفرز احدهم بلؤلؤته المنشودة ولطالما حاول فلاسفة
اليونان وغيرهم في الازمنة الغابرة ان يعيطوا اللثام عن سر الكائنات
فلم يدرك احدهم مناه بدون ارشاد رباني . والله در شاعر الفرس اذ قال:
ليس من حل عقدة من خفاياها
كون بل كل قادم زاد عقدة

والحق ان نور عقل الانسان الضئيل لا يستطيع ارشاده في
دياجي الجهل وظلمات الاوهام او ايصاله الى ميناء السلام. والسائح
الذي يحوب الطريق الضيقة المؤدية الى الحق سبحانه وتعالى يرجى
له ان يبلغ راحته وطمأنينته بارشاد نور الكلمة الازلية. وقد اهبط
الله الوحي على ابناء آدم ليعلموا ما ليس لعقائهم وحده قوة على ادراكه
واعلن بهذا الوحي ارادته المقدسة في ما يختص بالبشر وكشف طريق
الخلاص للانسان مبيناً الوسائل التي توصله الى معرفة خالقه تعالى
والتمتع بالسعادة الباقية. فشكراً لله على عطيته التي لا يعبر عنها
على ان في العالم ادياناً عديدة يدعي اتباع كل منها ان ديانتهم
وحدها هي التي تنطق بلسان الوحي ولا يخفى ان الاديان لا يمكن
ان تكون جميعها صادرة من الله الاله الحي لان في كثير منها اوجه
اختلاف وتناقض. فمنها ما يقول بتعدد الالهة ومنها ما يحلل عبادة
الاصنام ومنها ما يوصي بتقديم الذبائح البشرية الى آلهة تسر بالخطية
والشهوات. والباحث المفكر قد يرى لؤلؤة الحقيقة متلبسة باوحوال
الكذب ولذلك نجد احياناً في الاديان الكاذبة اثرًا للحق. مثال ذلك
ان جميع الاديان تقول بالخلود وضرورة الثواب والعقاب ولزوم
الصلاة واطاعة وصايا الله. على ان اللؤلؤة يجب ازالة ما هو عالق بها

من الاحوال لكي تتألق في اشعة نور الشمس ولا فائدة منها ما زالت
مطمورة في الحماة. ولا يخفى ان الله مصدر كل حق. ولعل في نفس
الوثني المظلمة اثرًا من نور ذلك اليوم الذي كان آدم مرضياً عند الله
فيه. وذلك الاثر يفضح شدة الظلمة المخيمة على قلب الوثني ويشير
فيه الشوق الى نور الوحي الرباني الكامل

ان في العالم دياتين فقط تقولان بوحدة الله (اذا اغضينا النظر
عن الديانة اليهودية القليلة الاتباع) وهاتان الديانتان الموحدتان هما
الاسلام والنصرانية. على انهما تتفقان في بعض الامور وتختلفان في
كثير منها. فالمسامون يزعمون انهم على الصراط الفسيح وأن المسيحيين
هم على الصراط الضيق. والمسيحيون يسامون بذلك ويقولون ان
الصراط الضيق هو الذي يؤدي الى الحياة الباقية (متى ١٣: ١٤ و ١٤)
ولا شك ان هذين الطريقين يتجهان الى جهتين متناقضتين فلا
يمكن ان يفضيا بالبشر الى الله. بل ان واحداً منهما فقط هو الذي
ينتهي الى معرفة الله الصحيحة والسعادة الدائمة التي هي ضالة المساهين
والمسيحيين على السواء. والعامل الباحث عن الحق من التمس
الطريق المستقيم ليسلك فيه ويباغ غايته. وعليه ان يميظ عن بصيرته
غياهب التعصب الديني والجنسي ليعاين نور الله

وإذا صدق ذلك فلا بد لنا ان نسأل هنا «ما هي الدلائل التي
 تميز لنا طريق الخلاص؟» ولقد يحجب على هذا بأنه ليس من الصعب
 معرفة الآلة المؤيدة للاعلان الحقيقي الهادية الى طريق معرفة الله
 بشرط ان نراقب امانى النفس ومطالب الضمير وشهادته لذات الله
 وصفاته تعالى لا سيما وان تلك الذات والصفات معلّات بعض
 الاعلان في الخائفة. ولا شك ان ذات الله المقدسة منزّهة عن التغير
 والتبدل وبناء عليه فاعلان الله الحقيقي لا بد ان ينطبق على ما قد
 اعلمه عن نفسه بالخلقة وادارة الكائنات وبصوت الضمير. اي انه
 وان صح ان الاعلان الحقيقي يجب ان يكون حاوياً لوصف ذات
 الله ومشيتته اتم من الوصف الذي يستطيع المرء ان يحصل عليه
 بدرس سفر الكائنات ومراجعة امانى النفس فالاعلان الحقيقي لا
 يجب ان يناقض شهادة الطبيعة والضمير للخالق. لذلك يعرف
 الاعلان الحقيقي من غيره من اديان العالم بالدلائل الستة الآتية :
 (الاول) ان الاعلان الحقيقي يجب ان يحقق امانى النفس
 للحصول على السعادة الدائمة. وهذه الامانى تنقسم الى ثلاثة اصناف
 وهي (١) الرغبة في معرفة الحق (٢) الرغبة في الحصول على المغفرة
 (٣) الرغبة في التطهير

(١) فالإنسان يرغب في معرفة حقيقة نفسه وحقيقة خالقه أي أنه يلمس الخبر اليقين عن ذات الله وصفاته ومشيته ووصاياه . وهو يطلب ان يعرف الغرض من خلقه وكيف يمكن تحقيق ذلك الغرض . لانه اذا جهل هذه الامور وعجز عن ادراكها فكيف يستطيع ان ينال السعادة الدائمة ؟ قال الكتاب في عبرانيين (١١ : ٦) « لانه يجب ان الذي يأتي الى الله يؤمن بانه موجود وانه يجازي الذين يطلبونه »

(٢) ان المرء يرغب في الحصول على مغفرة خطاياه والصفح عن ذنوبه وهفواته لانه يعلم بانه كثيراً ما يفعل بالفكر والقول والعمل ما لا يجب ان يفعله ويترك ما كان يجب ان يفعله فهو اذاً خاطئ مذنب في نظر الله . وكل من هو عالم بحالته الباطنة ولا يشاء ان يخدع نفسه فعليه ان يعترف بذنوبه ويتوب عن هفواته ويبحث عن الطريقة التي بها ينال العفو من الله الذي لا تخفى عليه خافية بل يعلم اشواق النفس وسرائر القلوب . وليت شعري كيف يستطيع المذنب الذي لم تغفر خطاياه ان يقترب من الله وينال برحمته تعالى الغبطة التي هي السلام مع الله والالتقياد الى مشيئته جل جلاله ؟ فطريقة الحصول على المغفرة موصوفة في الاعلان الحقيقي

(٣) ولكن فضلاً عن الحصول على مغفرة الخطايا يحتاج المرء الى

تطهير قلبه من الليل الى الخلية وتنقيته من ادران المفسد لكي يسير دائماً مع خالقه الذي قال لشعبه عن لسان موسى: «تكونون قديسين لانني قدوس الرب الهكم» (لاويين ١٩: ٢) فاذا لم ينل الانسان هذه الغاية ويظهر باطناً من الاهواء الباطلة فلا يمكن ان يرضى عنه الله القدوس العادل. ولما كانت السعادة الحقيقية متعاقبة بالطهارة الباطنة كما جاء في الانجيل «طوبى للانقياء القلب لانهم يعاينون الله» فواضح انه لا يتاح لاحد تلك المعاينة المطلوبة بدون نقاوة القلب والروح ان هذه المطالب الثلاثة مرتبطة ببلوغها السعادة الدائمة. فاذا لم يجد المرء الحق ويتبرر في نظر الله ويحصل على الطهارة الباطنة فبالطبع يتعذر عليه ان يتمتع بتلك الغبطة الربانية التي تنال في حضرة الله القدوس وليلاحظ هنا ان الرغبة في تحقيق مطالب الروح والقلب موجودة حتى بين الوثنيين لانهم يقرون بانهم في حاجة الى معرفة الحق ليبلغوا السعادة الحقيقية الدائمة. والضحايا التي يقدمونها انما هي برهان قاطع على انهم يعترفون بخطاياهم لانهم انما يقدمونها لينالوا المغفرة. وما ضررب التقشف التي يلجأون اليها والندور التي يعقدونها سوى برهان على انهم في حاجة الى التطهير من ارجاس القلب والروح العالقة بهم من هذا العالم الخاطيء

وما لم يرتو ظمأ النفس الى السعادة الدائمة — ذلك الظمأ الذي اودعه الخالق في النفس — فان الانسان لا يستطيع ان ينال الفرح الحقيقي والظمأ نينة. اذ انى لسفينة النفس ان تستقر في وسط عواصف الالهواء والمخاوف والشكوك. نعم لا احد يستطيع ان يروي ظمأه بالذات الشهوانية أو باستخدام القوى العقلية. فن الواضح اذا ان الله قد غرس هذا الشوق في نفس الانسان لكي يسده من غنى جوده وانه قد اودع بحكمته تعطاشاً في القلب لترويه جرعة من نهر ماء الحياة. وواضح ايضاً ان الاعلان الالهي الحقيقي ينتظر منه ما يسد حاجات النفس لان غاية هذا الاعلان انما هي ارواء عطاش الروح. فاذا عجز الوحي عن اتمام هذا الشرط فلا نفع منه وفي ذلك برهان قاطع على كونه ليس من الله الذي لا يحجم عن اتمام الغاية التي قد اختارها بحكمته تعالى

(ثانياً) ان الاعلان الحقيقي يجب ان ينطبق على ذلك الناموس الالهي المكتوب في قلب الانسان والمدعو بالضمير. والضمير هو قوة يميز بها المرء الحلال من الحرام. وهو يختلف عن العقل الذي هو ادنى منه وقد يخطئ ويضل حالة كون الضمير لا يخطئ ولا يضل. نعم ان العقل هو هبة سامية من لدنه تعالى رفيعة القدر ولكنها اشبه

بالابرة المغناطيسية المتجهة دائماً الى الشمال ولكن قد يتغير اتجاهها اذا جعل بقربها قطعة من الحديد. اما الضمير فهو اشبه بنجمة القطب المعروفة بالجلدي والمتجهة دائماً الى القطب يهتدي الملاح بنورها اذا ظل شاخصاً بعصره نحوها. وكما سفينة ارتطمت بالصخور وتحطمت من جراء الاهتداء بآبرة منحرفة. اما الجلدي فلا ينحرف قط وان غشيته احياناً غيوم وسحب تتصاعد من الارض. على ان غيوم الريب والشبهات لا تحجب عن البصيرة نجمة الضمير. فالعقل يتحكم بسلو كنا واعمالنا واما الضمير فينظر الى الغاية والاختيار والبواعث. والذين يذهبون الى ان الضمير قد يضل ويضل صاحبه يعنون ان حكم الضمير قد ينتهي الى خطأ فهم يخالطون بين الحكم القابل للخطأ والضمير الذي بعكسه. كمن لا يميز بين ابرة المغناطيس ونجمة القطب. وقد اودع الله بحكمته نجمة قطب الضمير في قلب كل انسان حتى يعرف الطريق المستقيم دائماً ويسير فيه. ولكن الطريق المستقيم لا يتبين الا اذا وافق الضمير على الغاية التي يسعى اليها المرء في ذلك السبيل. وقد يخدع النبي الكذاب المرء كما فعل ماني أو مسيامة ثم يرتكب الخطأ عن غير عمد. وذلك لان حكمه خطأ. اما ضميره فيقول له بان الواجب يقضي عليه ان يطيع وصايا الله وان يخضع لتعاليم انبيائه

واما حكمه المنحرف فقد يفضي به خطأ الى تصور ماني أو مسيامة أو
 المقنع أو الحاكم بأمر الله الذي يعبد الدروز مرسلًا من قبل الله .
 على ان الغالب ان معظم الذين يتبعون هؤلاء الانبياء الكذبة انما
 يفعلون ذلك سعيًا وراء ربح عالمي . فاذا حاد المرء عن الطريق المستقيم
 فليس اللوم على الضمير . وتظهر استقامة تعاليم الضمير وتحذيراته من
 وجود شبه وفاق عام بين جميع شعوب الارض فيما يتعلق بالناموس
 الادبي . فضمير جميع الناس يذم الكذب والخداع والفسق والسرقة
 والنهب والقتل وامثال هذه الشرور على الرغم من ان بعض الاديان
 الكاذبة تحرف حكم المرء وتوهمه انه اذا ارتكب احد تلك الشرور
 بأمر كاهن أو رجل يدعي النبوة فليس ذنبًا . وقد اتفق ان توهم الناس
 ان الله تعالى اظهر رضاه عن احد الانبياء بان اذن له في تجاوز الناموس
 الادبي بدون عقاب . ففي هذه الحالة نرى ان حكمهم قد اصبح محرفًا
 بسبب تعصبهم الديني فلم يعودوا يدركون انه ليس لاحد حق ان
 يفعل خطأ . وبعبارة اخرى انهم يجهلون ان ناموس الضمير الادبي
 هو صورة القلب الباطنة معكوسة عن ذات الله تعالى . وكما ان ذات
 الله غير متغيرة هكذا الناموس الادبي ايضًا فانه صورتها فهو منزّه
 عن كل تغيير أو ابدال . ولا يؤثر فيه مرور العصور والاحقاب لان

الزمن لا يؤثر في الذات الازلية . ومن توهم ان الله يأذن اليوم بالزنا ويحرمه غداً أو انه يأذن لاحد الناس في مخالفة الناموس الادبي بهائناً على رضاه عنه فقد خالف الحق واشبهه عباد الوثن الذين يبررون سفك الدماء البشرية على مذابح آلهتهم أو كان كبعض المبتدعين الذين يزعمون ان الله يسر بالذين يضحون بيناتهم على مذبح الزنا المعروف بالمتعة . أو كبعض وثني الهنود الذين يزعمون انهم يكتسبون رضا الله اذا نذروا بناتهم ليعشن عيشة الزنا في هياكلهم . فالضمير ينهي عن جميع هذه الامور ويحكم بانها شرور تغضب الله وتستوجب العقاب كما انه يمتدح البر والحق والاخلاص والرحمة والرافة والطهارة والعدل وجميع الاعمال التي قد اجمع البشر على انها صالحة ترضي الله وتستحق الثواب من لدنه تعالى

فواضح اذاً ان الاعلان الحقيقي يجب ان ينطبق على صوت الضمير ويوافق عليه . لان الامور التي يحكم الضمير بكونها شريرة وخارجة عن حدود العدل ومغضبة لله ومستحقة للعقاب يجب ان ينكرها الاعلان اذا كان حقيقياً وصادراً من عند الله خالق البشر ومودع الضمير في صدور الناس . وكذلك الاعلان الحقيقي الصادر من الله الحاكم العادل يجب ان يوافق على الامور التي يوافق عليها

الضمير . ومن المحال ان يناقض كلام الله صوت الضمير المعطى
لارشادنا بل يجب ان يكون مصداقاً لاحكام الضمير لئلا يضل
الناس فيغلطوا بين حكم الضمير والضمير نفسه أو يغتروا بغرور هذا
العالم الزائل وما فيه من خداع ابليس والجسد

(ثالثاً) بما ان الضمير يقول ان الله تعالى هو بار مقدس يثيب
الصالحين ويجازي الطالحين فالإعلان الالهي يجب ان يمثله تعالى
متصفاً بهذه الصفات . ولما كان الضمير يحث البشر على السعي وراء
الصالح والطهارة هكذا يجب ان الاعلان الالهي يدفع الناس نحو
تلك الغاية الشريفة لكي يتطهروا ويتقدسوا بالفكر والقول والعمل
باطناً وظاهراً لان الله قدوس يحب المقدسين

(رابعاً) ان العقل يجاهر بان الله واحد وان الكائنات كلها صنع
مبدع واحد . قال السعدي :

وكل وريقة من غصن دوح كتاب يحتوي حكم التقدير
وقال آخر :

وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد

وقال غيره :

وكل سنبلة تبدو طلائعها تنبيك ان لا شريك الدهر لله

ثم ان العقل يدلنا على ان الله جلّ جلاله هو ابدى قادر على كل شيء وهو بذاته وصفاته قدوس منزّه عن كل تغيير وتبديل وهو حكيم وله ارادة ازلية في خلقه الكائنات وحفظه لها لا تتغير . فالاعلان الالهي اذاً يجب ان يكون مصداقاً لهذه الشهادة لان الله قد اعلن هذه الامور لعقل الناس على صفحات سفر الكائنات . وبعبارة اخرى اذا تأملنا في الموجودات اتضح لنا ان الله واحد ازلي قادر على كل شيء حكيم رحيم بار خالق الارض والسموات . فكل اعلان صادر منه يجب ان ينطبق على سفر الطبيعة الذي قد ألفه الله والذي ينسب هذه الصفات اليه تعالى

(خامساً) ان الاعلان الالهي يجب ان يوضح طريق الخلاص ولا يجب ان يكون اختلاف معنوي في تعليمه بهذا الخلاص . وقد يحتمل ان الاعلان اعطي متقطعاً في مدة طويلة من الزمن فمن الممكن اذاً ان تختلف درجات روحانيته في تعاليمه وقد تتغير الطقوس والشعائر الظاهرة من وقت الى آخر بحسب الاحوال . ولكن هذه فروع الدين لا اصوله . ومتى حان الزمان يجب ان تزول تلك الفروع والا فانها بدلاً من ان تكون مساعدة للنمو تصبح حائلة دونه . على ان نبذ هذه الفروع ليس تغييراً للخطة الاصلية ولا مناقضاً لها وان لاح

للجاهل كذلك بل هو في الحقيقة استمر في النمو سعيًا وراء اتمام
 ارادة الخالق الحكيمه . اعتبر ذلك في الولد عند ما يبدأ بالذهاب الى
 المدرسة فانه يبدأ بتعلم حروف الهجاء ويفعل كل ما في وسعه لتعلم
 المشق بتقليد الفاظ يكتبها له المعلم بخط جميل جلي وعليه ايضاً ان يخضع
 لجميع قوانين المدرسة فيما يختص بمواعيد الذهاب والانصراف وغير
 ذلك من امور النظام . على ان جميع هذه القوانين ليست في حد ذاتها
 غاية بل واسطة لبلوغ تلك الغاية . ومتى نال الولد قسطه من التعليم
 لا يعود في حاجة الى مراعاة قوانين المدرسة أو التردد اليها . على ان
 خروجه منها لا يبيح له الخروج عن قوانين اللغة ولا يغنيه عن
 حروف الهجاء اذا اراد الانتقال الى جامعة أو مدرسة أعلى مع انه
 ليس في حاجة الى تعلم الخط كما كان يفعل في اوائل عهده بالمدرسة .
 فمقتضيات العلم والتهذيب ليست عرضة للتبديل والتغيير ولا هي
 متناقضة بحجة ان اختلاف الاحوال يمكن التلميذ من التدرج في سلم
 العلم بحيث اذا بقي متمسكاً بالمبادئ الاولى فقط عاقته عن التقدم الى
 ما هو ارق . ولا يخفى ان العالم هو المدرسة الكبرى والعقل يدلنا على
 ان الله السلي الحكمة لا يريد ان يظل تلامذته يتعلمون أوليات
 اللاهوت فقط بحيث يمارسون نفس الطقوس والشعائر ولا يتدرجون

في معرفة الخالق الذي خلق العالم لكي يعرفه العالم
وكما ان التلميذ عند اول عهده بالمدرسة يتدرج من الكتب
الاولية الى كتب ارق منها فارقي وهو واثق ان الاخيرة منها
لا تناقض المتقدمة هكذا الواقع في امر الاعلان الالهي فقد تكون
اجزائه السابقة (المختصة بالطقوس والشعائر) توطئة لاجزاء اشد
اغراقاً في الروحانيات. ومع ذلك فكما ان قوانين الصرف ليست
عرضة للنسخ أو الابدال هكذا الناموس الالهي ومبادئ الدين
الصحيح وحقائق الوحي الثمين فانها لا تتغير ولا تتبدل. ولقد يتوالى
المرسلون والانبياء لتعليم الناس في مدرسة الله الكبرى فيقود كل
منهم الناس خطوة أبعد في معرفة الخالق سبحانه وتعالى. والاعلان
الذي يتم بهذا الطريق انما تصح نسبة التغير اليه بمعنى انه متدرج في
الترقى فقط، ومن الخطأ ان يتوهم التلميذ انه اذا جاء معلم جديد
امره بالاقلاع عما قد حصله من العلوم والبدء بتعلم احرف الهجاء
ترى مما تقدم انه لا يجب ان يكون تناقض بين مبادئ الاعلان
الالهي ولكن يجب ان يتم ذلك الاعلان بتقدم تدريجي لا بتأخر
(سادساً) انه لا كتاب ولا نبي يستطيع ان يعان الله للبشر
اعلاناً تاماً. فالانبياء وكتب الوحي قد تعلمنا اموراً كثيرة عن الله

فتعلن لنا اوامره ومشيثته وصفاته ولكنها لا تستطيع ان توصل
 الانسان الى معرفة الله معرفة ذاتية . فنشورات الملوك واقوالهم قد
 تعلن لرعاياهم بعض ما يجب ان يعلموه وتريهم مبالغ عدلهم وانصافهم .
 ولكن الرعايا لا يعرفون ملوكهم شخصياً ما لم يشاهدوهم ويسمعوا
 اصواتهم . حتى ان معرفتهم للملوكهم على هذه الكيفية هي ناقصة وان
 كان ذلك المقدار منها صحيحاً في حد ذاته . واعتبر ذلك في ملك الملوك
 ورب العالمين فان المرسلين الاطهار الذين يبلغون البشر وصاياهم
 ويعلنون لهم صفاته تعالى لا يستطيعون ان يعلنوه لهم بجعلهم يعرفونه
 معرفة ذاتية وهو الكائن الغير المنظور . فان المرء في حاجة الى مظهر
 الهى منظور (عدا تعاليم الانبياء) — الى مظهر ذاتي كحقيقة تصل
 الانسان بالله — يكون هو انسان كامل واله كامل معاً — الذي يستطيع
 البشر ان يعرفوه كما يعرف الانسان صديقه بل احسن — الذي يستطيع
 ان يستميل حبهم ويقودهم الى خدمة الله ليس حباً لاجل المكافأة
 ولا خوفاً من العقاب بل عن محبة مخلصه صادقة غير مشوبة بما يشتم
 منه رائحة حب النفس بل متسامية فوق كل الصفات البشرية .
 فالاعلان الالهى لا بد ان ينبىء الناس بهذا الظهور فيجعلهم قبل ظهوره
 ينتظرونه ويذكر لهم العلامات التي يعرفونه بها . ومتى جاء تذكروا

اقواله واعماله حتى تراه الاجيال القادمة بعين الايمان كما في مرآة
فيعرفونه بذلك ومتى عرفوه عرفوا الله بواسطته

والخلاصة ان الاعلان الذي تتوفر فيه الشروط الستة المتقدمة
خليق بان يكون صادراً من الله وان يكون خاتمة وحيه الى البشر
ومن المحتمل ان الاعلان الذي تتوفر فيه هذه الشروط الستة
قد يكون حاوياً لاسرار تفوق ادراك البشر فيعجز المرء اذ ذاك عن
ادراك مغزاها. فمن المسلم به ان معرفة الخالق وحكمته تعالى أبعد من
ان يحدهما قياس أو يدركهما الانسان مولود الارض القصير البصيرة.
ولقد صدق القائل :

كم ب ميدان جلال الله يك
وبيجر الوحدة العظمى ترى بوجواد الفكر من فرط العيا
فكيف يستطيع العقل البشري اذا ان يدرك كنه ذات الله .
واذا كان المرء لا يستطيع ان يدرك كنه ذاته المحدودة ويعجز عن فهم
الكيفية التي بها العين تبصر والاذن تسمع (وبعبارة اخرى لا يستطيع
ان يعلم كيف تستطيع النفس التي هي غير هيولية ان تدرك بواسطة
الحواس ما حولها من مشاهد الهيولى) فكيف يستطيع ان يدرك
اسرار ذات الله الغير المحدودة والغير المنظورة؟ ثم من المحتمل ان يكون

في ذات الله صفات منزّهة عن اشباهها في البشر فكيف يستطيع المرء ان يعلم بواسطة عقله المحدود ان الله الحائز لصفات معينة ليس فيه صفات اخرى صالحة أو كاملة؛ بل كيف يستطيع البشر ان يقيدوا من هو منزّه عن كل قيد متعذر على الادراك. ان من يفعل ذلك يكون كأنه يدعي الالهية. اما الصفات التي هي شر في حد ذاتها ومناقضة للناموس الالهي المنقوش في قلوبنا (ذلك الناموس المعكوس عن ذات الله بمرآة الروح) فليست موجودة ابداً في ذات الله. فاذا ظهر كتاب وقيل فيه ان في الله صفات شريرة فيجب ان نتادي جميعنا ان مثل ذلك الكتاب لا يكون موحى به من الله

وما سبق يكفي للدلالة على كيفية الفحص الذي يجب ان نفحص به كل اعلان يزعم انه صادر من مصدر الهي. وتتضح لنا ضرورة هذا الفحص متى تذكرنا ان في العالم شعوباً كثيرة قد ضلت عن الصراط المستقيم وتاهت في مهامه الوثنية وعبادة الاصنام لانها آمنت بانبياء كذبة واسفار باطلة زاعمة انها من لدن الله تعالى وهي ليست كذلك فاذا فحصنا اسفار الوثنيين بهذه الطريقة اتضح لنا انه من المستحيل ان تكون التعاليم المنطوية عليها صادرة من لدن الله لان تلك الاسفار لا تروي ظمأ النفس وشوقها الى معرفة الحق وطلبها المغفرة

وسعيها وراء الطهارة والسعادة الدائمة. بل بالعكس بدلاً من ان تعلم الناس عن الاله الكلي الحكمة والقدرة الخالق لما على الارض وفي السماء تراها مشتملة على اساطير وخرافات تتعلق بآلهة كاذبة وتدعو الناس الى عبادتها الباطلة والانخراط في سلك الوثنية وما تتناوله من الآثام الفظيعة ارضاء لتلك الآلهة الكاذبة. فاذا عرضنا الاسفار الوثنية على معرض النقد بالطريقة السالفة اتضح لنا انها غير موحي بها. وهذا يثبت لنا ان الشروط الستة التي بسطناها يصح الاعتماد عليها لانها تفند زعم الاسفار الوثنية وتظهر بطلانها. واذا طبقنا هذا الفحص على كتب الاسلام والنصرانية نكون قد التجأنا الى برهان ثابت يصح الاعتماد عليه وغاية هذا الكتاب هي ان نبحث في هل القرآن أو الكتاب المقدس هو كلام الله واعلانه الالهي - بقدر ما يستطيع اعلان الله بكلام يودع بين دفتي كتاب مسطور بلغة من لغات بني البشر

ومن الناس من يسلم باحتمال كون الكتاب المقدس والقرآن كليهما من الله وبان الثاني انما هو تكملة الاعلان المبدوء به في الاول كما ان المزامير واسفار الانبياء وغيرها هي تكملة لتعاليم التوراة وكما ان الانجيل وسائر اسفار العهد الجديد تحتوي على تعاليم تنطبق على تعاليم التوراة ولكنها اسمى منها. واذا فحصنا تعاليم المسيحية والاسلام

الجوهرية امكنا ان نعلم مبلغ هذه الدعوى من الصحة أو البطلان. فإذا وجدنا تلك التعاليم متوافقة متطابقة وان القرآن ينطوي على مبادئ اديية وتعاليم روحية اسمى مما في الانجيل (كما ان مشتملات الانجيل هي اسمى من مشتملات التوراة) امكن اعتبار تلك الدعوى صحيحة. واما اذا ثبت ان بين القرآن والكتاب المقدس أوجه خلاف في أهم اقوالهما وتعاليمهما الاساسية ثبت لنا استحالة كون كليهما اعلان الله ووجب ان نفحص كلا منهما بالطريقة التي قد بسطناها لنعلم برحمة الله وهدية إيهما يعلن لنا طريق الخلاص والحياة

فمن سعى وراء الحق ورغب في اتمام مشيئة الله ووجب عليه برغبة واخلاص نية ان يبدأ فحص ذلك باسم الله ويلتمس من الخالق جل شأنه ان يهديه في بحثه الى مصدر الحق وان ينقذه من عوامل التعصب والانحياز فيهندي بنور الله الرباني

فنحن نبدأ ببحثنا هذا واثقين بنعمة الله ورحمته تعالى لفحص القرآن والكتاب المقدس لنرى اوجه اتفاقهما أو اختلافهما على امور الدين وفرائضه المهمة. فإذا ثبت لنا انهما مختلفان عمدنا الى البحث عن إيهما هو اعلان الله الحقيقي. ولا يخفى ما لهذا البحث من الاهمية الحقيقية اذ لا يسع الباحث عن السعادة الدائمة اهماله لان على نتيجة

بحشنا هذا يتوقف الخلاص أو الهلاك فانه اذا كان الله تعالى قد اعلن
لنا طريقة الخلاص ونحن لا نتبعه ونسير فيه فكيف نؤمل النجاة
من التيه والضلال

وفوق ذلك كله يجب ان نبتعد في سعينا وراء الحقيقة عن كل
مصادمة ومماحكة وكل مشاتمة ومهارة لان امثال هذه النقائص تعمي
ابصار الناس وتحول دون تناصرهم للبحث عن درة الحق اليتيمة
فبدلاً من ان تتخاصم ويغض احدنا الآخر من اجل الدين يجب
ان تتناصر في بحثنا وتولية وجوهنا شطر المحكمة الالهية لان جميعنا
اولاد آدم خليفة الاله الحي الحقيقي وتلامذة في مدرسة العالم السفلي .
وما احسن قول سعدي الشاعر الفارسي :

والناس ابناء لا دم كلهم وجميعهم لجميعهم اخوان

فاذا تألم واحد منهم غدت تتألم الاخوان والاخذان

واذا ساعدنا اخواننا وصحبنا في بحثهم عن الحق ساع لنا ان
نطلب من الله ان يعان لنا نور محياه ويساعدنا ان ننبتذ كل كبرياء
لان معرفة الله لا تستقر على المتكبرين . قال احد الشعراء :

اذا عطشت الى الله اتضع دعة لا تشرب الماء من نبع قد ارتفعوا

وقال آخر ما معناه :

إذا اراد الله أن يساعد أحداً في هدايته إليه اذكى نار شوقه
إليه وصبره على معاناة آلام روحية وجسدية ليخلصه
وكما أن العين لا تبصر الشمس إلا بواسطة نورها هكذا
لا تستطيع البصيرة الروحية أن تبصر الله الغير المنظور إلا بواسطة
نور نعمته الروحي . فاذ قد نلنا هدى الله وانتهينا إلى معرفة حقه
بالصلاة المستمرة المرفوعة إليه تعالى من أعماق القلوب فلنقبل الحق
ولنعترف به حيثما وجدناه عالمين أن كل الحق من الله الذي هو نفسه
الحق . ومن أنكر الحق فقد أنكر الله

وقد قسمنا هذا المؤلف إلى ثلاثة أقسام . نظرنا في أولها في
دعوى الجهال بأن التوراة والزبور والإنجيل التي يتداولها المسيحيون
اليوم هي محرقة فضلاً عن كونها قد نسخت . وقد بحثنا في القسم الثاني
في تعاليم الديانة المسيحية المهمة مع النظر في هل قد توافرت في العهدين
القديم والجديد الشروط الستة التي بسطناها . وقد نظرنا في القسم
الثالث في هل القرآن هو كلام الله كما يدعي المسلمون وهل محمد هو
رسول الله وخاتم المرسلين

وليتدارك الله بركته سعينا هذا لإظهار طريق الخلاص وليسبغ
رحمته على جميع الذين يسعون للسير في ذلك الطريق بنعمته تعالى . آمين

الباب الاول

في بيان ان العهد القديم والجديد (أي التوراة والانجيل)
هما كلام الله ولم يحرفا ولم ينسخا



الفصل الاول

في شهادة القرآن للتوراة والانجيل

لا يخفى ان العلماء قد قسموا البرهان الى نوعين عقلي وتقلي .
فالاول يحتوي على الدليلين الخارجي والداخلي . ولو كنا نؤلف تأليفاً
لاقناع الكفار والملحدين وعبدۃ الاصنام لكن يجب علينا اولاً ان
نأتي بالدليل الخارجي بان التوراة والانجيل هما قديمان وغير محرفين
ونبين وجوب الاعتماد عليهما لانهما وحي من الله تعالى ثم علينا ان
نذكر تاريخ كل سفر من اسفارهما بمقدار امكاننا لتبين كيفية جمع
الاسفار . وهل يحق لنا بعد وزن الدليل الخارجي ان ننسب الاسفار
للانبياء الذين كتبت اسمائهم عليهما ام لا ؟ واخيراً نبحت في حقيقة
الدليل الداخلي المأخوذ من نفس الاسفار ونبين نتيجة بحثنا
اما المسيحيون فانهم كرروا ذلك وسببه ان الملحدين وغيرهم

اثاروا حرباً عواناً ضد الكتب المنزلة فلا قناعهم فخصوا وحققوا جميع
الادلة سواء كانت لهم أو عليهم لكونهم شديدي التمسك بالوصية
المقدسة القائلة «امتحنوا كل شيء تمسكوا بالحسن» (الرسالة الاولى
الى تسالونيكي ٥: ٢١) فاطاعة تلك الوصية مطلوبة منا بأمر من الله
تعالى الذي وهبنا عقلاً لاجل هداية خطواتنا في سبيل تمجيد اسمه
الاقდس وحيث ان الحق من اخص صفات الباري سبحانه وتعالى
فهو لن يبيد ولن يتلاشى بل يجب ان يبقى ابدياً. والذي يريد البحث
عن الحق الالهي ويروم السير في مسالكه حسب ارادة الله المقدسة
لا يخوفه ولا يصده عن ادق تنقيب حول اسس ايمانه شيء ما. وبعد
اتمام ذلك التنقيب والبحث لا يثبت على صخرة الحق وحده فقط
بل هو قادر ايضاً على اعانة آخرين مثل اللاادرية وغيرهم من المترددين
والمذبذبين في لجج الريب والشك. فإيمانه حينئذ يستحق ان يطلق
عليه اسم ايمان ومسامه مؤمن اذ ليس هو كتقليد الجاهلين ولا
كتمسك المتعصبين

اما الادلة العقلية على صحة الديانة المسيحية فكاتب العلماء
المسيحيين مملوءة بالمصنفات في موضوعها وليس هنا محل لايرادها
لان غرض هذا التأليف ليس اقناع الكفرة بل مساعدة اخواننا

المسلمين الذين يقبلون القرآن كأخر اعلان من الله تعالى لهم ويؤمنون
بانه يحتوي على كلام الله نفسه فأثم من كل شيء عند المسلم اعتقاد صدق
ما قاله القرآن الشريف بخصوص الكتاب المقدس ومما زاد عندنا
اهمية هذا البحث كون بعض المسلمين الجاهلين يعتقدون بعكس
ما قاله القرآن في ذلك وما سببه الا سوء الفهم^(١) ولا يستغرب اذا
قلنا ان اكثرهم يعتقد في الكتاب المقدس ضد شهادة القرآن له فيجدر
بكل مسلم ان يشترك معنا في البحث عن شهادات القرآن للتوراة
والانجيل وافادته عنهما لنستفيد جميعاً فائدة تذكر فتشكر

يعلم الجميع ان المصحف يشهد انه وجد في جزيرة العرب زمن
صاحب القرآن امتان مختلفتان في الدين قال في سورة (البقرة آية ١١٣)
«وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود
على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم»
وملخص ما قاله البضاوي في تفسيره على هذه الآية انها نزلت عند
قدوم وفد نجران على صاحب القرآن حيث تناظروا مع احبار اليهود
وتقاولوا بذلك ليست على شيء أي على أمر يصح ويعتد به والحال

(١) يجدر بالقارى الكريم ان يقتني نسخة من كتاب خلاصة الادلة

السنية على صدق الديانة المسيحية المطبوع في بيروت سنة ١٨٧٧

انهم من اهل العلم والكتاب. ومثل قولهم قال الذين لا يعامون كعبدة
الاصنام والمعطلة اه. لكنهما وان اختلفا ديناً فقد اتحدا بتسمية كل
منهما اهل الكتاب ألا وهما المسيحيون واليهود قال في سورة (آل
عمران آية ٦٩) «ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم. وما
يضلون الا انفسهم وما يشعرون. يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات
الله وانتم تشهدون. يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون
الحق وانتم تعلمون» وفي (آل عمران ايضاً آية ١٢٠) «ولو آمن اهل
الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون» وفيها
ايضاً (آية ١٩٩) «وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل
اليك وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً اولئك
لهم اجرهم عند ربهم» وفي سورة (النساء آية ١٥٣) «يسألك اهل
الكتاب ان تنزل عليهم كتاباً من السماء» وفيها (آية ١٥٧) «وان من
اهل الكتاب الا ليوث من به قبل موته» وفي سورة (العنكبوت آية
٤٦ و٤٧) «ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين
ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليك والهناء والهكم
واحد ونحن له مسلمون»

ان القرآن يشهد ان الكتاب الذي اتى اليه هذان الشعبان لم يزل

موجوداً بصحته الى زمينه قال في سورة (البقرة آية ١٠٥ و ١٠٩) «ما يود
الذين كفروا من اهل الكتاب الخ. ود كثير من اهل الكتاب الخ»
وفي سورة (آل عمران آية ٢٠ و ٢٣) «وقل للذين اتوا الكتاب
والامين الخ - الم تر الى الذين اتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى
كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم مؤمنون»
قال البيضاوي : ما ملخصه الداعي محمد وكتاب الله القرآن
والتوراة اه

وفيها ايضاً (آية ٦٤) «قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء
بيننا وبينكم الخ» (وآية ٦٥) «يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم
وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده الخ» (وآية ٦٩) «ودت
طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم الخ» (وآية ٧٠) «يا اهل الكتاب
لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون» (وآية ٧١) «يا اهل الكتاب لم
تلبسون الحق الخ» (وآية ٧٢) «وقالت طائفة من اهل الكتاب الخ»
(وآية ٧٥) «ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار الخ» الى آيات
كثيرة يسمى القرآن اليهود والنصارى باهل الكتاب ولا شك انه
هو الذي كان وقتئذ موجوداً بأيديهم قال في سورة (المائدة آية ٤٧)
«وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله الخ» (وآية ٤٨) «انا

انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الخ» (وآية ٦٨) «قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم الخ» وفي سورة الاعراف يصرح بان اليهود تلقوا الكتاب (التوراة) بالتوارث عن آبائهم حيث يقول في (آية ١٦٨) «خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب الخ» حتى ان القرآن يأمر محمداً ان يسئل اهل الكتاب ان حصل عنده شك في القرآن ليتثبت قال في سورة (يونس آية ٩٤) «فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرآن الكتاب من قبلك الخ»

وحتى انه يشهد شهادات مفصلة ومبينة لاجزائه الثلاثة اي التوراة والزبور والانجيل قال في سورة (آل عمران آية ٣) «وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس الخ» وفي سورة (الانعام آية ٩١) «قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس يجعلونه قراطيس تبدونها الخ» (وآية ٩٢) «وهذا كتاب (اي القرآن) انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه الخ» قال البيضاوي يعني التوراة أو الكتب التي قبله اهـ. وفي (آية ١٥٤) «تم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي احسن وتفصيلاً لكل شيء وهدى ورحمة لعلمهم بلقاء ربهم يؤمنون» وفي آية ١٥٦ «ان تقولوا انما انزل الكتاب

على طائفتين من قبلنا الخ» قال البيضاوي أي اليهود والنصارى اهـ.
وقال في سورة هود آية (١١٢) «ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف
فيه الخ» وفي سورة المائدة حاكياً حالة اليهود بآية (٤٦) قال «وكيف
يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله الخ» (وآية ٤٧) انا انزلنا التوراة
فيها هدى ونور يحكم بها النبيون» الى ان قال فيها «ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الكافرون» وقال في المسيح والانجيل (آية ٤٩) «وقفينا
على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه
الانجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى
وموعظة للمتقين . وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم
بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون» وقال في حالة القرآن (آية ٥١)
«وانزلنا اليك الكتاب (اي القرآن) بالحق مصدقاً لما بين يديه من
الكتاب (اي من جنس الكتب المنزلة) ومهيماً عليه» اي رقيباً على
جميع الكتب يحفظها عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات اهـ البيضاوي
وقال بخصوص المسيح والانجيل واتباعه كما في سورة (الحديد
آية ٢٧) «ثم وقفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه
الانجيل . وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها
ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فآرعوها حق رعايتها فآتيناه

الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون»
 وقال بخصوص زبور داود (المزامير) كما في سورة (الاسراء آية ٥٥) «ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض واتينا داود زبوراً»
 وقال في سورة (الانبياء آية ١٠٥) «ولقد كتبنا في الزبور من بعد
 الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون»

ان القران المبين قد شهد في عدة آيات ان التوراة والزبور والانجيل منزلة من عند الله تعالى وانه جاء مصدقاً ومهيماً أي مراقباً وحافظاً ومثبتاً لها كما تقدم وكما في سورة (الملائكة آية ٣١) والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه ان الله بعباده خبير بصير. ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الخ»

وفضلاً عن ذلك يخبرنا بان من لا يقبل هذه الكتب ولم يؤمن بها سوف يعاقب في الآخرة عقاباً شديداً كما في سورة (غافر آية ٥٣ و ٧٠) «ولقد اتينا موسى الهدى واورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولي الابواب. الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعامون. اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الجحيم ثم في النار يسجنون»

ثم تجد القران يقول بموافقة تعاليم التوراة لتعاليم الانجيل الذي

جاء به سيدنا عيسى المسيح كما في سورة (المائدة آية ٤٩) «وقفنا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة الخ» وحيث ان القرآن يقول كل ذلك عن الكتاب المقدس فالحاجة لا تمس الى اظهار الادلة على صحة ذلك الكتاب كما يكون لو كنا نكتب لافادة كافر مثلاً

ورب معترض يقول (اولاً) انكم يا جماعة المسيحيين لا تسمعون الاستشهاد من القرآن لانه غير مقبول لديكم ككتاب منزل من عند الله تعالى (وثانياً) ان الاسفار الموجودة الآن بايدي المسيحيين باسم العهد القديم والعهد الجديد ليست هي الكتب الاصلية المشار اليها في القرآن أو انها صارت محرفة وان لم تحرف فعلى كل حال هي منسوخة. فرداً على ذلك نسلم بان الاعتراض الاول كان في محله لو كان البرهان على المسيحيين وحيث انه اقيم على المسامحين المعتقدين بانزال القرآن من عند الله تعالى فالاستشهاد منه يكون برهاناً قاطعاً لانه مسلم عند الخصم والا فنحن معشر المسيحيين لا نحتاج الى اثبات صحة الكتاب المقدس بالاستشهاد من القرآن. واما الاعتراض الثاني فانه يعارض نصوص القرآن على خطأ مستقيم اذ يقول بعدم تغيير كلمات الله. قال في سورة (الانعام آية ٣٤) «ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبيا

المرسلين» وفي سورة (يونس آية ٦٤) «لا تبديل لكلمات الله» وفي سورة (الكهف آية ٢٧) «واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته» كما ستراه في بقية فصول هذا الباب من هذا المؤلف والآن نكتفي قبل الشروع في ذلك بايراد بعض نصوص القرآن التي يشهد فيها للكتاب المقدس ثم نكشف عن اقوال اشهر المفسرين لكي نكون على بينة من معنى الآيات التي سنستشهد بها جلي من القرآن ان الكتاب كان موجوداً بين اهل في زمن محمد ولم يكن كما يزعم اسماً بلا مسمى ولا جل اثبات ذاك نكتفي بقليل من كثير ففي سورة المائدة آية ٧١) قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيراً منهم ما انزل اليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين . ان الذين آمنوا والذين هادوا والصائبون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون» وسبب نزول هذه الآية ما جاء عن ابن عباس قال جاء رافع وسلام ابن مشكم ومالك ابن الصيف فقالوا يا محمد الست تزعم انك على ملة ابراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا قال بلى ولكنكم احدثتم وجعدهتم

بما فيها وكتتم ما امرتم ان تبينوه للناس قالوا فانا نأخذ بما في ايدينا
فانا على الهدى والحق (اسباب النزول)

فمن هذا يظهر ان محمداً اعلن قبوله للكتب المتداولة بين اليهود
ولو رفض البدع والاحداث التي قال انهم قد ادخلوها في رسوم
ديانتهم الظاهرية ومن هذا القبيل يوافق قول محمد لقول سيدنا المسيح
للنهود في زمنه كما في بشارة (متى اصحاح ٢٣ وعدد ١٦-٢٤) «ويل
لكم ايها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشي ولكن
من حلف بذهب الهيكل يلتزم . ايها الجهال والعميان ايما اعظم
الذهب أم الهيكل الذي يقدر بذهب الخ»

ولكن المهم هنا هو ان هذه الآية ورواية ابن عباس لسبب
نزولها تثبتان ان التوراة والانجيل كانا موجودين عند اليهود
والمسيحيين والا فلا معنى لامرهم باقامة الاوامر والنواهي الموجودة
بتلك الكتب ان كانت اعدمت أو تحرفت في الحالة الاولى تكون
اطاعة الامر غير ممكنة بل مستحيلة وأما في الثانية فاطاعة المحرف
تضاهم عن سواء السبيل

وفي سورة (البقرة آية ١١٣) «وقالت اليهود ليست النصراني
على شي وقالت النصراني ليست اليهود على شي وهم يتلون الكتاب»

ومعنى صيغة قوله (يتلون) انهم كانوا في ذلك الوقت يتلون التوراة والانجيل وهما موجودان بين ايديهم والا كان الواجب استعمال صيغة الماضي دلالة على انهم تلوه في الماضي فقط. تأمل

وفي سورة (يونس آية ٩٤) «فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك الخ» وما خض ما حكاه جل المفسرين ان المخاطب محمد والمراد امته وكل سامع وامر بسؤال اهل الكتاب لانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة فان القرآن مصدق لما فيها. أو وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل اليه. أو تهيج الرسول صلعم وزيادة تثبته كما في البيضاوي وخلافه. وعلى كل فالفاظ هذه الآية تحكي لنا ان الكتاب المقدس كان موجوداً في زمن مجيء القرآن وانه يعترف بصحته ويثق به وبقرائه من اليهود والنصارى والا لما جاز له ان يطلب من محمد أو امته أو كل سامع ان يسألهم ليتثبت الايمان في قلوبهم ويزول عنهم الشك بشهادة هؤلاء الثقات وكتابتهم الموجود الذي لم يغير ولم يحرف. ولا ريب انه لم يبق عند القارئ شك بسلامة الكتاب من كل شين ان كان يعتقد بصدق قرآنه المبين

وقال في سورة (الاعراف آية ١٥٨) مادحاً اليهود «ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون» والذي قاله البيضاوي على هذه الآية ما ملخصه «ومن بني اسرائيل طائفة يهدون الناس محقين أو بكامة الحق وبالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها: الثابتون على الايمان القائلون بالحق من أهل زمانه . وقيل هم مؤمنو اهل الكتاب اهـ»

فيتحقق لديك بادنى تأمل ان هذه الآية تشهد ان الكتاب المقدس كان موجوداً بصحته وسلامته من كل تنيير في زمن اتيان القرآن وكانت امة موجودة عاملة باوامره ونواهيها

وفي سورة (آل عمران ٢٣) «الم تر الى الذين اتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون» وملخص ما قاله البيضاوي ان سبب نزول هذه الآية ان محمداً دخل مدارس اليهود فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين انت فقال على دين ابراهيم فقال له ابراهيم كان يهودياً فقال هاموا الى التوراة فانها ينشأ وينكم فاليا فنزلت. وقال (الكتاب) أي التوراة أو جنس الكتب السماوية (يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم) الداعي محمد صلمم وكتاب الله التوراة اهـ

فهذه الآية تبين جلياً ان التوراة كانت في زمن صاحب القرآن
ولثقتها بها سماها كتاب الله وطلب من خصومه ان تكون حكماً بينهم
وفي السورة ايضاً (آية ٩٣) مع ملخص ما قاله البيضاوي «كل
الطعام كان حلالاً لبني اسرائيل» أي حلالاً لهم (الا ما حرم اسرائيل)
يعقوب (على نفسه من قبل ان تنزل التوراة) أي قبل انزالها «قل فاتوا
بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين» امر بمحاجتهم وتبكيتهم اه
ومع محاولة البيضاوي ومحايده فالآية تفيد ان التوراة كانت
موجودة في زمن محمد بايدي اليهود وقوله عقب هذه الآية «فن
اقتري على الله الكذب من بعد ذلك» من بعد ما لزمهم الحجة
«فاولئك هم الظالمون» الذين لا ينصفون من انفسهم ويكبرون الحق
بعد ما وضع لهم اه ماخصاً. يثبت قطعياً ان التوراة كانت عند
المدعي ثقة وحقاً من الله. تأمل

وفي سورة (المائدة آية ٤٦ و٤٧) مع ملخص تفسير البيضاوي
«وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله» تعجب من تحكيمهم
من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي
هو عندهم (الى ان قال) وفيها حكم الله حال من التوراة «وما اولئك
بالمؤمنين» بكتابهم لا عراضهم عنه وعما يوافقه او بك وبه «انا انزلنا

التوراة فيها هدى» يهدي الى الحق «ونور» يكشف ما اشتبه من الاحكام «يحكم بها النبيون» من بني اسرائيل أو موسى ومن بعده «الذين اسلموا» صفة مدح للتبيين «للذين هادوا. والربانيون والاحبار» زهادهم وعلمائهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على (النبيون) «بما استحفظوا من كتاب الله» بسبب امر الله اياهم ان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف «وكانوا عليه شهداء» رقباء لا يتركون ان يغيروا أو شهداء يبينون ما خفي منه اه

وملخص مفهوم هاتين الآيتين انه يتعجب من تحكيم اليهود لصاحب القرآن مع انهم لا يؤمنون به والحال ان التوراة التي فيها حكم الله هي عندهم وليسوا بمؤمنين بالتوراة لاعراضهم عن تحكيمها بينهم. والله انزل التوراة تهدي الى الحق وهي نور يكشف ما اشتبه من الاحكام. تحكم بها الانبياء المسلمون انفسهم لرباني اليهود وتحكم بها ايضا ربانيهم واحبارهم بسبب امر الله لهم ان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف فلذا هم عليه رقباء لم يمكنوا احداً من تحريفه أو تغييره. فهل بعد ذلك تسمع دعوى التحريف والتغيير للتوراة بعد هذه الآيات البينات

ومن الادلة الشاهدة على وجود الكتاب المقدس أي العهد الجديد

والقديم بسلامته حين مجيء القرآن . الاقتباسات الموجودة فيه
المصرحة بانها مقتبسة منهما كما في سورة المائدة ايضاً (آية ٤٩) «وكتبنا
عليهم فيها» اي في التوراة «ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف
بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص»

فهذه الآية منقولة من سفر الخروج (اصحاح ٢١: ٢٣-٢٥)
ونصه «وان حصلت اذية تعطي نفساً بنفس وعيناً بعين وسناً بسن
ويداً بيد ورجلاً برجل الخ»

وفي سورة (الانبياء آية ١٠٥) قوله «ولقد كتبنا في الزبور»
كتاب داود «من بعد الذكر» اي التوراة «ان الارض» ارض الجنة
أو الارض المقدسة «يرثها عبادي الصالحون» عامة المؤمنين اه ملاحظاً
من البيضاوي. فهذه الآية مقتبسة من (مزمو ٣٧ وعدد ٢٩) ونصه
«الصديقون يرثون الارض ويسكنونها الى الابد»

وفي سورة (الاعراف آية ٣٩) قال «ان الذين كذبوا بآياتنا
واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج
الجمل في سم الخياط» فهذه الآية مقتبسة من الانجيل كما في بشارة متى
(اصحاح ١٩ وعدد ٢٤) قال «واقول لكم ايضاً ان مرور جمل من ثقب
ابرة ايسر من ان يدخل غني الى ملكوت الله» وفي بشارة مرقس

(اصحاح ١٠ وعدد ٢٥) لفظ العدد بعينه وفي بشارة لوقا (اصحاح ١٨:

٢٥) قال «لان دخول جمل» الى آخر العدد بلفظه اه

فهذه الاقتباسات الثلاثة احدها من التوراة وثانيها من الزبور وثالثها من الانجيل هي برهان جلي بان الكتب المنزلة التي كانت بايدي اليهود والنصارى هي التي بايدنا الآن وتسمى بالاسماء التي كانت بعينها. ومثال ذلك اذا ما اقتبسنا آياتاً من مثنوي جلال الدين الرومي أو من الديوان المنسوب لعلی ابن ابی طالب أو من كتاب آخر مشهور فمن اول نظرة من القارئ الخبير يحكم حكماً قطعياً بان هذه المصنفات موجودة في وقتنا الحاضر كذلك كان ينبغي لعلماء القرآن المنصفين ان يحكموا بان الآيات التي اقتبسها من الكتاب المقدس تدل على انه كان موجوداً في زمن محمد بل الآيتان المقتبستان من التوراة والزبور في قوله «وكتبنا لهم فيها» اي التوراة وقوله «ولقد كتبنا في الزبور» فيهما برهان صريح ان هذين السفرين كانا موجودين حينئذ كما هما الآن

عدا ذلك ان كثيراً من القصص الواردة في القرآن وردت في الكتاب المقدس ومن امثال ذلك قصة يوسف (سورة يوسف) وقد تكون في القرآن مغيرة عن الاصل تغييراً يطابق التقاليد اليهودية

المتأخرة أكثر من آيات التوراة المتقدمة كما شرحن ذلك في كتاب «تنوير الافهام في مصادر الاسلام» وكذلك يشتمل القرآن على مقتبسات كثيرة جداً من اسفار الكتاب المقدس لا يمكن تحليلها ولا فهمها الا بمراجعة الاصل فنقتصر على ذكر واحدة منها. ورد في سورة (آل عمران آية ٩٣) اسم اسرائيل بدل يعقوب وانه حرم على نفسه طعاماً من المستحيل أننا نقدر ان نفهم لماذا ابدل اسم يعقوب باسرائيل وما هو نوع الطعام الذي حرمه على نفسه الا بمراجعة التوراة انظر (سفر التكوين اصحاح ٣٢: ٢٢-٣١) حيث تجد ذلك مشروحاً شرحاً وافياً

ورد في الاحاديث المحمدية فقرات منقولة عن الكتاب المقدس من امثال ذلك ما ورد في كتاب (مشكاة المصابيح صحيفة ٤٨٧ من النسخة المطبوعة سنة ١٢٩٧ هـ الباب الاول والفصل الاول في كلامه عن وصف الجنة واهلها) قال رسول الله صلعم «قال الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» فلا يشك احد ان هذا الحديث منقول من (الرسالة الاولى لبولس الرسول الى اهل كورنثوس اصحاح ٩: ٢) ومما هو جدير بالملاحظة هنا انه ينما يقرر محمد ان هذا الوصف من كلام الله ينكر

كثيرون من علماء الاسلام ان بولس رسول وان رسائله موحى بها من الله

ينقسم الكتاب المقدس في الغالب الى قسمين العهد القديم ويتضمن الاسفار المقدسة القانونية عند الامة اليهودية وكتبت في الاصل باللغة العبرانية ما عدا القليل منها فانه قد كتب باللغة الارامية. والعهد الجديد وقد كتب باللغة اليونانية اما اليهود فلا يؤمنون الا بواحد منهما اما نحن المسيحيين فنؤمن بالعهدين كليهما ولكن القرآن يشير الى الاسفار المقدسة جميعها بكتاب واحد هو «الكتاب المقدس» مع انه يذكر له ثلاثة اقسام وهي التوراة والزبور والانجيل

ويقسم اليهود اسفارهم او كتبهم الى ثلاثة اقسام وهي الناموس والانبياء والمزامير كما يظهر من (بشارة لوقا اصحاح ٢٤: ٤٤) وهذا التقسيم يرجع عهده الى سنة ١٣٠ قبل المسيح^(١) وفي الوقت الحاضر يسمي اليهود القسم الثالث «الصحف» وبالنسبة لكونها تبتدى بالمزامير يدعوا القرآن والانجيل «الزبور» ويدعو القرآن القسم الاول توراة

(١) انظر مقدمة يشوع بن سيراخ لمجموعة امثال جده

هي معدولة من الكلمة العبرانية مع تغيير طفيف في اللفظ وقد يطلق المسامون هذا الاسم على الكتاب المقدس كله بالنسبة لكونه يبتدىء بالتوراة وكثيراً ما يشير القرآن الى انبياء العهد القديم ويعلق على الايمان بهم اهمية عظيمة ومن ذلك قوله في (البقرة آية ١٣٦) «قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون» وجاء مثل ذلك في سورة (آل عمران آية ٨٤) من هنا يظهر جلياً ان القرآن يتفق مع الانجيل في الشهادة بان كل اسفار الكتاب في تلك الاقسام الثلاثة موحى بها

وقد يطلق ايضاً المسيحيون اسم الانجيل على كل اسفار العهد الجديد كما يطلقه عليها القرآن ومن اسباب ذلك ان العهد الجديد يبتدىء بالبشائر الاربع ومنها ان الانجيل معناه خبر سار او بشارة وهذا الخبر السار خلاصة العهد الجديد من اوله الى آخره فسمي به وذلك واضح من (بشارة مرقس اصحاح ١٣ : ١٠) حيث يقول «وينبغي ان يكرز اولاً بالانجيل في جميع الامم» ومن مواضع اخرى كثيرة. من المسلم ان العهد الجديد اي الانجيل كان منتشرًا في عصر

محمد في قسم عظيم من المعمور بين الشعوب المسيحية لذلك لم يقتبس منه القرآن فقط آية موجودة في ثلاثة من اقسامه (بشاره) اي (بشارة متى اصحاح ٢٤: ١٩ وبشارة مرقس اصحاح ١٠: ٢٥ وبشارة لوقا اصحاح ١٨: ٢٥) كما ورد في سورة (الاعراف آية ٣٩) بل اقتبس منه ايضاً محمد نفسه كما تقدم ذكره وعلى ما تقدم ينبغي لكل ذي عقل سليم خال من التعصب الذميمة ان يعترف بان القرآن يشير الى الكتاب المقدس بانه كتاب منتشر في عصره وموحى به من الله تعالى وعدا ما تقدم لا يفتأ القرآن يذكر الكتاب المقدس بالاحترام والتعظيم ويلقبه باعظم الالقاب مثل قوله «كلام الله» سورة (البقرة آية ٧٥) ويسميه بها «الفرقان» (آية ٥٣) «وضياء وذكرى للمتقين» سورة (الانبياء آية ٤٨) «وكتاب الله» سورة (البقرة آية ١٠١) وفي البيضاوي وكتاب اسباب النزول يشير الى مقام الكتاب المقدس في تفسيره (آية ٢٣) من سورة آل عمران بان محمداً طلب من اليهود التوراة لتكون حكماً بينه وبينهم . وفوق ذلك يفيد القرآن ان نوع الوحي الذي اوحى به الى محمد كالذي اوحى به الى الانبياء المتقدمين كما يدل على ذلك قوله «قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتهم» سورة (آل عمران آية ٧٣) وقوله «انا اوحينا

اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده» سورة (النساء آية ١٦٢)
وقوله «كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم»
سورة (الشورى آية ٣) مما ذكر تعلم ان التنزيل المنسوب الى القرآن
يجب ان ينسب الى الاسفار المتقدمة عليه حيث ان من اول البدهيات
المسلم بها في علم اصول الهندسة هو انه «اذا ساوى شيئان ثالثاً فهما
متساويان لبعضهما لا محالة فاسفار العهدين منزلة من عند الله بنفس
التنزيل الذي ينسبه القرآن لنفسه وعليه فالقرآن يأمر اتباعه ان يعترفوا
بالاسفار المتقدمة عليه كما يعترفون به بلا اقل تمييز وهم مأمورون ايضاً
ان يعتقدوا بان القرآن نزل مصداقاً لكتاب اليهود والنصارى ومن
امثال ذلك ما ورد في سورة (آل عمران آية ٣) «نزل عليك الكتاب
بالحق مصداقاً لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى
للناس وانزل الفرقان» ولزيادة التوكيد على ان التوراة والانجيل موحى
بهما جاء في القرآن تهديد صارم لمن يكفر بهما أو يظن بهما الظنون
ومن ذلك قوله «الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسالنا فسوف
يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في
النار يسجرون» سورة (المؤمن آية ٧٠) وان البيضاوي في تفسيره
على هذه الآية يفسر قوله «الكتاب» بالقرآن أو الكتب السماوية على

العموم ويفسر قوله وما ارسلنا به رسلنا بسائر الكتب أو الوحي والشرائع وبمقتضى هذا التفسير على افتراض ان المقصود هنا بالكتاب ليس الكتاب المستعمل في قوله «يا اهل الكتاب» بل هو القرآن تكون الكتب السماوية الاخرى هي اسفار العهد القديم والجديد لا محالة

ويشهد القرآن ان اسفار العهد القديم تتفق مع اسفار العهد الجديد في المسائل العمومية ومن ذلك قوله «وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين» سورة (المائدة آية ٤٩)

والخلاصة لما تقدم حيث اننا انتهينا من هذا الفصل لنحقه بالمواد الآتية

(اولاً) ان اسفار العهد القديم والجديد أي التوراة والزبور واسفار الانبياء والانجيل ورسائل رسل المسيح كانت جميعها منتشرة في عصر صاحب القرآن بين اليهود والنصارى (ثانياً) ان القرآن يقرر قطعياً ان هذه الاسفار موحى بها من الله أي منزلة من عنده تعالى (ثالثاً) بينما يعظم القرآن نفسه الى اعلا درجات التعظيم فانه يساوي بين نفسه وبين

الاسفار المقدسة المتقدمة عليه (رابعاً) ان القرآن يسمى الكتاب المقدس «كتاب الله وكلام الله والفرقان والذكر ونوراً وهدى ورحمة الخ» (خامساً) ان القرآن يأمر محمداً أو المسلمين ان يرجعوا الى الكتاب المقدس في تحقيق ما يرتابون فيه من اصول دينهم ويحرضون النصارى واليهود ان يفعلوا مثل ذلك (سادساً) يشير القرآن على اليهود ان يتخذوا التوراة حكماً فيما هم فيه يختلفون (سابعاً) ان المسلمين مأمورون في القرآن ان يشهدوا انهم مؤمنون بالكتاب المقدس كما هم مؤمنون بقرآنهم (ثامناً) ان الذين لا يؤمنون بالكتاب المقدس لهم عذاب عظيم في الآخرة كما لو لم يؤمنوا بالقرآن

الفصل الثاني

في ان الكتاب المقدس لم ينسخ ولا يمكن ان ينسخ لا في حقائقه ولا في عقائده ولا في مبادئه الادبية

تبين من البراهين التي قدمناها في الفصل السابق انه ينبغي للمسلمين الخاضعين لاوامر القرآن ان يدرسوا «كتاب الله» اي اسفار العهد القديم والعهد الجديد ويحترموه ويطيعوه غير ان بعضهم لا يسلم معنا بهذه النتيجة استناداً على دعواهم

(١) ان الكتاب المقدس نسخ (٢) ان الاسفار المقدسة المتداولة اليوم ليست هي الاسفار التي ذكرها القرآن وشهد لها (٣) وبعضهم يقول ربما تكون هي بعينها الا انه اعترافا بالتحريف والتبديل ولعبت بها يد الاغراض حتى لم تعد تستحق الكرامة ولا العناية المعطاة لها في القرآن. فغرضنا من الفصول الآتية البحث في هذه الاعتراضات لنرى صحتها من فسادها. ولنبدأ في هذا الفصل بالبحث عما اذا كان الكتاب المقدس نسخ حقيقة كما يزعمون ام لا. نقول ان كانت هذه الاعتراضات في محلها تسقط حجتنا التي قدمناها في الفصل الاول لا محالة غير انه بهذا يضعف نفوذ القرآن كما لا يخفى على اللبيب ولنسلم هنا ان بعض علماء الاسلام يحاولون ان يثبتوا صحة وقوع النسخ على الكتاب المقدس كاليضاوي مثلاً فانه يقول في تفسيره على قوله «ولا يدينون دين الحق» سورة (التوبة آية ٣٠) اي الدين الذي ينسخ سائر الاديان ويبطل مفعولها اعتقاداً وعملاً. ثم ورد في كتاب يقال له عيون اخبار الرضا فصل ٣٦ قوله «كل نبي كان في ايام موسى وبعده كان على منهاج موسى وشريعته وتابعا لكتابه الى زمن عيسى وكل نبي كان في ايام عيسى وبعده كان على منهاج عيسى

وشريعته وتابعاً لكتابه الى زمن نبينا محمد صلعم وشريعة محمد صلعم
لا تنسخ الى يوم القيامة»

وورد في كتاب هداية الطالبين الى اصول الدين للمولوي محمد
تقي الكاشاني الفارسي ما ترجمته الى العربية «ان علماء الاسلام قرروا
ان محمداً نبي هذا الزمان ودينه ناسخ لاديان الانبياء السابقين»
(انظر صحيفة ١٦٦)

ورداً على ذلك نقول ان مسألة النسخ وان كانت مقبولة عند
العامة وكثيرين من الخاصة غير انه يجب ان نلاحظ ان القرآن لم يشر
اليها بكلمة واحدة ولا اشار اليها الحديث عند السنيين ولا الشيعيين
وبالاجمال ان هذه المسألة تشوش تعليم القرآن وتقلبه رأساً على عقب
ان نسخ بمعنى ازيل او ابطل لم يرد في القرآن الا في موضعين
الاول سورة (البقرة آية ١٠٦) وهو قوله «مانسخ من آية او ننسخها
نأت بخير منها او مثلها» والثاني سورة (الحج آية ٥٢) وهو قوله «وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في
امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته» فلا توجد في الموضع
الاول ولا الموضع الثاني اقل اشارة تدل على ان القرآن ناسخ للكتاب
المقدس بل هو ناسخ لنفسه في بعض اجزائه حتى ان بعضهم عدد

الآيات المنسوخة من القرآن فبلغت مائتين وخمسا وعشرين آية
ويخبرنا البيضاوي بأنه توجد قراآت مختلفة للآية المذكورة
التي في سورة البقرة لكن لدى التأمل نجد ان تلك القراآت واحدة
في المعنى ولا يمكن ان يطلق عليها معنى النسخ الذي هو الازالة او
الابطال فالاشارة اذاً الى نسخ القرآن نفسه في بعض اجزائه كما
اسلفنا بيانه

واليك مثلاً مشهوراً قد ذكره البيضاوي في تفسيره النسخ
المشار اليه في سورة الحج حيث يبين كيف نسخ الله بعض الكلمات
من سورة النجم وهي قوله «تلك الغرائق العلى وان شفاعتهن لترتجى»
وتحرير ملخص الخبر انه بينما كان محمد يتلقى الوحي من جبريل القى
الشيطان على لسانه تلك الكلمات ليستهيويه الى عبادة اللات والعزى
ومناة فقالها كأنه موحى بها من الله ثم بعد ذلك نسخها الله الخ وروى
هذه القصة يحيى وجلال الدين في تفسيرهما على النسخ الوارد في سورة
الحج ورواها ابن هشام عن ابن اسحق في سيرته وقد ذكرت ايضاً
في المواهب اللدنية وذكرها الطبري وفي هذا القدر كفاية لاقامة
الدليل على ان النسخ المعبر عنه بقوله «فينسخ الله» الوارد في سورة
الحج هو ما تكلمنا عنه ومع ان الدعوى بان الزبور ناسخ للتوراة

والانجيل ناسخ للزبور دعوى باطلة ليس لها اساس في القرآن ولا في الحديث البتة وقد راجت بين عوام المسلمين رواجا عظيماً ولا بأس ان نورد شهادة بعض العلماء المعتبرين في هذا الصدد

قال الحاج رحمة الله الهندي في كتابه اظهر الحق «ان القول بنسخ التوراة بنزول الزبور ونسخ الزبور بظهور الانجيل بهتان لا اثر له في القرآن ولا في التفاسير بل لا اثر له في كتاب من الكتب المعتمدة لاهل الاسلام — والزبور عندنا ليس بناسخ للتوراة ولا بمنسوخ من الانجيل وكان داود عليه السلام على شريعة موسى عليه السلام وكان الزبور ادعية» فهذا العالم يصرح بانكاره النسخ على هذه الكيفية . وقد صدق في ما قال لانه لا يقول بالنسخ احد الا اذا كان جاهلاً للقرآن وللكتاب المقدس كما سنبينه . اقرأ الكتاب المقدس بتأمل وخشوع حتى تقف على مشتملاته الجوهرية وحينئذ ترى بمزيد الوضوح ان تعاليم اسفار العهد القديم والعهد الجديد واحد وانها سائرة على نظام واحد ووجهتها واحدة مستدرجة في اعلان مقاصد الله الازلية لبني الانسان

ففي اسفار العهد القديم تتعلم كيف خلق الله الانسان ثم كيف دخلت الخطية الى العالم ويتلو ذلك الوعد الالهي بان نسل المرأة

يسحق رأس الحية وبعد ذلك بمئات من السنين نجد ان العالم القديم قد ضل عن عبادة الله ووقع في عبادة الاوثان والرذيلة وفي ذلك الوقت دعا الله ابراهيم من وسط قومه واوثق معه ميثاقاً بان المخلص من موت الخطية الذي وعد به الجنس البشري يكون من ذرية ابنه الشرعي اسحق . ثم نجد بعد ذلك ان الله يحدد الميثاق المشار اليه مع اسحق فيعقوب وينبئهم بانهم سينزلون الى مصر ثم ينجلون عنها الى ارض كنعان للغاية التي دعاهم اليها

ثم نزلت التوراة على موسى وقد اشتملت على هذه المواعيد وزادت عليها مواعيد جديدة تستحق الاعتبار ثم توالى الانبياء جيلاً بعد جيل واتوا باقوال لا تخرج عن المعاني التي اتى بها موسى بل غاية ما في الامر زادت بها وضوحاً وبياناً من جهة ان الانسان خاطيء ولا بد له من مخلص ثم اخذوا من وقت الى آخر يبسطون كلامهم عن ذلك المخلص فانبأوا عن اعماله العجيبة والبلدة التي يولد فيها وعن آلامه وموته . اما الانجيل فيخبرنا عن بعض وقائع المخلص واعماله التي جاءت موضحة ومتممة لنبوءات التوراة والمزامير وكل اسفار العهد القديم ثم يخبرنا كيف بعث ذلك المخلص رسله الى العالم اجمع وامرهم ان يكرزوا بالانجيل للخليقة كلها وبعد ذلك كيف ينتظرونه حتى

يأتي مرة ثانية على سحب السماء كما وعدهم ليدين الاحياء والاموات
ويعتق الارض من عبودية الفساد ويملك الى الابد

واما اسفار اعمال الرسل ورسائلهم وهي الاجزاء المتممة لاسفار
العهد الجديد فتشرح لنا كيف ابتدأ الرسل بالكراسة بالمسيح وسفر
الرؤيا خاتمة اسفار العهد الجديد ينبئنا عن الضيقة العظيمة التي سيقع
فيها المؤمنون بالمسيح ثم النصر العظيم الذي يتبعها

هذه باختصار سلسلة حقائق العهدين من ابتداء سفر التكوين
الى نهاية سفر الرؤيا فكان الكتاب المقدس والحالة هذه يشبه عمارة
عجيبة التوراة اساسها والانجيل ختامها وكل منهما يظهر حكمة الله
وعدائه ومحبته ورحمته الفائقة وانه خالق كل الاشياء

ففي توراة موسى يظهر قصد الله من حيث نعمته بكل وضوح حتى
ان الذين عرفوه حسبها هو مبين فيها مالوا اليه واحبوه وعبدوه
وآمنوا به ووجدوا فيه ما يشبع اشواق نفوسهم اخالدة من السلام
والسعادة الحقيقية. وفي اسفار الانبياء والمزامير تملو هذه الاخبار الى
درجة ارفع من تلك لانها تشرح لنا ان الله من البدء اختار بني
اسرائيل وهذبهم شيئاً فشيئاً صابراً على غلاظة قلوبهم وشر افعالهم
وفشلهم في تأدية ما كلفهم به. وتشرح لنا مسألة اخرى هي من

الالهية بمكان وذلك ان بعض الرسوم الدينية ومناسك العبادة
 الخارجية ليست مقصودة في حد ذاتها ولكنها خصت بني اسرائيل
 ليستعملوها مؤقتاً توصلاً الى قصد معلوم وهو (اولاً) إيجاد فاصل
 مميز بين اليهود والامم الى ان يأتي المخلص الموعود به (ثانياً) لتعليمهم
 بان تلك الطقوس وان كانت مؤيدة باوامر الهية فليست الا رموزاً
 لحقائق روحية لان العبادة المقبولة عند الله لا تقوم بشكلها الظاهر
 فقط بل بالحالة التي يكون عليها قلب العابد حيث قال المسيح «الله
 روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي ان يسجدوا» (بشارة
 يوحنا اصحاح ٤: ٢٤) ومما يدل على ان تلك الطقوس ليست مقصودة
 لذاتها ما قاله صموئيل النبي «هل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما
 باستماع صوت الرب هوذا الاستماع افضل من الذبيحة والاصغاء
 افضل من شحم الكباش» (صموئيل الاول اصحاح ١٥: ٢٢) وورد في
 سفر ميخا النبي ان ملكاً يسمى بالاق سأل السؤال الاتي «بم اتقدم
 الى الرب وانحني للاله العلي هل اتقدم بمحرقات بعجول ابناء سنة هل
 يسر الرب بالوف الكباش بربوات انهار زيت هل اعطي بكري عن
 معصيتي ثمرة جسدي عن خطية نفسي» فجاءه الجواب من قبل النبي
 مصرحاً بعدم فائدة الشعائر التي عددها في سؤاله ما لم تكن مقرونة

بتكريس الحياة والقلب لله عز وجل وهالك نص الجواب «قد اخبرك
ايها الانسان ما هو صالح وماذا يطلبه منك الرب الا ان تصنع الحق
وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع الهك» (ميخا اصحاح ٦: ٦-٨)
والسيد المسيح يوافق على هذا التعليم كل الموافقة باصرح
الاقوال وهالك ما قاله «تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون
الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق لان الآب طالب مثل
هؤلاء الساجدين له الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق
ينبغي ان يسجدوا» (بشارة يوحنا اصحاح ٤: ٢٣ و ٢٤) ولما اعلنت هذه
الاسرار الروحية والتعاليم الراقية وقدمت الكفارة عن خطايا العالم
اجمع (انظر الرسالة الاولى ليوحنا اصحاح ٢: ٢) ودرب المسيح
الحواريين وارسلهم ليكرزوا ويبشروا بالانجيل في كل اقطار المسكونة
ويعرضوا على بني آدم هبة الله المجانية وهي الحياة الابدية (انظر رسالة
بولس الرسول الى رومية اصحاح ٦: ٢٣) معطياً لهم قدرة ومعونة حتى
يقيمونهم من قبور خطاياهم الى حياة البر والفضيلة ويملاؤوا الارض من
معرفة الرب كما تغطي المياه البحر (اشعياء اصحاح ١١: ٩) ولما تم كل
هذا آن الاوان الذي ينبغي فيه حل رموز تلك العبادة القائمة بالذبايح
والبخور والغسل الى غير ذلك مما هو مذكور بالتفصيل في التوراة

بالعبادة الروحية التي كانت ترمز اليها تلك الرسوم الظاهرة ولولا
 العبادة الروحية لكانت تلك الرسوم خالية من الفائدة واذا جاء
 الصريح استغني عن الرمز طبعاً كما يستغني عن القشرة بعد نضاج الحبة
 وصلابتها. والى هذا المعنى اشار ارميا النبي فقال «ها ايام تأتي يقول
 الرب واقطع مع بيت اسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً ليس
 كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم امسكتهم بيدهم لآخريهم من ارض
 مصر حين نقضوا عهدي فرفضتهم يقول الرب بل هذا هو العهد
 الذي اقطعه مع بيت اسرائيل بعد تلك الايام يقول الرب اجعل
 شريعتي في داخلهم واكتبها على قلوبهم واكون لهم الها وهم يكونون
 لي شعباً» (ارميا اصحاح ٣١: ٣١-٣٤) ومن هذه الآيات اخذنا كلمة
 (العهد الجديد) وجعلناها اسماً للإنجيل وهو الجزء الثاني من الكتاب
 المقدس. ولا حظ كيف تتفق هذه الآيات مع قول المسيح الذي اشرنا
 اليه آنفاً في (بشارة يوحنا اصحاح ٤: ٢٣ و ٢٤) فانه يتبين بغاية الصراحة
 ان كل الطقوس والشعائر اليهودية الوقتية او كما يسميها بعضهم
 الشريعة الطقسية قد تمت تماماً في ملء روحانية العهد الجديد الذي
 نوى المسيح ان يعقده مع كل من يؤمن به من امة كانت على وجه
 البسيطة ومن اجل ذلك قال المسيح بهذا الصدد خطاباً لامرأة من

السامرة «يا امرأة صدقيني انه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في اورشليم تسجدون للآب . . . ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق لان الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له. الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي ان يسجدوا» (بشارة يوحنا اصحاح ٢١:٤ - ٢٤)

ثم ان الجواب الذي اجابت به تلك المرأة المسيح يدل ان مسألة اتمام العهد القديم بالعهد الجديد او بعبارة اخرى ايضاح العبادة الطقسية بالعبادة الروحية كان معروفاً ومنتظراً ليس فقط عند اليهود الاتقياء (انظر بشارة لوقا اصحاح ٢٩:٢) بل وعند المحققين من السامريين (انظر بشارة يوحنا اصحاح ٢١:٤ - ٢٣) واقتبس احد الحوارين مقالة ارميا التي ذكرناها آنفاً في هذا الصدد وبين ان ذكر العهد الجديد الذي بشر به ارميا يدل على ان يهود عصره كانوا يعتقدون بان الطقس الموسوي شاخ وهرم وقارب الاضمحلال واحتاج الحال الى العهد الجديد (انظر رسالة الى العبرانيين اصحاح ٨: ١٣) الذي لا يبطل التوراة بل يكشف الحجاب عن حقائقها (انظر انجيل متى اصحاح ٥: ١٧ و ١٨) واعلم ان الحق بحسب جوهره ثابت ودائم غير قابل للتبديل ولا النسخ فالحقائق التي وردت في العهد القديم يجب ان تبقى حقاً الى

ما لا نهاية . ولا يقال ان العهد الجديد نسخها بل يقال انه شرحها
 وبرزها في شكلها الروحي الذي يلائم الناس في كل زمان ومكان
 العهد القديم كان بين الله وبني اسرائيل فقط ومدته انتهت
 بمجيء المسيح وتأسيس ملكوته . واما العهد الجديد الذي تنبأ به ارميا
 النبي فعهده بين الله والمؤمنين بالمسيح سواء كانوا من بني اسرائيل او
 من الامم فهذا العهد الاخير اعم واعم من الاول لان الاول كان قائماً
 على فرائض وطقوس ورسوم تدرب بني اسرائيل فقط على إدراك
 الحقائق الروحية تدريجاً استعداداً لان يكونوا تلاميذ للمسيح
 واساتذة العالم اجمع فالعهد الاول والحالة هذه يشبه بزرّة محصورة في
 دائرة ضيقة واما العهد الجديد فيشبه شجرة متأصلة نامية شاغلة مكاناً
 متسعاً فكان بزرّة العهد القديم انبتت شجرة العهد الجديد والاثنان
 واحد جوهرأ وان اختلفا ظاهراً

وحيث كان الامر كذلك فمن الخطأ المعيب ان يقال بان العهد
 القديم منسوخ والعهد الجديد ناسخ ولعل الذين قالوا هذا القول
 لاحظوا الطقوس والفرائض التي خصت ببني اسرائيل واهملت من
 جانب المسيحيين فنجيب عن ذلك ان تلك الطقوس الاسرائيلية هي
 بذاتها اتجت العبادات الروحية للمسيحيين كما تنتج البزرّة شجرة

ترى كأنها شيء جديد والحقيقة هي البزرة بعينها انما اخذت شكلاً
آخر اتباعاً لناموس النمو والارتقاء فلا يصح ان يقال ان الشجرة
نسخت البزرة ومحت أثرها من صحيفة الوجود بل انتمها وظهرت
قوتها وإنتاجها بشكل محسوس

ولا يبرح من ذهنك ان وصايا التوراة نوعان طقسية وادبية
والاولى كانت خاصة ببني اسرائيل والكثير منها لم يكن مشروعاً الا
عندما اوحى الى موسى بالتوراة على جبل سيناء ومن اجل ذلك لم
يكن ابراهيم مكلفاً منها الا بالختان وهذه ملاحظة جديرة بالالتفات
لانها تدل على ان نفوذ الوصايا الطقسية محصور ووقتي حتى انه لم
يشمل ابراهيم واسحق ويعقوب والاسباط وذريتهم الى زمن موسى
فالفرض اذاً من هذه الوصايا الطقسية هو كما اسلفنا بيانه امران الاول
لاجل ان يعزل اليهود عن الامة عزلة تامة صوناً لهم من السقوط في
الوثنية التي كان لها السلطان الاعظم في تلك العصور المظلمة واستدامت
هذه العزلة الى مجيء المسيح وتأسيس كنيسته على الارض. والثاني
حتى يتعلموا عملياً ان العبادات الظاهرية القائمة في المناسك وان كانت
موحى بها من الله ليست مقصودة لذاتها ولا تروي النفس المتعطشة
الى الله بل غاية ما هنالك يرمز بها الى حقائق روحية هي المقصودة

بالذات كما شرحناه في غير هذا الموضع (قابل ما بين الزبور اصحاح ١٧ و ١٦: ٥١) وبين ما تممه المسيح. والحاصل ان تلك الوصايا لم تكن مفروضة على الامم وقد ضعف تأثيرها على بني اسرائيل انفسهم منذ قيامة المسيح من الاموات

اما الوصايا الادبية فهي ازلية ابدية والناس ملتزمون بها في كل زمان ومكان وان كان اوحى بها الى موسى الا ان الالتزام بها من بدء الخليقة الى منتهائها فمن الوصايا الادبية لا تزن لا تسرق لا تقتل لا تعبد الاصنام فهذه الوصايا متعلقة بذات الله تعالى وطبيعته القدوسة من اجل ذلك ينبغي ان تكون من الازل الى الابد ولا معنى للناسخ والمنسوخ في هذا المقام فمن يزعم ان الانجيل ناسخ للتوراة فهو على خطأ مبين وجهل مطبق وما الانجيل بناسخ للتوراة بل مصدق وشارح لمعانيه ومرفق لرسومه من الجسديات الى الروحيات ولهذا السبب ورد في الانجيل اقوال تفوت الحصر من التوراة في مواضع مختلفة مشروحة شرحاً وافياً ومدققاً ولقد صدق القرآن حيث افاد في وصفه الانجيل بكونه مصدقاً للتوراة كما جاء في سورة (المائدة آية ٤٩) «وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة»

وهدى وموعظة للمتقين» وليس بناسخ لها كما يزعم بعضهم
ولنكرر القول هنا بان الوصايا الواردة في التوراة ولم يلتزم بها
المسيحيون ما هي الا الوصايا الطقسية على ان الانجيل لم ينسخها ولم
يبتلها بل قد اكملها وبلغها الى درجة رضوان الله الكامل ومن امثلة
ذلك ما ورد في التوراة ان الله فرض على بني اسرائيل تقديم الذبائح
الذي كان مستعملاً من بدء الخليقة عند كل الشعوب وامرهم ان
يقدموها في اوقات معلومة ولغايات مختلفة ومن جعلها للتكفير عن
الخطايا بالبداهة لا يعقل ان تقديم ذبائح الحيوانات يرفع خطايا البشر
وقد لاحظ ذلك داود النبي فقال «لأنك لا تسرب ذبيحة والا فكنت
اقدما بمحرقة لا ترضى» (زبور اصحاح ١٦: ٥١) انظر كيف كل
الانجيل التوراة في هذا الموضوع حيث يقول:

«لان الناموس اذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة
الاشياء لا يقدر ابداً بنفس الذبائح كل سنة التي يقدمونها على الدوام
ان يكمل الذين يتقدمون. والا انما زالت تقدم من اجل ان الخادمين
وهم مطهرون مرة لا يكون لهم ايضاً ضمير خطايا. لكن فيها كل
سنة ذكر خطايا. لانه لا يمكن ان دم ثيران وتيوس يرفع خطايا. لذلك
عند دخوله «اي المسيح» الى العالم يقول ذبيحة وقرباناً لم ترد ولكن

هيات لي جسداً . بمحركات وذبائح للخطية لم تسر . ثم قلت هانذا
اجيء في درج الكتاب مكتوب عني لافعل مشيئتك «يا الله» . اذ
يقول آنفاً انك ذبيحة وقرباناً ومحركات وذبائح للخطية لم ترد ولا
سررت بها . التي تقدم حسب الناموس . ثم قال هانذا اجيء لافعل
مشيئتك «يا الله» ينزع الاول لكي يثبت الثاني فهذه المشيئة نحن
مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة» (عبرانيين اصحاح
١٠: ١-١٠)

وان اشعياء النبي كشف لنا سلفاً عن المقصود من تلك الذبائح
الحيوانية في انبائه عن حمل الله (انظر اشعياء اصحاح ٥٣) الذي كان
ناوياً على تقديمه من بدء الخليقة (انظر سفر الرؤيا اصحاح ١٣: ٨)
وحيث ان هذا الذبح العظيم الذي كانت تشير اليه الذبائح الحيوانية
قد حدث تقديمه فلا لزوم لتلك الذبائح الحيوانية بعده . اما المسيحيون
فلا يقدمونها اكتفاء بذبيحة المسيح . ولا يقدمها اليهود لانهم امروا في
التوراة ان لا يقدموا ذبيحة الا في اورشليم داخل اسوار هيكل
سليمان ومن المعلوم ان الهيكل خرب وزال من الوجود وبني على
آثاره جامع عمر وهو باق الى اليوم ولو ان المسيحيين لا يقدمون
ذبائح حيوانية كما اسلفنا بيانه لكنهم لا يزالون يقدمون ذبائح ذات

شأن عظيم عند الله وهي ذبائح نفوسهم أي يضحون اجسادهم وارواحهم ونفوسهم ليكونوا ذبائح حية مقدسة مرضية عند الله الحي الازلي وبهذا يتمون المعنى الروحي المقصود من المحرقات المفروضة في شريعة موسى. وأشار الى هذه الذبائح الرسول بواس بقوله «اطاب اليكم ايها الاخوة برأفة الله ان تقدموا اجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية» (رومية ١٢: ١ و٢) ويشير اليها ايضاً بطرس الرسول بقوله «كونوا انتم ايضاً مبنيين كحجارة حية بيتاً روحياً كهناً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله يسوع المسيح» (بطرس الاولى ٢: ٥)

ثم مشروع في التوراة فريضة غسل الجسد ولا شك ان الغرض من هذا هو (اولاً) تنظيف الجسد فان الله يحب ان تكون اجسادنا نظيفة وبصحة معتدلة حسب الحالة التي فطرنا عليها لانه من المحتمل ان وساخة الجسد تدنس الروح (ثانياً) حتى يتعلم الانسان بالاختبار ان تنظيف الجسد وغسله مراراً وتكراراً لا يطهر القلب من الالهواء الفاسدة ولا يخلي الذهن من الافكار الدنسة ولا يمنح النفس مغفرة عن خطاياها السالفة وعليه تحتاج نفوسنا الى القداسة التي بدونها لا يعاين احد الرب وقد ثبت ان الغسل اليهودي عديم التأثير وبعبارة

اخرى لا يمكن ان يقدس النفس وما هو الا ظل ورمز الى غسل
اجلّ واسمى وهو الغسل الروحي السماوي الذي يمكن الحصول
عليه بدم المسيح فقط الذي بالايمان به نظهر من كل خطية من اجل
ذلك ينبغي للمسيحيين الحقيقيين ان يمتثلوا امر الرسول الصادر في
هذا الشأن حيث يقول «انظهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح
مكملين القداسة في خوف الله» (الرسالة الثانية لكورنثوس ص ١٠:٧)
فتطهير الجسد والروح لازم لهما ولكن يجب ان نحاذر من ان نجعل
تطهير الجسد علة لتطهير الروح

ومشروع ايضاً في التوراة ان الذبائح يجب ان تقدم في مكان
معلوم (انظر التثنية اصحاح ١٢: ١٣) وهو المكان الذي يختاره الرب
ليجعل عليه اسمه وفي ذلك معنى رمزي يشير الى مسكنه (انظر التثنية
اصحاح ١٢: ٥) والمكان الاول الذي اختاره الرب لهذه الغاية شيلوه
(انظر يشوع اصحاح ١٨: ١٠) ثم اختار اورشليم مع ان الملك سليمان
صرح بان الهيكل الذي بناه سكناً للرب في اورشليم ليس بالحقيقة
سكناً له بل رمزاً وعلامة محسوسة على وجوده تعالى بين شعبه ويدل
على ذلك قوله «لانه هل يسكن الله حقاً على الارض هو ذا السموات
وسماء السموات لا تسعك فكيف بالاكل هذا البيت الذي بنيت» (الملوك

الاول اصحاح ٢٧: ٨) وان النبي اشعيا ايد كلام سليمان في هذه المسألة
 بدليل قوله «لانه هكذا قال العلي المرتفع ساكن الابد القدوس اسمه
 في الموضع المرتفع المقدس اسكن ومع المنسحق والمتواضع الروح
 لاجي روح المتواضعين ولاحي قلب المنسحقين» (اشعيا اصحاح
 ٥٧: ١٥) ثم ان المسيح نفسه صادق على هذا الفكر وايده باقوال كثيرة
 بما معناه لا ينبغي ان يسجد لله في مكان خاص وان العبادة الخالصة
 مقبولة عند الله بدون اعتبار المكان (بشارة يوحنا اصحاح ٢١: ٤ —
 ٢٤) وازداد هذا الاعتقاد تمكناً ورسوخاً بعد ان قدم المسيح نفسه
 ذبيحة خارج اسوار اورشليم ذبيحة واحدة اغتتنا عن الوف من الذبائح
 والمحركات ومن ذلك الوقت فصاعداً لم يبق وجه معقول لتخصيص
 بقعة من الارض للعبادة ولنسبة القداسة والبركة اليها بنوع خصوصي
 فترى من هنا ان العهد الجديد ليس محصوراً بين امة ولا في
 اقليم دون آخر بل متسع لقبول من يؤمن بالمسيح من أية امة وبلاد
 على وجه الارض بحيث تمنح له حصته من بركات الله ومزايا الايمان
 قد رأينا كفاية لعدم لزوم تخصيص مكان للعبادة أو تقديم
 الذبائح كما كان الحال في شيلوه وهيكل سليمان ولكن الله قد خصص
 شخصاً حياً هيكلًا روحياً ليس بنياناً من طوب وطين . فيه وحده

تقبل العبادة وتقدم الذبائح الروحية التي اشرنا اليها آنفاً وهذا الشخص هو يسوع المسيح فعلى المسيحي الحقيقي ان يقدم نفسه لله ذبيحة حية مقدسة لا في مكان مخصص بل في شخص المسيح لكي تحوز باستحقاقاته القبول والرضا عند الله فترى مما تقدم ان شريعة الذبائح المفروضة في التوراة تمت في العهد الجديد وارتفعت الى اعتبار اكرم ومعنى اسمى وتم ذلك في الساعة التي استغنى فيها الحال عن حرفية هذه الشريعة وتوضحت روحانيتها

ثم فرض في التوراة ثلاثة اعياد لليهود وامرت ذكورهم ان يصعدوا في كل عيد الى المكان الذي اختاره الرب ليظهروا امامه (خروج اصحاح ٢٣: ١٤ و ١٧ وتثنية اصحاح ١٦: ١٦) غير ان اليهود على ممر السنين والازمان غالوا في الاعتبار الخارجي لهذه الاعياد وتجاوزوا الحد وظنوا انهم بذلك يحرزون رضا الله والتقرب اليه وان كانوا يهتمون التقوى الحقيقية فلهم في حفظ هذه الاعياد ما يكفر عن ذنوبهم فغضب الله عليهم وكره اعيادهم وارسل اليهم انبياءه يبلاغ بخصوص في هذا المعنى ومن ذلك قوله «رؤوس شهوركم واعيادكم بغضتها نفسي صارت عليّ ثقلاً مللت حملها فحين تبسطون ايديكم استر عيني عنكم وان كثرت الصلاة لا اسمع ايديكم ملائمة دماً اغتسلوا تنقوا

اعزلوا شر افعالكم من امام عيني كفوا عن فعل الشر تعلموا فعل
 الخير الخ» (اشعياء اصحاح ١٤: ١-١٧ وعاموس اصحاح ٢١: ٥) من
 هنا ترى انه لا يحوز القبول لدى الله الا الذين يتقدمون اليه بالروح
 والحق وهذا ممكن نواله في العهد الجديد بالايمان الحي بكفارة
 المسيح ويدل على ذلك قوله «وانتم الذين كنتم قبلاً اجنبيين واعداء
 في الفكر في الاعمال الشريرة قد صالحكم (المسيح) الان في جسم
 بشريته بالموت ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى امامه» (رسالة
 بولس الى كورنثوس اصحاح ١: ٢٢) وقوله «فاذ لنا ايها الاخوة ثقة
 بالدخول الى الاقداس بدم يسوع طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً
 بالحجاب اي جسده وكاهن عظيم على يمت الله لتتقدم بقلب صادق
 في يقين الايمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة اجسادنا
 بماء نقي» (عبرانيين اصحاح ١٠: ١٩-٢٣)

وفرض في التوراة اختان وجعل علامة للعهد المأخوذ بين الله
 وهو الطرف الاول وبين ابراهيم ونسله وهو الطرف الثاني ولكنه
 مشروط على الذين يتسمون بهذه العلامة ان يؤمنوا بوعد الله - انه
 يتناسل من ابراهيم واسحق ويعقوب نسل تتبارك به جميع قبائل
 الارض (تكوين اصحاح ٢٧: ١٠-١٤ واصحاح ١٨: ١٨ وص ١٨: ٢٢)

وص ٢٦:٤) وكرر الله شريعة الختان على يد موسى النبي (لاويين ص ١٢:٣) على ان الغاية المقصودة منه هي تمييز اليهود عن الامم ولم يمكن تحقيقها في ذلك الوقت لان كثيراً من الامم كانوا مختننين فلا بد ان يكون القصد منه والحالة هذه ان يتعلم اليهود ان يختنوا قلوبهم من الشهوات الحيوانية. والتوراة نفسها تؤيد هذا التأويل ومن ذلك قوله «فاختنوا غرلة قلوبكم» (ثنية ص ١٠:١٦) وفي مواضع أخرى يفسر ختن القلب بالحب الخالص لله حيث يقول «ويختن الرب الهك قلبك وقلب نسلك لكي تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك لنحيا» (ثنية ٦:٣٠) وكذلك اسفار العهد الجديد تنسج على هذا المنوال (انظر رسالة بولس الى رومية ص ٢:٢٥ و ٢٨ و ٢٩)

ولما كمل العهد القديم بالعهد الجديد عين الله لهذا علامة عوض الختان وهي فريضة المعمودية يوسم بها من يؤمن بالمسيح من أقامة كانت على وجه الارض (انظر بشارة متى ص ٢٨:١٩) وهذه العلامة الجديدة مناسبة لكل الرجال والنساء والكبار والصغار وانها كالختان تعلم نقاوة القلب وعوض الختان بالعماد للتمييز بين المؤمنين بالمسيح وبين اليهود والامم الذين يمارس كثير منهم الختان كما لا يخفى. واما ما يشير اليه الختان وهو طهارة القلب والنية فتشير اليه المعمودية من باب

أولى (انظر رسالة بولس الى كولويسي ص ٣: ٥-١٧)

وفي العهد القديم فرائض اخرى كثيرة ضربنا عنها صفحاً
مكتفين بالذي عددناه والمراد منها توجيه القلب الى حقائق روحية
واستيعابها ومتى ادركنا هذه الحقائق الروحية لم تبق حاجة الى ممارسة
فرائضها المنظورة بل تكون مضرّة اذ يخشى على الذين يستعملونها
ان يتمسكوا بالعرض دون الجوهر كما جرى لليهود الذين تمسكوا
بطقوس ورسوم تشير الى المسيح ورفضوا المسيح نفسه وظنوا انهم
ناجحون بفضل هذا التمسك الباطل

مع هذا البيان الوافي لا ينبغي لذي فهم ان يرتاب في فساد
دعوى نسخ الانجيل للتوراة. وقد تبين انه لم ينسخها بل اثبتها ورفع
درجة طقوسها ورسومها من الشبح الذي لا يعني شيئاً عن روحانية
العبادة وهذا ما عناه السيد المسيح بقوله «لا تظنوا اني جئت لانتقض
الناموس او الانبياء ما جئت لانتقض بل لاكمل فاني الحق اقول لكم
الى ان تزول السماء والارض لا يزول حرف واحد او نقطة واحدة
من الناموس حتى يكون الكل» (بشارة متى ص ٥: ١٧ و ١٨) هذه هي
علاقة الانجيل بالتوراة

اما من جهة الوصايا الادبية فقد ذكرنا انها موافقة لارادة الله

وصفاته فلا تقبل التغيير ولا النسخ بل تبقى ثابتة الى ما لانهاية كما ان صفات الله ثابتة. فهي في العهد القديم عينها في العهد الجديد الا انها مشروحة في الاخير شرحاً مدققاً وبالغة حد الكمال ومن امثلة ذلك ان القتل محرم في التوراة (انظر سفر الخروج ص ٢٠: ٣٠ وسفر التثنية ص ١٧: ٥) اما المسيح فقد شرح القتل في الانجيل باحساسات الغضب التي ان لم تخمد ادت الى القتل المريع (بشارة متى ص ٢١: ٥ و ٢٢) ثم ان الزنا محرم في التوراة (خروج ص ٢٠: ١٤ والتثنية ص ١٨: ٥) اما المسيح فيعتبر كل نظرة الى النساء بشهوة زنا (بشارة متى ص ٢٧: ٥ و ٢٨) وقال شارحاً الزنى ما معناه وان كان موسى اباح الطلاق لليهود لقساوة قلوبهم فهو يحرمه الا لعله الزنى ويعتبر الطلاق بغير هذه العلة زنى وتسهيلاً للغير عليه ايضاً (بشارة متى ص ٣١: ٥ و ٣٢)

وقد حرمت التوراة القسم بغير الله وكذا حرمت النطق به كذباً او باطلاً (سفر الخروج ص ٢٠: ٧ واللاويين ص ١٩: ١٢ والتثنية ص ١٣: ٦) فلما جاء المسيح وجد اليهود يستعملون الاقسام في كلامهم الاعتيادي فنهاهم عن ذلك وامرهم بترك القسم قطعياً من غير ضرورة وان يتكلموا بالصدق ايجاباً وسلباً نعم نعم لا لا (بشارة متى ص ٥: ٣٣-٣٧)

وامرت التوراة بني اسرائيل ان يحب كل منهم قريبه كنفسه
 (سفر اللاويين ص ١٩: ١٨) وفسر عامائهم القريب المذكور هنا بمن
 جن من امتهم واما الغريب فنخرج عن حدود هذه الوصية ولهذا
 كاري لسانهم في اقتباسها بهذا المعنى ان يحبوا امتهم ويبغضوا الاجانب.
 اما المسيح ففي شرحه هذه الوصية اوجب المحبة للقريب والغريب
 والعدو والصديق (بشارة متى ص ٤٣: ٥-٤٨) واعلم ان بني اسرائيل
 في زمن موسى كان يصعب حتى على خيارهم ان يخمدوا ثورة غضبهم
 ويتحاشون جريمة القتل مخافة من الله كما وانه كان يصعب عليهم
 حفظ الوصايا الاخرى الناهية عن السرقة والطمع والزنى اما في زمن
 المسيح لعلهم كانوا احسن حالاً واطيب قلباً لطول عهدهم بالانبياء
 والرسل وتأثير الروح القدس حتى لم يعد يصعب عليهم حفظ هذه
 الوصايا وامثالها الا من كان متوغلاً في الشر منهم ولهذا المناسبة كان
 عليهم ان يرتقوا في معارج الفضيلة ويكلفون بوصايا اديبية في منتهى
 الصلاح والكمال لم يحلم بها افاضل اسلافهم وفي ذلك الوقت جاء
 المسيح وفسر لهم الوصايا الادبية الواردة في شريعة موسى بغاية الدقة
 والضبط كما مر بيانه حتى بلغت الكمال ثم انه قرن تعليمه بالعمل في
 كل ايام حياته وصار ممكناً بفضل قدرته المباركة ونعمة الله ومعوته

الروح القدس ان يبلغ المؤمن بالمسيح حتى المحتقرون منهم الى اعلى طبقات البر والصلاح ويسبقوا خيار بني اسرائيل في هذا المضمار فنهت شريعة موسى عن كل عمل شرير واما شريعة المسيح فلم تقف عند هذا الحد فقط بل تجاوزته الى النهي عن الافكار الشريرة.

جاءت شريعة موسى بعبارة سلبية معددة ما نهى عنه الله اما شريعة المسيح فاحاطت بالسلب والايجاب فكما نهت عن فعل الشر امرت بفعل الخير من اجل ذلك كان يقع تحت طائلة العقاب بموجب شريعة موسى كل من يفعل الشر واما بموجب شريعة المسيح فيقع تحت طائلة

العقاب من لم يعمل الخير وان كان بريئاً من فعل الشر ومن اقوال المسيح في هذا المعنى مثل مشهور يدعى مثل السامري الصالح اوجب فيه دينونة كاهن ولاوي لم يسعفا رجلاً جريحاً بل تركاه ومضيا (بشارة لوقا ص ١٠: ٣٠-٣٧) ومنها مثل العبد الذي اخذ من سيده

وزنة ولم يتاجر بها بل صرها في منديل وحفظها عنده فوجب عليه العقوبة مع انه لم يختلس من المال درهماً واحداً لكنه لم يرج فوقه وذلك كناية عن عدم فعل الخير (بشارة لوقا ص ١٩: ٢٠-٢٤)

نهت شريعة موسى بني اسرائيل عن ان يخالطوا الامم حذراً من ان ينقادوا الى عبادتهم الوثنية وفعالهم المنكرة واما شريعة المسيح

فلا تقف معنا عند حد السلامة من دين الوثنيين وافعالهم بل توجب علينا ان نبشرهم بالمسيح ونعلمهم معرفة الاله الحقيقي حتى نربحهم ونضمهم الى صفوفنا الا انه من بعض الوجوه يوجد فرق ضروري بين العهد القديم والجديد الاول علم الناس انهم خطاة وذوي طبيعة خاطئة امام نظر الله القدوس وامرهم ان يلقوا ارجاءهم على مخاض آت يولد من عذراء في بيت لحم ويقدم نفسه كفارة عن خطاياهم. واما العهد الثاني فهو يبشر بان الخلاص الموعود به قد جاء وقدم نفسه كفارة ليس عن خطايا اليهود بل عن خطايا العالم كله ولم يبق عليهم الا ان يؤمنوا به فيخلصون ولكن هذا الفرق وحده هو تميم في الزمان الثاني لما سبق به الوعد في الزمن الاول

ربما يظهر للبعض انه لمناسبة تقدم العالم في المدنية والحضارة فالدين الذي كان ملائماً للناس في زمن موسى لم يلائمهم في زمن المسيح اذ انه عتق وشاخ ومثل ذلك الدين الذي وضعه المسيح اذ مر عليه ستماية سنة خلق وقدم ايضاً ولم يعد يلائم العالم في عصر محمد فولى الادبار ايضاً وقام مقامه الاسلام

فرداً على ذلك نقول (اولاً) بما ان الطقوس والرسوم الدينية هي رموز تشبيلية فيجوز ان تهرم وتشيوخ متى اتى المرموز اليه

وعوضاً عما كانت مفيدة في زمن الرمز بها لا تكون مفيدة في
العصور الأخرى بل ربما أضرت فهذا مسلم . اما المبادئ الجوهرية
للدين الحق فلا تقبل التغيير ولا يؤثر عليها مرور القرون
واختلاف العصور كالشريعة الأدبية فإنها ان كانت حقاً وواجبة
في زمن تبقى كذلك في كل الأزمان فمبادئ شريعة موسى الأدبية
كانت حقاً في زمن آدم و ابراهيم والمسيح وهي حق في هذا الزمان
وتبقى حقاً الى يوم القيامة بل الى ما لا نهاية له لان جوهر الدين
الحق لا يقبل التغيير ولا يعجز عن التأثير (ثانياً) نقول ان كان العالم قد
تقدم في المدنية والعلم يقتضي تقدمه في الدين ايضاً ولو سلمنا جدلاً ان
عصر محمد وجزيرة العرب مسقط رأسه كانا اكثر حضارة وادق مدنية
من بلاد فلسطين ومن الامة اليهودية في عصر المسيح واقتضى تنزيل
دين الاسلام مشايعاً لهذه المدنية الباهرة لكان من اللازم ان يكون
الاسلام راقياً كركي الديانة المسيحية على الافل من حيث المبادئ
الأدبية وروحانية العبادة والعق من نير الطقوس اليهودية المتركة فهل
الاسلام راق هذا الرقي من هذه الحثيات ام يرجع القهقري الى زمن
موسى؟ اننا نترك الحكم لاهل الانصاف والخبرة بالتوراة والانجيل
والقرآن (ثالثاً) نقول ان الطبيعة البشرية واحدة في كل العصور من

حيث احتياجا لها واميا لها والفساد المتسلط عليها لذلك يحتاج البشر
اجمعون الى روح الله القدوس ليظهر قلوبهم من زمن مضى أو حاضر
أو مستقبل الا ان ابن آدم مائل للخطية ومحتاج الى يد تنتشله وتقربه
الى الله على الرغم من امياله الطبيعية وهذه اليد الناشئة لا يمكن الوصول
اليها الا ان كان يتفضل الله علينا ويحبنا اولاً ويكون هو البادئ
بالصلاح . نعم هذا هو الانجيل بعينه لانه اعلان محبة الله للعالم الاثيم
قال الرسول يوحنا احد الحواريين الاثني عشر «نحبه لانه احبنا اولاً»
فهذه الطريقة هي ارقى وانجح وافضل طريقة معقولة لاجتذاب
الانسان الى الله ومصالحته مع خالقه سبحانه وتعالى من اجل ذلك
لا يقدر يتصور العقل البشري وسيلة دينية تحمل الانسان على انكار
نفسه والعروج الى ارقى درجات الصلاح والتعبّد لله مثل الايمان بان
الله احبنا اولاً وبذل ابنه من اجلنا

ونزيد قائلين ان دعواهم بان التوراة منسوخة دعوى منقوضة
باقوال الانبياء والرسل الصريحة الدلالة بل باقوال المسيح نفسه التي
وردت ضمن اسفارهم ومن ذلك قول اشعيا النبي مشيراً الى اسفار
العهد القديم طبعاً «يبس العشب ذبل الزهر واما كلمة الهنا فتثبت الى
الابد» (سفر اشعيا ص ٤٠: ٨) ويؤيد المسيح هذه الحقيقة داحضاً

وقوع النسخ على اسفار العهد القديم ومثبتاً بقاء كلماتها الى الابد او على
الاقل مدة وجود العالم ومن ذلك قوله «السماء والارض تزولان
ولكن كلامي لا يزول» (بشارة متى ص ٣٥:٢٤ وبشارة مرقس
ص ٣١:١٣ وبشارة لوقا ص ٣٣:٢١)

ولعل معترض يقول ان المسيح قصد بقاء كلامه في تلك المواضع
الى زمن حصار اورشليم بواسطة جيش تيطس اي سنة ٧٠ للميلاد
فنجيب ان من يطالع هذه الاصحاحات الثلاثة ويلاحظ سياق الكلام
فيها يحكم لاول وهلة ان اشارة المسيح ليس الى حصار او خراب
اورشليم بل الى منتهى العالم الى يوم القيامة حينما يأتي ثانية ليدين
الاحياء والاموات (بشارة متى ٣٠:٢٤ و٣١ وبشارة مرقس ص ١٣:
٢٦ و٢٧ وبشارة لوقا ص ٢٧:٢١ و٢٨) لانه لما اشار الى الضيقات
الهائلة التي ستحقيق بالعالم في آخر الزمان وتغير وجه الارض كان من
المناسب ان يسكن روع المؤمنين به بان كلامه يبقى ثابتاً^(١) لا يتغير
ولا يزول حتى يتمسكوا به في اوقات الشدائد

ومما يدل على ان كلام المسيح باق الى يوم القيامة قوله «من

(١) وكذلك القرآن يثبت ان لا تغيير لكلمات الله (انظر سورة الانعام
آية ٣٤ و١١٥ وسورة بونس آية ٦٤ وسورة الكهف آية ٢٧)

ردلني ولم يقبل كلامي فله من يدينه الكلام الذي تكلمت به هو
 يدينه في اليوم الاخير» (بشارة يوحنا ص ٤٨: ١٢) وهذا الدليل من
 الصراحة بمكان بحيث لا يحمله احد لانه ان كنا سندان في اليوم
 الاخير بموجب انجيل المسيح فيقتضي ان يبق بدون تبديل الى يوم
 الدين وعدا ذلك امرنا في الانجيل امرأ صريحاً انه ان جاءنا اعظم عظيم
 ولو ملاك من السماء وبشرنا بخلاف ما ورد في الانجيل وادعى بانه
 مرسل من الله يكون ملعوناً (رسالة بولس الرسول الى غلاطية
 ص ١: ٨) ولهذه الاسباب ابتعد المسيحيون الحقيقيون عن ضلالات
 الانبياء الكذبة الذين ظهروا بعد المسيح وادعوا بانهم هم المشار اليهم
 في الانجيل بالفارقليط مثل ماني الفارسي وغيره وكذلك لم يتوقعوا
 وحياً جديداً غير المتضمن في العهد الجديد

ولا يبرح من بالك ان قصد المسيح من دوام كلامه وبقاء كل
 لفظة من الفاظ العهد القديم والجديد على وضعها الاصلية شيان مختلفان
 لان قصد المسيح من دوام كلامه وكلام العهدين بقاء معانيهما لا
 الفاظهما اذ ليس عالم باصول اللغة يحفل ان المعنى هو المراد لا
 الالفاظ التي هي آلة للتعبير اذ قد توجد قراءات مختلفة لنسخ
 العهدين كما توجد قراءات في القرآن وكل الكتب القديمة لكنها

لا تغير المعنى ولم تمس مبدأ من مبادئ الدين في العهدين
ولقائل ان يقول يؤخذ من كلام المسيح من حيث بقاء كلمة
الله في العهد القديم والجديد بدون تبديل انه لا يجوز تبديل الطقوس
والرسوم الخارجية الواردة في التوراة حالة كونها تبدلت بالانجيل.
فنقول اننا اجبنا على هذا الاعتراض في ما تقدم بمافيه الكفاءة ولا بأس
من تكرار الجواب بان الطقوس والرسوم الخارجية الواردة في
التوراة لم تبدل بالحقيقة بل تقدمت وتكملت كما علم المسيح نفسه
(بشارة متى ص ١٧: ٥) ومن امثلة ذلك ان المسيح اصلح كيفية الصيام
مع كون انبياء العهد القديم لم يأمرؤا به ولا نهؤا عنه بل غاية ما في
الامر كان محترماً عند اليهود (بشارة متى ص ١٦: ٦ - ١٨)

وقول بعضهم ان امر المسيح الوارد في الانجيل (بشارة متى
ص ١٠: ٥) وتصريحه في (ص ١٥ : ٢٤ من البشارة المذكورة)
منسوخان كلاهما بامره الوارد في ختام هذه البشارة فنجيب عليه قائلين
ان الاوامر الوقتية يجب ان تكون وقتية اي متى نفذت تماماً انتهت
فلا يقال انها نسخت ولا ابطلت واثبتت ذلك ظاهر من معنى كلام
السيد المسيح انه لم يقصد حصر التلاميذ في بلاد فلسطين دائماً ابداً
لانه له المجد هو نفسه لم يتجاوز حدود فلسطين الا هذه المرة التي

استدعته الى القول المشار اليه فلا يعد عدم سفره نهياً صريحاً للتلاميذ
 عن السفر دائماً ولا ان رسالتهم مختصة في بني اسرائيل فقط
 ولنرجع الآن الى الحقائق المذكورة في التوراة فنقول انها
 ايضاً لا تقبل النسخ واثبات ذلك سهل جداً لانه من البدهي لكل
 ذي فهم ان الحقيقة الواردة في الكتاب كواقعة حال يجب اما ان
 تكون صدقاً او كذباً اما كونها كذباً فلم يدع هذه الدعوى احد من
 المسلمين. واما كونها صدقاً فيستحيل نسخها كما هو مستحيل لاي
 حادث ان يمحي من بطون التاريخ ويمحي اثره من صحيفة الوجود
 وفي هذا كفاية

والآن قد اتينا في هذا الفصل بمزيد الوضوح والجلاء بان كل
 تعاليم العهد القديم والجديد الجوهرية لا تقبل التغيير ولا النسخ لانها
 تمثل للناس ارادة الله وصفاته وهي منزهة عن التغيير والتبديل في كل
 العصور والابد وعليه فطريق اخلاص واحدة في كل الاجيال
 وسيدان الناس في اليوم الآخر بموجب تعاليم المسيح الذي رأى ابراهيم
 يومه بعين الايمان وفرح به وبالايمان باسمه يخلص كل انسان حتى
 الانبياء والمراسين

الفصل الثالث

في ان اسفار العهد القديم والجديد المتداولة اليوم هي بعينها التي كانت
بايدي النصارى واليهود في عصر محمد ولها قد شهد القرآن

في هذا الفصل والذي يليه بحثان في غاية الاهمية (الاول) هل
اسفار العهدين المنتشرة اليوم هي بذاتها التي كانت في عصر محمد
(والثاني) ان كانت هي بذاتها فهل اعترافا تحريف او تبديل كثير
او قليل؟ وقبل البحث في هذا وذاك لنفرض (اولاً) ان الكتاب
المقدس المتداول اليوم لم يكن هو بذاته الذي كان في عصر محمد
(ثانياً) او على الاقل اعتراف التحريف بحيث اصبح لا يوثق به كما يزعم
جهال المسامين فان كان الامر هكذا فما اشق بنو آدم وما انكد
حظهم وانحس طالعهم لان كلام الله الذي لا يقبل التغيير على حسب
فهمنا ونطقته به الانبياء والرسل كما يصرح القرآن ويحتم على المسامين
ان يقرؤا ويعترفوا به قد تلاشى واحسرتاه من الوجود او تشوه
بالباطل فسقطت قيمته. ما اشق الجنس البشري بهذا المصاب العظيم
حتى القرآن طاش سهمه وخاب مسعاه لان الله انزله مهيماً^(١) على

(١) انظر سورة المائدة (آية ٥١) يقول «وانزلنا اليك الكتاب بالحق

الكتاب المقدس ليحفظه سالماً من ايدي الاغراض ولم يحفظه ان هذا
ليهدم ركناً عظيماً من اركان الثقة بالقرآن كيف لا وقد وكل الله
اليه مأمورية فاهملها شر اهمال

لكن هذه الدعوى باطلة والشكر لله فان كلمته التي في العهدين
لم تتلاش ولا تحرفت بل بقيت محفوظة بعنايته الضابطة لكل شيء كما
يعترف القرآن ويهدي اتباعه الى صراط مستقيم من هذه الحثيثة
ومن الغريب اننا نحن معاصر المسيحيين بواسطة تمسكنا بشهادة
القرآن في حق الكتاب المقدس بالصحة والنزاهة ندافع عن القرآن
نفسه من هجمات اغبياء المسامين الذين لو دروا ان الطعن في الكتاب
المقدس طعن في قلب القرآن لم يطعنوا

ومن الشواهد على ذلك قول الشيخ رحمة الله الهندي فانه روى
لنا في مؤلفه (اظهار الحق) الذي طبعه سنة ١٢٨٤ هجرية ان احد
علماء دهلي من اعمال الهند افتى قائلاً «ان هذا المجموع المشتهر الآن

مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه الخ» ويفسر البيضاوي قوله
«ومهيماً عليه» رقيباً على سائر الكتب ليحفظها من التغيير ويشهد لها بالصحة
والثبات وقرئ على صيغة المفعول اي هو من عليه او حوفظ من التحريف
والحافظ له هو الله او الحفظ في كل عصر شبيهاً عليه اي على الكتب كلها

بالعهد الجديد ليس بمسلم عندنا وليس هذا هو الانجيل الذي جاء
 ذكره في القرآن بل هو عندنا عبارة عن الكلام الذي انزل على عيسى
 (صحيفة ١٤٤ و ١٤٥) وقد وقع رحمة الله في مثل هذا الخطأ الفاحش
 من شدة تعصبه فانه قال ما معناه ان التوراة والانجيل الاصيلين فقدما
 قبل رسالة محمد والاسفار الموجودة اليوم لا مقام لها عندنا اكثر من
 كتب اقايصص ملفقة من باطل وحق واننا لا نعتبر ان الكتاب
 وجد بحالة الصحة والنقاوة حتى زمن الاسلام ثم دهمته مصيبة
 التحريف فاتلف بل نقول انه فقد كله قبل ذلك بزمن طويل
 ورداً على ذلك نقول ان رحمة الله لا يعني بالتوراة والانجيل
 الاصيلين ونفس الصورتين اللتين كتبهما موسى ورسل عيسى بايديهم
 لانه ان كان يقصد ذلك يورط نفسه من جهة القرآن لان نسخته
 الاصلية ضاعت ايضاً بل قصد الانجيل والتوراة اللذين هما طبق
 الاصل ودعواه بانهما ضاعا باطالة كما هو مسلم عند علماء الاسلام
 المحققين في كل العالم وهذه من الخش الغاطات التي سقط فيها رحمة
 الله وان مثله لا يلمس له عذر كما كان يلمس لاهل العصور المظلمة
 اما وهو من ابناء هذا العصر الذي سطع فيه نور العلم والعرفان
 فيؤاخذ بغاطته كل المؤاخذة. يبذل هذا الشيخ مجهوده ليوم بسطاء

المسلمين ان التوراة الاصلية فقدت عندما سبي بختنصر الملك اورشليم
وهدم هيكل سليمان سنة ٥٨٧ قبل المسيح وقيم الدليل على ذلك من
سفر مزموذ يدعوهم بعضهم «سيدراس الثاني» ويدعوه بعضهم الرابع
ويحاول ان يقنع المسلمين بان سيدراس هذا انما هو عزرا المسحى في
القرآن عزيز وانه قد الف كتاباً وادعى انه هو التوراة الحقيقية الاصلية
التي نزلت على موسى النبي الا اننا بمراجعة ذلك السفر الذي يشير
اليه لا نجد ما يدل على صحة دعواه مطلقاً بل ما يدحضها ويزيفها فورد
في اصحاح ١٤: ٢١ و٢٢ بان عزرا استدعى الكتبة الى كتابة كل ما عمل
في العالم من البدء كما هو مكتوب في اسفار الشريعة فاذا صح هذا
السند فانه يدل على ان عزرا كان من حفظة اسفار الوحي فاملاها على
الكتبة فكتبوها ودونوها فلا يقال عن عزرا والحالة هذه انه الف
كتاباً من عند نفسه وادعى بانه التوراة. وجاء في تفسير البيضاوي
لسورة (التوبة آية ٣٠) ما ينتض زعم رحمة الله ويؤيد بياننا قال ما
معناه عند ما سبي بختنصر اليهود لم يبق احد من حفظة الوحي فبعث
الله عزيراً من الاموات وقد مر عليه مائة سنة ميتاً فاملى التوراة
وجاءت طبق الاصل حتى تعجب منه اليهود. ان كانت هذه الرواية
صحيحة فلا غرو ان يتعجب منها اليهود انما العجب كل العجب ان

يوجد بين العقلاء من يصدق خرافة كهذه فانه لا سفر سيدراس الثاني ولا الرابع ذكر هذه السخریات ومع ذلك يؤخذ من هذه المزاعم التي رواها البيضاوي في تفسيره ورحمة الله في اظهار الحق ان عزرا كان حافظاً لاسفار الوحي لا مزوراً. ثم نقول مرة ثانية. ان كانت الرواية الواردة في سفر سيدراس الثاني صحيحة فلا يؤخذ منها ان التوراة انعدمت من الوجود بسبب حرق كل نسخها كما انه لا ينعدم القرآن اذا احرق وذلك لانه كان يوجد حفظة للتوراة كما يوجد حفظة للقرآن الذين في امكانهم ان يدونوه في الكتب ويحسن ان نقول عن سفر سيدراس انه لا يوجد احد من علماء اليهود او المسيحيين اعتمدوه ونسبه الى عزرا ويظهر من مطالعة الجزء الاول منه انه كتب ما بين ٨١ و ٨٦ ميلادية. ومن المعلوم ان عزرا كان قبل الميلاد بنحو خمسمائة سنة (انظر سفر سيدراس الثاني اصحاح ٤٧: ٢ واصحاح ٢٨: ٧ و ٢٩ الخ) وعليه تكون نسبة هذا السفر الى عزرا منتحلة وبالنتيجة يكون السفر مزوراً وان اليهود الاولين لم يعدوه بين اسفارهم القانونية الا انه في القرن الثالث للميلاد قبله بعضهم من الذين يجهلون اللغة العبرانية المكتوب بها والا لما كانوا يقبلونه

واذ قد انتهينا من كلمتنا عن هذا السفر واقنا الدليل بان التوراة

والاسفار الاخرى المقدسة التي اوحى بها الى الامة اليهودية لم تتلاش قط من الوجود فنقول ان ثبت وجودها في حياة عزرا اي بعد خراب الهيكل باكثر من مائة عام ثبت وجودها في زمن يختصر اما انها كانت موجودة في زمن عزرا فالدليل عليه من نفس سفر عزرا المقبول لدى اليهود والنصارى اجمعين فلقد ورد فيه قوله «عزرا هذا صعد من بابل وهو كاتب ماهر في شريعة موسى التي اعطاها الرب اله اسرائيل» (توراة سفر عزرا ص ٦:٧) قابل بين هذا وبين ما ورد في سفر نحemia ص ٨) ثم جاء ايضاً في سفر عزرا ان شريعة الرب اي التوراة كانت في يده وقت صعوده من بابل الى اورشليم وعلى ذلك قول الملك ارتخشستا له «من اجل انك مرسل من قبل الملك ومشيريه السبعة لاجل السؤال عن يهوذا واورشليم حسب شريعة الهك التي بيدك» (عزرا ص ١٤:٧) ومن هنا يظهر بمزيد الوضوح ان التوراة لم تتلاش في زمن يختصر بموجب هذا الدليل الكتابي .

وعندنا دليل آخر ورد في كتاب عبري يدعى «برقي ايهو» كتب في القرن الثاني للميلاد ما معناه «نزلت التوراة على موسى في جبل سيناء واستودعها موسى الى يشوع وهذا ساءها الى شيوخ اسرائيل وهؤلاء ساءوها الى الانبياء وساءها الانبياء الى السنهدريم» .

اليهود الاعظم» ويروى ان هذا المجمع كان مؤلفاً من علماء اليهود وبدأ بتأسيسه عزرا وكان الغرض منه المحافظة على التوراة وتعليمها للشعب وورد في التلمود (كتاب تقليد اليهود) انه بعد السبي البابلي الذي نحن في صددده اعاد المجمع العظيم التوراة الى مجدها وجلالها القديم وأشار الى ذلك كتاب «برقي ايهو» بما معناه ان ذلك المجمع وضع ثلاثة وصايا كشعائر مقدسة الاولى - احترس في القضاء - الثانية علم كثيرين - الثالثة كن حصناً منيعاً للتوراة. وهذه الوصية الاخيرة اوجبت على اليهود ان يبذلوا قصارى جهدهم في صيانة التوراة سالمة من كل ما يعرض لها وقد قاموا بهذه المهمة خير قيام وما من امة بالغت في العناية بكتابها المقدس كما بالغت الامة اليهودية بتوراتها فقد احصوا عدد كلماتها وحروفها واذكر لك هنا قولاً مأثوراً قاله احد اكابر هذا المجمع يدل على مبلغ عنايتهم بالتوراة والى اي حد رفعوا مقامها ورد في «برقي ايهو» قوله ان سمعان العادل احد خلفاء المجمع كان يقول العالم قائم على ثلاثة اعمدة «التوراة والعبادة والعمل الصالح» يمثل هذا الاهتمام والتدقيق تداولت التوراة بين اليهود من السلف الى الخلف جيلاً بعد جيل في لغتها الاصالية وهي العبرية والآرامية. بكل اعتناء وتدقيق ومن الادلة المعتبرة على ما نحن بصددده

تعدد قراآت التوراة اي وجود اختلافات لفظية مع وحدة المعنى
 ليس هذا برهان على انه لم يكتبها شخص واحد ولا كتبت في عصر
 واحد. ثم انه يوجد فيها ما يشبه التناقض في اخبار بعض الوقائع
 والمسائل التي ليس لها مساس في الجوهر وهو بالحقيقة ليس بتناقض
 فوجود شيء من هذا القبيل في اسفار التوراة مع سكوت اليهود عنه
 وعدم تجاسرهم على تسويته لدليل قوي على تمسكهم بالمتون الاصلية
 واستحفاظهم عليها مهما يكن من امرها. وتظهر قوة هذا الدليل باكثر
 وضوح من المثال الآتي نقلاً عن القرآن ورد في سورة (آل عمران
 آية ٥٥) قوله «اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك اليّ» وورد
 في سورة (النساء آية ١٥٧) قوله «وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن
 به قبل موته» قد ارتاب بعضهم في كون الضمير الاخير عائد الى
 المسيح ولكن لا يمكن ان يرتاب احد في تصريح القرآن بموت المسيح
 الوارد في سورة (مريم آية ٣٣) «والسلام عليّ يوم ولدت ويوم اموت
 ويوم ابعث حياً» فهذا كله يظهر انه منقوض بما ورد في سورة (النساء
 آية ١٥٦) «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم» لانه في المواضع
 الاولى يثبت موته وفي الموضع الاخير ينفيه فوجود التناقض الظاهري
 في متن القرآن دليل معتبر على ان المسلمين لم يمسه بسوء والا لكانوا

من باب اولى ازالوا شبه التناقض هذا وخصوصاً في آية «وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته» اذ قرئت «قبل موتهم» وهذه القراءة يزول معها الالتباس فما كان ايسر عليهم ان يثبتوا القراءة الثانية محل الاولى لكنهم لم يفعلوا حرصاً على الاصل هكذا يدل وجود شبه التناقض الواقع في اسفار التوراة على امانة اهلها

قد كتب بعض المصنفين المسامين جدولاً طويلاً من المناقضات الواردة في الكتاب المقدس وزعم انها مناقضات حقيقية وهي تناقضات ظاهرية فقط بمثل التي نقلناها هنا عن القرآن وقد وفق بين كثير منها العلماء المحققون والتي لم يهتدوا الى التوفيق بينها فصعوبتها قائمة على عدم معرفتهم كل ظروفها وكما قلنا سابقاً ان وجود هذه الاختلافات في اسفار التوراة دليل على عظم اعتناء اليهود بالمحافظة على الاصل لانهم لم يتخذوا وسيلة لازالة هذا الخلاف ويكفوا نفوسهم مؤونة احتجاجات المعارضين الذين لا يفتأون ينقبون في الكتاب لا توصلاً لمعرفة الله عز وجل بل ليظفروا باحتجاج جديد ويظهروا براعتهم للناس ومن جد وجد في الخير كان او في الشر وان اغمض الرجل عينيه لا يعدم نصيباً من التدهور في الهوة والشمس طالعة ولنتأمل الآن باختصار فيما اذا كانت اسفار العهد القديم اولاً واسفار العهد الجديد ثانياً المتداولة

اليوم هي بذاتها التي كانت في زمن محمد واليها اشار القرآن فنقول :
 انه يوجد لدينا جملة جداول مخصصة فيها اسفار العهد القديم يرجع
 تاريخها الى ما قبل محمد وهي موافقة لتوراة العصر الحاضر تمام الموافقة
 قال يوسفوس المؤرخ اليهودي في تاريخه الذي كتبه سنة ٩٠ ميلادية
 « لا يوجد بيننا معاصر اليهود عشرات الالوف من الكتب المتناقضة
 بل يوجد اثنان وعشرون سفرًا نؤمن انها موحى بها من الله محتوية
 على تاريخ كل العصور منها خمسة اسفار ^(١) لموسى وتشتمل على شريعة
 الله وتاريخ الجنس البشري من ابتداء العالم الى موته اي نحو ثلاثة
 آلاف سنة تقريباً ومن ذلك الوقت الى حكم الملك ارتزركسيس الذي
 خلف زرركسيس مدون في ثلاثة ^(٢) عشر سفرًا والاربعة ^(٣) الاسفار
 الباقية لتسبيح الله وتهذيب الاخلاق. وان مجمع جامنية الذي عقد سنة
 ٩٠ ميلادية قدم لنا قائمة هذه الاسفار بعينها ومجمع لادوكية قرر انها اثنان

(١) سفر التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية

(٢) سفر يشوع. والقضاة مع راعوث. وصموئيل. والملوك. واخبار الايام
 وعزرا مع نحميا. واسستير. وايوب. والاثناعشر سفرًا للانبياء الصغار. واسعياء
 وارميا مع مراثيه. وحزقيال. ودانيال

(٣) المزامير. والامثال. والجامعة. ونشيد الانشاد

وعشرين سفرراً ثم في القرون المتأخرة جزءاً أو بعض هذه الاسفار لسهولة المراجعة ويمكننا أن نقدر نعين تاريخ التجزئة بالضبط . مثلاً في نسخة بطرسبرج التي كتبت في اللغة العبرية سنة ٩١٦م لا تزال فيها الاسفار الصغار للانبياء الاثني عشر^(١) متضمنة في كتاب كل سفر كان يعتبر اصحاحاً محصية فيه اعداد الآيات . اما تقسيم كل من سفر صموئيل والملوك والاخبار الى جزئين وفصل عزرا عن نحميا فقد تم لأول مرة في طبعة العهد القديم العبرية في البندقية سنة ١٥١٦ و ١٥١٧ ميلادية . يقول يوسفوس المؤرخ ان الكتب الاخرى التي لا يساوون بينها وبين الاثنين والعشرين سفرراً القانونية في الوثوق باقوالها وقد ترجموا الكل الى اليونانية ومع كون هذه الاسفار الغير القانونية كتبت وترجمت من قبل المسيح بكل اعتناء وتدقيق لم ينزلوها منزلة الاسفار القانونية ولا عدوها معها وتمت هذه الترجمة بين سنة ٢٤٧ و ٢٨٥ قبل المسيح في مصر بناء على طلب بطليموس الثاني الملقب فيلادلفيوس ويظن البعض أنها بين سنة ٢٠٠ و ٢٥٠ قبل المسيح ويرجعون الرأي الثاني وليس هذا ذا بال . وتدعى هذه الترجمة بالسبعينية نسبة الى عدد الذين

(١) هوشع . ويوثيل . وعاموس . وعوبديا . ويونان . وميخا . وناحوم . وحبقوق . وصفنيا . وحجي . وزكريا . وملاخي .

ترجموها فانهم كانوا سبعين عالماً من علماء اليهود وهي اقوم ترجمة للتوراة في الوجود

ولنذكر بعد ذلك الترجمات الاخرى للعهد القديم لزيادة التأكيد بان التوراة التي بايدينا اليوم هي التي كانت في عصر محمد وقبله بقرون كثيرة لانه ان لم تكن موجودة حينئذ فن اين انت تلك الترجمات وعلى الخصوص الترجمة السبعينية؟ هذا ظاهر لا بسط الناس وعامتهم ثم الترجمة اليونانية التي ترجمت بواسطة اكويلا التي تمها سنة ١٣٠ ميلادية وترجمها مرة اخرى رجل سامري اسمه سيماش وفرغ منها سنة ٢١٨ ميلادية ثم ترجمت الى اللاتينية القديمة في القرن الثاني للميلاد نقلاً عن الترجمة السبعينية. ثم ترجمها جيروم عن اللغة العبرية الى الطليمانية وتسمى الترجمة اللاتينية وفرغ منها سنة ٤٠٥ ميلادية. والترجمة السريانية لبشستا والمظنون انها ترجمت في آخر القرن الاول يقول يعقوب من اودسا ان التوراة ترجمت ايضاً في حياة المسيح بناء على طلب ملك اودسا ايجار ويظنون ان اول من اشار الى الترجمة السريانية هو مليتس من اهالي ساردس في القرن الثاني وينسبها آخرون الى القرن الثالث. والترجمة السريانية الفيلكسية اتمها بوليكاربوس نحو سنة ٥٠٨ وهدبها واصلاحها توماس هرقل ٦١٦ م وعليه كل

الترجمات السريانية كانت موجودة من قبل عصر محمد والترجمة
الاخيرة من هذه اللغة بوشرت في نفس ايامه

ولما احتفى اصحاب محمد ببلاد الحبشة قبل الهجرة رأوا اهل
تلك البلاد يقرأون التوراة والانجيل في لغتهم الحبشية ومن اقدمية
عهد تلك الترجمة عسر على الاحباش فهمها والمظنون انها ترجمت في
القرن الرابع للميلاد. وكذلك لما فتح عمرو مصر وجد الدين الغالب
فيها النصرانية ووجد الكتاب المقدس مترجماً الى اللغة القبطية في
اصطلاحات البلاد الثلاث الصعيدية والبحيري والبشموري. وقد
ترجمت عن الترجمة السبعينية ويظن بعضهم انها ترجمت في ما بين
القرن الثالث والرابع ويقول بعضهم بل قبل ذلك

وترجم بعض اجزاء التوراة عن اللغة السريانية الى الارامية
سنة ٤١١ م وعن الترجمة السبعينية سنة ٤٣٦ م وبعد ذلك بنحو قرن
تمت الترجمة المشهورة بترجمة القديس جاورجيوس وقد كانت مع
قرب عهدها قبل الهجرة بسنين كثيرة

وترجم التوراة اسقف غوثية الى لغة اهل بلاده سنة ٣٦٠ م
واكثر هذه التراجم تمها قوم مسيحيون ما عدا الترجمة السبعينية
والاكوييلية طبعاً. واعلم ان اليهود كثيراً ما ترجموا بعض اسفار

التوراة الى الارامية حينما ابتداء اكثرهم يهملون التكلم بالعبرية ومن بين
هذه التراجم ترجمة انكلوس التي تمت ما بين سنة ١٥٠ و ٢٠٠ م .
وترجم يوناثان ابن عزيز اسفار الانبياء سنة ٣٢٠ م وعدا عن كل
هذه التراجم كان يوجد كتاب الترجوم الاورشليمي وهو عبارة عن
ترجمة اسفار العهد القديم وشروحها الى اللغة الارامية وقد تم في القرن
السادس اي قبل الهجرة ومن المعلوم انه كان في سالف الزمان بغض
شديد بين السامريين واليهود ومن اجل ذلك لم يعتمد السامريون من
التوراة سوى اسفار موسى الخمسة واعتبروها كما هي موحى بها من
الله تعالى ولم نعلم بالتأكيـد متى تحصلوا على نسخة الاسفار الخمسة
فيظن البعض انه كان في سنة ٦٠٦ ق م اي حينما ابتدأت سنو السبي
السبعون ويظن البعض ان منسى حفيد الياشيب الكاهن العظيم
وهو الذي قد تزوج بابنة سنبلط كما جاء ذلك في سفر نحemia اصحاح
١٣: ٢٨ احضر هذه الاسفار الى السامرة حينما نفاه نحemia من اورشليم
واسس هناك هيكلًا على جبل جرزيم نحو سنة ٤٠٩ ق م
ولا يزال بين ايدي المسيحيين بعض النسخ من توراة السامريين
اي اسفار موسى الخمسة باللغة العبرانية الاصلية لكن بحروف مختلفة
عن التي تستعملها اليهود

وبمراجعة هذه الأدلة والتراجم المتعددة لاسفار العهد القديم
عند اليهود والنصارى نجزم ونحتم ان توراة اليوم هي بذاتها التي
كانت في عصر محمد وشهد لها القرآن في آيات كثيرة وان القراءات
المتعددة للتوراة لا تطعن في سلامتها ولا تشوش نقاوتها لانها
لا تمس جوهر تعليمها واختلاف القراءات مسألة لا بد منها لكل
كتاب قديم عظيم كاختلافات قراءات القرآن

ولنتكلم الآن في نسخ العهد الجديد المتداول اليوم في العالم
المسيحي ونبحث هل هي الانجيل الحقيقي الذي يشهد له القرآن وهل
هو الذي كان موجوداً في عصر محمد ام لا ؟

اما رجال العلم والتحقيق في كل العالم فلا يخالج قلوبهم اقل ريب
في صحة هذه الدعوى. ان الابحاث العصرية المتأخرة اثبتت قطعياً انه
حتى في عصر المسيح كتب تلاميذه (الجواريون) مذكرات باقواله
وتعاليمه واعماله وكثير منها وارد في بشارة مرقس على نوع اخص
وفي بشارتي متى ولوقا ايضاً على نوع ما الا ان واقعة صلب المسيح
وموته ودفنه وقيامته وصعوده لم يدون منها التلاميذ شيئاً الا من بعد
صعوده طبعاً ثم انهم لم يروا ضرورة تدفعهم الى كتابة الانجيل لقوم
يعلمونه بمشاهدة العيان اذ كانوا معاصرين ليسوع ورأوه وجهاً لوجه

وكموه شفاهياً وكنوا معه وحوله كل يوم يسمعون وعظه ويرون معجزاته (انظر الرسالة الاولى لكورنثوس ٦: ١٥ وسفر الاعمال ١: ٢٢ و ٢١) ولكون المسيح ما ابرم من بادىء بدء ان يكتبوا الانجيل (الاخبار السارة) بل يكرزوا به ليوضع الاساس على شهادة قوم احياء معاصرين له شهادة شفاهية مشفوعة بدلائل الصديق والاخلاص. واما كتابة الانجيل فابتدأت على هذا المنوال. اعلم ان الانجيل معناه الخبر السار او البشارة السارة. وقد كتبها قبل السككل بواس الرسول ضمن رسالتين متواليتين بعث بهما الى اهل تسالونيكي ويرجع تاريخهما الى ما بين سنة ٢٢ و ٢٣ بعد صعود المسيح ومثل هاتين الرسالتين بقية رسائل بواس في وحدة التعاليم في كل المبادئ التي تمسك بها الى اليوم لكن لما مضى الجيل المعاصر للمسيح او كاد مست الحاجة الى تدوين الانجيل في الاسفار لصون حقائقه من الطوارئ وافادة الاجيال الآتية فألهم روح الله القدوس من اختار لانفاذ هذه المهمة من رسل المسيح ورفقائهم المقربين منهم فكتب اولاً القديس مرقس بشارته قبل خراب اورشليم سنة ٧٠ للميلاد وظن بعضهم انه ما بين سنة ٦٥ و ٦٦ في مدينة رومية وكان مرقس رفيقاً لرسول المسيح واحد تلامذته الاولين وكان مشهوراً في الكنائس الاولى ومعروفاً عنه بانه

تلميذ بطرس فكتب بشارته بناء على معلوماته الشخصية ومعلومات
بطرس غير ان روح الله القدوس عصمه من الخطأ وذكره بما عساه
يكون نسيه وألهمه ما يكتب في تلك الاخبار وما لا يكتب

وكتب متى رسول المسيح بشارته قبل سنة ٧٠ للميلاد. وكتبها
لوقا ما بين سنة ٦٠ و ٧٠ وكتبها يوحنا ما بين سنة ٩٠ و ١٠٠ اي حينما
بلغ من العمر سن الشيخوخة. والحاصل ان بين ايدينا بشارتان لرسول
المسيح وهما بشارتا متى ويوحنا وبشارتان لرفقاءهم وهما بشارتا مرقس
(ومن المحتمل ان تكون من املاء بطرس) وبشارتا لوقا رفيق بولس
الرسول. وهذا الاخير يقول في صدر كتابه انه فحص واستعلم
بالندقيق عن كل ما كتب من شهود العين ومما لا شك فيه ان
الاصحاحين الاولين من بشارته كتبهما حسب شهادة العذراء مريم
وربما يقول معترض ان هذا كله لا يدل على ان هذه الكتب
موحى بها من الله فاجيب نعم ليست موحى بها كالوحي الذي يتصوره
المسامون ويروونه عن القرآن من انه كان مكتوباً في اللوح المحفوظ
من قبل خلق العالم ونزل الى سماء الدنيا في ليلة القدر ثم املاه جبريل
على محمد نبوياً حسب الوقائع والاحوال. ان وحيًا كهذا يظهر لنا
معاشر المسيحيين انه ليس بالجيد فضلاً عن انه لم يقدّم دليل على ان

القرآن موحى به مثل هذا الوحي كما هو مثبت في كتاب «مصادر الاسلام» وعلماء النقد والتفكير يقولون ان فرضنا ان كتاباً مقدساً كتب في السماء ونزل الى الارض على هذه الكيفية فلا يمكننا ان نقيم الدليل على ان ذلك الكتاب كتب في السماء ولا ان له صلة بها. واما الوحي عندنا فهو عبارة عن ان الله اذا اراد ان يعلن لعباده امرًا من الامور على يد انبيائه لا يتخذهم كآلات صماء بل يستخدم عقولهم واذهانهم وذاكرتهم وذكاءهم وارواحهم في ما يكتبونه فيكون وحيًا (انظر بشارة يوحنا ص ١٦: ١٣)

ولنشرح هنا بعض المسائل التي تشوش على اذهان اخواننا المساهمين في فهم حقيقة الانجيل. يقول بعضهم ان الانجيل الذي بين ايدي المسيحيين اليوم ليس هو الانجيل الحقيقي الذي انزل على سيدنا عيسى لاننا نرى عندهم اربعة اناجيل لم تكتب الا بعد صعود المسيح بمدة طويلة فنقول اما من حيث كون الانجيل كتب بعد صعود المسيح بمدة طويلة لا يطعن في صحته كما لا يطعن في صحة القرآن كونه جمع بعد حياة محمد كما ورد في مشكاة المصابيح صحيفة ١٩٣ والمؤلفات المعتبرة. واما كون عندنا اربعة اناجيل فهو ليس بحق وانما عندنا انجيل واحد لان كلمة (انجيل) وان كانت استعملت اسماً لبعض اسفار العهد

الجديد فعنها خبر سار او بشارة مفرحة لانها معدولة عن كلمة يونانية مجانسة لها لفظاً وتفيد هذا المعنى بالضبط لكن اخواننا المسامين قلما يفطنون لهذا المعنى

ولما كانت خلاصة اسفار العهد الجديد وزبدتها اعلان محبة الله للبشر بحيث انه ارسل لهم يسوع المسيح ليخلصهم من خطاياهم وهذا خبر سار جداً فدعي به العهد الجديد أو بالعبرة اليونانية المعربة انجيل وبهذا الاعتبار لا تكون انجيل كثيرة بل انجيل واحد كرزبه متى ومرقس ولوقا ويوحنا وبواس وبطرس الخ فالكارزون هم المتعددون واما الانجيل فهو واحد غير متعدد وبمراجعة الاصل اليوناني نجد البشائر الاربع التي في صدر اسفار العهد الجديد مسماة بكيفية تطابق الشرح الذي قدمناه فبشارة متى مسماة انجيل المسيح كما كتبه متى والبشارة الثانية مسماة انجيل المسيح كما كتبه مرقس وهكذا وانما حباً بالاختصار اتفقوا على تسميتها بحسب الاسماء الحاضرة وبعد البشائر الاربع سفر الاعمال (اي اعمال الرسل) وخلاصته ان الرسل كرزوا بالانجيل في اقاليم كثيرة من المعمور بين اليهود والامم وبدأوا بالكرازة بعد صعود المسيح بايام قليلة لا تتجاوز عدد الاصابع . والكارزا الاول بالانجيل هو نفس المسيح (انظر بشارة مرقس ص ١٥:

و١٠:١٣ وبشارة لوقا ٢٠:١) وبهذا الاعتبار يكون الانجيل نزل على المسيح وقد شهد عن نفسه بأنه تلقى رسالته اي الانجيل عن الله وعلى ذلك قوله «وانا اعلم ان وصيته هي حياة ابدية فما اتكلم انا به فكما قال لي الآب هكذا اتكلم» (بشارة يوحنا ١٢: ٥٠ وقابل يوحنا ٨: ٢٨ و١٢: ٤٩)

واما بقية اسفار العهد الجديد فلم تقبل ضمن دائرة الوحي الا بعد الاستفسار والتحري الدقيق والاسانيد الكافية خشية ان ينطوي معها سهواً مصنفات اخرى وهذه المهمة استنفدت زمناً طويلاً مراعاة للظروف الصعبة التي احاطت بتلك الاسفار مثل ان البعض منها كان رسائل خصوصية لافراد معينين كرسالة بولس الرسول الاولى والثانية الى تيموثاوس والى تيطس وفليمون ورسالة يوحنا الثانية والثالثة. والبعض الآخر بعث اولاً كرسائل الى كنائس معينة الا اننا علمنا من مؤلفات المسيحيين الاولين ان البشائر الاربع عرفت وصار اعتمادها انها وحي من الله ما بين سنة ٧٠ الى سنة ١٣٠ م وقد تم من بعض الوجوه احصاء اسفار العهد الجديد في سنة ١٧٠ م وسمي هذا الاحصاء بالقانون الموراتوري وقد اشتمل على كل اسفار العهد الجديد المتداولة اليوم ما عدا رسالة يعقوب الرسول والرسالة الثانية

لبطرس الرسول والرسالة الى العبرانيين وبعد التحري ابطالوا هذا القانون وعملوا احصاء جديداً تحرروا فيه الضبط باكثر تدقيق يتضمن هذه الرسائل ايضاً مع الاشارة بان الرسالة الثانية لبطرس كانت مشكوكاً في وجودها ضمن الاحصاءات الاولى

ومن الجدير بالملاحظة ان كتابة الكتب والحصول عليها في تلك القرون الغابرة كان محفوفاً بالمصاعب والنفقات الثقيلة وعدا ذلك لو احصيت اسفار العهدين المكتوبة بخط اليد بالحرف اليوناني الكبير المستعمل حينئذ لما بلغت مجلداً كبيراً فقط بل مجلدات كثيرة ومع كل هذه المصاعب كانت توجد اسفار الكتاب المقدس بمجموعة بين ايدي كثيرين من المسيحيين في جهات مختلفة من المعمور . وفي مجمع لاودكية الذي عقد سنة ٣٦٣ م الذي ذكرنا انه احصى اسفار العهد القديم ضمن اثنين وعشرين سفرأ قد احصى ايضاً اسفار العهد الجديد على الحالة التي هي عليها الآن ما عدا سفر الرؤيا لان بعض الكنائس قبلته وبعضها لم تقبله (يومئذ) وفي مجمع كارتاج الذي تألف سنة ٣٩٧ م اقرروا كل الاسفار المتداولة اليوم مشفوعة بهذا البيان « قبلنا من آبائنا بان هذه الاسفار ينبغي ان تقرأ في الكنائس »

وعدا الاحصاءات الجمعية لاسفار العهد الجديد كما مر فقد

احصاها مشاهير الكتاب المسيحيين منذ القرون الاولى للميلاد
متحرين ابحاثهم اخصوصية منهم اوريجانوس الذي مات سنة ٢٥٣
واثناسيوس الذي مات سنة ٣٧٣ وايسيوس وكان معاصراً له وكلهم
اجمعوا في ابحاثهم اخصوصية على قانونية اسفار العهد الجديد كما قررتها
المجامع ويعقب ايسيوس على احصائه بهذه الملاحظة قال ان بعض
المسيحيين لم يقرروا رسالة يعقوب ولا رسالة يهوذا ولا الرسالة
الثانية لبطرس ولا رسالتى يوحنا الثانية والثالثة ولا سفر الرؤيا لكن
بعد التحري الدقيق اقتنعنا بان هذه الاسفار قانونية ويجب قبولها
ضمن اسفار العهد الجديد بعد التأكد القوي انها وحي الله

وعلى ما تقدم لم تمض الأربعة القرون الاولى للميلاد حتى تقرر
نهائياً اعتماد اسفار العهد الجديد على حالته الراهنة في فلسطين وسورية
وقبرس وآسيا الصغرى وايطاليا وشمال افريقيا ومن هنا لا ينبغي
لذي عقل سليم ان يرتاب بان الكتاب المقدس المتداول اليوم كان
موجوداً بتمامه وعلى شكله الحاضر في عصر محمد بين المسيحيين
المستوطنين في جزيرة العرب وسوريا ومصر والحبشة وغيرها من
الاقاليم التي تعارف محمد بشعوبها

ولقائل يقول ربما انقرض الكتاب المقدس بعد عصر محمد

وصنف المسيحيون كتاباً آخر دعوه باسم الكتاب الاول الخ. فنحجب
ان هذه الدعوى بمثابة من يدعي ان القرآن بعدما ملأت نسخه الدنيا
قد انقرض وصنف المسمون كتاباً آخر وسموه باسمه فهذه الدعوى
لا يدعيها الا كل غر جاهل. ومع ذلك نجيب عليها. انه من البراهين
القاطعة على وجود وحدة الكتاب المقدس قبل محمد وبعده النسخ
القديمة المخطوطة باليد في اللغة اليونانية وهي اللغة الاصالية لاكثر
اسفار العهد الجديد واللغة التي ترجمت اليها هي اقدم ترجمة للعهد
القديم اي الترجمة السبعينية

واقدم متن عبراني موجود اليوم هي النسخة التي وجدت في
مصر منذ بضع سنين وتشتمل على الوصايا العشر والقانون العبراني
الوارد في (سفر الخروج اصحاح ٢٠: ٢-١٧ وسفر التثنية اصحاح ٦:
٤-٩) وقد كتبت ما بين سنة ٢٢٠ و ٢٥٠ للميلاد اي قبل الهجرة
بقرون واكبر نسخة للعهد القديم واقدمها عندنا اليوم هي النسخة
الشرقية نمرة ٤٤٥؛ محفوظة في المتحف البريطاني وكتبت ما بين سنة
٨٢٠ و ٨٥٠ ويليهما في الاقدمية نسخة سان بطرسبرج وهي مؤرخة سنة
٩١٦م وهاتان النسختان منقولتان عن نسخ اقدم منهما بكثير وذكر
الناسخ اسم اثنتين منها وهما نسخة (حليل) ونسخة (موخا) روى زكوت

المؤرخ اليهودي ان نسخة حليل كتبت سنة ٥٩٧م وانه رأى جزئين منها يشتملان على هذه الاسفار . يشوع . قضاة . صموئيل الاول . والثاني . ملوك الاول . والثاني . اشعيا . ارمياء . حزقيال . هوشع . يوشع . عاموس . عوبديا . يونا . ميخا . ناحوم . حبقوق . صفنيا . حجي . زكريا . ملاخي . واما نسخة موخا فليست اقل اقدمية من النسخة الاخرى ولا بد على الاقل ان احدى هاتين النسختين كانت موجودة في عصر محمد . ومن تعاليق اليهود عليهما نعلم انهما كانتا موافقتين لنسخة العهد القديم التي بين ايدينا والحاصل انه عندنا نسخ كثيرة منقولة عن نسخ عبرانية اقدم منها

وان قيل ماذا جرى للنسخ العبرانية القديمة نجيب بما نجيب به اليهود وهو انه عندما كانت تبلى النسخة من كثرة الاستعمال تحفظ في الخزانة حتى اذا مات رباني مشهور دفنوها معه . وبعض الاحيان يخشون عليها ان تهمل مع طول الزمان وتداس باقدام أو يلحقها عارض يدنس ورقها وهذا حرام عندهم فيجهزون عليها بالحريق

واما نسخ العهد القديم في الترجمة اليونانية الشهيرة بالترجمة السبعينية الذي يدل وجودها على وجود الاصل العبراني من قبلها

فَعِنْدَنَا مِنْهَا كَثِيرٌ وَقَدْ كَتَبْتُ كُلَّهَا قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِسَنِينَ عَدِيدَةٍ وَهَآكِ
أَشْهُرَهَا :

(١) النسخة السينائية كتبت في القرن الرابع أو في بداية القرن

الخامس

(٢) النسخة الفاتيكانية كتبت في القرن الرابع وربما في بدايته

(٣) النسخة الاسكندرانية كتبت فيما بين نصف القرن

الخامس ونهايته

(٤) النسخة القوطية كتبت في القرن الخامس أو السادس

(٥) النسخة الامبروسانية كتبت في نصف القرن الخامس

وكل هذه النسخ وجدت من قبل عصر محمد وفي عصره واذا
اراد الباحث ان يتحرى هل اذا كانت هذه النسخ تضاهي النسخ
المتداولة فما عليه الا ان يزور مكاتب اوربا الشهيرة ويقابل هذه بتلك
وان نسخة العهد القديم اليونانية المستعملة اليوم طبعت عن هذه
النسخ القديمة المذكورة وبمراجعتها مع الاصل العبراني لم يوجد فرق
ولا في تعليم واحد الا اختلاف في القراءات بسيط جداً مثل ان
المترجمين اخطأوا في ترجمة كلمة صعبة على الفهم وبمراجعة النسخ
الحاضرة على الترجمة السبعينية لا يوجد فرق الا في اعمار بعض الاءاء

الاولين المذكورين في اصحاحي ٥ و ١٠ من سفر التكوين ولكن الاختلافات في القراءة لا تمس جوهر الكتاب في ادنى شيء

واما نسخ العهد الجديد اليونانية المتداولة فتعززها النسخ اليونانية الاصلية وقد كتبت على رقوق لا على ورق ولا مل لا اعتراض رحمة الله من هذه الحيشية اذ يقال « ان بقاء القرطاس والحروف الى الف واربعماية سنة او ازيد مستبعد عادة » الا انه وجد في مصر كتابات على ورق البردي يرجع تاريخها الى الف وثمانماية سنة كما هو معلوم عند رجال الآثار

ولنرجع الى ما نحن فيه فنقول ان كثيراً من النسخ المتضمنة للترجمة اليونانية لاسفار العهد القديم متضمنة ايضاً اسفار العهد الجديد بالاصل اليوناني (اولاً) النسخة السينائية المذكورة سابقاً وتوجد في المتحف الامبراطوري بمدينة سان بطرسبرج (ثانياً) النسخة الفاتيكانية المحفوظة في مكتبة بابا رومية (الفاتيكان) (ثالثاً) النسخة الاسكندرانية وهي في متحف لندن وقد ذكرنا تواريخها فراجعها في مواضعها (رابعاً) انه في سنة ١٩٠٧ اكتشفوا في دير قديم بقرب سوهاج احدى مدائن صعيد مصر على اربعة اجزاء من النسخ القديمة التي يرجع تاريخها الى القرن الرابع من باب الاحتمال او القرن السادس

بالتأكيد يشتمل واحد منها على سفر التثنية ويشوع وآخر على سفر
المزامير ويشتمل الثالث على البشائر الاربع والاخير على قطع من
رسائل بولس الرسول (خامساً) النسخة البيزائية وكانت محفوظة في
جامعة كمبردج من اعمال انكلترا وكتبت في بداية القرن السادس
(سادساً) النسخة الافرايمية وقد كتبت في اوائل القرن الخامس وهي
اليوم في المتحف الاهلي الفرنسي بباريس

وعدا هذه النسخ الكبيرة توجد نسخ صغيرة تشتمل على اجزاء
متفرقة من اسفار العهد الجديد بالاصل اليوناني ومن اقدمها عهداً نسخة
مخطوطة على شقة واحدة من البردي اكتشفت حديثاً في اطلال
البهنسا وهي تشتمل على الاصحاح الاول والاصحاح العشرين من
انجيل يوحنا وكتبت ما بين سنة ٢٠٠ و ٣٠٠ ميلادية او بعبارة اخرى
قبل محمد باكثر من ٢٧٠ سنة وهذا الاكتشاف الحديث بالقطر
المصري له اعتبار ممتاز من حيث وجهتنا الخصوصية التي نرمي اليها
في هذا الموقف بمعنى ان هاتين النسختين اللتين اكتشفتا بسوهاج
والبهنسا قد دفنتا في صحاري مصر التي صارت فيما بعد بلاداً اسلامية
قبل الهجرة بمئات من السنين وبقيتا تحت التراب الى هذه الايام حتى
عثروا عليهما. لا يقدر احد يدعي مهما بلغت درجة تعصبه انهما

مزورتان بعد نزول القرآن او محرفتان في ايام محمد او بعده
 ويبلغ عدد النسخ القديمة للعهد الجديد بالاصل اليوناني ما بين
 جامعة لها كلها وجزء منها ٣٨٩٩ نسخة فخصت كلها فحسباً دقيقاً
 ونمروها لتسهيل معرفة مواضعها على طلبة علم اللاهوت وتوجد
 نسخ اخرى غير منمرة لا تقل عن النسخة

وبما اننا تكلمنا على نسخ العهد الجديد بالاصل اليوناني يحسن
 بنا ان نتكلم ايضاً عن نسخه الترجمة لاسيما وان بعضها مترجم من
 قبل الهجرة بزمان طويل منها ما هو منقول عن «باشيطا» السريانية ويبلغ
 على الاقل عشر نسخ مؤرخة في القرن الخامس ونقل عنها ثلاثون
 نسخة مؤرخة في القرن السادس. وفي كلامنا عن العهد القديم اشرنا
 الى ترجمات باللغات القديمة التي ليس على وجه الارض من يحسن
 التكلم بها كلفته الاصلية وكذلك ترجمات العهد الجديد والكل
 محفوظ في متاحف الآثار ويرجع تاريخها الى ما قبل عصر محمد بمئات
 من السنين الا ترجمة واحدة كتبت في عصره ولكن قبل هجرته
 وسيأتي ذكرها

ولتفصيل ذلك نقول انه يوجد اليوم نسخ كثيرة من الترجمات
 القديمة للعهد الجديد الى اللغة السريانية اشهرها (باشيطا) ترجمت ما بين

القرن الثاني والثالث للميلاد. ونسخة فيلكس السريانية تمت سنة ٥٠٨ م ونقحها توما الهرقلي سنة ٦١٦ ووجد عدا هذه ترجمات اخرى سريانية بقي منها نسختان اصليتان وهما نسخة الكارتونية والسينائية السريانية ومما يدل على وجود هذه الترجمات السريانية للعهد الجديد قديماً هو ان طاطيان المولود سنة ١١٠ م صنف اتفاق البشيرين الاربعة وعندنا ترجمته باللغة الارمنية واللاتينية مع اختلاف طفيف وعن السريانية ترجم ابن الطيب المتوفي سنة ١٠٤٣ نسخة عربية تسمى «دياتيسرون» (ومعنى ذلك اتفاق البشيرين) ومما يلذ في هذا المقام انهم اكتشفوا حديثاً قطعاً من ترجمة العهد الجديد من اليوناني الى سريانية فلسطين التي كانت في عهد المسيح وكتبت هذه الترجمة في القرن الرابع ان لم يكن قبله ثم نسخة سنة ٦٠٠ م وتسمى نسخة كليماكوس وتشتمل على اجزاء من البشائر الاربع وسفر اعمال الرسل ورسائل بولس الرسول

وترجم العهد الجديد الى اللاتينية قديماً كما يقرر ذلك اغسطينوس وجيروم قال الاخير وجدت ترجمات في بعض الاحيان لم تبلغ حدها في الصحة وذلك من جهل المترجمين واضبطها كلها الترجمة اللاتينية القديمة ويرجع تاريخها الى القرن الثاني للميلاد ومع ذلك رأى وجوب

ايجاد ترجمة تكون اكثر ضبطاً من تلك لسد حاجة الشعب فترجم
العهد الجديد الى اللاتينية ما بين سنة ٣٨٣ و ٣٨٥ م وتسمى الترجمة
العامة وتوجد على الاقل ثمانية آلاف نسخة مخطوطة عن الترجمة
العامة المذكورة بعضها مؤرخ في القرن الرابع وبعضها في الخامس
الى السادس وهذا كله تم قبل زمان محمد فتأمل

وقد ذكرنا في ماضى ان العهد القديم ترجم الى اللغة القبطية في
اصطلاحاتها الثلاثة وهنا نقول ان العهد الجديد ترجم كذلك فالترجمة
البحيرية تمت ما بين القرن الثالث والرابع والترجمة الصعيدية تمت في
ذلك التاريخ واما الاصطلاح البشمووري فكان انقسم الى ثلاثة
اصطلاحات الفيومية والاخميمية والاقليم الوسطى والى كل واحدة
من هذه ترجم بعض اسفار العهد الجديد او كلها واقدمها جميعاً الترجمة
القبطية الصعيدية ونسخها الاصلية ترجع الى القرن الرابع والخامس
والترجمة القوطية ترجمت نحو سنة ٣٦٠ م واقدم نسخة اصلية
لها كتبت اما في القرن الخامس أو السادس

وهنا نتخذ وسائل اخرى لاقامة حجتنا عدا النسخ الاصلية
والترجمات القديمة لاسفار العهد القديم والجديد التي فصلناها فنقول
ان من الادلة المرعية على ان كتابنا المقدس في العصر الحاضر هو عين

الكتاب الذي كان قبل محمد الاقتباسات التي نقلت عنه في مؤلفات
المسيحيين القدماء في لغات مختلفة يوناني ولايني وسرياني وقبطي في
هذه المؤلفات وردت آيات كتابية كثيرة جداً بحيث لو ضاع الكتاب
من العالم يجمع ثانية من هذه الاقتباسات واعتبر هذا الدليل قياساً على
القرآن ألم تر في مؤلفات المسامين آيات كثيرة منه ولسنا مبالغين ان
قلنا ان ضاع القرآن اليوم يعاد من الاقتباسات الواردة في التفاسير
والمؤلفات الاسلامية وصدور الحفظه الكثيرين ومثل هذا ان لم
نقل اكثر منه يوجد في مؤلفات المسيحيين واغرب من ذلك ان في
مؤلفات الوثنيين القدماء اقوال ليست بقليلة مقتبسة من الكتاب
المقدس مثل مؤلفي سلسوس فورفيري وجوليان الكافر وعدا
الاقتباسات الصريحة الواردة في مؤلفات المسيحيين القدماء يؤخذ
من مضامينها ما يطابق تمام المطابقة حقائق الكتاب المعروف الآن
مثل اعمال المسيح وموته وقيامته وصعوده الى السماء ومثل الفداء
الى غير ذلك مما هو مشروح في محله

وعندنا ادلة اخرى عدا هذه وتلك تثبت ما نحن بصددده يمكننا
تسميتها بالادلة الاثرية في مدينة رومية اكتشفت قبور كثيرين من
مسيحيي القرون الاولى للمسيح في سرايب تحت الارض منقوش

عليها كتابات وصور يؤخذ منها ان هؤلاء المسيحيين يؤمنون بالعقائد التي يعلمنا اياها الانجيل الآن. واظن في هذا القدر كفاية لاقتناع كل معاند ومكابّر بان اسفار العهد الجديد والقديم محفوظة بتمامها ونقاوتها من قبل عصر محمد الذي منها يقتبس ولها يشهد واياها يحترم. وان هذه الاسفار مُحَصَّاةٌ في جداول بين ايدي اليهود والمسيحيين تبين انها اسفار موحى بها من الله وكلها نص واحد قديمها وجديدها يمتونها الاصلية وترجماتها لا يوجد بينها الا اختلافات قراآت كما اشرنا الى ذلك في موضعه

من اجل ذلك عند ما يأمر القرآن محمداً ان يسأل اهل الكتاب عما جاء فيه من التعاليم يجب على المسلمين ان يفهموا ويتأكدوا انه يقصد الكتاب الذي بين ايدينا الآن لانه هو الاسفار المقدسة الموجودة بين ايدي اليهود والمسيحيين في كل العالم لا غير وقد رأينا في الفصل الاول ان القرآن يذكر في مواضع كثيرة الاقسام الرئيسية لهذا الكتاب وهي التوراة والزبور والانبياء والانجيل ويرفعها الى اعلى مراتب الكرامة فيسميها تارة «كلام الله» «وكتاب الله» وتارة «الفرقان» «والذكر» ويهدد باشد انواع العذاب الذين كذبوا بها (انظر سورة المؤمن آية ٧٠) ويقول القرآن انه نزل ليكون مهيماً عليه

(انظر سورة المائدة آية ٥١) ويأمر المسلمين ان يؤمنوا بها كمايمانهم
بنفس القرآن (انظر سورة البقرة آية ١٣٦ وسورة آل عمران آية ٨٤)
وبما انه قد ثبت لكم معاصر المسلمين بالادلة القاطعة ان كتابنا
المقدس هو كتاب الله يجب عليكم حتماً ان تطالعوه بتورع ودعاء عسى
ان يفتح الله الرحمن الرحيم اذهانكم لفهمه حتى تروه كما وصفه القرآن
«هدى وذكرى لاولي الاباب»

الفصل الرابع

في ان اسفار العهد القديم والجديد لم يعترها تحريف لا قبل محمد ولا بعده
رأينا في الفصل المتقدم ان الكتاب المقدس معدود في القرآن
«كلام الله» ورأينا في أكثر من موضع من القرآن ايضاً ان كلام الله غير
قابل التبديل والتغيير فاذا كانت هاتان المقدمتان صحيحتين كانت
النتيجة ضرورة هي عدم تحريف الكتاب المقدس لا قبل محمد ولا بعده
الا ان هاتين المقدمتين تؤديان بنا الى تصفح القرآن لرى ماذا
يقول في هذا الصدد وكيف يفسر اقواله المفسرون المعتبرون مع العلم
بانهم لم يتفقوا على رأي واحد في هذه المسألة وانما لا يؤيدون الرأي
العام الذي وُضع عند جهال المسلمين

ورد في سورة (الكهف آية ٢٧) «واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته» لا شك ان كلمة كتاب تشير الى القرآن ولكن قوله (لكلماته) تشمل الكتاب المقدس لانه كلام الله وبناء عليه لا يكون مبدل لكلمات الكتاب المقدس وهالك تفسير البيضاوي قال

«لا مبدل لكلماته» (لا احديقدر على تبديهاها او تغييرها غيره) اه وورد في سورة (يونس آية ٦٤) قوله «لا تبديل لكلمات الله» قال البيضاوي (اي لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده) وورد في سورة (الانعام آية ٣٤) العبارة عينها (لا مبدل لكلمات الله) وجاءت مرة اخرى في (آية ١١٥) نعم قد ذكر البيضاوي على الآية الاخيرة ان الكتاب المقدس محرف ولكن لم يقصد التحريف الذي يقوله عامة المسلمين كما سترى في ما بعد

لما فحص علماء المسامين في الهند هذه المسألة اقتنعوا في الوقت الحاضر بان اسفار العهدين ليست بمبدلة ولا بتغيرة ولا محرفة حسب فهم العامة ولعلمهم بنو آراءهم على تفسير الامام نخر الدين الرازي لانه في تفسيره سورة (آل عمران آية ٧٨) يجيب معترضاً يسأل «كيف يمكن ادخال التحريف في التوراة مع شهرتها العظيمة بين الناس» فيجب ان

تأمل في الجواب جيداً حيث يقول أولاً على سبيل التخمين «لعله صدر هذا العمل عن نفر قليل يجوز عليهم التواطؤ على التحريف ثم انهم عرضوا ذلك المحرف على بعض العوام وعلى هذا التقدير يكون التحريف ممكناً» فنجيب أولاً ان هذا ليس رأي المفسر بل يفرضه فرضنا واما رأيه فهو هكذا «ان الآيات الدالة على نبوة محمد كان يحتاج فيها الى تدقيق النظر وتأمل القلب والقوم كانوا يوردون عليها الاسئلة المشوشة والاعتراضات المظلمة فكانت تصير تلك الدلائل مشتبهة على السامعين واليهود كانوا يقولون مراد الله من هذه الآيات ما ذكرناه لا ما ذكرتم فكان هذا هو المراد بالتحريف وبلي الالسنه (رازي المجلد ٢) وانظر تفسيره على سورة (النساء آية ٤٥ مجلد ٣) حيث يعيد هذين الرأيين ويضيف عليهما رأياً آخر خلاصته ان قوماً من اليهود اعتادوا ان يدخلوا على الرسول يسألونه المسألة فيجيبهم عليها ومتى خرجوا من عنده يحرفون كلامه. وبناء على هذا الرأي لا يكون اليهود حرفوا كتابهم بل حرفوا جواب محمد على سؤالهم. وعلى كل حال غني الرازي بالتحريف الواقع من اليهود تحريف الشروح بالآيات الكتابية لا الآيات نفسها وهو التحريف المعنوي لا اللفظي

وحكى الرازي في تفسيره على سورة المائدة آية ١٦ قصة ما لهما

ان اليهود فيما هم يقرأون التوراة (تث ٢٣: ٢٢ و ٢٤) لووا السنهم
وبدلوا معنى الرجم بالجلد ولم يمسوا لفظ الآية المكتوبة باقل تحريف.
وحكى البيضاوي في تفسيره سورة المائدة آية ٤٥ هذه القصة عينها
للدلالة على ان معنى التحريف المشار اليه في الآية التحريف المعنوي
وهو المقصود بلي الالسنه وفسر قوله «يحرفون الكلم من بعد
مواضعه» اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها اما لفظاً باهماله
وتغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورد هـ
فان اردت ان تعرف اي الرأيين هو الرأي الصحيح فما عليك
الا ان تراجع سفر التثنية (٢٣: ٢٢ و ٢٤) في الاصل العبري او في اية
ترجمة حديثة او قديمة فتجد آية الرجم التي نسبوا اليها التحريف باقية
على اصلها كما بينها القرآن والحديث في عصر محمد وبذلك نعلم ان
اليهود لم يحذفوا شيئاً من الآية ولا امالوها عن موضعها. بقي الرأي
الاخر وهو التحريف المعنوي الذي توصلوا اليه بتغيير المعنى ومن
العجب ان آية الرجم التي قالوا ان اليهود حرفوها كانت في القرآن
كما نعلم من الحديث ثم لا نرى لها الآن اثرًا

جاء في مشكاة المصابيح ان عمر قال «ان الله بعث محمداً بالحق
وانزل عليه الكتاب فكان مما انزل الله تعالى آية الرجم رجم رسول

الله صلعم ورجنا بعده والرجم في كتاب الله حق على من زنى اذا
 احصن من الرجال والنساء اذا قامت البيئة او كان الحبل او الاعتراف «
 متفق عليه اه من الفصل الاول من كتاب الحدود ولكن لما جمع
 زيد بن ثابت القرآن حذفت هذه الآية لثلاثا يقال عن عمر انه زاد
 على القرآن فان صدق عمر في ما رواه يكون تحريف الكلم عن
 مواضعه المنوه عنه في القرآن سورة (المائدة آية ٤٥) واقعاً في القرآن
 لا في التوراة ويكون المحرفون هم المسلمون لا اليهود فتأمل !!
 اتهم القرآن اليهود بكتمان الحق وهم يعلمون به وبلي السنتهم في
 الاجابة عن تعليم توراتهم في هذا الموضوع واتهمهم بنقض كتاب الله
 وراء ظهورهم وبالتحريف وجاءت التهمة الاخيرة في اربعة مواضع
 منه سورة (البقرة آية ٧٥ وسورة النساء آية ٤٥ وسورة المائدة آية
 ١٤ و٤٤) ولنا ان نلاحظ ان هذه الدعاوي مهما يكن من امرها فانها
 موجهة الى اليهود فقط لا الى المسيحيين وعليه تكون اسفار العهد
 الجديد سالمة من مظنة هذه التهم سواء قبل محمد او بعده. بقي علينا ان
 نتساءل في تفسير ما عناه القرآن بأنهم اليهود بهذه التهم قد مر عليك
 تفسير الرازي والبيضاوي لثلاثة من الاربعة مواضع المذكورة سابقاً
 ونتكلم الآن على الرابع وهو سورة (البقرة آية ٧٠) اتفق المفسران

اي البيضاوي والرازي ان المراد بالتحريف المذكور هنا تشويه
التفسير وكتمان الحق راجع سورة (الانعام آية ٩١) حيث عزى الى
اليهود انهم جعلوا الكتاب قراطيس ابدوا منه ما ابدوا واخفوا ما
اخفوا وان يكن هذا العمل ممقوتاً الا انه بمنزل عن تبديل آيات
الكتاب لان اخفاء القراطيس يختلف عن تبديل ما ورد فيه فتأمل
ثم ان سألنا متى حرف اليهود توراتهم اجاب البيضاوي حرفه
اسلاف اليهود المعاصرين لمحمد واجاب الرازي حرفه معاصرو محمد
بالذات على ان دينك الامامين اجابا بالجوابين المتقدمين ردّاً على من
تصور ان التحريف لفظي ووقع كتابة وهما يتبرآن من هذه الدعوى
ولهذه المناسبة قال الرازي في (مجلد ٣) في كيفية التحريف وجوه
(احدها) انهم كانوا يبدلون اللفظ باللفظ آخر مثل تحريفهم اسم ربة
عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طويل مكانه ونحو تحريفهم الرجم
بوضعهم الحد بدله ونظيره قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب
بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله فان قيل كيف يمكن هذا في
الكتاب الذي بلغت آحاد حروفه وكلماته مبالغ التواتر المشهور في
الشرق والغرب قلنا لعله يقال القوم كانوا قليامين والاماء بالكتاب كانوا
في غاية القلة فقدروا على هذا التحريف ثم ان الرازي دحض هذا

الجواب بقوله (والثاني) ان المراد بالتحريف القاء الشبه الباطلة والتأويلات الفاسدة وصرف اللفظ عن معناه الحق الى معنى باطل بوجوه الحيل اللفظية كما يفعله اهل البدعة في زماننا هذا بالآيات المخالفة لمذاهبهم وهذا هو الاصح (الثالث) انهم كانوا يدخلون على النبي صلعم ويسألونه عن امر فيخبرهم ليأخذوا به فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه . انتهى

هذا رأيه الذي يقول به ونتيجته انه قد برأ اليهود من تهمة تبديل آيات التوراة وعليه لما قال ان القرآن يؤكّد وقوع التحريف بالتوراة ينبغي ان نفهم مقصوده الحقيقي لا الدعوى الباطلة التي يدعيها جهلاء المتأخرين

ومما تقدم نقول لكل مسلم يقول ان الكتاب المقدس محرف في نصوصه وان الكتاب الصحيح غير موجود اليوم إذا لم يكن صحيحاً في زمن محمد يكون مكذباً ومخالفاً لآيات القرآن الصريحة التي تشهد انه حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لان من أم اغراض القرآن انه جاء ليكون مصداقاً للكتاب المقدس فكيف يصح ان يشهد له انه صحيح وحق وموحى به من الله وهدى للناس ثم يعود فينسب اليه التغيير وضياع الثقة منه وعدم

التعويل عليه لانه ان صح هذا يكون القرآن قد ناقض بعضه بعضاً
 ليس احد يؤمن بالاله الحق يقدر ان ينسب اليه تعالى انه انزل
 القرآن مصدقاً لكتاب مبدل ومغير ومشوش التعاليم في العقائد
 الدينية . وقد فطن لهذه النظرية الامامان اللذان اقتبسنا تفسيرهما
 قريباً وجزماً بانه لم يقع في الكتاب المقدس تغيير قط لا قبل العصر
 المحمدي ولا بعده . بقي للمعترض ان يقول وقع التغيير في الكتاب
 المقدس في ذات عصر محمد والرد على اعتراض كهذا لا يكافئنا مشقة
 ولا عناء لاننا نجيب قائلين ان الاسفار المقدسة التي اشرنا اليها في
 مقدمة كلامنا كتبت قبل عصر محمد بزمان طويل والكتاب المتداول
 اليوم منسوخ عن ذلك الاصل وعليه لا يتصور عقل عاقل اجماع
 اليهود والنصارى على تغيير اسفارهم وقد انتشرت في كل العالم
 وعلى كل حال لنسمع ما قيل بازاء هذه الدعوى فان عامة
 المسامين وبعض علمائهم العديدي الخبرة بالموضوع لا يزالون متصورين
 ان الكتاب المقدس بحالته الحاضرة مغير وان سألهم متى وقع ذلك
 التغيير لا يتفقون على جواب واحد فيقول البعض قبل عصر محمد
 وآخرون بعده ويقول قائل منهم قبله وبعده وحتى يثبتوا مزاعمهم
 عكفوا على كتب الكفرة والملحدين بكل دين يلتقطون منها كل

اعتراض سخيف واقتراء بارد ويحاربون بها الكتاب المقدس استظهاراً
لزعيمهم بالتغيير وجهلوا أو تجاهلوا ان هذه الاعتراضات التي تسالجوا بها
دحضت منذ زمن طويل وكسدت تجارتها بين العلماء الغربيين ونؤمل
ان علماء المسلمين المحققين ان انخدعوا بها اليوم لا ينخدعون بها غداً
حكي ان بعض المسيحيين من اهل القرون الاولى بعد المسيح
اتهموا اليهود بتهمة تغيير النصوص الالهية كما يتهم المسلمون وذلك
لانهم وجدوا فروقا في اعمار البطارقة المذكورين في اصحاح ١٠٥ من
سفر التكوين ما بين النسخة العبرية والترجمة السبعينية فعللوا هذه
الفروق بعلّة التغيير ولكن الذين ادعوا هذه الدعوى جهلاء المسيحيين
لا علماء هم واما الآن وقد مضى نحو الف واربعائة سنة على الموضوع
وقد درس الكتاب جيداً لم يبق بين علماء الغرب من يدعي بان اليهود
غيروا توراتهم لا في الموضوع المشار اليه ولا في سواه ثم ان بعض
كتاب المسلمين اعترضوا على اختلاف القراءات التي يقرأ بها الكتاب
واستدلوا بها على افساد نصوصه الا ان هذه النظرية باطلة لانه توجد
نسخ اصلية كثيرة ما بين عبري ويوناني ولغات اخرى ان قابلتها بعضها
على بعض لا تخلو بطبيعة الحال من اختلاف القراءات كما هي الحال
في جميع الكتب القديمة ويا ترى ما جنس تلك القراءات المختلفة ان

أكثرها يرجع الى اختلاف في الهجاء مثل كلمة صلاة العربية تارة
تكتب بالواو وتارة بالالف ومثل كلمة قيامه تارة تكتب بالالف وتارة
بدونها ويرجع بعضها الى اختلاف في تصريف الافعال كالختلاف
القرآت القرآنية التي اشار اليها المفسرون واثبتوا انواعها في تفاسيرهم
ومن ذلك قراءات هذه الآية ما ننسخ من آية أو ننسها (البقرة ١٠٦)

مَا نُنْسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِيهَا

قراءة حفص

مَا نُنْسخُ الخ

قراءة ابن عامر

نُنْساها

قراءة ابن كثير وابو عمرو

مَا نُنْسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِيهَا

قراءة آخرين

تُنْسِيهَا

قراءة آخرين

تُنْسِيهَا

قراءة آخرين

نُنْسِكِيهَا

قراءة آخرين

مَا نُنْسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسخُهَا

قراءة عبد الله

وفي سورة البقرة ٢٨٥ اشار البيضاوي الى قراءات مختلفة

وَكُتِبَ

قراءة حفص

وَكُتِبَ

قراءة حمزة وصاحب الكشاف

لَا تُفَرِّقُ

قراءة حفص

لَا يُفَرِّقُ

قراءة يعقوب

لَا يُفَرِّقُونَ

قراءة آخرين

ويقبل علماء السنين قراءات أخرى على ما تقدمت الإشارة إليه من ذلك سورة الانعام آية ٩١ وسورة مريم آية ٣٥ وسورة القصص آية ٤٨ وسورة الاحزاب آية ٦ وسورة سبأ آية ١٨ وسورة ص آية ٢٢ فهذه القراءات مهما تكن لا تغير معاني القرآن تغييراً يستحق الذكر ولا تؤثر اقل تأثير في عقائده فان قام كاتب مسيحي واحتج باختلافات القراءات على وقوع التغيير في متن القرآن الا يستجهله المسلمون أو يرمونه بالتعصب الذميمة فمثل هذا الحكم يجب ان يحكم به على الذين يتخذون قراءات كتابنا حجة على تغييرها ان آدابنا لا تسمح لنا ان ندعي بدعاً كهذه على مناظرنا

ثم ان اختلاف القراءات في الكتاب المقدس يوجد اكثر مما في القرآن ولذلك جملة اسباب (١) لان حجمه اربعة اضعاف القرآن (٢) انه اقدم من القرآن بكثير (٣) انه كتب في ثلاث لغات العبرية واليونانية والآرامية وكتب القرآن بلغة واحدة وهي العربية (٤) احصاء القراءات في التراجم القديمة كلها ولو قد ثبت ان كثيراً منها غلطات وقعت من المترجمين ولم ينتج عنها اختلال جوهرى (٥) احصيت القراءات بعناية عظيمة وتدقيق كلي اكثر بكثير من العناية التي بذلت في احصاء القراءات القرآنية (٦) واهم من الكل ان الكتاب

المقدس لم يصلحه ولا راجعه احد قبل النشر كما عمل عثمان ثالث خلفاء
محمد بالقرآن فقام على النسخ القديمة واحرقها ولم يبق على نسخة الا
نسخة حفصة ثم احقها مروان على ما قيل باخواتها فاحرقها ومع كل
ذلك ان عرضنا على ميزان الاعتبار والفحص كل القراآت المختلفة
الواقعة في الكتاب المقدس لا نجد شيئاً منها يمس جوهره

وقد اتفق ان المفسرين المسيحيين لما عسر عليهم فهم كلمة او آية
من الكتاب تصوروا انها وقعت خطأ من الناسخ واعتبروها مصحفة
ولما اطلع مباحثو الاسلام على شيء من ذلك ترجعوا عن غير علم كلمة
مصحف «بمغير» او «محرف» مثل الشيخ رحمة الله الهندي فانه بناء
على ذلك ادعى ان علماء النصارى يسامون بوقوع التغيير في كتابهم مع
ان المسألة بسيطة جداً لان الكلمة التي لم يفهمها المفسرون وظنوا
انها مصحفة كانوا يشيرون اليها لاجل مراجعتها وتصليحها

ومن امثلة ذلك كلمة وردت في دانيال ٣: ٢ و٣ بالآرامية وهي
(تفتاي) ولم توجد قط في كتاب آخر ولم يعرف معناها بالتدقيق ولا
المادة المشتقة منها فظن بعض المفسرين ان هذه الكلمة مصحفة اي
خطأ من الناسخ ولكن منذ سنين قليلة اكتشفوا كتابات آرامية
قديمة في الآثار المصرية وردت فيها الكلمة المذكورة وعرفوا معناها

بالتدقيق واصل اشتقاقها ومن هنا نعلم كيف حفظت الاسفار بالصحة والضبط حتى في مثل هذه الكلمة

وحدثت مثل هذه الكلمة في الكتاب المقدس على المنوال الذي به حدثت نظائرها في القرآن من ضمنها قوله ان هذان (سورة طه آية ٦٦) فكان من المحتمل ان بعض المفسرين يرتابون في صحة هذه العبارة ويقودهم ريبهم الى اتخاذ الوسيلة لتصحيحها كما انهم صححوا بالفعل كلمة «يفرق» بكلمة «يفرقون» جرياً على سياق الكلام (سورة البقرة آية ٢٨٥ قراءة يعقوب) وظنها بعضهم مصحفة عن كلمة نفرق في (قراءة حفص) وأشار الى ذلك البيضاوي

ليس من مقصدنا هنا ايراد القراءات المختلفة التي جاءت في القرآن بل نضرب لكم مثلاً لازالة ما عساه يكون قد علق باذها نكم من الشبهة في ما يقابل هذه القراءات في الكتاب المقدس واما القراءات في كتابنا فتنقسم باعتبار اهميتها الى ثلاثة اقسام (١) القراءات الناتجة عن اهمال الناسخ أو جهله (٢) وتلك التي اقتضاها بعض النقص في الاصول المنسوخة (٣) وتلك التي وضعت لتصحيح عبارة ظنها الكاتب الاخير خطأ من الكاتب الاول وهي ليست بخطأ. ولا يسوغ عقل ان احداً من المسيحيين قصد ان يتلف كتابه الذي يدين

به ويهتدي بنوره نعم ان بعضاً من الهراطقة لاجل ما يثبتون عقيدة لهم
 اتوا بآيات ليس لها وجود الا في نسخهم الخاصة من العهد الجديد كما
 وانهم ادعوا بان الآيات التي تنقض تعليمهم لم تكن موجودة في
 النسخ الاصلية ولو ان هؤلاء الهراطقة بالغوا لهذه الدرجة فانهم لم
 يقصدوا ان يتلفوا كتبهم وغاية ما في الامر انهم انخدعوا ببعض
 الاضاليل غير ان المسيحيين على العموم ميزوا في كل وقت وفي كل
 حال الخطأ المدخل في نسخ الكتاب بمقابلتها على النسخ القديمة

ثم نقول لو فرضنا ان فريقاً من اليهود أو النصارى غلت ما راجل
 الحق والتعصب في قلوبهم ضد الاسلام فتواطأوا معاً واجتمعت كلمتهم
 ان يحذفوا من التوراة والانجيل كل ما يتعلق بمحمد وقد فعلوا فماذا يكون
 رأيك في بقية المسيحيين واليهود المتفرقين في كل انحاء المعمور؟ فانهم
 بدون شك يرفضون اعمال تلك الجمعية الشيطانية ولا يمسون باطراف
 اناملهم كتبهم المزور خوفاً من ان يشتركوا في جريمتهم العظيمة. وما
 لنا ولهذا الفرض في وقائع التاريخ ما يغنينا عنه. لقد حدث قبل محمد
 بزمان طويل ان الهراطقة سعوا كثيراً لكنهم عجزوا اخيراً عن ان
 يحرفوا العهد الجديد على وفق مبادئهم وهذا يدل على عدم امكانية هذا
 المشروع وتصدر رجل آخر من اهل العصور الاولى اسمه ماكرون

ان يحذف الاصحابين الاولين من بشارة لوقا فلم يفلح لا بين الجمهور ولا بين فريق قليل منهم

ثم نقول لو ان ملكاً او صاحب سلطة سياسية قام بعد وفاة موسى بقليل وجمع كل نسخ التوراة او اصحاحات منها واحرقها واستنسخ توراة جديدة من محفوظات بعض اليهود ومن السطور المكتوبة على العظام وشقق الاخشاب ونشرها بامر سلطاني والزم رعاياه في كل مكان بالاعتماد على هذه النسخة الجديدة لما كانت تبلغ قراآتها المختلفة الى المقدار الذي بلغت اليه بدون هذا الفرض الا اننا كنا نقع في ورطة ادهى وامر بكثير من اختلاف القراءات. وما هي يا ترى؟ هي ضياع الثقة من التوراة بالمرة لانه لا يبقى من ثمت دليل على ان النسخة الجديدة طبق الاصل وتكثر الظنون في البواعث التي حركت ذلك الملك ان يفعل تلك الفعلة المنكرة

وكذلك تكون النتيجة لو وقع مثل هذا الفرض لاسفار العهد الجديد في ختام القرن الاول للمسيح لانه كان يتعذر علينا اليوم الا تيان بدليل شاف ان النسخة الجديدة موافقة للاسفار التي احقرت وتلاشت من الوجود وتبقى الازهان مرتبكة ومرتابه في صحتها الى يوم يبعثون ولكن لله الحمد فان مثل هذا لم يقع في كتابنا لا في اسفار العهد

القديم ولا في اسفار العهد الجديد والحمد لله الذي لم يسمح ان يكون
 بيننا عثمان ولا بين اليهود الحجاج
 في القرن الاول

قد حدث ان بعض امبراطرة الرومانيين الوثنيين شرعوا ان
 يحرقوا نسخ الكتاب المقدس على امل ان يلاشوه من الوجود
 لا ليستنسخوا كتاباً جديداً على هواهم فدافع المسيحيون عن كتابهم
 وفدوه بدمائهم وكثيراً ما شرع مضطهدوهم بمثل هذا المشروع
 ورجعوا بصفقة المغبون

ولوفرضنا ان كل كتبنا احترقت عن آخرها بحيث لم يبق كتاب
 واحد لكان المحروق هو الورق فقط ولكانت كلمة الله هي الباقية. جاء
 في هذا المعنى «حقاً الشعب عشب ياس العشب ذبل الزهر واما كلمة
 الهنا فتثبت الى الابد» (اش ٤٠: ٨) وكيف تبقى كلمة الله ان احترقت
 الكتب تبقى بوسائل كثيرة منها ان كثيرين من المسيحيين في كل
 عصر شغفوا بالكتاب المقدس حتى استظهروا ام اجزائه سيما المزامير
 واسفار العهد الجديد وعليه لا يمكن ان تصور ملاحظة الكتاب
 من الارض والمسيحيون على ظهرها

لما حدث الاضطهاد العظيم في فرنسا في القرن السادس عشر
 اقبل قسوس كنائس الاصلاح الى الكتاب المقدس يحفظونه غيباً حتى

إذا سلب من بين أيديهم يكون مدخراً في صدورهم ليستقوا من
 ينبوع الحياة رأساً ويرووا الآخرين وقد أصبح معلوماً لدى جميع
 الذين لهم قسط من الفطنة مابذلته اليهود والنصارى من منتهى الجهد
 والحذر في الاحتفاظ على أسفارهم الالهية نظير ارواحهم واصبحت
 الدعوى عليهم بأنهم بدلوا وغيروا أسفارهم قبل او بعد الهجرة دعوى
 باطلة لا تصدر الا من جاهل او متعصب رجح هواه على عقله

ولزيادة الشرح واجلاء الحقيقة حتى تكون كالشمس في رابعة
 النهار نقول ياترى ما الفائدة التي كانت ترجوها اليهود والنصارى من
 وراء هذه الفعلة المحرمة وكل^١ يعلم بحكم العقل والنقل عظم جريمة
 تحريف الكتب الالهية وقد ورد في ختام العهد الجديد ذكر دينونة
 هائلة تحيق بمن يحذف او يزيد شيئاً على ما هو مكتوب في الكتاب.
 وورد مثل ذلك في العهد القديم (توراة سفر التثنية ٢٠٤ وانجيل سفر
 الرؤيا ٢٢: ١٨ و ١٩) وفضلاً عن كونهم لا يستفيدون شيئاً بل يخسرون
 رجاءهم فانهم يعلمون انهم بتحريفهم كتبهم لا يضرون انفسهم فقط
 بل يضرون اولادهم واحفادهم وهلم جرا

وعدا ذلك نقول ان محمداً لم يلبث زمناً طويلاً حتى بات ذا
 سلطان عريض وجنود وبيت مال وكان الاقرب الى العقل ان

النصارى واليهود الذين في بلاد العرب على الاقل لو كان في كتابهم
 اخبار عنه او خبر لكانوا اسرعوا به اليه والنسخة في ايديهم تزلزلاً اليه
 ان لم يكن حياً في الدين خبياً في الدنيا ولكان محمد واتباعه يحرضون
 الحرس كله على كل تلك النسخ العزيرة التي شهدت له وشهد لها
 عوضاً عن ان يحذفوا من كتابهم تلك الاخبار ويعرضون انفسهم بغير
 داع لحرب عوان لا قبل لهم بها ويدفعون الجزية عن يد وهم صاغرون
 (سورة التوبة ٩ آية ٣٠) وينحدرون من مقام الحرية والمساواة الى
 مقام الذي الوضيع ويبيتون هدفاً من آونة الى اخرى للمذابح
 والفظائع كالتي جرت حتى في القرن العشرين في اطنة وما جاورها
وكم من المشاهد المؤلمة تمثلت على مسارح الاسلام جيلاً بعد

جيل بتحريض سورة التوبة على السنة حكام السوء وجمهور العوام

لو كان اليهود والنصارى آمنوا بمحمد ورحبوا برسالته على العين
 والرأس لما نجوا فقط من هذه الرزايا المدلومة بل كانوا شاركوا
 المسامير في حظوظهم وامتيازاتهم الدنياوية لكن ابت نفوسهم ان ترد
 هذا المنهل واعتصموا بايمان آبائهم ولم يعيروا جانباً من الالتفات خطبة
الجمعة المذيلة بدعاء التهديد والارهاب ينادى بها على المنابر في سائر
اطراف مملكة آل عثمان كقول الخطيب على منبره اللهم مل نساءهم

ويتم اطفالهم وخرب كنائسهم وكسر صلبانهم واجعلهم واموالهم غنيمة
 للمسلمين الخ. أليس من البين والجلي انه اذا وجد يهودي او مسيحي
 كائن من كان جزءاً في كتابه يأمره بانتظار نبي من جزيرة العرب
 اسمه احمد لكان بكل سرور اندمج في سلك الصحابة والتابعين ويفوز
 بسعادة الدارين ولست بمبالغ ان قلت ان الترغيبات التي اقترنت
 بالاسلام من نعيم الدنيا ومجدها لجدير بها لولا عناية الله وخافته ان
 تغري اهل الكتاب لا ان يحذفوا منه خبر محمد بل يخلقوه فيه
 ويحشروه في كل فصل من فصوله فعدم ادخال اليهود والمسيحيين
 خبر محمد في اسفارهم وقد بلغ محمد وخلفاؤه ما بلغوا من السلطان
 والملك لا عظم دليل عند من وهبهم الله العدل والانصاف على امانة
 اهل الكتاب في حفظهم كتابهم على اصله بدون زيادة ولا نقصان
 ولو فرضنا ان طائفة من طوائف النصارى او اليهود اضمرت
 السوء لمحمد حسداً وحقدًا وحذفت خبره من الكتاب لا لدفع غُرْم
 ولا لجلب غَنَم بل على سبيل المكيدة لظهرت مكيدتهم للطوائف
 الاخرى وبادروا الى اصلاح التحريف وردوا الكتاب الى اصله.
 وغني عن البيان ما بين النصارى واليهود من العداوة القديمة وما بين
 طوائف النصارى من الاختلاف المذهبي في دقائق الدين مما لا يتصور

معه جمع كلمتهم والتأليف بين آرائهم على تغيير كتابهم ولو فرضنا انه
امكن ذلك بين يهود ونصارى جزيرة العرب فلا يمكن تعميمه في
كل جهات المعمور وكانت تقع تلك الفئة الباغية تحت سخط ورجز
الجمهور في كل مكان

وعدا ذلك فانه نبغ في العالم مؤرخون عظام بين النصارى
واليهود والمسلمين في عصر محمد وقبلاه وبعده وسجلوا في مؤلفاتهم
حوادث الزمان وباطلا عننا على تواريخهم لم نر اثراً في تاريخ احد منهم
يدل على تواطؤ النصارى واليهود على حذف شيء من الاسفار
المقدسة يتعلق بمحمد ولا بغير محمد

وان فرضنا انه وجد بين النصارى او اليهود طائفة انتزعت
مخافة الله من قلوبهم والحياء من الناس وهم جماعة بحيث لم يعودوا
يبالون بعذاب الله ولا بلام الناس وشرعوا يحذفون خبر محمد من
التوراة والانجيل فانهم يحدون ذلك ضرباً من المحال بسبب ان الديانة
المسيحية وكتبها قبل الهجرة كانت قد انتشرت انتشاراً عظيماً حتى
ان سكان آسيا الصغرى وسوريا واليونان ومصر والحبشة وشمال
افريقيا وايطاليا قد اعترفت بالمسيح بل واكثر من ذلك فان كثيرين
في جزيرة العرب وبلاد فارس والارمن والقوقاز والهند وفرنسا

واسبانيا والبرتغال وانكلترا والمانيا قد قبلوا المسيحية ايضاً ولهذه
 البلاد لغات مختلفة ترجم الكتاب الى كثير منها فترجم الى الطليانية
 والارمنية والاشورية والقبطية والكوشية والقوطية والقوقازية
 وعدا هذه كانت التوراة موجودة في الاصل العبرني والعهد الجديد
 موجوداً في الاصل اليوناني وترجمت التوراة كلها الى اليونانية
 وسميت الترجمة السبعينية وترجم كثير منها الى الآرامية وذلك
 قبل ميلاد المسيح

ولا يخفى على احد ان اليهود متفرقون في انحاء العالم وبالاكثر
 في الجهات المشار اليها وهم منقسمون الى طوائف مختلفة وكذلك
 المسيحيون منقسمون الى طوائف كثيرة متضادة فلا تقدر احدى
طوائف اليهود او النصراني ان تقدم على هذا المشروع خشية من
بأس الطوائف الاخرى ان تشهر ما اجترمته بين الوري وتنادي
عليها بالويلات بدون رحمة وعلى ما تقدم مهما يكن المرء احمق او مختل
 العقل فلا يبلغ منه الحق والخلل حداً يتصور له معه امكانية اتفاق
 اليهود والنصارى هؤلاء مع اختلاف طوائفهم واولئك مع اختلاف
 طوائفهم وتوحيد رأيهم على تغيير اسفارهم الالهية وان فرضنا
 المستحيل وقلنا بل اتفقوا كلهم وغيروا كتبهم وجردوا صحائفهم من

السيرة المحمدية فاذا عسانا نقول عن النسخ التي اكتشفت بعد عصر محمد ويرجع تاريخها الى ما قبله فن ياترى غير هذه ايضا وهي تحت الارض مخفية مع الآثار القديمة هل انضمت جماعة الجن الى حزب المتواطئين؟ ثم للمسيحيين مؤلفات دينية تفوت الحصر مشتملة على اقتباسات في مواضيع مختلفة من الكتاب المقدس فهل راجع المتواطئون هذه المؤلفات ايضا ونقحوها من سيرة النبي العربي والاغرب من ذلك كله انه ينما يزعم المسلمون اننا غيرنا كتابنا وحذفنا منه الينيات على رسالة نبينهم يحاول علماءهم الراسخون ان يثبتوا وجود هذه الينيات في كتابنا اليوم فان صدق علماءكم وكان في الكتاب ينات على ذكر محمد فلماذا اذا تهموننا باننا حذفناها؟ أليس من عزم الامور ان تستقروا على رأي واحد؟

ومن امثلة يناتهم التي يوردونها في الكتاب على البشارة بنبينهم ما وعد به المسيح تلاميذه من ارسال الفارقليط كما جاء في بشارة يوحنا ١٦: ٧ لا يسلم المسيحيون ان الفارقليط هو محمد الا ان ابقاء هذه الآية في قلب الانجيل لليوم دليل على انها لم تحذف منه ثم نقول لو كان المسيحيون يريدون ان يحذفوا الآيات الدالة على نبوة محمد من كتابهم لكان الاولى بهم ان يحذفوا هذه الآية لانها هي الآية الوحيدة

كلمة
منه

!!

НАРАКАНТЪ

التي نبه اليها القرآن وعينها بالخصر وقال انها تشير الى نبوة محمد حيث يقول «واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقاً لما بيزيدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد» سورة (الصف آية ٦) وكما ان محمداً ادعى انه الفارقليط الذي وعد المسيح بارساله ادعى من قبله هذه الدعوى عينها ماني الفارسي كما يعلم ذوو الاطلاع وبني دعواه على آية المسيح المشار اليها وتبعه بعض المسيحيين ولما اتضح على توالي الايام انه دجال واضمحلت شيعته لم يحذف المسيحيون هذه الآية التي استعان بها على ضلالتة وهاك هي موجودة في الانجيل الى اليوم

ثم ان اليهود اطلعوا على آيات كثيرة في توراتهم تدل على المسيح دلالة واضحة واحتج بها المسيحيون عليهم احتجاجاً لم يجدوا معه سبيلاً الى النخلص من الالتزام بالحق وعداوتهم للمسيح اشهر من نار على علم وما حملهم ذلك كله على تحريف آية واحدة من الآيات الدالة على المسيح مع كونها تلصق بهم اعظم جريمة وتقضي عليهم قضاء مريعاً فلو كان اليهود حرفوا التوراة في شأن محمد لكان الاولى بهم ان يحرفوها في شأن المسيح ويحذفوا منها هذه البيئات الراهنات (سفر التكوين ٤٩: ١٠ وسفر التثنية ١٨: ١٥ و١٨ وسفر المزامير ٢٢: ١٤-١٨ وسفر اشعيا

دعوى ماني

دعوى محمد

بين اليهود والمسيح

٧:١٤ و ٦:٩ و ٧:١١ و ١٠:١٠ و ١٣:٥٢ الخ و ص ٥٣ كله و سفر دانيال
١٣:٨ و ١٤ و ٢٤:٩ و ٢٧ و سفر ميخا ٢:٥ و سفر زكريا ١٢:١٠ قابل
هذه النصوص الجلية بما ورد في الانجيل (بشارة لوقا ٢٤:٢٥-٢٧)

وفي التوراة آيات تتعلق بمسألة اخرى يود اليهود لو لم تكن من اليهود على
موجودة فيها وهي تلك التي تشهر بفظائعهم وجرائمهم المتناهية في نسخة التوراة
القبيح فلو كانوا حرفوا توراتهم بخصوص محمد فما كان اجدر بهم ان
يحذفوا كل ما يشين سمعتهم ويلصق بهم شر الفعال التي بين الوري
امرهم الله ان يحافظوا على شريعة التوراة (سفر يشوع ١:٧) وان
لا ينقصوا منها ولا يزيديا عليها (سفر التثنية ٢٤:٤ و ٣٢:١٢) فعملا
بالوصية حافظ اليهود على توراتهم وخوفاً من ان تسقط منها كلمة
او حرف احصوا كلمات كل سفر من اسفارها بل احصوها حروفاً
وقيدوا الاحصاءات في كتبهم الدينية ليرجعوا اليها عند اللزوم. وليكن
معلوما ان نسخة التوراة المتداولة بين اليهود هي عين النسخة المتداولة بين
النصارى وكتاها تطبعان في مطبعة واحدة

ولئلا يظن بعضهم انه ربما غير اليهود توراتهم قبل المسيح
ونحن اخذناها عنهم مغيرة فصارت نسختهم ونسختنا واحدة اقول ان
القرآن كفانا مؤونة هذا الاعتراض لانه يشهد بان المسيح جاء مصدقا

لما معهم من التوراة ثم انه لا المسيح ولا رسله اتهموا اليهود بتهمة
التحريف وهاكم صحائف الانجيل راجعوها تجدوها بيضاء نقية من
هذه التهمة في حين انها شهرت بخطاياهم في غير هذه المسئلة بل يشهد
الانجيل للتوراة بانها موحى بها من الله وانها باقية على اصلها ويحرض
المسيحيين على قراءتها والعمل بها ومن ذلك الآيات الآتية في الانجيل
(متى ١٧: ٥ و ١٨ و ٣١: ٢٢ و ٣٢ وبشارة مرقس ٦: ٧ - ١٠ وبشارة
لوقا ١١: ٢٩ - ٣٢ و ٢٥: ٢٤ - ٢٧ وبشارة يوحنا ٣٩: ٥ و ٤٥ - ٤٧
ورسالة بولس الرسول الثانية الى تيموثاوس ١٦: ٣) من هذه الآيات
البيينة يتضح انه في عصر المسيح ورسله قبلت التوراة لديهم كتاباً موحى
به من الله ليس بها مساس من مظنة التحريف والتغيير لانه لو حرفها
اليهود لكان المسيح وبختمهم علانية على هذا الشر العظيم ولا شار بلاشك
الى مواضع التحريف واصلاحها لتبقى صالحة للاستعمال في كنيسه
وهذه النظرية ذاتها ثبتت عدم ضياع التوراة وعدم تحريفها
عند خراب اورشليم في زمن مجتئصر والاسر البابلي ولو حدث
شيء لكان المسيح بين الحقيقة

نقطة لمسية التوراة

ان بعض كتاب المسلمين يدعون انه في وسعهم ان يثبتوا
وقوع التحريف عمداً في التوراة ويعينوا الآيات المحرفة ومنها على

نقطة لمسية التوراة

في التوراة

ما يدعون الآية الواردة في سفر التثنية ٢٧: ٤ في النسخة السامرية مكتوب «جبل جرزيم» وفي العبرانية «جبل عيبال» ولكن الحقيقة هي انه ليست النسخة العبرانية وحدها المكتوب فيها جبل عيبال بل في كل التراجم القديمة كالترجمة السبعينية واللاتينية الدارجة والسريانية والباشطا والارمنية والحبشية

وعليه فالعبارة الأصلية «جبل عيبال» كما في الاصل العبراني لا «جبل جرزيم» كما في النسخة السامرية التي حرفها السامريون لرغبتهم الخصوصية في الجبل الذي سموه بهذا الاسم ومع كونهم حرفوا نسخهم في هذه الكلمة انحصر التحريف فيها ولم يتعد الى النسخ الاخرى المعتمدة عند طوائف اليهود وطوائف النصراني ويحتمل وجه آخر في هذه المسألة ربما ظن الكاتب الذي نقل النسخة السامرية عن العبرانية ان الكاتب الاول كتب جبل عيبال سهواً عوض جبل جرزيم لمناسبة ما ورد في عدد ١٢ من ذلك الاصحاح مأموداه ان بعضاً من الاسباط الاثني عشر يقفون على جبل جرزيم ويباركون الشعب والبعض الآخر يقفون على جبل عيبال وينطقون باللغات على من يرتكب تلك المعاصي المذكورة هنالك ويقول الشعب آمين فمن المحتمل ان كاتب النسخة السامرية ظن المقصود جبل البركات لا جبل اللغات

وعلى كل حال فان السامريين لم يقدرُوا ان يعممُوا هذا الخطأ او
التحريف الا في دائرتهم الخصوصية (إن صح انه تحريف !!)
ولو كان اليهود هم الذين حرفوا نسختهم لا السامريون لكان
الاولى بهم ان يحرفوا عدد ١٢ لا عدد ٤

ثم اننا كنا قد اشرنا في ما تقدم الى الخلاف الموجود بين النسخة
السامرية والنسخة العبرانية والترجمة السبعينية من حيثية اعمار بعض
البطارقة الاولين في اصحابي ٥ و ١٠ من سفر التكوين وفي الغالب
يجب ان يحمل هذا الخلاف على محل الخطأ لان الارقام قابلة الخطأ
حيث يسهل ان يحل بعضها محل الآخر ومن البين ان اختلاف
النسخ في هذه الارقام لا يمس جوهر الكتاب في شيء

وحاول بعض كتاب المسلمين ان يثبتوا وجود اختلاف كثير
بين اسفار الكتاب المقدس وزعموا ان هذا الاختلاف دليل على
تحريفه غير ان الكتاب المطلاعين ذوي العقول الراجحة والافكار
النيرة يسمون انه ان كتب كاتبان او اكثر عن واقعة حال وكتب
كل منهم بمعزل عن الآخر تأتي كتاباتهم مختلفة اختلافاً ظاهرياً
ولكن ان اتفقت اتفاقاً تاماً يستدل من اتفاقهم على انهم متواطئون
اما البسطاء فيشتبه عليهم ظاهر الاختلاف بين سفر وآخر

الاختلاف بين

اسفار الكتاب

المقدس

ويعثرون في صحة الاسفار اما المطلعون فيعلمون اصله ويحلونه حلاً
 جميلاً وشبه الاختلاف بين اسفار الكتاب المقدس اعظم دليل على
 امانة اهله والالكانوا ازالوه منه لكي لا يبق عرضة لانتقاد المنتقدين
 ومن امثلة شبه الاختلاف ما ورد عن نسب المسيح في بشارة متى
 ص ١ وبشارة لوقا ص ٣ وما ورد عن موت يهوذا في بشارة متى ٢٧:
 ٥ وسفر الاعمال ١: ١٨ و ١٩ فلو كان استباح اهل الكتاب التحريف
 لكانوا وفقوا بين هذه المواضع من كتابهم

ويزعم قوم من المسمين ان الانجيل محرف لقول بعض النصارى
 ان الآيات الآتية غير موجودة في النسخ القديمة وهي (بشارة مرقس
 ١٦: ٩ الى ٢٠ وبشارة يوحنا ٣: ٥ و ٤ و ٧: ٥٣-٨: ١١ ورسالة يوحنا
 الاولى ٥: ٧) ولو ان هذه الآيات لم تكن موجودة في المتن في النسخ
 الاكثر اقدمية الا انها موجودة على المامش فظنها الناسخ من الاصل
 فادمجها فيه بسلامة نية وسواء اصاب في ظنه او اخطأ فان هذه الآيات
 من اولها الى آخرها وجودها وعدمه لا يؤثران في جوهر الكتاب
 ولا في اقل عقيدة من عقائد الكنيسة لان الحقائق الاساسية التي
 تضمنها مستوفاة باكثر تفصيل في مواضع اخرى من الكتاب
 وبالنسبة لهذه المسألة يوجد فرق عظيم بين الكتاب والقرآن

فان المطلعين من المسلمين يعلمون ان فريقاً من الشيعة اثبتوا ان عمر بن الخطاب الخليفة الثاني وعثمان بن عفان الخليفة الثالث غير اجملة آيات من القرآن بسوء النية والقصد ليخفيا عن المسلمين حقيقتين هما من الالهية بمكان الاولى هي يجب ان يكون علي صاحب الخلافة بعد محمد والحقيقة الثانية يجب ان تحصر الامامة في ذريته ويدعي فريق آخر انه اسقط من القرآن سورة بجملتها يقال لها سورة النورين لل غاية المشار اليها اما نحن فلا يهمنا التحري عما اذا كانت هذه الدعوى قرينة الصواب او مختلقة ولكن تهتم اهل السنة من المسلمين لانه ان كانت سورة النورين من القرآن حقيقة يكون ما اشقاهم واسوأ حظهم لانها تنذرهم بسوء العاقبة كما في قوله «ان لهم في جهنم مقاماً عنه لا يعدلون» وكتب ميرزا محسن بكشمير في مؤلف له سنة ١٢٩٢ هجرية يسمى (داستاني مذاهب سورة النورين) وذكر ان بعض الشيعة يؤكدون بان عثمان عند ما احرق المصاحف القديمة وأمن على نفسه مناقشة الحساب عمد الى النسخة التي كانت بين يديه وشطب منها كل ما كان من مصلحة علي ابن ابي طالب وذريته من السيادة والامامة وقال ان بعضاً من العلويين ينكرون القرآن المتداول اليوم ولا يسمون بانه هو الذي نزل من الله على محمد كما يعتقد المسلمون بل يقولون انه

اختلقه ابو بكر وعمر وعثمان. نعم ان لدى العلماء المحققين من الادلة ما يكفي لدحض هذه الدعاوي الباطلة غير انهم لا يسمعون الا التسليم بان هذه التهم الشائنة صوبها نفس المسلمين الى القرآن والذي يهمننا من المسألة ان هذه التهم في اعتبارهم مخلة بجوهر الخلاص لكل فرد من المسلمين ان كان في الاسلام خلاص في حين ان الدعاوي المزعومة على كتابنا المقدس محصورة في آيات قليلة وهي التي سبقت الاشارة اليها ان حذفت من الكتاب أو زيدت عليه لا تخل بشيء من عقائد الدين والخلاص على الاطلاق (لأنها عرضية لا جوهرية)

المخزوم من الكتاب

المقدس

ويدعي بعض المسلمين عدا ما تقدم ذكره انه قد ضاع من بين دفتي الكتاب المقدس اسفار كانت معدودة منه يوماً ما كسفر ياشر (كما في سفر يشوع ١٠: ١٣) وكتاب حروب الرب (كما في سفر العدد ٢١: ١٤) فنقول دحضاً لهذا الاعتراض ان السفرين المذكورين لم يندرجا قط في سلسلة اسفار التوراة وان كانت اشارت اليهما التوراة وحكهما حكم الاسفار التي اشار اليها القرآن وهي ليست منه كصحف ابراهيم مثلاً

واعترض بعضهم بان الكتاب المقدس عند الكنيسة الرومانية يتضمن اسفاراً معدومة منه عند كنيسة البروتستانت ورداً على هذا

نقول: اما من جهة اسفار العهد الجديد فهي موجودة بذاتها عند عموم
المسيحيين من بروتستانت وكاثوليك وارثوذكس واما من جهة اسفار
العهد القديم فقد زادت عليها الكنيسة الكاثوليكية اسفاراً لم تكن
مدرجة من ضمن التوراة عند المسيحيين الاولين ولا عند اليهود
فضلاً عن كونها لا توجد في الاصل العبراني. نحن معاصر
البروتستانت نعتمد اسفار العهد القديم حسبها هي مدرجة في قانون
اليهود وثبتت لنا من المسيح ورساله ولكن ان فرضنا ان هذه
الاسفار المزيدة موحى بها فانها يحملتها لا تؤثر على اية عقيدة من عقائد
الديانة المسيحية واما الفروق المذهبية بين كنيسة البروتستانت وغيرها
فلم تنتج عن زيادة هذه الاسفار على العهد القديم ولا عن اختلاف
في الكتب كما ان مذاهب الاسلام لم تنتج عن اختلاف في القرآن
بين مذهب وآخر

قد تكلمنا عن نسخ اسفار العهد القديم والجديد في اللغات
الاصلية وتكلمنا عن التراجم القديمة في جملة اللغات التي لم تبق الى اليوم
وهنا نتكلم بالايجاز عن الادلة التي اقامها لنا كتبة المسيحيين الاولين
على الموضوع الذي نحن بصدده فنقول ان بين ايدينا مؤلفات مسيحية
كثيرة يختلف تاريخها من القرن الاول للميلاد الى ما بعد الهجرة في

لغات مختلفة يونانية ولا تينية وسريانية وقبطية وارمنية اقدمها رسالة
 اكليمندس الى كورنثوس سنة ٩٣ الى ٩٥ ورسائل اغناطيوس السبع
 سنة ١٠٩ الى ١١٦ ورسالة بوليكاربوس سنة ١١٠ تقريباً ورسالة نسبت
 خطأ الى برنابا سنة ١٠٠ الى ١٣٠ كتبت جميع هذه باليونانية ثم قام
 كتاب كثيرون بعد هؤلاء وكتبوا ما عن لهم في لغات مختلفة
 واولئك اجمعون كأنهم اليوم احياء بين ظهرانينا يشهدون بان ايماننا
 اليوم كايمن الكنيسة في عصورهم الاولى وعدا ذلك اقتبسوا آيات
 كثيرة من اسفار العهد القديم والعهد الجديد منها ما هو بالمعنى ومنها
 ما هو باللفظ وجميع ما اقتبسوه مطابق لكتابنا المقدس المتداول اليوم
 وهذا دليل قوي على ان الكتاب المقدس لم يحرف لا قبل الهجرة ولا
 بعدها ولو فرضنا انه قامت جمعية في عصر محمد او بعده وضمت بين
 احضانها اخبث من على وجه الارض وتعاونوا على تحريف الكتاب
 المقدس يحول دونها جبال من الصعوبات لا يستطيعون الى تذليلها
 سبيلاً اذ عليهم اولاً ان يجوبوا اقطار الارض المنتشرة فيها المسيحية
 واليهودية من قارة اسيا واوروبا وافريقيا ووزروا كل مجمع لليهود وكل
 كنيسة ومكتبة وبيت يهودي ومسيحي ويجمعوا كل النسخ في كل
 اللغات ما بين عبرانية ويونانية ولا تينية وقبطية وارمنية وحشية وعربية

وغيرها وعليهم ان يحتالوا على السامريين ويستكشفوا اخبارا اسفارهم المتوغلة في القدم وتراجمها المتأخرة في لغتهم الخاصة ويسلبوها منهم وعليهم ايضا ان يحرفوا الترجوم الآرامي اليهودي وبعدهما ينتهون من جمع نسخ الكتاب المقدس من كل العالم عليهم ان يتفقوا على ما هم شارعون في حذفه ويحذفوه ويبقى عليهم بعد ذلك كله ان يجمعوا مصنفات اليهود والنصارى الدينية في كل اللغات من كل اقطار الارض توصلاً الى اخفاء المقتبسات المتضمنة فيها لئلا تنكشف حيلتهم ويذهب تعبههم باطلاً وعليهم في ختام مشروعاتهم ان يكون لهم سلطان فائق الطبيعة حتى يتأتى لهم ان يمحوا من ذاكرة المسيحيين واليهود الذين على وجه الارض ما حفظوه غيباً من توراتهم وانجيلهم الاصلين لكي لا يفطنوا الى التوراة والانجيل المحرفين. اظن ما من عاقل يتصور جواز هذه المستحيلات فمن باب اولى لا يتصورها اخواننا الراسخون في العلم مع ان القرآن صرح في سورة آل عمران بقوله «من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون» فمن ذلك نستنتج ثلاثة امور (١) انه كان يوجد بعض الاتقياء الذين لم تسمح لهم ذمتهم بتحريف الكتاب (٢) ان الكتاب كان موجوداً بين ايديهم (٣) انه كان معروفاً عندهم وهم يتلونه

ولا يمكن لذي عقل ان يتصور امكانية اتفاق اليهود والمسيحيين
على ارتكاب هذا الاثم الفظيع الموجب للمذمة في الدنيا وغضب
الله في الآخرة لأنه لا يوجد سبب يدعو الى هذا الاتفاق

تحريف القرآن

ولنفرض ان جماعة اقوياء من المسلمين في وقتنا او قبل ظهور
مطابع الحروف والحجر عزموا ان يحرفوا القرآن وكل الكتب
الاسلامية ألا يهزأ بهذا الفكر حال كون القرآن لم يترجم الى لغات
متعددة كالكتاب المقدس في عصر محمد؟

ولنفرض انه لو تيسر لهم ان يجمعوا نسخ القرآن المنتشرة في
اقطار المعمور ويحرفوها فليسوا هم بقادرين على جمع الكتب الدينية
الاسلامية ولا التفاسير الكثيرة للقرآن ولو فرضنا انهم قدروا على
ذلك ايضاً الا يظهر تحريفهم من الكتب التاريخية كابن هشام
والواقدي والغازي وفتوح مصر وفتوح العجم او على الاقل ابن
الطبري وابن الاثير؟ لا يمكن لاي عاقل ان يتصور امكانية ذلك
حتى لو كانت كل هذه الكتب في لغة واحدة

فبالاحرى لا يمكن تحريف الكتاب المقدس في عصر محمد **نبي محمد**
او بعده لانتشار الاقتباسات الكثيرة ولتعدد تراجمه **الكتاب المقدس**
ولو سامنا جداً بإمكان تحريف الكتاب المقدس بغض النظر

عن كل هذه الصعوبات افا كان يظهر هذا التحريف من الكتب
 التي اكتشفت حديثاً وقد كنا نعرف اسماءها ولم نرَ مسمياتها وهي في
 اللغات اليونانية والقبطية والارمنية والسيرانية منها (١) قانون الرسل
 (سنة ١٣١ - سنة ١٦٠ ب. م) (٢) كتاب محابة ارستيدس (سنة ١٣٨
 - سنة ١٤٧ ب. م) كتاب اتفاق البشيرين لستاتيانوس (سنة ١٦٠
 - سنة ١٧٠ ب. م) وهذه الكتب قد ضاعت من قبل محمد بمدة
 طويلة واكتشفت في هذه الايام الاخيرة فلا يتأتى تحريفها في حياته
 او بعد موته وهي تشهد بوحدة الايمان المسيحي في العصور الاولى
 وفي هذا العصر كما هو مثبت في الكتاب المقدس المنتشر اليوم في
 كل العالم فترى من هذه الادلة الساطعة والحجج الدامغة ان التوراة
 باقية على حالها كما كانت في زمن المسيح والانجيل باق على حاله كما
 كان في زمن رسله الاطهار (الحواريين)

ومن الحقائق التي تدحض الرأي الشائع بين المساهين بتحريف
 الكتاب المقدس هو انه لما فتح عمرو بن العاص مصر وفتح ابو عبيدة
 بن الجراح وخالد بن الوليد الشام وسعد بن ابي وقاص العراق
 وقعت بين ايديهم اشهر مكاتب العالم في ذلك العصر واخص بالذكر
 مكتبة اسكندرية وقيصرية وكان في هذه المكاتب عدد وفير من نسخ

امراء بمطاب
 لمسية

الكتاب المقدس والمؤلفات المسيحية القديمة وما كان أيسر عليهم ان يحفظوا هذه المكاتب أو على الأقل الكتب المقدسة التي جاء القرآن مهيمناً عليها وتكون لهم في مستقبل الايام حكماً يحكمون بها عما اذا كان ما يستحدث من النسخ محرفاً أو هي طبق الاصل ولكنهم احرقوها، احرقوا التوراة والزبور والانجيل التي قال القرآن انها كلام الله وخبر احراق هذه المكاتب ورد في تاريخ ابي الفرج . وكشف الظنون

نسخ الكتاب المقدس

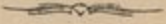
لو حفظ المسلمون نسخ الكتاب التي وقعت بين ايديهم لامكنهم منع احتمال تحريفه في العصر الاخيرة لكنهم لم يبالوا بوصية قرآنهم ولا قضوا حق هيمنته اما المسيحيون فقد استحفظوا على ما وقع في ايديهم من هذه الكتب المقدسة القديمة التي كتبت قبل الهجرة بقرون عديدة وسامت من ايدي المسلمين في الاسكندرية وغيرها وهاكم هي اليوم مذخورة في مكتبة رومية وبطرسبرج وباريس ولندن وغيرها من مكاتب اوربا ويمكن لسياح المسلمين ونزلاتهم في اوربا ان يزوروا هذه المكاتب ويتحروا حقيقة دعوانا وقد اخذت صورة بعض النسخ القديمة بواسطة آلة التصوير الشمسي ونشرت بين الناس لكي يراها من ليس في وسعه ان يزور

هذه المكاتب من اهل الاقاليم القاصية الذين يهمهم الاطلاع عليها
ومن مقابلة هذه النسخ الاصلية القديمة بعضها على بعض حصلنا
على النسخة اليونانية الاصلية للعهد الجديد والنسخة العبرانية للعهد
القديم وهما مطابقتان للنسخ القديمة المتفرقة في العالم ومن النسختين
الاصليتين ترجمنا الكتاب المقدس الى اكثر من اربعمائة لغة أي
اكثر لغات العالم التي تصلح للترجمة

ومما سبق قد اقمنا الادلة القاطعة الدالة على عدم تحريف
الكتاب المقدس على الاطلاق لا قبل عصر محمد ولا بعده وان العلماء
المحققين من المسامحين السالفين والمتأخرين على هذا الرأي أي عدم
التحريف. وقد اثبتنا ايضاً بطلان وقوع نسخ في الكتاب المقدس
لا في اخباره التي رواها ولا في مبادئه الادبية ولا عقائده الدينية
وقد بينا ان الكتاب المقدس اليوم هو بعينه كتاب العصور الاولى
المتقدمة على زمن محمد بمئات من السنين وشهد له القرآن بانه كلام
الله وكتابه في اكثر من مائة وعشرين موضعاً الى ان قال انه جاء
مهيمناً عليه

وعلى ما تقدم يجب على كل مسلم مؤمن بالقرآن ايماناً حقيقياً

ان لا يدع روح التعصب الذميم تحول بينه وبين الاعتقاد بصحة
الكتاب المقدس واتخاذة لنفسه نوراً وهدى في سبيل الحياة (انظر
سورة غافر آية ٥٦) وحتى تتوفق الى الهداية به يجب ان تقرأه بانتباه
طالباً من الله باخلاص واشتياق ان ينير ذهنك ويفتح قلبك لتفهم
تعليمه وتهتدي الى الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم غير
المغضوب عليهم ولا الضالين — آمين



الباب الثاني

الغرض من هذا الباب ان نبين تعاليم الكتاب المقدس الاساسية وان
نبين ايضاً ان هذه التعاليم توافق الشروط الضرورية للوحي الحقيقي
كما بينا ذلك في مقدمتنا

—*—

الفصل الاول

بيان مختصر لمشمات التوراة

يتألف الكتاب المقدس من قسمين اسفار العهد القديم واسفار
العهد الجديد ويطلق على القسم الاول اسم التوراة والاخير اسم
الانجيل وذلك لان القسم الاول يبتدىء بشريعة موسى والثاني
يبتدىء بالانجيل اي البشائر الاربع

وكنا قد بينا في ما تقدم ان اليهود قسموا اسفار العهد القديم الى ثلاثة
اقسام رئيسية التوراة (الشريعة) والانبياء والصحف وتسمى الاخيرة
بالمزامير لانه يبتدىء بها. وكتبت اسفار العهد القديم جميعها باللغة
العبرانية ما عدا اصحاحات قليلة فانها كتبت بالآرامية. اما اسفار
العهد الجديد فبلغتها الاصلية اليونانية وحفظت اليهود توراتها باللغة

الاصلية بكل دقة وعناية الى الوقت الحاضر واخذتها عنهم النصارى
من بدء تاريخ الديانة المسيحية بأمر المسيح نفسه (متى ١٧: ٥ و ٢١: ٤٢
و ٢٦: ٥٤ و مرقس ١٢: ٢٤ ولوقا ٢٧: ٢٤ و ٤٥ ويوحنا ٣٩: ٥ الخ الخ)
ولهذا فاسفار التوراة التي نستعملها اليوم هي ذات الاسفار التي كانت
بايدي اليهود في بلاد فلسطين في عصر المسيح وفي كل مكان وزمان
يتضمن العهد القديم الوحي الالهي الذي كتبه الانبياء والمرسلون الى
زمن المسيح واكثر الاسفار متوجة بأسماء كتبها ما عدا القليل منها
فانه يعرف كاتبوها من التقاليد القديمة ومع ذلك فان شهادة المسيح لها
وتصديقه عليها كما صرح القرآن لا يدع سبيلاً للارتياح فيها . وقد
قسم العهد القديم في العصور السالفة الى اثنين وعشرين سفرًا على عدد
حروف الهجاء العبرانية وتقسم في الوقت الحاضر الى اربعة وعشرين
سفرًا بفصل راعوث عن سفر القضاة وفصل مراثي ارميا عن سفر
نبوته واعتبارهما سفرين كلٌّ على حدته . وقد جرت عادة اكثرهم ان
يقسموا هذه الاسفار كل سفر الى سفرين اول وثان وهي صموئيل
والمملوك واخبار الايام ويقسم سفر الانبياء الاثني عشر الى اثني عشر
سفرًا صغيرًا فبلغت الاسفار بموجب هذا التقسيم الاخير تسعة
وثلاثين سفرًا وهو التقسيم الذي اعتمد عليه المسيحيون واظن ان

مسألة التقسيم لا يعلق عليها احد كبير اهمية مثل ما يكون لها
 اساس بالمتن الاصلي كما قد يتصور الانبياء

فتوراة موسى واسفار شريعة موسى خمسة التكوين والخروج
 واللاويون والعدد والتثنية. في هذه الاسفار مدون تاريخ خلق العالم
 والانسان وكيف عصى آدم ربه وسقط في الخطية وجلب الموت على
 نفسه وكيف ان الله السكبي الرحمة والجود وعد ان يرسل مخلصاً الى
 العالم يولد من نسل المرأة (سفر التكوين ٣: ١٥) ولما توغل العالم في
 المعاصي والفجور وكل ضروب الشدة والقساوة اهلك الله بني آدم
 اجمعين ما عدا نوح واهل بيته الا انه من بعد الطوفان عادت ذرية
 نوح الى فعل الشر وسقطت في عبادة الاوثان بالتدريج الى ان لم يبق
 بينهم من يعبد الاله الحق الا ابراهيم فاختاره الله واتخذ خليلاً لاجل
 انه آمن به وعند ذلك وعده بان المخلص الآتي يتناسل من ابنه اسحق
 وكان لاسحق ابنان اصطفى الله منهما يعقوب وسماه اسرائيل ووجد
 معه عهده ووعد الذي وعده به ابراهيم وهو ان بنسله تتبارك جميع
 امم الارض وفي سبيل انجاز ذلك الوعد الكريم ارسل الله الانبياء من
 ذريته دون الشعوب الاخرى كما يعترف بذلك القرآن «ولقد آتينا بني
 اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة» (سورة الجاثية ١٥) وذلك حتى

تكون نبواتهم فصل الخطاب في تعريف المخلص الآتي وتقديمه للعالم
وكانت الحالة تقتضي قبل انجاز الوعد ان يتدرب بنو اسرائيل
على الشؤون الدينية ويتخرجوا فيها حتى يصالحوا ان يكونوا فيما بعد
اساتذة المسكونة وكذا قضت التدبيرات الالهية وكانت الخطوة الاولى
ان نزل الاسباط الى مصر وهم نفر قليل فامضى عليهم اربعمائة سنة
حتى صاروا شعباً عظيماً يعد بمئات الالوف نخشي فراعنة مصر عاقبة
نموهم السريع واتخذوا الوسائل الى ابادتهم وسخروهم في الاعمال الصعبة
المضنية للجسم فاخرجهم الله على يد موسى سنة ١٣٢٠ ق. م أو سنة
١٣١٤ بموجب الحساب اليهودي واظهر لهم الله مجده على جبل سيناء
وأسلم اليهم الوصايا العشر وغيرها مما هو مدون في التوراة ومن ضمن
غايات شريعة موسى ازالة اذهان الشعب ليفقهوا موضوعاً جليل
الاهمية كان مجهولاً في ذلك العصر ولا يزال مجهولاً الى وقتنا الحاضر
عند الجانب الاعظم من سكان المعمور ولا يعرفه الا اليهود والنصارى
الا وهو قداسة الله ومن غايات الشريعة ايضاً فرز اليهود عن الامم
واعترازهم عنهم في كل شؤون الدين والدنيا وكانت الحكمة في ذلك
الاحتفاظ على الاعلانات الالهية من ان يشوبها شيء من رجاسات
الامم وعاداتهم فيختلط الحق بالباطل فاقتضت الحكمة الالهية اعتزال

امة اسرائيل لتبقى شرائعهم على حدتها الى ان يأتي المسيح روح النبوة والشرع وخلاصة الوعود والعهود وحينئذ لا تكون ضرورة لبقاء الحجاب الحاضر بين اليهود والامم بل يجب ازالته لانه يكون قد جاء مشتهى كل الامم الذي له تخضع شعوب الارض

وبعد ان انقضت اربعون سنة على بني اسرائيل بين حطوطهم حال في بركة سيناء المعروفة اليوم بارض التيه ادخلهم ارض كنعان او ارض الميعاد وفي القرآن الارض المقدسة التي كتبها الله لهم وفي سفر يشوع ذكر فتح بني اسرائيل لارض كنعان وابادة كثير من شعوبها الوثنية جزاء لهم على توغلبهم في كل معصية من ذلك انهم كانوا يحرقون اطفالهم ضحايا لاوثانهم وينغمسون في الفسق والفجور تكريماً لمعبوداتهم المشهورة بتلك القبائح اما شعب اسرائيل فقد ملكوا الارض انجازاً لوعده تعالى الى خليله ابراهيم

وفي سفر القضاة وراعوث وسفري صموئيل والملوك واخبار الايام نجد تاريخ الوقائع الرئيسية التي وقعت لشعب اسرائيل من ذلك الحين الى السبي البابلي . وحدث مراراً كثيرة في غضون المدة التي اقاموها في ارض كنعان ان سقطوا في وثنية بقايا الشعوب الاصليين فجازى الله شعبه بان سلط عليهم الوثنيين فقهرهم وكذبوا صفو حياتهم

الا انه كلما تابوا اليه ورجعوا الى عبادته تعالى نصرهم على اعدائهم
نصراً باهراً على ايدي افراد اصطفاة من بينهم

وبعد انتهاء حكم ملكهم الاول المدعو شاول وفي القرآن طالوت
(بقرة آية ٢٤٨) مسح الله داود ملكاً عليهم وكان ذلك حوالي سنة ١٠٢٠ ق.
م وخلفه ابنه سليمان وحكم من سنة ٩٨٠ الى سنة ٩٣٨ ق.م وبعد نهاية
حكمه ثار على خلفه رجعا عشرة اسباط وخرجوا من طاعته وشيدوا
لهم مملكة برأسها هي مملكة اسرائيل وملكوا عليهم يرعام بن نباط
وبقي السبطان على ولايتهم لبيت داود وشيدوا مملكة اخرى هي مملكة
يهوذا ولم تلبث مملكة اسرائيل حتى سقطت في العباداة الوثنية وبعد
قليل اقتفت آثارها يهوذا فدفعهم الله الى ايدي اعدائهم وقاصمهم
هذه المرة قصاصاً اشد صرامة من القصاصات التي القوها وبدأ بقصاص
مملكة اسرائيل ليعطي يهوذا فرصة للاعتبار والتوبة فسلط عليها
الاشوريين فغزوها واسروها في فارس ومديان سنة ٧٣٠ ق.م والى
هنا انقرضت مملكة اسرائيل اما يهوذا فما اعتبرت بما دهم اختها من
شديد العقوبة بل سارت على منهاجها الى ان خضعت للملك بابل سنة
٦٠٦ ق.م وظلت تحت نيرهم سبعين سنة اي الى سنة ٥٣٦ ق.م وفي
سنة ٥٨٧ هدم بختنصر ملك بابل هيكل سليمان واسر رؤسائهم الى بابل

وفي سفر عزرا تفصيل رجوع اليهود الى ارضهم وذلك انه لما
انقضت عليهم سبعون سنة العبودية التي تنبأ عنها ارميا النبي انقذهم
الله بان حول قلب كورش ملك فارس بعد ما انضمت بابل وكثير
من الاراضي تحت سلطانه الى العطف عليهم ومؤاساتهم فرخص
لهم ان يرجعوا الى بلادهم وتتلو ذلك قصة تجديد الهيكل وترميم
اورشليم كما هي مشروحة في سفري عزرا ونحميا

ولكن لما رفض اليهود المخلص الموعودين به هم وآباؤهم تنبأ
عليهم المسيح كما ذكر تلاميذه بعقاب هائل لم يروا مثله في تاريخهم
السالف وهو قلب مدينتهم المحبوبة وهيكلهم العظيم رأساً على عقب
واتماماً لهذه النبوة ونبوات موسى خرب الرومان مدينتهم وهيكلهم
سنة ٧٠ م ومن ذلك الوقت الى الآن تفرقوا في الارض طويلاً
وعرضاً بلا بلاد ولا ملك وكابدوا من الضيقات ولا زالوا يكابدون
ما ليس له مثيل

وعلى ما تقدم يمكننا ان نلخص من التوراة ان مقصد الله في
معاملته بني اسرائيل هذه المعاملة وتسجيل وقائعهم وتواريخهم الهامة
بين اسفار الوحي ثلاثة اشياء (الاول) ان يظهر لهم ولاهل العصور
المقبلة ان القلب البشري مائل الى العصيان والتمرد بالرغم عن نعم الله

وبركاته وهداياته المتوالية بواسطة ارسال الرسل والانبياء جيلاً بعد
جيل معلمين ومنذرين وكل ذلك لم يمنع الانسان من المروق عن عبادة
الله الحي ولي نعمته وخالفه الى عبادة الاصنام البكم (الثاني) لكي يعلم
بني اسرائيل ان العتق من نير الخطية وساطان الشهوات الجسدية
لا يمكن ان ينتج عفواً عن مجرد معرفة وصايا الله ولا عن الاحتفاظ
على الرسوم والطقوس الدينية بل لابد من عامل قوي عسى أن تتولد
فيهم احساسات الشوق الى التخلص الموعودين به في توراة موسى
واسفار الانبياء بالتدرج ويشعرون بشديد الحاجة اليه (الثالث) حتى
يطلع الامم جيلاً فجيلاً على معاملة الله لبني اسرائيل واعلاناته السامية
لهم عن قداسه وعدله ورحمته اما عدله فبواسطة ما اوقعه عليهم من
القصاص الصارم على خطاياهم واما رحمته فبواسطة ما احسن اليهم
وبارك فيهم وغفر لهم الى غير ذلك لكي يتخذوا لانفسهم عبرة من
ذلك ويعلموا ان اصنامهم لا شيء وان اله اسرائيل الاله الحق خالق
السموات والارض ويعبدونه ويخدمونه ويستنيرون بنور انجيل
اخلاص يسوع المسيح مخلص العالم الذي اخبرت عنه التوراة الى ان
حصرت نسبه في ذرية داود وعينت مولده في بيت لحم بارض يهوذا
وعدا الاسفار التي ذكرناها في بيان تاريخ اسرائيل حسبما تقدم

يوجد اسفار اخرى تشتمل على تعليمات في تمييز ما هو مرضي ومقبول عند الله كما وانها تشتمل ايضاً على صلوات وتسايع وشكر لله العلي العظيم ونبوات عن حوادث المستقبل تم منها الى اليوم عدد عديد ومن هذه الاسفار سفر ايوب والمزامير والامثال واسعياء وارميا وحزقيال ودانيال والاثنى عشر سفر الصغيرة وكل من هؤلاء الانبياء ولو انه كتب سفره لاهل عصره من بني اسرائيل محذراً ومعلماً الا انه من الجهة الاخرى قصد اعداد العصور المستقبلية لقبول مخلص العالم الذي نبه بمجيئه ذات الله عز وجل ابراهيم خليله واسحق ويعقوب وموسى فمن هذه الاسفار كان ممكناً خاطئ الله واتقيائه من بني اسرائيل ان يعرفوا النقط الرئيسية في وصف المخلص مثل ان يعرفوا وقت مجيئه والبلدة التي يولد فيها ونسبه وسبطه واخلاقه ولاهوته واعمال رحمته واحسانه والآلام التي كانت تنتظره في سبيل خلاص العالم من اتضاع وهوان وآلام وصلب وموت وقبر وانه سيقوم بدون ان يلحق جسده فساد وان يعرفوا طبيعة ذلك اخلاص العظيم الذي جاء ليهبه للعالم

هذا واعلم ان الاسفار المقدسة من اولها الى آخرها تعلم وحدانية الله وجوهر ايمان اليهود قائم على هذه الآية الذهبية «اسمع يا اسرائيل

الرب الهنا رب واحد» تث ٦: ٤ وايد المسيح هذا الايمان وانزله المنزلة الاولى (انظر مرقس ١٢: ٢٩) الا انه لاجل استثمار هذه العقيدة الجوهرية وتشخيصها في اعمالنا وسيرتنا اليومية اقتضت الضرورة ان يعان الله نفسه للجنس البشري بحالة يمكن معها ان يكون معروفاً ومحوباً والا فجرد معرفة وحدانية الله لا تقدم ولا تؤخر في حياة الفضيلة ولا تختلف عن عقائد بعضهم بوحدة الوجود وان ابليس يعرف ان الله واحد وهو كما هو غني عن البيان انحس واخبت من بني آدم وهو يوحدده . ولكن لا يحبه (رسالة يعقوب ٢: ١٩)

وعلى ما تقدم وتحقيقاً لنبوات الكتاب عندما آن الاوان جاء من هو وحده كلمة الله (الانجيل بشارة يوحنا ١: ١) ليعان الله لنا ويهب حياة ابدية لكل من يؤمن به ايماناً حقيقياً على وفق نطقه الكريم (يوحنا ١٧: ٣)

غير ان جمهور اليهود عثروا في المسيح عند مجيئه بسبب انهم كانوا قوماً عالمين في اذهانهم وامياهم فلم تكن تهمهم مسألة الخلاص من الخطية بل حصروا اهتمامهم وهوى قلوبهم في مخلص يخلصهم من نير السلطة الرومانية ولم يهتمهم ان يكونوا اغنياء في الايمان وسلام الله بل همهم ان يكونوا حكاماً وولاة يسودون على البلاد والعباد ويفغنمون

الغنائم ويملاؤن الخزائن ذهباً وفضة اسوة بدولة الرومان والفرس فمن كانت هذه مطاعمهم وآمالهم فلا عجب ان تغمض ابصارهم وتعمى قلوبهم عن نبوات الانبياء الصريحة المشيرة الى المسيح كمخلص من الخطية يأتي الى الارض مجرداً عن زخارف العالم خالياً من ابهة الملك وجلال السلطان محتقراً مخذولاً من الناس لا يصيح ولا يسمع احد في الشوارع صوته ولكنه يعصب القلوب المنكسرة ويعتق اسرى ابليس والخطية

فلم يمنع الناس في الماضي والحاضر عن قبول المسيح عدم الدليل ولاغموض النبوات عن الاشارة اليه بل تمنعهم محبة العالم وخلوهم من محبة الله والديانة الروحية اما ذوي العقول الروحية بين اليهود فقد عرفوا وآمنوا به وتبعوه وبعد صعوده الى السماء تفرقوا في اطراف المسكونة يشيعون بين الامم اخبار مخلصهم المحبوب كما امرهم وكتب الانجيل رسل المسيح (الحواريون) وتلاميذهم بالهام الروح القدس الذي وعد المسيح ان يرسله على اثر صعوده ويتضمن الانجيل اخباراً عن تعليم المسيح ومعجزاته وتطبيق شخصه المبارك وصفاته ووقائعه على نبوات العهد القديم بشأن المسيا المنتظر ويتضمن شرح طريق الخلاص بما مضمونه ان المسيح مات على الصليب ليقدم

نفسه كفارة عن خطايا العالم وانه قام في اليوم الثالث ومكت على الارض بعد قيامته اربعين يوماً يتردد في غضونهما على تلاميذه يعامهم ويشرح لهم الكتب ويمكنهم من مشاهدته ولمسه ليؤدوا للعالم عنه شهادة عين وفي ختام المدة قدم مهمة الرسالة التبشيرية الى كل اخلية في كل الارض وامرهم قبل الشروع في الخدمة ان يكتبوا في اورشليم حتى يلبسوا قوة من الاعالي بمعنى ان يحل عليهم الروح القدس ليقدروهم ويدكرهم ويلهب قلوبهم شوقاً وغيره ليؤدوا عنه الشهادة الى اقضاء الارض ثم صعد الى السماء امام عيونهم تاركاً لهم الوعد برجوعه ثانية وظلوا يودعونه بابصارهم حتى حجبته عنهم سحب السماء وعند ذلك ظهر لهم ملاكان من السماء واخبراهما انه سيأتي هكذا كما رآوه منطلقاً الى السماء على وفق سابق وعده لهم (يوحنا ١٤: ٣ واعمال ٩: ١-١١)

واعلم ان كثيراً من اقوال المسيح واعماله دونها تلاميذه في زمن حياته على الارض ولما صعد الى السماء اخذوا يبشرون بالانجيل شفاهياً ثم كتبوها فيما بعد في اربع بشارتٍ معنونة هكذا انجيل المسيح كما كتبه متى وكما كتبه مرقس ولوقا ويوحنا وتمت هذه البشارت قبل ختام القرن الاول للميلاد ومن بين البشيرين الاربعة رسولان وهما متى ويوحنا ما

مرقس فهو تلميذ بطرس الرسول وكتب انجيل المسيح كما اخذه عن معامه وعن آخرين وعدا ذلك نجد في بشارته فصولاً يجب ان تكون قد كتبت قبل صعود المسيح واما لوقا فهو زميل وتلميذ بولس الرسول كتب في بشارته الامور المتيقنة لا عند واحد بل عند كثيرين من الذين عاينوا الوقائع والاخبار التي كتبها (انظر بشارة لوقا ١: ١-٤)

ولنا في رسالتي بطرس ورسالة يعقوب ويهوذا الحقائق التي دونها عن المسيح خاصة تلاميذه وكذا كتب يوحنا اعز صديق واحب تلميذ للمسيح ثلاث رسائل وكتب بولس جملة رسائل منها رسالتي تسالونيكي كتبهما اولاً حوالي السنة الثانية والثالثة والعشرين بعد الصعود يشرح فيهما طريق الخلاص يسوع المسيح وماذا يترتب على دعوتهم المقدسة من الواجبات المرضية لله وورد في الرسالة الاولى لاهل (كورنثوس ١٥: ٤٣) ما اقتبس منه المسيحيون الاولون في اقدم صيغة من قانون ايمانهم «ان المسيح مات من اجل خطايانا حسب الكتب وانه دفن وانه قام في اليوم الثالث حسب الكتب» ومن هنا يتبين لنا ان اقدم المسيحيين اعتقدوا ان جوهر الكتب اي اسفار العهد القديم والجديد انما هو الكفارة التي قدمها المسيح عن خطايانا

بموته على الصليب وقبول تلك الكفارة عند الله يدلل انه اقامه من الاموات. ومن جملة اسفار العهد الجديد سفر اعمال الرسل وفيه خبر حلول الروح القدس وهو (الفارقليط) بعد الصعود بعشرة ايام وكيفية شروع الرسل في تبشير الامة والرسالة الى العبرانيين وفيها شرح العلاقة بين شريعة موسى وانجيل المسيح وسفر الرؤيا ويتضمن نبوة الجهاد الذي سيقع بين الكنيسة والعالم وانتصار الكنيسة اخيراً (وفي اصحاح ٩ منه مسائل يهم المسامين الاطلاع عليها) والحاصل ان هذا السفر يشرح لنا كثيراً من الوسائل التي يتخذها الشيطان لتجريب المسيحيين وتعذيبهم على رجاء ان يفصلهم عن مخلصهم واهم هذه الوسائل ظهور المسيح الدجال الذي يبذل عنايته في مقاومة الخلاص الذي بالنعمة اما المسيحيون الحقيقيون فيخرجون من اتون التجارب كالذهب المحص وآخر الكل يأتي المسيح على سحاب السماء بقوة ومجد عظيم ليؤسس في الارض الجديدة والسماء الجديدة ملكوته الدائم «ولن يدخلها شيء دنس ولا ما يصنع رجساً وكذباً الا المكتوبين في سفر حياة الخروف» (سفر الرؤيا ٢١: ٢٧)

وبالاجمال تتفق اسفار العهد الجديد مع اسفار العهد القديم في تعيين طريق الخلاص الذي به تتبارك كل الامة (تكوين ٢٨: ١٤) ألا

وهو الايمان بنسل المرأة الموعود به (تكوين ٣: ١٥) الذي ولد من العذراء مريم (بشارة لوقا ١: ٣١ و ١٦ وانظر القرآن سورة الانبياء آية ٩١ وسورة التحريم آية ١٢) ليخلص شعبه من خطاياهم (بشارة متى ٢١: ١) الذي بذل حياته فدية عن كثيرين (سفر اشعيا ٥٣: ١٠ و ١١ وبشارة متى ٢٨: ٢٠) وقام لاجل تبريرنا (سفر المزمير ١٦: ٩-١١ وسفر الاعمال ٢: ٢٢-٣٦ ورسالة رومية ٤: ٢٥) والذي به وحده يقدر الانسان ان يبلغ الى معرفة الله الحقيقية (بشارة يوحنا ١٤: ٦) وينال الخلاص الابدي (سفر الاعمال ٤: ١٢)

ومن هذا نعلم ان الوعد الذي وعد به الله منذ الوف من السنين آدم وابراهيم واسحق ويعقوب وداود قد انجزه وصار ممكناً للانسان ان يعتق من عبودية الخطية والسيطان وتعتق الارض وتتغير حالتها الى حالة السعادة والكمال اعظم بكثير مما كان قبل سقوط آدم في الخطية

فاسفار العهد القديم والجديد معاً انما هي اعلان واحد من لدن الله اما العهد القديم فيشرح لنا كيف دخلت الخطية الى العالم وكيف وعد الله بالخاص منها واما العهد الجديد فيشرح كيف اكمل الله ذلك الوعد وكيف قدم المسيح حياته كفارة عن خطايا العالم (الرسالة الاولى

ليوحنا ٢:٢) «ليهب الخلاص لكل من يقبل اليه اقبالا حقيقيا»
(بشارة متى ٢٨:١١ ويوحنا ٦:٣٧)

اما من جهة الانبياء والرسل فنؤمن انهم مفوضون من عند الله لتعليم وتبشير العالم فليسوا هم ملوكا ولا ولاة بل منذرين يندرون الناس ان يتوبوا عن خطاياهم ويرجعوا الى الله الحي وانهم ليسوا بمعصومين من الخطية وانه لم يعش احد معصوما من الخطية سوى المسيح ولنا الادلة الكافية على عصمته منها شهادات الانبياء (سفر اشعيا ٩:٥٣ وقابل يوحنا ٨:٤٦) وشهادات تلاميذه (الرسالة الاولى لبطرس ٢٢:٣ والرسالة الاولى ليوحنا ٥:٣ ورسالة العبرانيين ٤:١٥) ويشهد له نفس الذين صلبوه (بشارة لوقا ٢٣:٤ و ١٤ و ٤٧)

والقرآن مع نسبته الخطايا للانبياء الآخرين لم ينسب واحدة ليسوع بل يشد له بانه مطهر عنها قال في سورة (مريم آية ١٨) على لسان الملك الذي بشر امه به «قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا» قال البيضاوي وغيره اي طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اي مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح. وقد روى البخاري ومسلم وغيرهما وقالوا ان هذا الحديث متفق عليه وهو قوله صلعم «كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه باصبعيه حين يولد غير

عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب «اي المشيمة (انظر مشكاة المصابيح باب بدء الخلق وذكر الانبياء في آخر الفصل الاول) مع ان محمداً في قرآنه وحديثه ينسب خطايا كثيرة لسوى المسيح من الانبياء والرسل انظر سورة طه آية ١٢١ والبقرة آية ٣٥ و٣٦ والمعارج ١٩ والانعام آية ٧٦ الخ وابراهيم آية ٤١ والقصاص آية ١٥ و١٦ والشعراء آية ١٩-٢١ والأعراف آية ١٥٠ ويوسف آية ٢٤ وص آية ٢٤ و٢٥ و٣٤ و٣٥ والصفات آية ١٣٩-١٤٤ والفتح آية ٢ وهود آية ٤٤-٤٧ والانشراح آية ٢ و٣ والأحزاب آية ١ والزمر آية ٦٥ والمائدة آية ١٧ وعيس آية ١-٦ والانعام آية ٥٢ والنساء آية ١٠٦ ومحمد ٢١ وغيرها من الآيات القرآنية وفي الحديث كثير من ذلك الحديث الصحيح قوله «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» وفي البخاري ومسلم حديث يرويه ابو هريرة ان رسول الله صلعم قال «لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات اثنتين منهن في ذات الله الخ» وقد قال محمد احاديث متعددة تفيد استغفاره وتوبته من ذنوبه منها قوله «اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم سبعين مرة» وقوله «توبوا الى ربكم فوالله اني لاتوب الى الله عز وجل مائة مرة في اليوم» وقال قتادة انه قال غقب نزول قوله «لقد كدت تركن اليهم شيئاً

قليلاً « اللهم لا تكلفني الى نفسي طرفة عين » الى آخر الاحاديث
واننا لا نؤمن بعصمة الانبياء والرسل في اعمالهم العمومية لكننا
نؤمن انهم معصومون في تبليغ رسالة الله من ان يزيدوا عليها او
ينقصوا منها او يلحقوا بها اقل تحريف والعاصم لهم هو الروح القدس
(انظر بشارة متى ٢٠: ١٠ ومرقس ١١: ١٣ ويوحنا ١٤: ٢٦ والرسالة
الثانية لتيموثاوس ١٦: ٣ والرسالة الثانية لبطرس ٢١: ١)

ونحن معاصر المسيحيين وان كنا نؤمن بان الروح القدس الههم
الانبياء والرسل ان يكتبوا ما كتبوا في اسفار العهد القديم والجديد
فاننا لا نؤمن بان تلك الاسفار كانت مكتوبة في اللوح المحفوظ من
قبل خلق العالم ثم املاها الروح القدس على الرسل والانبياء حين
كتبوها حاشا وكلا فان الله يتنزه ويتعالى عن ان يستخدم النبي كآلة
صماء فاقدة الحس والعقل والارادة والمعرفة الى غير ذلك بل يستخدم
معرفته واختباره وعامه وعقله وقلبه وروحه وجسمه فيتكلم بالوحي
وكأنه يتكلم من نفسه وعليه نجد في الكتاب المقدس العنصر الانساني
كما نجد العنصر الالهي (مواهب الانسان مع الوحي)

وفي الكتاب اسرار تفوق مداركنا البشرية قد استنتج بعضهم
منها انها مخالفة للعقل والحقيقة ليست كذلك بل لما كانت عقولنا هبة

من الله فلا يمكن ان يكون اعلانه اي وحيه الالهي مخالفاً لها بل بما ان عقولنا محدودة والله غير محدود فمن الضروري ان نعجز عن ادراك ذات الله فان اتانا رجل بكتاب وادعى انه رسول الله يحمل الينا كتاباً منه تعالى ورأينا ان هذا الكتاب يعلن الله بحيث يحيط به العقل لعلمنا ان دعواه باطلة فلا تبرح هذه الحقيقة من بالنا وها اننا نزيدها عندما نبحث في الفصل التالي ما اوحاه الله لنا عن حد ذاته وصفاته تعالى

الفصل الثاني

في صفات الله كما هي معلنة في الكتاب المقدس

يعلمنا الكتاب المقدس بقسميه ان الخلق يدل على وجود خالقه وان ضمير الانسان وعقله يشهدان بوجوده تعالى (سفر المزامير ١٩: ١-٤ وسفر الاعمال ١٧: ٢٤-٢٩) واما كون الله واجب الوجود فدل عليه الكتاب حينما ينسب الى الذين ينكرونه الجهل الاختياري والسفه التعمدي (سفر المزامير ١٤: ١ و ١٠: ٥٣ و ١٩: ١٩-٢٣) وفي الكتاب ان الله واحد (سفر التثنية ٤: ٣٥ و ٣٩ و ٤: ٦ و اشعيا ٤٤: ٨ و ٤٥: ٥ و ٤٦: ٩ وبشارة مرقس ١٢: ٢٩ ويوحنا ١٧: ٣ والرسالة الاولى الى كورنثوس ٨: ٤ وافسس ٦: ٤) وانه روح (بشارة يوحنا ٤: ٢٤) وغير

منظور (بشارة يوحنا ١: ١٨ والرسالة الاولى الى تيموثاوس ٦: ١٥ و١٦) وغير محدود ازلي غير متغير (سفر المزامير ٢: ٩٠ و١٠٢: ٢٤-٢٧ ورسالة يعقوب ١: ١٧) ومحيط بكل مكان وبكل علم (سفر المزامير ١٣٩: ١-١٢ وارميا ٢٣: ٢٣ و٢٤ واعمال الرسل ١٧: ٢٧ و٢٨) وكلية القدرة والحكمة (سفر التكوين ١: ١٧ وايوب ١٢: ٧-١٠ و١٣ ومزامير ١٠٤: ٢٤ واشعيا ٤٠: ١٢-١٨ والرسالة الاولى ليوحنا ٢٠: ٣)

وكما ان الله موصوف في الكتاب بالاوصاف المتقدمة فهو موصوف بالقداسة (سفر الرؤيا ١٩: ٢ و٢١: ٨ وسفر صموئيل الاول ٢: ٢ ومزامير ٣: ٢٢ و١٧: ٤٥ واشعيا ٦: ٣ وسفر الرؤيا ٨: ٤) وانه بار وعادل (سفر العدد ٢٣: ١٩ والثنية ٣٢: ٤ ومزامير ٣٣: ٤ و٥ واشعيا ٢٦: ٧ و٤٥: ٢١ والرسالة الى رومية ٢: ٥-١١ والرسالة الاولى ليوحنا ١: ٩ وسفر الرؤيا ٣: ١٥ و٥: ١٦ و٧) ورؤوف رحيم طويل الأناة (سفر الخروج ٦: ٣٤ ومزامير ٩: ٨-١٠ وسفر مراثي ارميا ٣: ٢٢ و٢٣ وحزقيال ٣٣: ١١ وبشارة متى ٥: ٤٥ ويوحنا ٣: ١٦ ورسالة يوحنا الاولى ٤: ١٦) وخالق وضابط كل شيء (سفر التكوين ١: ١ وسفر صموئيل الاول ٢: ٦ و٧ ومزامير ٣٣: ٦ و٢٣: ٣٧-٢٥ و١٠٤ وبشارة

متى ٣١:٦ و ٣٢ و ١٠:٢٩ - ٣١ و رسالة رومية ١١: ٣٦ و سفر الرؤيا (١١:٤)

هذه بعض الصفات الحميدة التي ينسبها الكتاب الى الاله الحقيقي واما بقية صفاته فمجموعة في وصفه بالكامل في طبيعته ومعرفته وهدايته وسائر اعماله (سفر التثنية ٣٢: ٤ و سفر صموئيل الثاني ٢٢: ٣١ و ايوب ٤: ٣٦ و ١٦: ٣٧ و مزامير ١٨: ٣٠ و ١٩: ٧ و بشارة متى ٤٨: ٥)

فن اطلع على هذه الصفات وحكم ذمته وعقله يسلم انها جديرة بالله الخالق الرحيم ويجزم ان مجرد العلم والعقل لا يبلغان بصاحبهما الى انشائها بمعزل عن الالهام الالهي بدليل ان الفلاسفة القدماء كارسطو وافلاطون الذين استنفدوا العقل والعمل في البحث عن الله تعالى لم يهتدوا الى معرفته حسب الاوصاف المنسوبة اليه في الكتاب المقدس التي مر بيانها فادركوا حقيقة وحدانيته ادراكاً جلياً ولا ذاتيته ولا قداسته وعلى الخصوص الصفة الاخيرة اي القداسة فانها وردت في الكتاب المقدس بحالة لا مثال لها في كتب الاديان جميعها قديمها وجديدها

ان الاتقياء المخلصين المجدين في معرفة الله تعالى وعمل مرضاته تماماً اذا قرأوا الكتاب المقدس يفهمونه وتصل كلمته تعالى الى قلوبهم

وتضيء بصائرهم وافهامهم بنور روعي (مزامير ١١٩: ١٠٥ و ١٣٥)
 فيقدرون ان يمدوا الله (سفر التثنية ٤: ٢٩ و ارميا ٢٩: ١٣ وبشارة
 يوحنا ١٧: ٧) ويعرفون ارادته وتنسكب في قلوبهم مخافته ومحبتة
 بروحه القدوس (الرسالة الى رومية ٥: ٥) ويقبلون نعمة الله التي تقدرهم
 على طاعته تعالى وتتجدد قلوبهم ويولدون ميلاداً ثانياً روحياً (بشارة
 يوحنا ١٢: ١ و ١٣ و ٣: ٥٦) ويصيرون بواسطة ايمانهم يسوع المسيح
 خليفة جديدة (٢ كورنثوس ٥: ١٧) يحبون البر ويبغضون الاثم
 يهربون من الشر ويلتصقون بالخير وذلك لان الكتاب المقدس يصف
 الله بالقداسة والعدل فهو يقاص الذين يقسون قلوبهم كما قسى فرعون
 قلبه . وهو اله عادل شديد العقاب ولكنه يعامل الذين يتوبون اليه
 ويرجعون عن خطاياهم ويخدمونه في جدة الحياة كأب رؤوف رحيم
 كثير الوفاء والاحسان ترى مما تقدم ان طالب الحقيقة اذا راجع
 الآيات التي اشرنا اليها في هذا الفصل ودرسها مستعيناً بالصلاة
 يتبين له ان شروط الوحي متوفرة في الكتاب المقدس وان شاء
 الله سنبين ذلك باكثر جلاء في الفصول الآتية :—

وسيتظهر من اسفار العهد الجديد ان معرفة الله الحقيقية يحصل
 عليها الانسان بتعليم روح الله القدوس المستعد على الدوام ان يعيننا

ويرشدنا وان الله معن تمام الاعلان في المسيح يسوع وعلى ذلك قوله: «من رأني فقد رأى الآب» (يوحنا ١٤: ٩) بل معن فيه دون سواه لانه «كلمة الله»

الفصل الثالث

في حالة الانسان الاصلية وحالته بعد السقوط واحتياجه الى
الخلاص من الخطية والموت الابدي

من رام الاطلاع على حالته الحقيقية الواقعة كما هي في اعتبار
الله القدوس يطلع عليها جزئياً على صفحة ضميره ولكنه يعرفها تمام
المعرفة من الكتاب المقدس لانه كلام من هو بكل شيء عليم «ليست
خليقة غير ظاهرة قدامه بل كل شيء عريان ومكشوف» (الرسالة الى
البرانيين ٤: ١٣) لا يعلم الله ما عملناه فقط بل وما سنعمله وما يخطر على
بالنا كل ايام حياتنا وهو الذي يقدر ان يخبرنا عن غايته التي قصدها
من خلقه ايانا وحفظه لنا بقيد الحياة وعلى اي شيء تتوقف سعادتنا
بالمستقبل. ان الفلاسفة كتبوا في الالهيات افكارهم وخواطرهم عن
هذه المواضيع ولكن العقل السليم يحزم بانه ان كان الله قد اعلن ارادته
لنا بواسطة الرسل والانبياء يكون اعلانه اجدر بثقتنا من الآراء

الفلسفية والاقيسة البشرية المحدودة والغير المعصومة ولذلك فمن اراد ان يعرف لاية غاية خلقنا الله وكيف سقطنا الى حالة الخطية والتعاسة يجب ان يرجع الى كلام الله حتى يقف على الحقيقة وهنا نتوسل بكل لطف واحترام الى القارىء المسلم العزيز ان ياتي كلاً من التشيع والتحامل جانباً اثناء اطلاعه على الكتاب المقدس اي التوراة والزبور والانجيل التي يشهد لها القرآن اعظم شهادة تليق بكلام الله. اقرأ في الكتاب بما يليق بمقام صاحبه من التوقير والاحترام بعزم ماض ونية خالصة داعياً الله ان يمنحك فهماً وهدى روحين حتى يتيسر لك ان تفهم ما تقرأه وتفتح بصيرة قلبك وتشاهد حالة نفسك الداخلية تلك الحالة التعيسة الشقية عند ذلك تنال الخلاص الدائم والحياة الابدية والبركة والسعادة اللانهائية. في سفر التكوين ٢٦: ٢-٢٥ وسفر الجامعة ٢٩: ٧ نجد ان الله خلق الانسان في حالة الاستقامة والقداسة والسعادة وهذه تبين ان الله خلق الانسان على صورته وشبهه تعالى اي ان عقل ذلك الانسان المخلوق المحدود وخصوصاً روحه كانت قبل سقوطه تشابه الخالق الغير المحدود بنوع ماوبها جعل الله تعالى نفسه معروفاً لدى الانسان وكان الانسان حينئذ معصوماً من الخطية بل من خطور الافكار الشريرة على قلبه وعقله كما من كل الشهوات

الجسدية والنفسية والروحية وكان جسمه غير معرض لمرض ما او
 للموت. وحيث انه عرف الله واحبه ورغب في ان يخدمه فلذلك كان
 سعيداً وقنوعاً وكان رئيس كل المخلوقات التي على وجه الارض ونعلم
 من سفر التكوين ان الله اعد له مسكناً جميلاً مباركاً هو جنة عدن
 (سفر التكوين ٢: ٨) وكانت واقعة غالباً على السهل الذي بنيت عليه
 بابل فيما بين النهرين ومدن اخرى فيما بعد

فكل امرئ يعلم بشهادة ضميره ووجدانه انه فقد تلك الحياة
 السعيدة حياة العصمة والهناء واصبح مكبلاً في قيود الخطية والتعاسة
 ثم ان تاريخ الامة البائدة التي اكتسحها الله عن وجه الارض بسبب
 خطاياهم والشقاء الحاضر الخيم على وجه البسيطة من ألم وموت يحصد
 الكبار والصغار لاعظم دليل على ان الانسان لم يبق على الحالة التي
 فطره الله عليها وكان تعالى يريد ان يبق الانسان ونسله عليها الى الابد
 وعلاوة على ذلك نجد ان الكتاب المقدس يخبرنا بمقدار ما بلغ اليه
 الانسان من الشرور والمعاصي وخصوصاً في اعتبار الله القدوس
 (سفر التكوين ٨: ٢١ ومزامير ١٤٣: ٢ ورسالة رومية ٣: ١٠-٢٠)
 و٢٣ ويوحنا الاولى ١: ٨)

ومن يتأمل في حالة قلبه اقل تأمل واقتكر برهة في الاميال

الفاسدة والاهواء المشوشة التي تنبع على الدوام من قلبه كما تنبع الماء
 من العين لا يبقى عنده مجال للريب في أنه بالحقيقة خاطئ في نظره
 تعالى كما هو موصوف في الآيات المشار اليها وتشهد عليه ذمته
 وضميره انه ليس هو خاطئاً فقط بل ان الخطية والفساد استحوذا على
 قلبه حتى لم يبق في مقدرة وسيلة للتخلص من نير الخطية وشعر ان
 هذه حالته منذ حداثة سنه بل منذ ولادته وحينئذ يتبين له ان طبيعته
 الادبية فاسدة الا ان للناس مذاهب في اميالهم نحو الرذيلة فبعضهم
 ميالون لمحبة المال وبعضهم للبخل وبعضهم لمحبة الشهرة وآخرون قساة
 القلوب وآخرون متكبرون وغيرهم فاقدو الشعور وبعضهم ماحدون
 وبعضهم زنادقة وغيرهم منافقون والبعض ميالون لاكثر من هذه
 وعلمنا علم اليقين بالاختبار والملاحظة انه لا يوجد انسان على وجه
 الارض خال من الخطية حتى ان خير الاخيار واكثر الناس تقوى
 يعترفون بانهم طالما عملوا اعمالاً لم يكن يجوز لهم ان يعملوها ولم
 يعملوا اعمالاً كان يجب عليهم ان يعملوها وبالجملة فان حياة العالم كله
 في العصور الغابرة والحاضرة دليل محسوس على صدق كلام الله المسطور
 في الكتاب المقدس وان كثيرين من الوثنيين لما سمعوا شهادة
 الكتاب عن الانسان وقبلوا بينها وبين واقعة الحال في انفسهم وبين

ذواتهم شعروا ان هذه رسالة منه تعالى تصف حالتهم الروحية البائسة
قائلين ان صاحب هذا الكتاب انما هو الذي خلقنا
وقد اختبر بعضهم تغييراً في حالة قلوبهم بحيث اصبحوا يبغضون
الخطية ويحبون الصلاح الا ان هذا التغيير يجب ان ينسب الى الميلاد
الثاني الذي شرحه المسيح في بشارة يوحنا ٣: ٣٠ الذي لا يمكن ان
يحصل عليه احد إلا بواسطة الايمان به

وقد رأينا ان التوراة تفيد ان آدم عندما خلقه الله لم يكن يعيل
بطبيعته الأولى الى الخطية وبالنتيجة كان خالصاً من حالة الشقاوة
المستولية اليوم على ذريته . ثم ان البحث العقلي يؤيد ذلك لانه من
المعلوم ان الخطية هي مخالفة لمرضاة الله وان الخطية هي التعدي على
الشريعة الالهية التي توافق ذاته تعالى وتصدر عنها فليس من المعقول
ان نقول ان ارادته تعالى هي التعدي على ذاته تعالى وحيث ان بني
آدم غرقوا في بحار الخطية والشقاوة وغدوا سببا للنفس الامارة بالسوء
فيلائم حالتهم ان يبحثوا حتى يعلموا من اين دهمتهم هذه المصيبة الدهاء
ونجد الجواب على هذا السؤال في اسفار الكتاب المقدس حيث
نقرأ ان الخطية وتأنجها المحزنة دخلت الى العالم بسبب عداوة ابليس
وغوايته لجنسنا من الجهة الواحدة وبسبب حرية ارادة الانسان

وابتغائه ان يعمل مرضاته دون مرضاة الله من الجهة الاخرى حيث خدع ابليس حواء التي خدعت آدم فعصى آدم ربه حراً مختاراً ومن تلك الساعة ارتد آدم عن الله وحاد عن جادة الحق وانقطعت الصلة بينه وبين من هو ينبوع الحياة والسعادة الحقيقية (انظر سفر التكوين ص ٣ قابل يوحنا ٨: ٤٤ ورسالة رومية ١٢: ٥ و ١٩ ورسالة تيموثاوس الاولى ٢: ١٣ و ١٤)

قيل لَمْ يَمْنَعِ اللهُ دُخُولَ الْخَطِيئَةِ إِلَى الْعَالَمِ وَلِمَاذَا سَمَحَ لَا بَلِيسَ أَنْ يَجْرِبَ الْإِنْسَانَ وَيَنْتَصِرَ عَلَيْهِ أَوْ لِمَاذَا لَا يَزَالُ يَتْرَكَ لَهُ الْجَبَلُ عَلَى الْغَارِبِ فِي تَجْرِبَةِ الْبَشَرِ إِلَى الْآنَ؟ فالجواب مفصل في كتاب «طريق الحياة» ونكتفي هنا بالقول ان الله سبحانه وتعالى لم يكشف لنا غاياته من ذلك تماماً وليس في طاقة البشر ايجاد جواب شاف من كل وجه لهذا السؤال الصعب غير اننا نقول ليس من الضروري ان نضع اعمال الله تحت بحثنا انما الضروري ان نعتز بسوء حالتنا ونبحث عن كيفية النجاة وغاية ما في الامر ان نعرف ما عرفه ابراهيم وهو ان ديان الارض كلها لا بد ان يكون عادلا في كل اعماله (سفر التكوين ١٨: ٢٥) غير ان بعض الحكماء اكدوا لنا بان وجود التجارب في الحياة الدنيا والشقاوة والآلام الناتجة عن الخطية هي درس لتدريب النفس

على حياة الفضيلة بواسطة مقاومة التجارب والالتصاف عليها بنعمة الله،
وبواسطة اختبارنا نتائج الخطية المحزنة. أنعم الله على الانسان بحرية
الارادة ليختار لنفسه ما شاء من الحق او الباطل، الطاعة او المعصية،
الحرية او العبودية لا بليس. وقد أعلن الله إرادته ومحبتة لنا وهدانا الى
طريق الحق الا انه تركنا نختار ما نريد ولم يلزمنا بالرغم منا ان نختاره
تعالى دون سواه، قصد الله ان نحبه لكن لا اكراه في المحبة كما لا
اكراه في الدين المسيحي الحق بعد أن تبين الرشد من الغي

وعلمنا الله في كتابه انه لم يكن طبق ارادته تعالى ان نخضع
لسلطان ابليس ونزرع تحت نير الخطية بل ارادته ان نتحررو ونعتق من
هذه العبودية الصارمة وتظهر من شوائب الخطايا والعيوب ونرجع
الى الحالة التي خلقنا عليها حالة الطهارة والقداسة التي فقدها آدم لكي
نصير ورثاء السعادة الابدية وان الكتاب بقسميه واختبار الجنس
البشري يثبتان ان الانسان لا يقدر ان يحظى بالسعادة الحقيقية ما لم يتب
عن اعماله الشريرة ويرجع بايمان حقيقي الى الله ويتحرر من سلطان
الخطية ويفوز بالغفران لانه بدون نقاوة القلب لا يمكن ان نشاهد الله
ببصائرنا القلبية (بشارة متى ٨: ٥ والرسالة الى العبرانيين ١٢: ١٤) ان
التقي الحقيقي يجب ان يكون قديساً لان الله قدوس (لاويين ١٩: ٢)

وبشارة متى ٤٨:٥ والرسالة الثانية الى اهل كورنثوس ١٤:٦-١٠:٧
ورسالة بطرس الاولى ٩:٢ و ١٠ ورسالة يوحنا الاولى ١:٣-٨)
هذا هو تعليم الكتاب المقدس لان الضمير والعقل يشهدان
ان الانسان خلق صالحاً على صورة الله وشبهه ثم سقط وان لا وسيلة
لارجاعه الا بواسطة اعادة خلقه على صورة القداسة التي سقط منها
ليكون اهلاً لسكنه مع الاله القدوس ورؤية وجهه تعالى
فان كنا نقابل بين تعاليم الكتاب المقدس وكتب الاديان
الاخري من حيث المبادئ المذكورة هنا نجد فرقاً عظيماً لان تلك
الكتب لا تفيدنا شيئاً بخصوص مقصد الله في خلقه الانسان ولا تشير
اقل اشارة الى وجوب تطهير القلب وتقديس الروح وكل ما جاء فيها
بهذا الصدد فهو محصور ضمن اعمال الوضوء والغسل التي لا تصل
الا الى الجسد والمغفرة في تلك الكتب تلمس من باب الاثابة على
الحج والاضحية والصدقات. يا اخوان لا ننكر ان الوضوء والغسل
لازمان لتنظيف الابدان ولكن اين هي الابدان من القلوب؟ قال
المسيح زاجراً ولا تمأفرقة من اليهود تصوروا ان الغسل يقربهم الى
الله «ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون لانكم تنقون خارج
الكأس والصفحة وهما من داخل مملوآن اختطافاً ودعارة ايها الفريسي

الاعمى نقّ اولاً داخل الكاس والصحفة لكي يكون خارجهما ايضاً
 تقياً (بشارة متى ٢٣: ٢٥ و ٢٦) وكذلك الاعمال الصالحة وفي جملتها
 الصدقات يجب ان تكون ناتجة عن محبتنا لله وامثالاً لمشيئته واظهاراً
 لمعنويتنا وتشكراتنا على سابق مغفرته ورحمته وليس لكي نستعطفه
 تعالى ونحمّله على ان يغفر لنا فان مثل هذه الاحساسات تقلب العمل
 الصالح الى عمل رديّ لان الديان العادل لا يقبل الرشوة لاجل أن
 يغفر للمذنب ذنبه فقيمة الاعمال الصالحة تقاس على البواعث التي
 تبعث اليها والله عليم بتلك البواعث ولا تخفى عليه خافية

ولاجل أن نعلم مشيئة الله ونستعين على الاتقياد اليها عامناً كثيراً
 من اسفار العهد القديم والجديد ما يجب علينا ان نعمله وما يجب ان
 نجتنبه وعدا ذلك فانه لخص الشريعة الادبية في وصايا مختصرة وردت
 في اجزاء مختلفة من التوراة في اسفار موسى نجد الوصايا العشر
 (سفر الخروج ١٠: ٢٠-١٧ وسفر التثنية ٥: ٦-٢١) وفي أواخر اسفار
 العهد القديم نجد خلاصة اخرى للشريعة الادبية

وردت في سفر ميخا النبي وهالك هي «قد اخبرك ايها الانسان
 ما هو صالح وماذا يطلبه منك الا ان تصنع الحق وتحب الرحمة
 وتسلك متواضعاً مع الهك» (ميخا ٦: ٨)

ينتقد بعضهم على المسيحيين ان ليس لهم شريعة مؤلفة من اوامر ومحظورات وفاتهم ان الشريعة التي اشرنا اليها في اسفار العهد القديم لا تزال نافذة المفعول على المسيحيين على انه لنا في الانجيل شريعة عظيمة نطق بها المسيح في موعظته على الجبل (راجع بشارة متى ص ٥ و ٦ و ٧) وعدا ذلك فانه جمع واجباتنا في آيتين وجمعهما في واحدة (بشارة مرقس ١٢: ٢٨-٣١ وبشارة لوقا ١١: ٣١) فلما تقدم نرى المسيح وضع مبادئ عمومية جامعة للارشاد الى ما ينبغي عمله في كل ظروف الحياة مع ان غيره من واضعي الشرائع عينوا ارشاداً مخصوصاً لكل عارض يحدث لهم. ومن يقرأ (اصحاح ١٢ كله و ١٤: ١-٨ من الرسالة الى رومية واصحاح ١٣ من رسالة كورنثوس الاولى و ٤: ١-٢١ من رسالة افسس وكولوسي ٣: ١-٤) يرسمو وقداصة المبادئ المحتمة على المسيحيين ان يسلكوا. فيها لم نؤمر بغسل ايدينا قبل الصلاة بل امرنا ان نغسل قلوبنا ولا ان نحج مرة في العمر بل نكون على الدوام حجاجاً متغربين في الارض لانه ليس لنا فيها مدينة باقية بل نكون قاصدين المدينة السماوية وكل ما قطعنا مرحلة من طريق الحج الى السماء زدنا تمثلاً واقتداء بقداصة الله وعلينا ان لا نصلي خمس مرات أو سبعة في اليوم بل نصلي في كل حين وبدون انقطاع (١ تسالونيكي

(١٧:٥) اي نصرف حياتنا بحملتها في شركة مستديمة مع الله . ولا ان نقدم ذبائح حيوانية كما كان يقدم اليهود بل نقدم ذواتنا ذبائح حية مقدسة مرضية عند الله (رسالة رومية ١٢: ١ ورسالة بطرس الاولى ٢: ٥)

مما تقدم نرى ان شريعة العهد الجديد ابغ واسمى من شريعة العهد القديم وهي توافق تمام الموافقة صفات الله الجلالية والكمالية لانها توصي بنقاوة القلب وبالتالي تؤدي الى قداسة الحياة وغني عن البيان انه بدون هذه الوصايا الروحية يضيع لب الدين ولا يبق منه سوى قشور الرسوم الخارجية التي لا تبرز الانسان . ان وصايا الانجيل اعلى في روحانيتها وكمالها من وصايا كل الاديان لانها مدبرة بطريقة خصوصية تغير طبيعة القلب الفاسدة الى طبيعة مقدسة تفيض اعمالاً صالحة مدى العمر . وعليه يجب ان نقبل وصايا الدين المسيحي لا كاقوال بشرية مثل بقية الاديان (الا الدين اليهودي) بل كما هي بالحقيقة وصايا الله نفسه وان اردت قولاً جامعاً لوصايا الانجيل فانظر الى ما قاله المسيح في هذا المعنى وتأمل فيه بعين مجردة من الغرض قال «تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك هذه هي الوصية الاولى والعظمى والثانية مثلها تحب قريبك

كنفسك بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والانبياء (بشارة متى ٢٢: ٣٧-٣٩) وهذه الاقوال مقتبسة بتوسع من اسفار العهد القديم (انظر سفر التثنية ٦: ٥ و ١٠: ١٢ و ٣٠: ٦ ولا و بين ١٩: ١٨) فترى تعليم اسفار العهد القديم والعهد الجديد واحداً من حيث الواجبات التي يكلفنا بها الله والطريق الذي ينبغي لنا ان نسير فيه لانه في العهدين يريد الله منا ان تمتلئ قلوبنا بمحبته تعالى لانه احبنا اولاً حتى نصرف سائر قوانا الجسدية والروحية والنفسية والعقلية كل يوم وكل ساعة في خدمة الله ومرصاته وكما اننا نبتغي الخير لا نفسنا ونسعى لمصالحنا يجب ان نعمل مثل ذلك لجيراننا وان كانوا اعداءنا لان الاعداء في اعتبار الله لم يخرجوا عن كونهم جيراننا واقرباءنا واخواننا واياهم قصد المسيح لما اوصى ان تحب قريبك كنفسك (انظر بشارة لوقا ١٠: ٢٥-٣٧) بمثل هذه الفضيلة نطيع قانون المسيح الذهبي القائل: «كل ما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا هكذا انتم ايضاً بهم» (بشارة متى ٧: ١٢) وعلى قدر ما في هذه الوصايا من توثيق رابطة المحبة بين الانسان وخالقه وبينه وبين بني جنسه يتنقى القلب من الدنس وتعتق النفس من محبة الذات وتؤدي بطبيعة الحال الى سعادة الدارين وكذلك توافق هذه الوصايا الناموس الطبيعي الذي نقشته يد

الخالق على صحائف القلوب والضمائر . فان كنت تقابل بين ناموس
 ضميرك وشريعة قلبك وبين ما تتلوه عليك من وصايا المسيح وموسى
 تعلم وتجزم ان تعليم الكتاب المقدس صادر من الخالق عز وجل
 وتحقق انه موحى به منه تعالى كما تتحقق الشمس في رابعة النهار
 فليكن معلوماً لك ان الذين لا يقبلون تعليم الكتاب المقدس يدانون
 بموجبه في اليوم الاخير وذلك لانه منقوش على قلوبهم وضمائرهم
 ولهذا السبب عينه كتب الله شريعته الالهية على القلوب حتى لا يكون
 عذر لمن عصى حتى ان الوثنيين والملحدين مسئولون عن حفظ
 الناموس الالهى حسب طبيعتهم لان الناموس مكتوب على قلوبهم
 ويعرفون الى درجة ما انهم خالفوا هذا الناموس الطبيعي وانهم
 واقعون تحت طائلة العقاب ومحتاجون لمخلص

ولقائل يقول: ان كان الناموس مكتوباً على القلوب ويكشف
 لنا احتياجنا الى مخلص فما الداعي الى الكتاب المقدس فاجيب ان
 الداعي اليه تحصيل شهادة ثانية تؤيد شهادة الضمير مع ان في الكتاب
 المقدس بياناً اوفى ونوراً اعظم وثقة ارسخ لكي تشجع في جهادنا
 الروحي طالبين منه تعالى العون في كل احوال الحياة

وفي الكتاب شهادة يا حبذا لو فطن اليها الناس وهي ان معرفة

الحق لا تبررنا بل بالحري تزيد مسئوليتنا ما لم نكن سالكين بموجب الحق الذي عرفناه (بشارة متى ٢١: ٧-٢٧ ولوقا ١٠: ٢٥-٢٨ ويوحنا ١٣: ١٧ ورسالة رومية ١٣: ٢) وفيه أيضاً ان العدالة الالهية لا ترتضي ان تمس الطاعة الكاملة شائبة من شوائب النقص بمعنى انه لا يرتضي الا بالكمال في اخلاقنا واعمالنا (بشارة متى ٤٨: ٥) فان اطاع الانسان الوصايا جميعها ما عدا وصية واحدة يعد مجرمًا (رسالة يعقوب ١٠: ٢ و١١ ورسالة غلاطية ٣: ١٠-١٢) وكذلك الحال بالنسبة الى القوانين المدنية مثال ذلك ان قانون البلاد يمنع القتل والسرقة فان كنت لم تقتل ولكن سرقت ولو مرة واحدة في العمل وضبطت لا يشفع لك عند القاضي كونك لم تقتل بل يعاقبك على سرقتك. لم يذكر عن آدم الا خطية واحدة ومع ذلك جلبت الويل والموت. فتأمل ما اشنع عواقب الخطية الواحدة. من اجل ذلك لا تؤمل انك تفوز بغفران الله عن معصية واحدة مقابل طاعات كثيرة فن رام مرضاة الله بعمله عليه ان يحفظ وصاياه جميعها بالضبط والدقة ومتى تعدى على اقل وصية يدرج اسمه في قائمة العصاة ويحال الى الدينونة

ولكن هل وجد على سطح كرتنا الارضية انسان اطاع الله كل حياته طاعة كاملة؟ ومن ذا الذي احب الله من كل قلبه وفكره ونفسه

واحِب قريبه كنفسه (بشارة متى ٣٧: ٢٢ و ٣٩) ومن ذا الذي قضى
 عمره ولم يرتكب معصية ولا زلة ما ولا فرطت من فمه كلمة سوء
 ولا جال على خاطره فكر خبيث ولا شهوة ردية (انظر سفر
 ايوب ٤: ١٨ و ١٩ و ٢٥: ٤-٦ و مز ١٤٣: ٢ و روم ٢٠: ٣) ولم يوجد انسان
 عاش ومات ولم يعمل خطية قط الا سيدنا يسوع المسيح

واذ قد علمت ان كل الجنس البشري (ما عدا يسوع) مذنب
 بشهادة ضميرك وشهادة كلمة الله المعلنه في الكتاب المقدس ألا يجب
 علينا ان نعترف بخطايانا بقلب منسحق متخشع امام خالقنا قائلين:
 «يا رب الارباب البار القدوس ان الطهارة التي انت تريدنا ليست
 فينا ولذا نحن يا رب نستحق غضبك والموت الابدي فطهرنا؟»

اما كون الله يعاقب الخطاة على خطاياهم فقضية مسامة. اولاً لان
 التجارب والاختبارات تؤيد ذلك. ثانياً لان شهادة الضمير تؤيده
 ايضاً. ثالثاً لان كلمة الله تصرح بهذه الحقيقة كما في هذه الآيات (حزقيال
 ٢٠: ١٨ وبشارة متى ٢: ٣٦ و ٤١: ٢٥ و رسالة رومية ١: ١٨ و ٢: ٨ و
 رسالة كولوسي ٣: ٢٥ و رسالة تسالونيكي الثانية ١: ٩) يتصور بعضهم
 ان الله يغفر للمذنبين ذنوبهم بدون ان يعاقبهم استناداً على كونه رحيماً
 ورحمته غير متناهية الا ان هذا محال اديباً الا بتدبير طريقة لتكريم

شريعته ووفاء مطالبيها واما ان غفر الذنوب بدون ان يقضي حق
حرمة شريعته فلا يكون عادلاً وحقاً ان رحمته ومحبته غير محدودتين
ولكن لا تنس ان عدله وقداسته غير محدودتين كذلك فيستحيل
عليه ان ينظر بعين الرضى الى فاعل الشر

وعدا ذلك فان الخطية بطبيعة الحال لعنة وقصاص لفاعلها ولا
يمكن ان يكون سعيداً لا في هذه الدار ولا في الدار الآتية لان
الانسان الشهواني مثلاً لا يعرف للسعادة الحقيقية معنى حتى هنا
لان الخطية تنزل طبيعة الانسان الى الحضيض فيصير قاسياً جباناً
محباً للذات دينياً نذلاً متباعداً عن حضرة الله القدوس مصدر
السعادة وينبوع السلام والسرور قال المسيح «ان كل من يعمل
الخطية هو عبد للخطية» (بشارة يوحنا ٨: ٣٤) واعظم قصاص يقع
على الخاطئ بقاءه في حالة الخطية وذلك نصيب الذين اصرروا على
تفضيل الظلمة على النور والشر على الخير وابليس على الله (بشارة
يوحنا ٣: ١٩ وسفر الرؤيا ١٢: ١١)

ولاحظ ايضاً انه من رحمة الله ومحبته ان لا يترك الانسان
يخطئ بلا عقاب لانه ان علم الانسان انه ان اخطأ لا يعاقب يتهور
في الخطية ويغوص في بحر الفساد الى ما لا قرار له فتسوء حاله وتبلغ

تعاسته حدّاً لا يوصف وتكون حياته ويلاتاً لنفسه وقومه فإن هذه
 النتائج المحزنة المدمرة من رحمة الله ومحبة
 ويتضح ان التعدي على شريعة الله موجب للعقوبة والا فلماذا
 انزل الله الشريعة الالدية ولماذا كتبت في الاسفار الالهية ولماذا
 كتبها على قلوب البشر؟ لا يقدر ذو عقل سليم يتصور ان عيب
 الله العصاة والطائعين متساوون عند الله ويعاملهم معاملة واحدة
 وحيث ان كل الجنس البشري اخطأ ما عدا واحداً فوجب
 علينا جميعاً القصاص ولا قدرة فينا نحن معاشر الخطاة ان نرضي الله
 او ان نكفر عن خطايانا وننال غفرانه تعالى ونحصل على المصالحة معه
 ثم اننا لا نحتاج فقط الى نجاة من القصاص بل بالاكثير نحتاج ايضاً
 الى واسطة نخلص بها من قوة الخطية ومحبتها فالقصاص حسن ونافع
 للخطي وفي الغالب يقوده الى التوبة فلذلك الخطية موجبة للقصاص
 دائماً. فنحتاج الى طريقة بها نخلص من نتائج الخطية الابدية التي
 تحول بيننا وبين الله وتنفيها من حضرة المقدسة وتسقطنا من محبته
 وعنايته الابوية وتحفظنا من ان نكون على صورة ابليس عقلاً وقلباً
 واذا لم نحصل هذا الخلاص نخير لنا ان لا نوجد. فكيف اذاً نجد
 طريقة خلاص؟ اذا كان الانسان في حالته الساقطة الحالية لا يمكنه

ان يتم شريعة الله فمن اين له ان يكفر عما مضى ويصالح الله تعالى .
 حقاً ان اعماله الحسنة لا تستوجب اقل مكافأة فضلاً عن كونها غير
 مقبولة بالمرة . كيف يقبل الله شيئاً من يد مدنسة ومن قلب فاسد ؟
 وليس فقط اعمال الانسان ولكن حتى كلماته وافكاره مدنسة بالخطية
 فكيف يمكن لنا مع عدم اتمامنا الواجب لله وللقریب اننا باعمالنا
 الحسنة نستحق مغفرة خطايانا ؟ وذلك محال . ولو فرضنا انه وجد
 رجل لم يخطئ قط فلا يكون الا انه قام بالواجب وليس للقائم بالواجب
 فضل (بشارة لوقا ١٧ : ١٠) ولا يمكنه ان يشفع بواجبه لنفسه او
 لغيره ويعامنا الكتاب المقدس ان شريعة الله تكلفنا ان نكرس له
 تعالى حياتنا بجملة تكريساً تاماً (متى ٢٢ : ٣٦ - ٤٠) وعليه فان اخطأنا
 الى الله يوماً ما فليس في وسعنا ان نعوض ما فاتنا في المستقبل

ويظن بعضهم بحماقة وجهل انهم عبدوا الله اكثر مما فرض عليهم
 وهذا منتهى الغباوة كما هو غني عن البيان وبالرغم عن دعاويهم الباطلة
 عند ما يخلون الى انفسهم لا يقدرّون ان يقنعوا ضمائرهم انهم مبررون
 في عين الله وكثيراً ما تبكّهم قلوبهم بالآلام مرة وتخيفهم من هول
 العقاب بعد الموت حتى يقضوا الجانب الاوفر من حياتهم معذبين في
 خوف الموت ويموتوا في عذاب شديد . ولنضرب لك مثلاً وهو

ما حكاه ابن خلدكان في كتابه وفيات الاعيان عن ابي عمران ابراهيم بن يزيد «لما حضرته الوفاة جزع جزعاً شديداً. فقال واي خطر اعظم مما انا فيه انا اتوقع رسولا يرد علي من ربي اما بالجنة او بالنار والله لو ددت انها تلجأ في حلقى الى يوم القيامة» وبالطبع كان ذلك من خوفه مما بعد الموت

وكذلك لا تكفي التوبة لمحو خطايانا نعم ان توبتنا عن خطايانا ضرورية الا انها لا تكفر عن ما مضى من آثامنا. فذلك التوبة ليست كافية لخلاصنا. ويجب ان نلاحظ ان المتعدي على الشريعة البشرية لا تمحو التوبة عنه ما جناه فهل اذا قاتل او لص للقاضي انه تاب عن فعلته فهل يعدل القاضي اذا اطلقه حراً. لا شك ان ذلك مخالف للعدل لدى افكارنا الطبيعية. وحيث ان هذا الفكر عن العدل هو جزء من الناموس الادبي الذي نقشه الله على صفحات قلوبنا فلا بد ان يكون صحيحاً. ويوجد كثيرون تقست قلوبهم لدرجة لا يمكنهم معها التوبة اذا ارادوا

ها قدرأينا انه لا يمكن خلاص انفسنا باعمالنا ولا بعقوبتنا على الخطية ولا من نتائجها الاخرى. وبالاحرى لا يمكننا ان نتخلص من محبة وقوة الخطية ونحصل على المصالحة مع الله بواسطة استحقاق فينا.

فاذا لم يوجد مخلص يكفر عن خطايانا نبقى الى الابد منفيين من
حضره الله ولا يمكن لنا ابداً ان نحصل على السعادة الابدية التي
يرغبها كل البشر

X وقد ينأى انه اذا وجد مخلص يمكنه ان يكفر عن الخطايا ويحرد
اسرى الخطية ويجمعهم طاهرين في دين الله العادل القدوس فذلك
المخلص لا يكون مجرد انسان مولوداً مثل البشر وارثاً طبيعة آدم
الفاصلة خاطئاً كغيره. فلا يمكن لخاطئ ان يخلص خطاة وحيث
ان كل البشر خطاة فليس منهم من يقدر ان يكفر عن البقية. وجاء في
الزبور ان «الاخ لن يفدي الانسان فداء ولا يعطي الله كفارة عنه»
(مز: ٤٩: ٧) حتى وليس من يقدر ان يخلص اخاه من موت الجسد فكم
بالاحرى لا يمكن لشخص ان يفدي الآخر من الموت الابدي

ومع ذلك اذا وجد مخلص فيجب ان يكون انساناً والافلا يصح
ان يكون نائباً عنا وواحداً منا ولا رئيساً للبشر ولا يمكننا ان نقتنع
باخلاصه ونفهم محبته لنا. ويجب ان يكون ارقى من الذين يخلصهم
في طبيعته وقدره وفي الوقت نفسه يشاركهم في طبيعتهم. ويجب ان
يكون خالياً من الخطية ويتم شريعة الله تماماً. فان لم يوجد مثل هذا
المخلص فقد هلك كل العالم ولا رجاء لهم ولا يمكنهم الوصول الى

السعادة والقداسة التي يشتاقي إليها كل مخلوق

ولكن هل يوجد مثل هذا المخلص؟ إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس نرى أنه موجود. فالعهد القديم يتضمن الوعد بمجيئه والجديد يخبرنا كيف جاء. فقد شهد الانبياء والرسل بأنه المخلص الوحيد الحقيقي من الخطية وقد قدم لله كفارة كاملة وشفاعة تامة عن خطايا كل العالم (١ يوحنا ٢: ١ و ٢) ولذلك فهو قادر أن يحصل على غفران خطايانا

هذا المخلص هو الرب يسوع المسيح الذي بواسطة قدرته وقيادته وبطاعته حتى الموت قد حمل خطية العالم وصار شفيع كل الناس فقد كفر عنا وصالح الانسان مع الله القدوس البار ونال الخلاص الابدي لكل المؤمنين الحقيقيين به. اذاً فهو يقدم لكل العالم مغفرة خطايا والفرح الابدي

فالهدا نشترك مع الرسول بقلوب مملأ بالشكر في قوله «وملك الدهور الذي لا يفنى ولا يرى الاله الحكيم وحده له الكرامة والمجد الى دهر الدهور (١ تيموثاوس ١: ١٧)

لان الله المحب المحيي ارحم الراحمين من محبته ورحمته الغير متناهيتين قدم لنا نحن الخطاة فداء عظيماً وخلاصاً مجيداً بالرب يسوع المسيح. آمين

الفصل الرابع

في الطريق الذي عمله يسوع المسيح لخلاص كل الناس

والآن بالاتكال على هداية وبركة القدير نتقدم لشرح كيفية الخلاص الذي صنعه الرب يسوع لبني البشر وذلك بناء على ما ورد في اسفار العهد القديم والعهد الجديد مع العلم بان كثيراً من طرق الله العجيبة تخفى عن عقولنا المحدودة حيث اننا لا نقدر أن نعلم شيئاً من المقاصد الالهية الا ما شاء ان يعلنه لنا وبما انه منحنا عقولاً للفحص والتحري فيجب ان نستعملها في ما يعود بالمجد لذاته العلية. واذ انعم علينا باعلان طريق الخلاص فيسره تعالى ان نتأمل في اعلانه باحترام الى ان نفهم ما استطعنا فهمه بحسب عقولنا القاصرة (١ تس ٥: ٢١) ولا يتوقف خلاصنا على مقدار ذكائنا بل على حقيقة ايماننا بخلاص العالم ان الله تقديس اسمه من فيض محبته وكثرة رحمته تعطف علينا فاعد خلاصاً للخطاة بواسطة ربنا يسوع المسيح كما هو واضح في اسفار العهد الجديد ومن امثلة ذلك ما ورد في (لوقا ١٩: ١٠ و ١٦: ٣ و ٢ كو ١٩: ٥ و ٢١ و ١ تي ١: ١٥ و ١ بط ٢: ٢١ - ٢٤ و ١ يو ٢: ١٢ و ٩: ٤ و ١٠) اما كون الخلاص قد تهيأ بهذه الكيفية فهو حقيقة راهنة. فيلزمنا

الآن ان نجتهد لنفهم طريقة الوصول الى الخلاص بالمسيح وكيف
صح ان تسند اليه تلك الالقب العالية في هذه الآيات وغيرها مما
يؤكد لنا سمو طبيعته وانه متوفرة فيه الشروط المذكورة في خاتمة
الفصل الثالث

وتخبرنا الكتب المقدسة ان الله بحسب محبته الغير المحدودة ورحمته
الغير المتناهية قصد من الازمنة الازلية ان يصنع هذا الخلاص (انظر
افسس ٢: ٣ و ١ بط ١: ١٨-٢١ ورؤ ٨: ١٣) لذلك انبأ من قبل على
السنة انبيائه في العهد القديم مبيناً السبط والبيت الذي يخرج منه
المخلص وزمان ظهوره والكيفية التي يباشر بها خدمته بين الناس كما
انه انبأ برتبته وطبيعته وجميع متعلقات عمله الفدائي العظيم حتى انه منذ
العصور الاولى اي من قبل ظهوره بمئات من السنين علم بعضهم بهذه
المواعيد المباركة وآمنوا بها وانتظروا بفرح واشتياق ذلك المخلص
العظيم ومنهم آدم ابو الجنس البشري فانه علم من الله بقدوم المخلص
وانه سيكون قديراً بحيث يستطيع ان يسحق رأس الحية بمعنى انه
يستطيع ان يظفر بابليس ويعتق الانسان من نير عبوديته ومن الخطية
(انظر تك ٣: ١٤ و ١٥) وقد رأينا في الفصول الماضية ان الله وعد
ابراهيم انه بنسله تتبارك جميع قبائل الارض (تك ٢٢: ١٨) وتشهد

اسفار العهد الجديد ان ذلك النسل انما هو المسيح (غل ٣: ١٦) ثم انبأ على لسان موسى ان ذلك المخلص يكون نبياً عظيماً يقوم من وسط اسرائيل (تك ١٧: ١٩ و ٢١ و ٢٨: ١٤) وانه يعلم الشعب طريق الله واراذه (تث ١٨: ١٥ و ١٨ و ١٩) واما كون هذا النبي العظيم هو المسيح فقد صار امرأ معلوماً بشهادة ذلك الصوت الصادر من السماء يأمر الناس بالاستماع اليه (مت ١٧: ٥ و مر ٩: ٧) وهذا على وفق قول الله لموسى ان الانسان الذي لا يسمع لما يتكلم به ذلك النبي فهو تحت طائلة قصاص صارم بالضبط

ثم جاء داود وتنبأ عن هذا المخلص وانه سيأتي من ذريته ويدوم ملكه الى ما لا نهاية (٢ صم ٧: ١٦ و مز ٣: ٨٩ و ٤ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و اش ٩: ٦ و ١١ و ١ و ار ٥: ٢٣ و ٦ و ٣٣: ١٥ و ١٦ و ١٧ و ٢٠ و ٢١ و ٢٥ و ٢٦ قابل ذلك بما ورد في يو ١٢: ٣٤)

وجاء في تك ٤٩: ١٠ ان المملكة لا تزول من سبط يهوذا حتى يأتي شيلون وهذا الاسم من القاب المسيح

ولد يسوع من نسل داود (مت ١: ١ و اع ٢: ٣٠ و ١٣: ٢٢ و ٢٣ و رو ١: ٣) قبل التاريخ المسيحي المعروف بنحو اربع سنوات فيجب الاشارة هنا الى ان المؤرخين اخطأوا في تعيين الوقت الذي ولد فيه

المسيح بالضبط اذ اخذوا ذلك عن راهب يدعى ديونسيوس الصغير
 كان معاصراً للملك جوستينيان وهذا الراهب اخر سهواً تاريخ ميلاد
 المسيح بضع سنوات غير انه لا بأس من ان نعتمد على هذا التاريخ
 المتداول فنقول ان هيرودس الملك العظيم مات قبل التاريخ المسيحي
 بارب سنوات وكان يسوع حينئذ لا يتجاوز عمره السنتين كما يظهر
 من مراجعة (مت ٢: ١٣) وعند ذلك انقسمت مملكة اليهود اربعة
 اقسام ملك على احدها المعروف باليهوية ارخيلاوس ابن هيرودس
 وفي السنة السادسة للميلاد خلعتة الحكومة الرومانية ونفته من البلاد
 واصبحت اليهودية ولاية رومانية بعد ان كانت مملكة مستقلة
 وان كانت خاضعة للرومان ومن ذلك الزمن الى العصر الحاضر لم
 يكن لليهود ملك خاص وكان ذلك تماماً لنبوذة يعقوب بزوال قضيب
 الملك من يهوذا وان اليهود انفسهم اول المعترفين بذلك لانهم كانوا
 يصرخون عند صليب المسيح قائلين «ليس لنا ملك الا قيصر» (يو
 ١٩: ١٥) وهذا دليل صريح على اتيان المسيح ذلك الزمن

ثم ان المكان الذي كان ينبغي ان يولد فيه المسيح سبق الانباء
 به على لسان النبي ميخا (مي ٥: ٢) ومما هو جدير بالالتفات في هذه
 النبوة الاشارة اللطيفة الى سمو مقام المسيح عن بني البشر اذ قيل عنه

«ومخارجه منذ القديم منذ ايام الازل» وقد ولد المسيح حيث انبأ هذا النبي (مت ١: ٢ و ٦ و ٥) واما انه يولد من عذراء فقد دل عليه (تك ١٥: ٣) زاده دلالة (اش ١٤: ٧) وتم بالفعل كما في مت ١: ١٨ — ٢٥ ولو ١: ٢٦ — ٣٨ وصادق عليه القرآن كما في سورة الانبياء آية ٩١ وسورة التحريم آية ١٢ ومن جهة تعليمه واتضاعه وآلامه وموته وايضاً الكفارة التي كان قاصداً ان يقدمها لفداء بني البشر كل ذلك سبق التخير به قبل زمنه على السنة الانبياء ونخص بالذكر منهم اشعياء النبي كما ترى في اش ١: ٤٢ — ٩ و ١: ٦١ — ٣ (قابل ذلك مع لو ١٧: ٤ — ٢١ و اش ١٣: ٥٢ — ١٥ و ص ٥٣ و مز ٢٢) وكذلك الوقت الذي كان مزماً ان يموت فيه قد تنبأ عنه دانيال النبي وبينه بوضوح كما ترى في (دا ٩: ٢٤ — ٢٦) فانه يحسب من وقت خروج امرار تحششتا ملك الفرس بتجديد اورشليم وبنائها الى المسيح سبعة اسابيع واثنا وستون اسبوعاً وصدر ذلك الامر في السنة السابعة من حكم ارخحشتا (عز ١: ٧ — ٧) اي سنة ٤٥٨ ق م فان حسبنا تلك الاسابيع اليوم بسنة واضفنا اليها الاسبوع الاخير الذي قيل ان المسيح يقطع فيه وجدنا اتماً عجيباً انبوة دانيال اذ تبلغ تلك المدة ٤٩٠ سنة وهي توافق سنة ٣٢ م وقد مات المسيح حوالي ذلك الوقت وعلى الأرجح سنة ٢٩

او ٣٠م والخراب المنذر به ان يالحق مدينة اورشليم وهيكلها (دا ٩: ٢٥ و ٢٦ و ٢٧) وقع عليها بعد موت المسيح بنحو اربعين سنة اي سنة ٧٠م حينما هدمها تيطس القائد الروماني كما هو مدون في تاريخ يوسفوس وغيره من المؤرخين الذين اصبحت اخبارهم مصدقة لما انبأ به المسيح (مت ٢٤: ٢١-٢٨ و مر ١٣: ١-٢٣ ولو ٢١: ٥-٢٤) والضيقة التي كابدها اليهود في تلك الايام (مر ١٣: ٢٤) لا زالوا يكابدونها اليوم فانهم متفرقون على وجه الارض يذوقون اصناف العذاب والمسامون انفسهم مشاهدون لما يحل بهم من النكبات ليس في بلادهم فقط بل وفي غيرها كروسيا ولم تتم بعد «ازمنة الامم» منذ استيلائهم على اورشليم الى الآن (لو ٢١: ٢٤) اذ هم يمتلكون الى الآن اورشليم وفي اسفار الانبياء شيء كثير من النبوات عن هذه الامور مثل قيامة المسيح وصعوده الى السماء وجلوسه عن يمين الله ومن امثلة ذلك ما ورد في (مز ١٠: ١٦) بالمقابلة مع ما ورد في اع ٢: ٢٢ - ٣٦ و مز ١١٠: ١ و دا ٧: ١٣ و ١٤ وتنبأ دانيال ايضاً بان مملكة المسيح ستأسس في ايام سيادة المملكة الرابعة اي المملكة الرومانية (دا ٧: ٢٣) كما زالت المملكة الرومانية وتمت فيها نبوة دانيال (انظر دا ٢: ٣٤ و ٣٥ و ٤٤ و ٤٥ و ٧: ٧ و ٩ و ١٣ و ١٤ و ٢٣ و ٢٧) اما المالك الرابع المشار

اليهافهي مملكة بابل والفرس واليونان والرومان (دا ٣٧: ٢-٤٥ و ٢٠: ٨ و ٢١)

ولما بلغ المسيح ثلاثين سنة من عمره (لو ٣: ٢٣) اخذ يكرز
بالبشارة كما يوضحه لنا الانجيل ويجول يصنع خيراً فعمل معجزات
باهرة شفى مرضى، اخرج شياطين، وهب البصر للعميان، والسمع للصم،
طهر البرص وجعل العرج يمشون، وجاء ذلك موافقاً لما تنبأت به عنه
انبياء العهد القديم (انظر اش ٣٢: ١-٥ و ٣٥: ٣-٦ و ٤٢: ١-٧ و ٦١:

١ و ٢ بالمقابلة مع مت ٤: ١١ و ٥ و ١٢: ١٧-٢١ و ٢١: ١٤) (انظر سورة
آل عمران آية ٤٣) ومع انه كان له هذا السلطان العظيم الذي به فعل
المعجزات الباهرة لم يعمل معجزة واحدة لفائدته الشخصية ولا انتقم
من اعدائه بل عاش فقيراً وضيعاً (مت ٨: ٢٠) ولم يسع في طلب
المجد والشرف الزائل قط ولما اراد الشعب ان يتوجوه ملكاً عليهم
(يو ٦: ١٥) لم يقبل منهم ذلك وبالجمله كانت اعماله بلا لوم وبدت
حياته المقدسة تظهر لكل ذي عينين الى ان قال مرة لمقاوميه من
منكم يبكتني على خطية (يو ٨: ٤٦) وكل ماقالته عنه الانبياء القدماء من
حيث مجيئه الاول وحياته قد تم

واختار المسيح من بين اليهود اثني عشر رسولاً هم الذين دربهم

وعلمهم الحق واوصاهم ان يعلموا الآخرين والاساس الذي بنى عليه تعليمه هو كونه ابن الله وقال ما معناه ان تلك البنوة هي بمثابة الصخرة التي سيدبني عليها كنيسة (مت ١٦: ١٣-١٨) ولما عرف الرسل انه ابن الله وانه المسيح المنتظر اخذ يعلمهم درساً آخر عظيم الاهمية الا وهو انه ينبغي له ان يصلب ويقوم من بين الاموات خلاص الجيلة البشرية (مت ١٦: ٢١ ومر ٨: ٣١ ولو ٩: ٢٢) وكلما دنت ساعة آلامه زادهم ايضاحاً بانباؤهم عن موته والكيفية التي يموت بها (لو ١٨: ٣١-٣٤) وقال لهم مرة بانه سيحتل تلك الآلام ليس مرغماً بل بارادته حباً ببني البشر حتى يمنحهم حياة ابدية (يو ٦: ٥١ و ١٠: ١١-١٨) اذا قبلوا هبة الله (رو ٦: ٢٣) اي ان المسيح من اجل محبته الفائقة لبني آدم ورغبته في خلاصهم من خطاياهم سمح لليهود ان يقبضوا عليه ويسخروا به ويلكموه ويساموه ليد الحاكم الروماني بيلاطس والي اليهودية للجلد والصلب (مت ٢٦: ٤٧-٢٧: ٥٦ ومر ١٤: ٤٣-ص ١٥: ١-٤١ ولو ٢٢: ٤٧-ص ٢٣: ٤٩ ويو ١٨: ١-ص ١٩: ٣٧) ويوافق ذلك ما تنبأ به داود في مز ٢٢ واش ٥٢: ١٣-ص ٥٣: ١٢ منذ مئات من السنين وحكم بيلاطس على المسيح بالموت كجرم مع انه شهد له انه بار (مت ٢٧: ٢٤) وجرت العادة عند اليهود في ذلك الزمان ان

يطرحوا جثث القتلى المجرمين في موضع يدعى وادي ابن هنوم خارج اسوار اورشليم للحريق او طعاماً للوحوش الا انهم لما صلبوا المسيح اخذ جسده تلميذ متخف يدعى يوسف من الرامة رجل غني بموجب اذن من الوالي ودفنه في قبره الجديد الذي كان اعده لنفسه (مت ٢٧ ٥٧-٦١ ومر ١٥: ٤٢-٤٧ ولو ٢٣: ٥٠-٥٦ ويو ١٩: ٣٧-٤٢) وكان ذلك على وفق نبوة اشعيا بالضبط (اش ٥٣: ٩) حيث يصرح بانه وان يكن اليهود قصدوا ان يدفنوه مع الاشرار لانهم احصوه من جملتهم غير انه عند موته دفنه ذلك الرجل الغني في قبر على حدة وعلى ذلك قوله «وجعل مع الاشرار قبره ومع غني عند موته»
 وكان قد تنبأ المسيح عن نفسه انه يقوم من الموت في اليوم الثالث (مت ١٦: ٢١ و ١٧: ٢٣ و ٢٠: ١٩ ولو ٩: ٢٢ و ١٨: ٣٣ و ٢٤: ٢٧ و ٤٦) وقد كان كما قال (مت ١: ٢٨-١٠ ومر ١٦: ١-٨ ولو ٢٤: ١-٤٣ ويو ص ٢٠ و ١ كو ١٥: ٤) وهذا يوافق نبوة داود في مز ١٦: ٩ و ١٠ و ظهر بعد قيامته مراراً كثيرة لتلاميذه مدة اربعين يوماً (اع ١: ٣) وعلمهم ان جميع ما حدث له لم يحدث اتفاقاً بل حسب مقاصد الله الازلية التي اعلنها لانبياؤه القديسين منذ الدهر وعلمهم ما الغرض من آلامه وموته وقيامته (لو ٢٤: ٢٧ و ٤٤-٤٩) ثم فوض اليهم ان يتاملوا

له جميع الامم (مت ٢٨: ١٨-٢٠ واع ٨: ١) وبعد هذا صعد الى السماء
 بمراى منهم لو ٢٤: ٥٠ و ٥١ واع ٩: ١ متقلداً الملك الى ما لا نهاية كما
 انبأ دانيال (٧: ١٣ و ١٤ و ٢٧) وليلاً الارض من معرفة الرب كما كتب
 اشعيا (١١: ٩-١٠) وقد ترك لهم وعداً برجوعه منتصراً انظر مت
 ٢٤: ٣٠ و ٣١ و ٢٥: ١٣-٤٦ ومر ١٣: ٢٦ ولو ٢١: ٢٧ ويو ١٤: ١-٣
 واع ٢: ١ و ١١ و رؤيا ٧: ١ و ٢٠: ١١-ص ٢١: ٨)

وحيث انه قد تم في شخص المسيح جميع ما انبأت به الانبياء
 من قديم الزمان من جهة مجيئه الاول وعمله وموته كفارة عن خطايا
 العالم الى غير ذلك فيكون بالحقيقة مخلص العالم الذي علق عليه ابراهيم
 رجاءه (يو ٨: ٥٦) وشهد له جميع الانبياء وعدا ذلك لا يبرح من بالك
 ان اتمام هذه النبوات برهان قاطع على ان اسفار العهد القديم موحى
 بها من الله لانه من ذا الذي يعلم بالحوادث قبل وقوعها بمئات من
 السنين الا علام الغيوب؟ ولا تدع الشك يخالج صدرك وتقول ربما
 وفقت النصراني بين نبوات التوراة واخبار اتمامها في الانجيل لان
 ذلك ضرب من المحال بدليل ان اسفار التوراة محفوظة بايدي اليهود
 وبلغتهم الى اليوم كما هي عند النصراني واعلم ان اليهود ولو انهم رفضوا
 المسيح لم يتجاسروا ان يمسوا جملة او كلمة واحدة من تلك النبوات

العديدة المشيرة اليه التي تدينهم في اليوم الاخير على قساوتهم وعدم ايمانهم
ومما تقدم علمنا ان طبيعة المسيح وعظمته ظاهرة بوضوح حتى
في اسفار العهد القديم (انظر مز ٧: ٢ ومز ٦٥: ٤٥ ومز ٧٢ ومز ١١٠: ١
واش ١: ٦ — ١٠ مع يو ٤٠: ١٢ واش ٤١ واش ٦: ٩ واش ٧ وص ٧: ٢٥ — ٩
وص ١٠: ٤٠ و ١١ وار ١٦: ٣٣ وي ٢: ٥ ومل ١: ٣ وص ٢: ٤ الخ) وبناء
على ما جاء في سفر ميخا وهو قوله «مخارجه منذ القديم منذ ايام
الازل» (مي ٢: ٥) يكون حقاً ما قاله المسيح عن نفسه «قبل ان يكون
ابراهيم انا كائن» (يو ٨: ٥٨) ولاحظ هنا انه اسند الى نفسه هذه الصفة
«كائن» وهي من اخص واشهر اسماء الله (خر ٣: ١٤) ومن هنا نعلم
انه هو بنفسه الذي دعا ابراهيم من بابل وانزل التوراة على موسى
وبعث الانبياء والرسل وعليه فلا تحسب ان الانجيل يرفع مقام
المسيح اكثر مما ترفعه التوراة بل كلا العهدين يتفقان على عظمة ذاته
وسمو صفاته راجع هذه الشواهد (مت ١٦: ٣ و ١٧ و ١٦: ١٦ — ١٧
و ١٧: ١ — ٨ و ٢٦: ٦٣ و ٦٤ و ١٨: ٢٨ ولو ٣٢: ١ و ٣٥ ويو ١: ١ — ٩ و ٣ —
١٨ و ١٧: ٥ و ٢٩ — ٢٣: ٨ و ٢٩ و ٤٢ و ٥٦ — ٥٨ و ٣٥: ٩ و ٣٧ و ١٠:
٢٧ — ٣٨ و ٩: ١٤ و ١١ و ١٢: ١٦ — ١٥ و ٢٨ و ٥: ١٧ و ٢١ و كو ١: ١٢
— ٢٣ وفي ٥: ٢ — ١١ اوعب اورؤا ٥: ١ — ١٨ و ٦: ٢١ و ٨ — ١٣: ٢٢ و ١٦)

وعلى ما تقدم اذا رفض اخواننا المسمون دعوتنا اياهم ان يقبلوا
 المسيح مخلصاً لهم (يو ٤: ٥٠) يكون من الاسباب الداعية لهم الى
 الرفض عدم تصديقهم ذات كلامه الذي قاله عن نفسه والذي قالته
 عنه الانبياء السالفون

ثم يجب ان لا ننسى انه من المحال ان يخلص المسيح العالم من
 الخطية ومن بغضهم لله لو كان مجرد مخلوق من مخلوقات الله ولو كان
 رئيس الملائكة لان الخلاص يتوقف على الثقة الكاملة فيه وقد
 استحق هو هذه الثقة بما اعلنه عن حقيقة شخصه وما شهدت به له
 اسفار العهد القديم والجديد

فليس الاعتقاد بلاهوت المسيح اذاً فساداً لحق النصرانية بل
 هو جوهر الدين الحق لانه لو فرضنا ان المسيح بسموه كان مخلوقاً
 لا يمكن ان يتخذ صلاحه وآلامه من اجلنا دليلاً على محبة الله لنا بل
 بعكس ذلك تخالجتنا الشكوك في محبة الله العظيم ونعمته لانه اسلم
 افضل مخلوقاته واکرمها ليقاسي هكذا آلاماً واحزاناً ولكننا ان قبلنا
 تعليم الكتاب المقدس واعترفنا ان «الله كان في المسيح مصالحاً العالم
 لنفسه» (٢ كو ٥: ١٩) واقتنعنا انه هو والله واحد (يو ١٠: ٣٠) حينئذ
 يتيسر لنا ان نفهم الى حد ما حقيقة تعليم الثالوث ومحبة الله العظيم لنا

واعتنائه بنا^(١) فينشد نرى ان البشارة وجوهر الكتاب المقدس كله متضمن في هذه الآية (يو ٣: ١٦) التي تحتج الى قلوبنا وضائرنا احتجاجاً لا يقاوم فتجذبنا الى محبته وتخصيص ذواتنا لخدمته لانه احبنا اولاً (١ يو ٤: ٩)

غير ان تسمية المسيح في هاتين الآيتين بابن الله كان حجر عثرة في طريق كثير من السامعين فتصدعت قلوبهم وانصرفوا عن النظر الى محبة الله المعلنة فيهما وذلك لانهم ظنوا ان هذه التسمية مخالفة على خط مستقيم لما ورد عندم في القرآن في سورة الاخلاص والحقيقة هي انهم اساءوا فهم ما عناه الانجيل بهذه التسمية فاننا معشر المسيحيين ننكر بملء افواهنا ان الله اتخذ ولداً بالمعنى الذي انكره القرآن اي انه لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ومن من النصارى يتجاسر ان يحذف على الله بهذا المقدار حتى ينسب اليه تعالى التناسل الحيواني كما زعم الوثنيون والجاهلية من العرب الذين جعلوا لله بنات تعالى الله عن زعمهم ومع ذلك قد تسمى المسيح في الانجيل ابن الله لا ولده والفرق بين الابن والولد ظاهر لان كلمة ابن كثيراً ما تستعار لمعنى مجازي واما كلمة ولد فلم تستعمل الا بحسب وضعها

واعلم ان الكتبة المسيحيين الذين كانوا قبل الهجرة بمئات سنين
قد انكروا كل الانكار قول الوثنيين المذكور وينو المعنى الحقيقي
المتضمن في كون المسيح ابن الله فان كاتباً من اوائل القرن الرابع اي
قبل الهجرة باكثر من ثلثائة سنة اسمه لاكتنتوس قال ان سمع
احد هذه العبارة «ابن الله» فلا يخطرن على باله هذا التصور المتناهي
في الفظاعة اي ان الله اتج ولداً بزواجه واتحاده بانثى فان فعلاً كهذا
لا ينطبق الا على ذوي الاجساد الحيوانية ولكن الله روح غير محدود
وهو واحد فبمن يتحد؟ فهذه النبوة خاصة لا عامة ازلية لا حادثة
تدل على وحدة الجوهر بين الآب والابن

على ان المسيح لم يتسم بابن الله فقط بل تسمى بكلمة الله ايضاً
كما في يوحنا ١: ١٤ ورؤ ١٩: ١٣ (قابل لقب كلمة الحياة ١ يوحنا ١: ١)
والاسمان كلاهما يؤديان ذات المعنى الا ان الاسم الاول استعمل
اكثر لسببين (١) لفادة البسطاء وهم الاكثر الذين لا يقدررون ان
يفهموا الاسم الثاني «كلمة الحياة» (٢) لتنبية افهامنا الى شخصية او
اقتومية ذلك السكائن المسمى بابن الله والى المحبة العظيمة بين اقانيم
اللاهوت (قابل يو ١٥: ٩ و ١٠ مع ١٧: ٢٣ و ٢٦)

ومع هذا كله فانه لا الاسم الاول ولا الثاني كاف لا يقافنا على

كنه مسماها بل اللغة كلها عاجزة عن التعبير عن ذات ذلك الكائن العجيب الا اننا لسنا مخطئين اذا استعملنا للدلالة عليه ذينك الاسمين اللذين دونهما الكتبة الاطهار بالهام روح الله القدوس لان العلاقة بين اقنوم وآخر من اللاهوت فوق عقولنا كما ان البحر العظيم لا يمكن ان ينحصر في اناء. ولكن قليل من مائه يطلعنا على طبيعته ومثل ذلك تسمية المسيح «ابن الله» وكلمة الله» نستدل منها حسبا يستطيع على طبيعته الالهية ووحدايته مع الآب (يو ١٠: ٣٠)

وعليه فبالايمان فقط بما قاله المسيح في هذا الصدد نقدر أن نفهم تعليم الكفارة وطريق الخلاص بالمسيح الذي قال «ليس احد يأتي الى الآب الا بي» (يو ١٤: ٦ بالمقابلة مع اع ٤: ١٢)

ثم ان العهدين القديم والجديد لا يتفقان كلاهما على وصف المسيح بالوصاف الالهية فقط بل يتجاوزان ذلك الحد حتى انهما يدلان على لاهوته بالقول الجلي الصريح فيسميانه «الله» ومن امثلة ذلك ما ورد في (مز ٦: ٤٥ و٧ واش ٦: ٩ ويو ٢٨: ٢٠ و٢٩ ورو ٥: ٩ وعب ١: ٨ و١٠ يو ٥: ٢٠)

من يقابل في هذه الآيات وامثالها باهتمام مشفوع بالصلاة يدرك ان تلك الالقاب الرفيعة العظيمة نسبت الى المسيح لا عن

سبيل المبالغة ولا المجاملة بل لاظهار حقيقة جوهرية ينبغي لبني البشر معرفتها ولا يخفى على المسلم المطلع ان القرآن ايضاً قد يتفق مع التوراة والانجيل في تسمية المسيح «كلمة الله» وان اذن الله نفيض الشرح في هذا الصدد في كلامنا على الثالث الاقدس

وهنا نرجو القارئ الكريم ان يطرح التعصب الذي يغشى بصيرة الطالب فيعميه عن معرفة الحق جانباً لماذا لا يصدق المسلم شهادة التوراة والانجيل والقرآن وكلها تتفق على نقط هامة ومن بينها موضوعنا ان المسيح «كلمة الله» وان الله واحد

اعلم ان «كلمة الله» اسم لمسمى او علم لا فنوم الهى كان من البدء اي من الازل عند الله وبه خلق كل شيء (يو ١: ١-٣) وقد صار انساناً وظهر بين الناس كواحد منهم (يو ١٤: ١ وفي ١١: ٥-١١) وكان يأكل ويشرب وينام ويستيقظ وشاطر الناس في احزانهم وافراحهم واختبر تجاربهم لكنه لم يخطئ بل لم يعرف خطيئة (عب ٤: ١٥) قابل ٢٦: ٧ و١ بط ٢: ٢١-٢٥) فهو انسان تام ذو جسد ونفس وروح وذلك باجماع البشائر الاربع وبشهادته هو عن نفسه مراراً كثيرة انه «ابن الانسان» وهذا اللقب عدا دلالاته على ناسوته يذكرنا بما تنبئ عنه في (تك ١٥: ٣ ودا ١٣: ٧) وفوق ذلك يذكرنا انه مخلص

الجليلة البشرية والوسيط الوحيد بين الله والناس وانه الانسان الكامل
المعصوم من الخطيئة

كانسان صلى الى الله ابيه وصام الى غير ذلك مما لا يدع مجالاً
للريب في ناسوته لكنه كما هو انسان تام هو اله تام ايضاً وأكد
لاهوته اذ دعا الله اياه مخبراً بانقياده له كابن ينقاد لاهيه وانه مرسل
منه كابن مرسل من ابيه قال «لاني قد نزلت من السماء ليس لاعمل
مسيثي بل مشيئة الذي ارسلني» (يو ٦: ٣٨) وقال «الآب الذي
ارسلني هو اعطاني وصية ماذا اقول وبماذا اتكلم» (يو ١٢: ٤٩) وقال
«ابي اعظم مني» (يو ١٤: ٢٨) ومع ذلك دفع ما عساه يخطر على بال
احد من ان لله شركاء باقوال قاطعة جازمة تفيد وحدانية الله (مر
١٢: ٢٩ و يو ١٧: ٣) ووحدانيته هو مع الله (يو ١٠: ٣٠ و ١٧: ٢١)

هذا المدعو «كلمة الله» «وابن الله» «وابن الانسان» «والرب
يسوع المسيح» قيل عنه في التوراة «لكن احزاننا حملها واوجاعنا
تحملها... مجروح لاجل معاصينا مسحوق لاجل آثامنا تأديب سلامنا
عليه وبجبره شفينا» (اش ٥٣: ٥ و ٥) وان كان بالطبيعة «كلمة الله» غير
انه لم يبال بسمو طبيعته الالهية متخلياً عن مجده الاسنى الذي كان له
عند ابيه قبل كون العالم (يو ١٧: ٥) «آخذاً صورة عبد صائراً في شبه

الناس واذا وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه واطاع حتى الموت
 موت الصليب لذلك رفعه الله ايضاً واعطاه اسماً فوق كل اسم لكي
 تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الارض ومن
 تحت الارض ويعترف كل لسان ان يسوع المسيح هو رب لمجد الله
 الأب» (في ٢: ٧-١١)

وان سأل سائل كيف يمكن ان تتحد الطبيعة الالهية بالطبيعة
 البشرية نقول «كيف يمكن ان تتحد في الانسان الروح بالجسد والباقي
 بالفاني فهما يريدان الله كلي القدرة الخالق العظيم الضابط الكل يكون
 وعدا ما ذكر يعامننا الانجيل ان العلاقة بين ناسوت المسيح ولاهوته
 علاقة الاتحاد فقط بحيث لم تتحول الطبيعة الواحدة الى الاخرى ولا
 امتزجت او اختلطت بها حقاً ان علاقة كهذه تفوق عقولنا المحدودة
 ولا نعرفها الا من وحي الله في كلامه المقدس . وكان هذا الاتحاد في
 ناسوت ولاهوت المسيح لاتمام مقاصد الله الازلية بان يغمر الانسان
 بفيض نعمته منقذاً اياه من الهلاك والخطية وعبودية ابليس ويصالحه
 مع الله تعالى ويؤهله للتمتع بالسعادة الدائمة في حضرته واذا فدانا
 يسوع بدمه من كل امة وقبيلة وشعب ولسان (رو ٩: ٥) صار لنا
 اثناء حياة تضحيته التي عاشها على الارض مثال الكمال والطهارة

والقداسة كي تقتدي به وتتبع آثار خطواته (يو ١٣: ١٥ و ١٥: ٢١) وقد يعترض بعضهم بقوله ألم يكن مستطاعاً لله ان يخلص الانسان من عذاب جهنم باجراء سلطانه المطلق ويعلن رحمته لمن يرحمهم بدون طريق الخلاص المعلنه في الانجيل أليس هو الذي يقول لما يشاؤه كن فيكون؟ فلاجابة عن ذلك نقول ان هذا السؤال ناتج من سوء فهم حالة الطبيعة البشرية واعوازاها الروحية ومن عدم معرفة قداسة الله

ان الخطية فضلاً عن كونها مضادة ومكروهة لطبيعة الله هي متلفة لطبيعة الانسان الاصلية الروحية التي كانت على صورة الله (تك ٢٦: ١ و ٢٧) والخطية تمنع بتاتا امكانية تمتع الانسان بالسعادة الابدية الا اذا نجا منها. من السهل أن يذهب أهل النار الى الجنة بامر الله ولكن كيف يطهر القلب والعقل والضمير من ذلك البرص الخبيث الذي يزداد سر يانه يوماً؟ فيوماً حقاً ان الخطيئة شر من البرص لانها برص الروح. الموت ينقذ الانسان من برص الجسد ولكنه لا ينقذه من برص الروح فمن اين تكون سعادة في الدار الاخرى لمن روحه برصاء اليس بالاحرى ان تشويه صورته وفساد هيئته يثير فيه عوامل الحزن والحسد حتى يبغيض نفسه ويبغيضه الآخرون وبالاخرى جداً

يغضه كلي القداسة الذي يكره ويمقت الخطية

واعلم ان شريعة موسى كانت تمنع البرص بحسده أن يدخل
 محلة اسرائيل (لا ١٣: ٤٥ و ٤٦) أو يعاشر رفقاءه فكم بالاولى ممنوع
 من هو ابرص الروح والقلب ان يدخل فردوس النعيم ويتمتع بلقاء
 الله القدوس رب الارباب قال الكتاب « لن يدخلها شيء دنس ولا
 ما يصنع رجساً وكذباً الا المكتوبين في سفر حياة الخروف (رو
 ٢١: ٢٧) وحتى برص الجسد يعجز المريض به ان يشفي نفسه منه
 وتعجز الاطباء ايضاً عن ذلك. أما المسيح فشفي كثيرين من المرضى
 به وهو قادر أن يطهر برص الروح ايضاً الا انه ما طهر قط ابرص
 بالرغم عن ارادته وكذلك لا يطهر ابرص الخطية بالقوة او بغير ارادته
 ان الرجل الذي لم يشبع من الانغماس في حمأة الفجور في هذه الحياة
 قد فسدت روحه واظلم ذهنه حتى لقد يصبح منتهى السعادة في اعتباره
 ان تكون الابدية اوقيانوس فجور يسبح فيه الى ما لا نهاية فمثل هذا
 مضروب بالبرص الروحي وان يسوع المسيح وحده هو القادر أن
 يطهر هذا البرص لكنه لا يفعله بغير ارادة المريض ولا يشفي منه الا
 اذا تاب توبة صادقة وآمن بالمسيح ايماناً صحيحاً وصرخ مع داود « قلباً
 نقياً اخلق في يا الله وروحاً مستقيماً جدد في داخلي » (مز ٥١: ١٠) فان

تطهير البرص الروحي عبارة عن تجديد القلب والروح من محبة الخطية
ويعيدها الى جمال القداسة التي اتلفتها الخطية. وكيف يكون ذلك؟ يتم
الله دائماً عمله بوسائط. وقد أخبرنا الكتاب المقدس عن الوسطة
التي اختارها الله لاتمام غرضه بان شاء أن يعلن ذاته في شخص يسوع
المسيح «كلمة الله» ويظهر محبته للناس بان يحمل آلامهم ويشاركهم
في احزانهم بواسطة طبيعة المسيح البشرية التي مات بها على الصليب
للتكفير عن خطايهم حتى يجتذب قلوبهم اليه ويسبيهم بمحبته الفائقة كي
يكبر هو الخطية ويشيروا عليها حرباً عواناً وحتى يتم لهم النصر الباهر.
هذا ما يدعوه الكتاب بالطبيعة الجديدة التي تتولد في كل مؤمن
حقيقي يسوع هذا هو القلب النقي والروح المستقيم الذي لج في طلبه
داود كما ذكرنا وعلى هذا المنهج يخلق الله الخاطيء من جديد وعلى
ذلك قوله «ان كان احد في المسيح فهو خليفة جديدة» (٢كو ٥: ١٧)
لا تقدر نقول ان لا طريقة عند الله غير هذه خلاص الجلبة
البشرية من الخطية الا انه من المؤكد الذي لا شك فيه ان هذه هي
الطريقة الوحيدة التي شاء الله ان يستعملها وشاء ان يعانها في كتابه
المقدس (مت ١: ٢١ ويو ١٤: ٦) ولا يمكن وجود طريقة تجمع بين عدله
ورحمته الا هذه

وبما انه لم يفهم بعضهم تعاليم الكفارة (رو ٥: ١١) فيحسن بنا هنا ان نشرحه بايضاح مع ملاحظة الایجاز على قدر الامكان . نعني بالكفارة المصالحة بين الله والانسان. من المعلوم انه قد سقط الانسان من الحالة التي خلقه الله عليها واجراره بخطية آدم أولاً وبخطيته الفعلية ثانياً فقد الحياة الابدية ونفي من جنة عدن (تك ٣: ٣) واعلم ان الحياة الابدية متضمنة في معرفة الله بواسطة المسيح (يو ١٧: ٢) فلاجل اعادة تلك الحياة للذين فقدوها عليهم أن يقبلوها من الله واهب الحياة يسوع وعلى ذلك قوله «فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس» (يو ١: ٩ و ٢٦: ٥ و كو ٣: ٤ و ١ يو ٥: ١٢) وتعطى الحياة بالمسيح وحده لا سواه (اع ٤: ١٢) وكيفية ذلك كما نعلم من الانجيل انه يتحد بالمؤمنين وهم يتحدون به بالايمان كما تتحد أغصان الشجرة باصلها والاصل بالاغصان (يو ١٥ : ١-٦) وعلى هذا المنوال تجري فيهم طبيعته القدوسة وسجاياه الكاملة وشبه ذلك الاتحاد بالاشتراك في جسده ودمه (يو ٦: ٤٠ و ٤٧ و ٤٨ و ٥١ و ٥٨ و ٦٣) وكأنه اذ تسربل طبيعة البشر كانسان صار رأساً جديداً للجنس البشري أو بعبارة الكتاب آدم الثاني وروحاً محيياً ونائباً عن البشر (يو ١: ١٤ و ١ كو ١٥: ٢٢ و ٤٥) فالذين يتحدون به بالايمان (غل ٢: ٢٠) يأخذون سلطاناً ان

يصيروا اولاد الله (يو: ١٢: ١ و ١٣: ٣ - ٩: ٤ و ٣) بفاعلية الميلاد الثاني الصادر من السماء بروح الله القدوس (يو: ٣: ٥) فموت مع المسيح عن الخطية ونحيا به من جديد للبر (رو: ١: ٦ - ١١)

ولاجلما يخلص الانسان من الموت الابدي الذي تسبب عن الخطية كنتيجة طبيعية وعقوبة شرعية (تك: ٣: ٣ وحز: ١٨: ٢٠ ورو: ٦: ٢٣) يجب انه كما عصى وصية الله عن اختيار (تك: ٣) يطيعها تماماً باختياره ايضاً واذ صار ذلك المسمى «كلمة الله» انساناً كاملاً فقد تم الوصية لانه أطاع حتى الموت موت الصليب (في: ٢: ٧ و ٨ قابل رو: ٥: ١٩) وبموته الثمين عنا وهو لم يعمل خطية قط قدم حياته فدية عن كثيرين (اش: ٥٣: ٥ و ٦ ومت: ٢٠: ٢٨ ورو: ٣: ١٥ و ٤: ١٥ و ٥: ٨ - ١١ و ١ بط: ٢: ٢٤) يصح أن يقال ان المسيح حمل قصاص خطايانا (اش: ٥٣: ٨) ولكنه لم يكن مذنّباً لاننا نعلم انه ليس فيه خطية البتة (١ يو: ٣: ٥) بل يصح أن يقال ايضاً وهو عين الواقع ان كل ما احتمله من الآلام كان بسبب خطايانا وبواسطة آلامه كل الذين يؤمنون به ايماناً حقيقياً يخلصون من الخطية ومن نتائجها النهائية المزعجة التي هي البعد عن حضرة الله او الموت الابدي. فاذا كان المسيح مجرد انسان

كانت طاعته حتى الموت غير كافية لتخليص أحد غير نفسه وما
كان قادراً أن يمنح حياة روحية للغير

واما اذا كان إلهاً كما هو انسان فيقدر ان يخلص ويمنح حياة
ابدية لجميع الذين يؤمنون به (يو ٥: ٢٦) ان الله لا يموت ويستحيل ان
يموت ولكن «كلمة الله» اذ صار انساناً جاز بحسب طبيعته البشرية
ان يذوق الموت من اجل كل واحد (عب ٢: ٩) وقد مات من اجلنا
(رو ٤: ٢٥ و ٦: ١٠) وقام ثانياً منتصراً على الموت وكسراً شوخته
(٢ تي ١: ١٠) بل وواهباً الحياة لكل من يتحد به بالايمان (يو ٣: ١٦
و ١١: ٢٥ و ٢٦)

وقد قلنا ان الله يكره الخطية حتماً لانه قدوس بالطبيعة ونحن
لا سبيل لنا ان نغلب الخطية المكروهة منه الا باعلان محبته تعالى
في المسيح يسوع الذي نحبه لانه احبنا اولاً (يو ٣: ١٦ و ٤: ١٩)
وبهذه المحبة الحاضرة نستطيع أن نحبه ونعيش طبقاً لارادته بمساعدة
نعمة روحه القدوس وهكذا نكون صالحين الى حد ما في هذه
الحياة وصالحين تماماً بعد الموت (٢ كو ٥: ١٤)

فيموت المسيح على الصليب نتحصل على فائدين الاولى الخلاص
من الموت الابدي والثانية النعمة التي بها نكره الخطية ونتصر عليها

(رو ٥: ١١-١٢ وغل ٢: ٢٠ و ١٤: ٦ وكو ١: ٣-١٧ و ١ يو ١: ٧) لانه
 قد افتدانا من عبودية الخطية (مت ٢٠: ٢٨ و ١ كو ١: ٣٠ واف ١: ٧
 و ١ بط ١: ١٨-٢١) وقدم الكفارة الوافية الحقيقية عن الخطية (عب
 ٢: ١٧ و ١ يو ٢: ٢ و ٤: ١٠) وتلك الكفارة هي التي كانت ترمز اليها
 ذبائح وقرايين العهد القديم

وان ضميرنا الذي ييكتنا على خطايانا ويهددنا من حين الى آخر
 بغضب الله هو دليل قاطع على عظم حاجتنا الى المصالحة مع الله واذا
 كنا في حد ذاتنا عاجزين عن تقديم الكفارة المرضية الكاملة قد
 كفانا الله مؤونة ذلك وقدمها هو عز وجل على حسابنا في شخص
 يسوع المسيح الذي هو انسان كامل كما هو اله كامل ونعلم من موت
 المسيح مقدار فظاعة الخطية وسوء عاقبتها لانها أدت الى اعظم جرم
 تقشعر من هوله الابدان الى قتل ابن الله الوحيد وان محبة الذات
 والارادة كانت المحرك لآدم الى المعصية التي انتجت هذا الجرم العظيم
 فيلزم تضحية الذات التي هي اصل الخطية وهذا ما فعله يسوع بموته
 على الصليب لانه ضحى ذاته وضحى مشيئته لحياة العالم. واعلم ان استحقاق
 موته الموجب للتكفير عن خطايانا لا يترتب على آلامه بالجسد وان
 كان بالغاً الحد بل على ذبيحة محبته غير المحدودة تلك المحبة التي جمعت

القدوس يموت بمحض اختياره عن الاثيم الفاجر (يو ١٧: ١٠ و ١٨)
فهو نائبنا الذي وفي عنا مطالب العدل الالهي القاضي علينا بحكم
الموت (حز ١٨ : ٢٠)

فاهية ذبيحة المسيح هي في تسليمه نفسه بارادة حرة وتقديمه
طاعة كاملة حتى الموت اكثر منها في حقيقة الموت ذاته

وبالجملة تألم المسيح الى الحد الذي في وسعه أن يحتمله في ناسوته
المتحد باللاهوت فلم يتألم في جسده فقط بل في ذهنه وروحه لان
حزنه على خطايا الناس كسر قلبه المحب (يو ١٩ : ٣٤) واذ كان واحداً
مع ابيه فقد استه ومحبته للناس قادتاه أن يشعر بفضاعة خطايانا اذ شاركنا
في البشرية وأحس بهول اللعنة التي ينبغي ان تصدر من الله القدوس
صند الخطية ولهذا ذاق الموت من اجل كل واحد (عب ٢ : ٩) بطريقة
خاصة لا يمكن يعاها إلا من كان قدوساً مز ٢٢ : ١٠ ومث ٢٧ : ٤٦ ومزم
١٥ : ٣٤ وبهذه الكيفية اظهر الله محبته وعدله ورحمته مرة واحدة

الذي مات على الصليب بناسوته كان الهاً تاماً كما كان انساناً تاماً
وبما انه حمل خطايانا ومات عنا نحن الائمة فالذين يتحدثون معه بالايمان
كأتحاد الاغصان بالكرمة (يو ١٥ : ٥ و ٥) ينالون غفران خطاياهم ويعتقون
من خوف الموت (عب ٢ : ١٤ و ١٥) لان شوكة الموت هي الخطية

(١كو١٥:٥٦) التي تلقي في قلوب غير المغفور لهم الرعب العظيم من غضب الله الخفيف واما كون ذبيحة المسيح حازت القبول عند الله فيدل عليه قيامته من الاموات وصعوده للسموات (رو١:٤ ولو٢٢: ٥١) ليظهر امامه لاجلنا نيابة عنا (عب٩:٢٤) وعودته الى المجد الذي كان له عند آييه قبل كون العالم (يو١٧:٥)

ولنشرح الآن بعض البركات الناتجة عن الكفارة التي قدمها يسوع اولاً: ان الله اكراماً له يغفر خطايا وتعديات المؤمنين به الحقيقيين (رو٥:٥-٢١ واف١:٣-٧ وعب١٠:١-١٥ و١يو١:٧) ثم لاجل المسيح يمنحهم نعمته الخصوصية ونور هدايته السماوية حتى يدركوا حالتهم الداخلية ويعرفوا معرفة عميقة الاله الحق ويملاً قلوبهم بمحبة من احبهم ولا بحيث يقدر ان يحفظوا وصاياه ويثبتوا في حالة نقاوة القلب ويعرفون الحق (يو٨:٣١ ورو٥:٥ و٨:٥ و١كو١:٤ و٥ و٢كو٤:٦ واف١:١٥-٢٣ وفي٤:١٣ وكو٢:٣ وتي٢:١١-١٤ وعب٩:١١-١٤) ومن فوائد الفداء ايضاً العتق من عبودية الشيطان ومن محبة الخطية والفوز بميراث السعادة الدائمة (رو٨:١٢-١٧ وتي١:٩ و١٠ وعب٢:١٤ و١٥ و١بط٢:٣-٩)

وحيث ان الخلاص مقدم في المسيح للخطاة فهو امر ثمين وعظيم

يطهر به الناس من نجاسات الخطية حينئذ يفتح الله لهم خزائن بركاته
واحساناته فينير اذهانهم ويقدر قلوبهم وفي اختتام يأخذهم الى فردوس
نعيمه ليتمتعوا بالحياة الابدية. فقد ظهر الان كالشمس في رائعة النهار
ان تعلم الانجيل لمشبع لاشواق القلب مغن لطلبات النفس كما ينالنا في
المقدمة وعليه يكون الكتاب المقدس كلام الله أوحى به لسعادة البشر
فان سمع احد بشارة الخلاص ورفضها يكون ولا شك سبب
رفضه عدم رغبته في التوبة عن الخطية وعدم معرفته حالة قلبه الاثيمة
في اعتبار الله وان كان احد لا يكثر بالخطر الذي يسرع به للهلاك
الابدي فهذهات يسعى في معالجة برصه الروحي بالدواء الذي وضعه
طبيبنا العظيم

اما الانسان الحريص المحاذر من حالة قلبه الاثيمة يعلم ما للخطية
من البغض في نظر الله القدوس ويشعر بهول الخطر الذي ينذره
بالهلاك الابدي بسبب خطاياه وبما انه غير قادر ان يكفر عنها من عند
نفسه يبادر ان يسمع بشارة الخلاص الذي اقتناه المسيح بدمه الكريم
من اجله ومن اجل كل الذين يؤمنون به . ان خبراً كهذا يلذ سمعه
في اذنيه اكثر من اية بشارة أخرى على وجه الارض بشارة الخلاص
المجاني بلسان يشفي القلوب المكسورة من ثقل حمل الخطايا ومرم

يعصب جروح النفس المزمنة. اذا احب المرء الخطيئة وكان متفانياً في حب الشهوات الجسدية لا شك انه يبغض النور المعلن في الانجيل كما يبغض الخفاش نور الشمس ويهرب من اشعتها الجميلة اللامعة الى مغائر الظلمة فتتل هذا جدير به ان يطرح في الظلمة الخارجية التي احبها اكثر من النور (يو ٣: ١٩-٢١)

ويستحيل عليه ان يفهم كثيراً أو قليلاً من الامور الروحية حتى انه يرى الانجيل كأنه جهالة وحماقة كما رآه هكذا قدماء اليونان (١ كو ١: ١٨-٢٥ و ١٤: ٢) في حين ان الرجل الراغب في معرفة الحق بجد وعمل ارادة الله تقع في نفس بشارة الخلاص وعلان محبة الله موقع القبول والاستحسان وتفيض كينبوع حي يروي قلبه الظمان في سفره في صحراء الحياة الدنيا

ترى في طريق الخلاص قد اعلن الله محبة ورحمة مقترنة بعدل وقداسة بكل وضوح اما محبته الفائقة فقد ظهرت ببذله ابنه الوحيد بهاء مجده ورسم جوهره لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية فهذا التعليم الذي لا يقدر بثمن يكشف لنا الحجاب عن صفات الله الجليلة التي اعظمها المحبة حتى اذا حملنا بتيار محبته نجتنب الخطيئة اذ هي مكروهة لديه لانه قدوس ونحفظ وصاياه سالكين في

طريق الايمان في المسيح المؤدي للحياة الابدية

ومن يتأمل في احوال الخليقة يظهر له ما يشبه طريق الخلاص
 فان الله فطر كثيراً من خلقه على تضحية الذات على مذبج المحبة الطبيعية
 مما يصح ان يتخذ مثلاً لآلام المسيح لاجلنا ترى الاب يخاطر بحياته
 ويعاني الشدائد ويذوق المرارة لاجل قوت عياله وكسوتهم وترى
 الطبيب الامين يعرض نفسه للخطر والموت خلاص حياة العليل حتى
 الطيور فانك ترى الدجاجة تحضن فراخها وان سطا عدو على فراخها
 تحاربه وتحمل الاذى عنها والعصفور يقع في مواضع الخطر ليلتقط
 الحب لفراخه الصغار ويقاسي عناء لا مزيد عليه في دفع الشر عنها فلماذا
 لا يكون معقولاً ان فاطر المحبة الطبيعية هو محب اعظم من كل ذلك
 فانه اعلن محبته على منهج الضحايا فبذل ابنه الوحيد الذي هو واحد
 معه لموت على الصليب في سبيل خلاص الانسان المسكين ولكن
 «من لا يحب لا يعرف الله لان الله محبة» (١ يو ٤: ٨)

وعليه فالايان بالمسيح الذي احبنا واسلم نفسه لاجلنا هو الدواء
 الوحيد الذي وصفه الله العليم الحكيم لبرص الخطية فكل من يثق
 في حكمة الله وعلمه فليستعمل هذا الدواء وحينئذ يعلم بالاختبار ان
 كان المسيح مخلصاً ام لا لان الشفاء من المرض دليل قاطع على حسن

الدواء وجودة تأثيره ومتى برى الخاطئ من مرضه وعلم بالتحقيق ان
المسيح مخاض يشكر فضله ويعلم ان الكتاب المقدس حق

الفصل الخامس

في التعليم باله واحد في ثلاثة اقانيم

ما قيل في الفصل المتقدم عن طريق الخلاص بالمسيح لا يقبل
عند الطالب كل القبول حتى يطالع على عقيدة التثليث التي طالما كانت
حجر عثرة في طريق اخواننا المسلمين الراغبين في البحث وذلك
لانهم لا يفهمون معنى هذا التثليث ولذا عدوه مناقضاً للتوحيد
والحقيقة خلاف ذلك لان التعليم بوحدانية الله من الاساسات
الجوهرية التي ترجع اليها عقيدة التثليث فان جميع المسيحيين لا يؤمنون
بثلاثة آلهة بل باله واحد

من يطالع على تفسير جلال الدين على (سورة المائدة آية ٧٦)
وتفسير البيضاوي ويحيى على (سورة النساء آية ١٥٦) يرى ان اولئك
المفسرين تصوروا ان النصارى يعتقدون ان الثالوث هو ثلاثة آلهة
الآب والام والابن وحسبوا مريم العذراء الهاً وانها احد الالهة
الثلاثة المذكورين. لا ننكر ان بعضاً من جهلة النصارى في عصر محمد

أكرموا مريم الى حد العبادة بل أكرموا كثيراً من القديسين وقدموا لهم العبادة التي لا تجوز الا لله وحده كما ان كثيرين من جهلة المسمين يفعلون مثل هذا الفعل مع اوليائهم ومشائخهم مما هو غني عن البيان وكما ان المطلعين من المسمين لا يجدون ما يؤيد عبادة الاولياء في القرآن كذلك لا يصح ان نؤاخذ معاشر النصارى بما كان يعمل به الجهلة في العصور المظلمة مما لا ينطبق على الكتاب المقدس بل يخالفه على خط مستقيم فلا تحسن القرآن يحرم عبادة العذراء والكتاب المقدس يجيزها حاشا وكلا بل هذا الذي ظنه المسمون تثليثاً في ذات الله ليس هو من التثليث في شيء فان المسيحيين على اختلاف مذاهبهم لم يقل فريق منهم بثلاثة آلهة^(١)

وعلى ما تقدم يظهر ان هؤلاء المفسرين اضلهم التعصب الذميم حتى دونوا في كتبهم عن النصارى ما هم ابرياء منه وكان خليقاً بهم كما بكل عالم فاضل انهم اذا ارادوا ان يكتبوا شيئاً في موضوع هام كهذا ان يبحثوا او ينقبوا حتى يقفوا على الحقيقة بعينها لئلا يكونوا عثرة في طريق الباحث الامين. اننا كما ذكرنا لا نعتقد بثلاثة آلهة ولا ان

(١) وعلى ذلك نطاب من القارىء مراجعة دستور الايمان الرسولي والقانون النيقوي والقانون الانثاسيوسى وقانون الكنيسة المصاحبة

مريم واحدة منهم واننا نشدد انكار تعدد الالهة كالمسلمين انفسهم
وستعلم ذلك عند ما نتقدم في شرح الموضوع

ذكرنا في ما تقدم اننا نؤمن باله واحد كما في التوراة حيث يقول
«اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد» (تث ٦: ٤) وفي العهد
الجديد اقتبس المسيح هذه الآية اساساً لتعليمه (مر ١٢: ٢٩) واما
عقيدة التثليث فما هي الا شرح للوحدانية ذكرت لمناسبة التعليم في
مواضيع اخرى مثال ذلك لما اوصى المسيح تلاميذه ان يركزوا
بالانجيل للناس قال «عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس»
(مت ٢٨: ١٩) فيدل هذا القول على حقيقة التوحيد كما يدل على
تثليث الالقائيم لانه قال «باسم» بصيغة المفرد لا الجمع مع انه ذكر
الالقائيم الثلاثة كلا على حدة ومن هذه العبارة نفهم انه لا يمكن ان
يكون الابن والروح القدس مخلوقين بدليل انهما مقرونين باسم
الآب كشيء واحد بخلاف عدم ملائمة الاسم نفسه لما يكون مخلوقاً
فان كلمة «ابن الله» «والروح القدس» لا يصح ان يسمى بهما الشيء
المخلوق هذه حقيقة ظاهرة لمن يتأمل

وعقيدة التثليث يمكن تلخيصها على هذا المنوال

(١) الآب والابن والروح القدس جوهر واحد واله واحد فقط

(٢) كل من هؤلاء الاقانيم الثلاثة له خاصة لا يشترك فيها معه

اقنوم آخر

(٣) ان انفصل اقنوم عن الاقنومين الآخرين وذلك مستحيل

لا يمكن ان يكون هو الله

(٤) كل اقنوم متحد مع الاقنومين الآخرين من الازل وهذه

الوحدة غير القابلة للانفصال هو الله

(٥) كل اقنوم مساوٍ للاقنومين الآخرين في الذات والمجد

(٦) العمل الخلاصي لكل اقنوم وصف احسن وصف في

الكتاب المقدس بهذه الالقاب الاول «الآب والخالق» والثاني

«ابن الله والفادي» والثالث «المقدس والمعزي»

(٧) كما ان الاقانيم المقدسة واحد في الذات هكذا هم واحد في

المشيئة والقصد والسلطان والقدم وسائر الصفات الالهية

اما قول المسيح «ابي اعظم مني» في يو ١٤: ٢٨ فهذا بالنسبة

الى ناسوته لانه يعبر عن وحدته مع الآب في الذات بقوله «انا والآب

واحد» (يو ١٠: ٣٠) وقد يعترض بعضهم بان هذه العقيدة المسيحية

متناقضة وبما ان اعتراضهم خطأ ظاهر نجيح ان التثليث ليس

خطأ بل هو سر عجيب ويجب ان نتنظر اسراراً كثيرة في الكتب

المقدسة وخصوصاً ما يتعاقب بجوهر الله اذ لو خلت حقيقة الله من الاسرار لادركتها العقول البشرية كما تدرك سائر الاشياء المحدودة وهذا محال لان السر هو ان لا تعرف كيف يكون ذلك الشيء مع انك عارف انه كائن مثال ذلك لا تعرف كيف ينمو الزرع مع انك تعرف انه ينمو والعالم مملوء من الاسرار والانسان سر في نفسه فانه لا يقدر أن يعرف كيف تسكن روحه في جسده وكيف تدبره فهل تؤخذ هذه البراهين على بطلان الحقائق؟ لو كان الامر هكذا لكان كل شيء باطلاً. والكتاب المقدس أحق وأولى بان يتضمن أسراراً غامضة تحار في معرفة كنهها فطاحل العلماء فهل من الصواب والحكمة ان نرفض كتاب الله لاشتماله على مسائل تفوق عقولنا ونستبد بأرائنا الخصوصية؟ فاحكموا انتم

كل مطلع خبير بالكتاب المقدس يعلم ان عقيدة الثالوث مأخوذة منه بدلالة آيات كثيرة في غاية الصراحة وهي التي منها صاغ المسيحيون نصها مع اختلاف قليل في اللفظ فقالوا - «لا يوجد الا اله واحد حي حقيقي ازلي ليس بذئ جسد ولا يتألم غير متناه في القدرة والحكمة والصلاح صانع وضابط كل الاشياء ما يرى وما لا يرى

ولذاته القدوسة ثلاثة اقانيم في جوهر واحد الآب والابن والروح
القدس»

وعدا موافقة هذه الصيغة للاسفار المقدسة فانها موافقة لمؤلفات
المسيحيين الاولين الذين بقيت كتاباتهم الى عصرنا الحاضر مما يدل
على انهم فهموا الكتاب من جهة هذه الحيثية كما فهمناه

وان العقل نفسه يعلمنا ان لا نتجاوز في البحث والاستقصاء
ما اعلنه الله عن ذاته وقال الحكماء : البحث عن ذات الله كفر

يؤكد بعض اخواننا المسامين ان التوحيد مخالف للتثليث لكن
الحقيقة هي حيث ان العقيدتين معلتان في كلام الله لا يمكن ان يكون
ينهما تناقض لان التوحيد لا ينفي كل نوع من انواع التعدد مثال ذلك
من المعلوم ان الله متعدد الصفات يقال رحيم حكيم قدير عادل الخ
حتى وصفه علماء المسامين بانه مجمع الصفات الحسنة جامع صفات
الكمال لكن تعدد الصفات لا يبطل وحدة الذات ومثل ذلك تعدد
الاقانيم لا يبطل وحدة الجوهر الالهي وعلى فرض انه لا يوجد في
الخليقة ما يصاح ان يؤخذ مثالا موافقا لشرح هذه الحقيقة الا انه
يوجد بعض الامثلة التقريبية - ورد في التوراة ان الله خلق الانسان

على صورته (تك ١: ٢٦)

ويوافق ذلك ما قاله علي بن ابي طالب «من عرف نفسه فقد عرف ربه» فليتخذ هذا مثالا تقريباً لموضوعنا فنقول ان كل رجل هو واحد غير انه يصح ان يتكلم عن روحه ونفسه وجسده قائلاً عن كل منها (انا) هنا ثلاثة اشياء يكاد يتميز احدها عن الآخر لان الروح ليست النفس ولا هذه ولا تلك هي الجسد وعليه فليس من الخطأ ان ندعو كلاً من هذه الثلاثة رجلاً الا انه لا يوجد في الثلاثة الا رجل واحد ومما لا شك فيه لا يكون احد الثلاثة خلواً من الاثنين الآخرين كل الشخصية كما لا يمكن التفريق بين الواحد والاخر على الاقل في هذه الحياة

ان هذا سر من الاسرار الكثيرة المودعة في طبيعتنا ولسنا نفهمها فان كل امرئ على وجه الارض يشعر بهذا التمييز في طبيعته بين روحه وعقله ونفسه في حين انه لا يرتاب في وحدة ذاته على اننا لسنا نقيم هذا المثال ولا غيره دليلاً على صحة التثليث بل الدليل على صحته كما قلنا مراراً الكتاب المقدس وكفى به دليلاً لانه صادر من الله وهو يعرف نفسه اكثر مما نعرفه وغاية ما نقصده من سرد الامثلة ان ندفع الشبه التي يعترض بها على هذا الموضوع ونبرهن انها صادرة عن سوء فهم لازالة ما عساه يكون عثرة امام طالب الحقيقة المخاض

ومما لا يصح اغفاله ان القرآن يتفق مع الكتاب المقدس في اسناد الفعل وضمير المتكلم في صيغة الجمع الى الله في ان امثلة ذلك اقل بكثير في التوراة عما هي في القرآن ومما ورد في التوراة هذه المواضع (تك ١: ٢٦ و ٣: ٢٢ و ١١: ٧) وفي القرآن ما ورد في سورة «العلق» وهي عند المسلمين اول ما نزل من الوحي على محمد فقد ورد في عدد ٨ لفظ «الرب» اسماً للجلالة وعدد ١٣ لفظ «الله» وكل من اللفظين في صيغة المفرد ولكن في عدد ١٨ ورد ضمير الجلالة بصيغة الجمع حيث يقول «سندع الزبانية»

وحيث ان الكتاب المقدس والقرآن يتفقان على هذا الاسلوب من التعبير عن ذات الجلالة بضمير الجمع فلا يخلو ذلك من قصد اما اليهود فيعملون عنه بكون الله كان يتكلم مع الملائكة الا ان هذا التعليل لا يلائم نصوص التوراة ولا القرآن ويعمل عنه المسلمون بالتعظيم وهو تعليل سخيف لا يشفي غليل الباحث النبيه وليس لنا ان نخوض في شرح القرآن انما اوردنا ذلك شعاراً باننا لا نخطئ اذا اعتبرنا عقيدة التثليث موافقة لاسناد ضمير الجمع الى الله في القرآن كما مر بيانه وقلنا انه لا توجد مشابهة وافية بين الله والمخلوقات الا انه توجد بعض الاشياء عدا ما ذكرنا آنفاً ثبت التعدد في الوحدة مثال ذلك

فصل
 خيط واحد من اشعة الشمس يتضمن ثلاثة انواع من الاشعة

(١) النور (٢) الحرارة (٣) العمل الكيماوي وهذه الثلاثة شعاع واحد بحيث لا يمكن فصل احدها عن الاخرى لتتكوّن ثلاثة اشعة بل بالعكس الشعاع الواحد لا يتكوّن الا من الثلاثة معاً. وكذلك النار والنور والحرارة ثلاثة اشياء ولكنها واحد فلا نار من غير نور وحرارة مع ان النور والحرارة من طبيعة النار واصليها. نقول ان النار تعطي نوراً وحرارة اذ ان النور والحرارة تنبعثان من النار ولكن ذلك لا يجعلهما تنفصلان عن النار ابداً فلا تسبقهما في الوجود ولا تتأخر عنهما في العدم وكذلك العقل والفكر والكلام واحد ومع اختلاف كل منها عن الآخر لا نقدر ان نتصور العقل عارياً عن الفكر ولا الفكر عارياً عن الكلام منطوقاً به أو غير منطوق ففي هذه الامثلة جميعها لا يشوش التعدد على الوحدة بل يتفقان تمام الاتفاق ولنا ان نستنتج من ذلك ان وجود ثلاثة اقانيم في اللاهوت ليس مضاداً للعقل السليم بل له شبه ونظائر في الطبيعة وسند قوي في الكتاب وهنا فكر آخر له علاقة بالتثليث ان من اسماء الله الحسنى عند المسلمين كونه «ودوداً» اي محباً (وهذا يوافق ما جاء في الكتاب في ارميا ٣: ٣١ ويوحنا ١٦: ٣ و١ يوحنا ٤: ٧-١١) وبما انه غير متغير فهو

ودود من الازل ويلزم عن ذلك ان يكون له مودود اي محبوب من الازل قبل خلق العالم فمن عساه يكون ذلك المحبوب الموجود من الازل عند الله؟ ففي عقيدة التثليث الجواب الصريح والوحيد لهذا السؤال فنقول ان اقنوم الآب هو الودود واقنوم الابن المودود وما احسن ما قال يسوع في هذا المعنى خطاباً لآبيه «احببتني قبل إنشاء العالم» (يو ١٧: ٢٤) وعليه لا يمكن الاعتقاد بوجود صفة المحبة في الله من الازل ما لم نعتقد بتعدد الاقانيم مع وحدة الجوهر والا كان الله متغيراً ابتداءً ان يحب من الوقت الذي خلق له محبوباً من الملائكة أو البشر وهذا باطل لانه قال «انا الرب لا اتغير» (مل ٣: ٦)

ولقائل يقول ما فائدة الايمان بالثالوث المقدس ألا يكفي اننا نؤمن بان الله واحد بصرف النظر عما اذا كان ذا ثلاثة اقانيم أو ذا اقنوم واحد؟ فاجيب فائدة الايمان بالتثليث ليست اقل من الايمان بالتوحيد لجملة اسباب جديرة بالنظر منها حل المعضلات الكثيرة التي يعترض بها على الوحدةانية المحضة مثل كيف يكون الله هو الكافي والصمد والمتكلم والغني والودود من قبل ان يكون كائن سواه لان كل هذه الصفات وما شاكلها لا يمكن التعليل عنها الا بتعدد الاقانيم الالهية مع توحيد الذات كما مر بيانه في كلامنا عن وصف الله بالودود.

وهذا التعاليم ايضاً يمكننا من فهم بعض تعاليم الكتاب المقدس كما انه
 يبين لنا شرح بعض الآيات القرآنية. واهم مما ذكر ان الايمان بالتثليث
 مفيد لانه يهد السبيل لتصديق دعوى المسيح انه «كلمة الله» المثبوتة
 في كل من الانجيل والقرآن واعلم ان هذه التسمية «كلمته» (في سورة
 النساء آية ١٦٩) «وقول الحق» (في سورة مريم ٣٥) اسلوب حسن
 للتعبير عن طبيعة المسيح ووظيفته بانه الوسيلة الوحيدة لاعلان الله
 للناس لان المراد من «كلمة» او «قول» هو ما يعبر به المتكلم عن فكره
 والمتكلم هنا الله وحيث انه دعا المسيح كلمته فيكون هو المعبر الوحيد
 الكامل عن فكر الله ومظهره القدوس الذي يظهر به خليقته المحدودة
 وبه تكلم الانبياء مسوقين من الروح القدس (لو ١٠: ٢٢ ويو ١: ٢١ و
 ١٨ و ١٤: ٦- ١٠٩ بط ١: ١٠- ١٢) وحيث ان المسيح هو الواسطة
 الوحيدة لاعلان الله يجب ان يعرفه هو اولاً ويعرف ارادته وقد
 عرفه كل المعرفة بدليل قوله «اما انا فاعرفه» «الآب يعرفني وانا
 اعرف الآب» (يو ٨: ٥٥ و ١٥: ١٠) ومن هذه الحيثية تمتاز معرفة
 المسيح لله عن معرفة الانسان. روي عن محمد انه قال في حديث له
 خطاباً لله «ما عرفناك حق معرفتك» ويعترف علماء الاسلام ان الله
 عظيم وسام بحيث لا يدرك كنهه عالم ولا نبي ولا رسول كائن من كان

وعليه فلا يعرف الله حق معرفته الا «كلمته» اي المسيح فاذا كان الامر كذلك فلا يجوز ان يكون المسيح مجرد مخلوق ولو اسمى المخلوقات والا لقصرت معرفته دون ادراك الله ادراكاً كاملاً لانه لا يعرف الله الا الله وعليه يكون المسيح اقنوماً الهياً فعقيدة التثليث اذاً تزيل كل صعوبة تخالج العقل في قبول دعوى المسيح بانه كلمة الله وبالتالي قبول خلاصه

وعدا ما ذكر فانه في الايمان بالتثليث حسنة كبيرة تغمر الشرقيين والهنود. لا يخفى انه قد ساد على هؤلاء الناس الاعتقاد بالقضاء والقدر حتى انهم استسلموا للجمود والتهاون فتأخروا عن امم الغرب في مضمار جهاد الحياة مع انهم من حيث الذكاء والاقدام فعلى اقل اعتبار يضاھون الاورباويين ان لم يزيدوا عنهم كما هو مثبت في التاريخ فما الذي حدا بهم الى التقهقر في سلم المدنية غير استحكام عقيدة القضاء والقدر في اذهانهم فلو آمنوا ان الله لم يقدر عليهم سوءاً ولا قضى بخرابهم بل يحبهم حباً فائقاً بحيث انه اعلن لهم نفسه في شخص «كلمته الازلي» وحمل آلامهم واحزانهم ومات بالجسد لخلاصهم وقام ثانياً لاجلهم لما بقي عندهم محل للشك في حسن مراد الله من جهتهم ولا ستنارت اذهانهم وفهموا نصوص الانجيل الذهبية كقوله «هكذا

احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به
بل تكون له الحياة الابدية» (يو ٣: ١٦ و ٤: ١٧-١٦)

ان رفض اخوتنا المسلمين لعقيدة الثالوث هو بالتالي رفض
للاهوت المسيح فكما اجتهد المسلمون في البحث عن الله زادوا
بعداً في المعرفة عنه تعالى وعليه نجد في مصر اليوم حديثاً حل محل
مثل شائع هو « كل ما خطر ببالك فهو هالك والله بخلاف ذلك »
فبذلك ترى الاسلام يؤول الى عدم معرفة الله. وان ايماننا معشر
المسيحيين بمظهر الله الكامل يمكننا من معرفة الله ومن محبته اذ احبنا
أولاً (يوحنا ٤: ١٩) وان روح الله القدوس يحل في قلوب المسيحيين
الحقيقيين وينيرها بارشادته الى معرفة الله ويقربهم اليه (يوحنا ١٤:

١٦ و ١٧ و ٢٦ و ١٥: ٢٦ و ١٦: ١٥ و اعمال ١: ٥ و ٢: ١-٤ و ١ كو ٣: ١٦
و ١٧ و ١٩: ٦) فبذلك يتصالح المسيحيون مع الله ويكونون في شركة
معه كابناء مع ابيهم المحب السماوي عوضاً عن ان يكونوا كعبيد
خائفين في حضرة سيدهم القهار (كما هي حال غيرهم)

إذاً نتعلم من الكتاب المقدس ان الله العلي العظيم اعلن لنا نفسه
(١) انه الآب القدوس المحب الذي وان كان شديد البغض والمقت
للخطية غير انه قصد من الازل بحسب فيض محبته وكثرة رحمته ان

يدبر طريقة خصوصية تيسر اخلاص لجميع البشر الذين يقبلون نعمة
 الله في تصالحون معه تعالى بالقلب والعقل والارادة والسلوك (٢) واعطي
 هذا الاعلان من الله للناس على يد « كلمته » ابن الله الوحيد الذي
 بواسطته فقط يصل المخلوق اياً كان لمعرفة الآب السماوي واذ اخذ
 ابن الله جسداً ولبس طبيعة البشر حمل احزاننا وهو منا ومات على
 الصليب من اجل خطايانا وقام من اجل تبريرنا (رو: ٤: ٢٥) (٣) ولكي
 يقبل الناس هذا الخلاص المبارك ارسل روحه القدوس الاقنوم
 الثالث من اللاهوت ليبكتهم على خطاياهم ويحقق لهم عظيم احتياجهم
 الى مخلص يخلصهم وينير اذهانهم بمعرفة غنى الانجيل حتى يطلبوا
 وينالوا ويتمتعوا بالحياة الابدية

ولا يبرح من ذهنكم ان البرهان الذي يقام على صحة عقيدة
 الثالوث الاقدس بعينه يقام على صحة عقيدة الحياة بعد الموت ويوم
 القيامة الى غير ذلك من العقائد التي يمتاز بها المؤمن من الكافر وعابد
 الله من عابد الصنم بمعنى ان هذه العقائد جميعها مؤيدة بكلام الله فان
 قبلنا عقيدة منها لانها مؤيدة بكلام الله فلماذا لا نقبل العقائد
 الاخرى في حين انها مؤيدة بكلام الله ايضاً
 ولنتقدم الان لايضاح حقيقة اخرى اعلمها تساعد القارئ للتثبت

من الموضوع الذي نحن في صددده وذلك بالايجاز . اننا نعلم بدليل
قلوبنا عن الخلاص الذي يقدمه لنا الرب يسوع وكيف نحصل على
الحياة الابدية ان آمنّا به (يو ١٧: ١-٣) كما نحصل على سائر البركات
العظمى التي يريد الله ان يمنحها لمخلوقاته

انه بناء على ارشاد وتعليم الانجيل اي اسفار العهد الجديد نعلم
انه بواسطة الايمان الحي بالمسيح والاتكال عليه (اع ٤: ١٢ و ١٦: ٣١
و ١٣: ٢٣) نصير ورثة الافراح الفاتكة والبركات العظمى التي لا يعبر
عنها «ما لم تر عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على بال انسان ما أعده الله
للذين يحبونه» (١ كو ٢: ٩) وليس الايمان بالمسيح مجرد الاعتراف بان
تعليمه حق بل الثقة الكاملة بمخلص حي حبيب جاء الى العالم ليخلص
الخطاة (١ تي ١: ١٥) من خطاياهم (مت ١: ٢١) وقادر أن يخلص الى
التمام كل الذين يتقدمون به الى الله (عب ٧: ٢٥) ايمان حي كهذا
يربطنا بروحياً بالمسيح ويجعلنا وايه واحداً (يو ١٥: ٤-١٠) كما يجعلنا
اولاد الله فيه (يو ١: ١٢ و ١٣ و ١٣: ١٠) بل يقويننا حتى ننتعق
من نير الخطية وابلis (يو ٨: ٣٤-٣٦) فنخلع اعمال الظلمة (رو ١٣:
١٢ و اف ٥: ١١ و كو ١: ١٣ و ١ تس ٥: ٥ و ١ بط ٢: ١٩ و ١ يو ١: ٦)
ونسلك كما يحق للدعوة التي دعينا بها او بعبارة اخرى نسلك كأولاد

نور (يو: ٨: ١٢ و ١٢: ٣٥ و ٣٦)

ولما كان الانسان من تلقاء نفسه لا يقدر أن يؤمن بالمسيح ايماناً حياً عاملاً رأى الله من فرط محبته لنا ان يرسل روحه القدوس ليعمل في ارواحنا ويثبت فينا حياة روحية نستعين بها على الايمان بالمسيح الايمان المطلوب ما لم نقش قلوبنا ونرفض نهائياً احتجاج ذلك الروح الصالح المنعم

وقدر أينا في ما تقدم ان المسيح «كلمة الله» هو مظهر الله الحقيقي وعليه يتضح جلياً انه بواسطته فقط يستطيع الانسان ان يأتي الى الله (يو: ١٤: ٦) وبدون ايمان بالمسيح لا تقبل الناس لدى الله ولا تغفر لهم خطاياهم لهذا جاء الروح القدس ليحث الناس على التوبة ويستميلهم الى الايمان بحيث يعتقدون ذلك الخلاص المقدم لهم مجاناً في المسيح وان الروح القدس الذي يكشف لنا الستار عن حالة قلوبنا الرديئة ويبيكتنا على خطايانا وينذرنا بالدينونة الآتية (يو: ١٦: ٨) ويحرضنا على السعي والجد في طلب المصالحة مع الله بقبول الكفارة الوحيدة التي قدمها المسيح عن خطايا العالم (عب: ١٠: ١٠-١٤) والذين يتقادون بارشاد الروح القدس يتبررون بايمانهم بالمسيح ويكون لهم سلام مع الله ربنا يسوع المسيح (رو: ١: ٥) يعطيهم السلام الذي لا يقدر أن يعطيه العالم

(يو ١٤: ٢٧) فالخطيئ النادم متى اتى الى المسيح يُعتق من الخوف والرعب الشديد الناتج عن خطاياهم ويزال عن عنقه ذلك الحمل الثقيل ويطرح في بحر نسيان رحمة الله (مت ٢١: ٢١ وصر ٢٣: ١١) وتتبدد غياهب ظلمة قلبه ويحل محلهما نور السماء وتملك عليه محبة الله ويعلم ان الله ابوه السماوي يسوع المسيح فيهجر خطاياهم ويمجد في حفظ وصايا الله ويواظب على معاشرته تعالى فتجري في نفسه انهار السعادة الحقيقية التي تفوق الوصف حتى تصير الارض في عينيه سماء بالرغم عن تجارب الحياة الكثيرة واضطهاد المضطهدين ويتحقق صدق الكتاب لا بالبرهان الخارجي فقط بل بالوجدان والاختبار ايضا وهذا التغيير الذي ينتجه عمل الروح القدس في نفس الخطيئ الا تي الى المسيح لا ينحصر في تحويل القلوب عن الخطية الى البر ومن الظلمة الى النور ومن عبودية ابليس الى حرية الله بل اعظم من ذلك هو ميلاد جديد حقيقي روحي (يو ٣: ٣ و٥) الذي به يصير المؤمن خليفة جديدة روحياً (٢ كو ٥: ١٧ وغل ٦: ١٥) وان الله ليريد ان كل انسان يتوب عن خطاياهم وينال الخلاص بالايمان بالمسيح (حز ٣٣: ١١ و١ تي ٢: ٣-٦ و٢ بط ٣: ٩) من اجل ذلك فليس احد على وجه الارض مقضياً عليه بالحرمان من رجاء الخلاص بل كل من يريد

بسلامة قلب ان يفدى بدم المسيح فانه يفدى بكل تأكيد (يو ٣١: ٦)
 واما الذين يعتمدون على ما يتخيلونه من اعمالهم الصالحة ويتوهمون
 ان لهم خزانة بر ذاتي في السماء ويرفضون المسيح فهم مقاومون
 لارشاد روح الله القدوس ويحكمون على انفسهم بانفسهم (يو ١٦: ٣)
 — ٢١ و ٤٠: ٥) ومع انه استطاع في هذه الحياة ان يقاوم محبة المسيح
 ويعاند رحمة الله يضطر في النهاية ان يسجد امام المسيح كما ينبئنا
 الكتاب (اش ٢٣: ٤٥ ورو ١١: ١٤ وفي ٩: ٢ — ١١)

ومما قيل يتبرهن ان التغيير الذي يحدثه الايمان بالمسيح في
 القلب لا يدعنا نهمل واجباتنا المسيحية أو نتمادى في ارتكاب الخطية
 لانه ايمان حي نحى يدفع صاحبه الى فعل الخير ويمنعه عن فعل الشر
 لذلك ان كان احد مؤمناً بالمسيح ايماناً حقيقياً ينتصر بمغوة روح الله
 القدوس على الخطية الداخلية كما ينتصر على العالم والجسد والشیطان
 ويدوس على هوى نفسه ويكرس ذاته لاجل ان يعيش على وفق
 ارادة الله من حيث قداسة العمل والطبع لانه ذاق بحاسته الروحية
 محبة الله الفائقة ورحمته العظيمة المعلنه في المسيح واختبر الفرح الحقيقي
 والسعادة الكاملة التي افاضها في نفسه الايمان لهذا اصبح يعرض عن

كل خطية او فـكـر شرير ويجاهد ليله ونهاره على الاحتراس
والاحتفاظ بوصايا الله سالكاً في النور كما ينبغي لدعوة الانجيل

الفصل السادس

حياة المسيحي وسلوكه

قيل في الانجيل انه حدث يوماً ما ان ناموسياً استعلم من الرب
يسوع عن الوصية العظمى في الناموس فاجابه «تـحـب الرب الهك»
(تث ٦: ٥) من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك هذه هي
الوصية الاولى والعظمى والثانية مثلها تـحـب قريبك (لاويين ١٩: ١٨)
كنفسك بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والانبياء» (مت ٢٢:
٢٥-٤٠ ومر ١٢: ٢٨-٣١) وقيل في غير موضع ما يوافق ذلك وهو
قوله «لا تكونوا مديونين لاحد بشيء الا بان يحب بعضكم بعضاً لان
من احب غيره فقد اكمل الناموس لان لا تزن لا تقتل لا تسرق
لا تشهد بالزور لا تشته وان كانت وصية اخرى هي مجموعة في هذه
الكلمة ان تحب قريبك كنفسك. المحبة لا تصنع شرّاً للقريب فالمحبة
هي تكميل الناموس (رو ١٣: ٨-١٠) محبة الله تؤدي الى محبة خلائقه
خصوصاً الانسان ثم ان المسيحي الحقيقي يحب الله لانه يعلم ان الله

احبه اولاً (١ يوحنا ٩: ١١ و ١٩ و ٥: ٥-٨) ومحبه لله تقطعه عن
 الاهتمام بلذات هذا العالم السريع الزوال (١ يوحنا ١٥: ٢-١٧) وكلما
 ازدادت المحبة لله عظم الاقبال الى خدمته وازدادت الرغبة في صنع
 الخير للقريب ويعلم المسيحي حينئذ ان الله ابوه السماوي وانه هو
 احد اولاده في المسيح (يو ١٢: ١ و ١٠: ٣ و ٢١: ٢) وتعظم ثقته في الله
 ويسارع مجاهداً في تمجيده واكرامه فكراً وقولاً وعملاً (مز ٦٣: ١ -
 ٨) واذا جاءه يوماً بليس ليحربه فيقول له كما قال يوسف في العصور
 الاولى «كيف اصنع هذا الشر العظيم واخطى الى الله؟» (تك ٣٩:
 ٩) وكل ما يعمل فله مجد الله ومرضاته لا لمرضاة الناس (كو ٣: ٢٣) وعلى
 قدر ما ينمو في محبة الله ومعرفته يزداد في تسبيحه وحمده لاجل
 خيراته الزمنية وبركاته الروحية التي يغمره بها ويظهر احساسات
 الشكر لا بالكلام فقط بل بالسيرة والعمل (مز ٣٤: ١ و كو ٣: ١٧
 و ١ تس ٥: ١٥-٢٢)

ومن سجايا المسيحي الحقيقي انه اذا وقع في ضيقة من جهة
 شؤون الحياة لا يتكل على ذراع البشر بل على الله كما انه لا يبالي
 بآثاء ثروته ولا باعلاء رتبته ولا يهتم بافراط في معاشه بل يصلي لانيه
 الذي في السموات ان يبارك اشغاله ويمنحه من الرزق الحلال ما فيه

الكفاية لسد أعوازه ويشعر باقتناع في قلبه ان اياه السماوي يهتم به
 (١بطه:٧) ولهذا فيلبي عليه همومه بنفس مطمئنة لانه يعلم عن ثقة
 ان الله فتح له كنوزه الروحية في السموات المذخرة في المسيح
 يسوع ويتأكد ان اله كل رحمة لا يمنع عنه خيراً من ضروريات
الحياة (مز:٢٨:٧ ومت ٩:٦-٣٤ و١ تي ٦:٦-١١)

المسيحي الحقيقي حمادٌ شكور لله على ما وفق له من اليسر والغنى
 عالماً ان كل عطية صالحة وموهبة تامة نازلة من عنده تعالى (يع ١:١٧)
 وهو صبور عند ما تمسه الشدائد وتوالى عليه البلايا والاضطهادات
 مؤكداً « ان كل الاشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله » (رو
 ٨:٢٨) كأنها تلقي على سمعه مناجاة احد قدماء المسيحيين لنفسه
 « يا نفسي حياة المسيح كانت يحملتها على الصليب وعلى المذبح وأنت
 تسعين وراء الراحة والانشراح؟ حاشا وكلا » ويعلم ان اياه السماوي اذا
 سمح له بتجربة فلاجل ان يقربه اليه اكثر من ذي قبل بحيث يقدر
 ان يفرح ويتبسم وهو رازح تحت عبء الضيقة (رو ٥: ٣ و ٤ وه
 و ١٢: ١٢) ويقول مع صموئيل النبي « هو الرب ما يحسن في عينيه
 يعمل » (١ صم ٣: ١٨) ذاكراً انه وان كان يعيش في العالم فليس من العالم
 كبرهيم الذي « كان ينتظر المدينة التي لها الاساسات التي صانعها

وبارئها الله» (عب ١١: ١٠ وانظر مز ٣٧: ٥ و ٢ كو ٤: ١٧ و ١٨ و عب ١٢: ٦٥)

المسيحي الحقيقي يعبد الله باخلاص وحق (يو ٤: ٢٤) ويشتهي ان يبقى على الدوام شاعراً انه في حضرة الله ويأتي اليه كل حين كطفل يأتي الى ابيه الحبيب عالماعنائه به. اذا طلب الطفل من ابيه حاجة يطلبها حسب الطبيعة وليس بصيغة خصوصية من الاقوال المرتبة ومثل ذلك المسيحي اذا طلب من ابيه السماوي شيئاً فليس عليه ان يتلو عبارات معينة ولا يتلو اقوالاً بلغة قديمة مقدسة على زعم البعض لانه يفهم ان الله مستعد ان يسمع الصلاة اكثر من استعداد المصلي للصلاة وان هباته تعالى اكثر مما نطلب او نفتكر الله يعلم احتياجننا قبل ان نسأله وما اقل درايتنا باحسن الاشياء لنا لذا ينبغي للمصلي اذا طلب شيئاً من متاع الدنيا أن يطلبه تحت هذا الشرط «ان شاءت ارادتك يا رب» واما ان طلب طلبية روحية يطلبها بلا شرط ولا قيد عالمًا ان الاشياء الروحية جميعها صالحة لنفسه وان الله أعدها له ان كان انسان قبل الميلاد الجديد الروحي (يو ٣: ٣٥) واستنار ذهنه بارشاد روح الله القدوس لا يصلي فقط بل يرتل لله في قلبه كل حين ويسبحه على جوده واحسانه ويثابر على معاشرته تعالى وكل ما يعمل فامجد اسمه

عالمًا أنه فاحص القلوب لا تخفى عليه خافية ويجاهد في تدليل كل فكر تحت سلطان محبته مستودعاً نفسه واعزاه بين يدي محبته متلذذاً بالسلام والطمانينة المظلمة على قلبه وروحه (مت ٥: ٦-١٥ ولو ١٨: ١-٨ ويو ١٦: ٢٣ وفي ٤: ٦ و ٧ و ١٨ و ١٧: ٥ و ١٨ و ١٤: ٥ و ١٥ و يع ١: ٥-٨)

وفضلاً عن الصلاة الانفرادية فإن اغلب المسيحيين يصلون صلوات أخرى مثل الصلاة المعروفة بالصلاة العائلية حيث يجمع الرجل زوجته وأولاده حوله ويقرأ لهم شيئاً من الكتاب المقدس ويصلي معهم طالباً المغفرة والبركة من الله عز وجل على نفسه واهل بيته ومثل الصلاة الجمهورية حيث يذهب الرجل المسيحي الى الاجتماع سواء كان في دار اعتيادية او كنيسة وخصوصاً في ايام الاحاد اليوم الذي قام فيه المسيح من الموت ويتحد مع جمهور العابدين لسماع الانجيل والوعظ وللصلاة والتسبيح تحت ملاحظة خدام الدين وهم رجال يدعون من الله ومدربون على خدمة الانجيل بنوع خاص واستحسن بعض الطوائف أن تصلي في اثناء العبادة الجمهورية بصلوات معينة على امل مساعدة العامة على العبادة واستحسن البعض الآخر الصلاة الارتجالية وحيث ان الله يعرف كل اللغات فهي عنده على

حد سواء ولا افضلية للعبرانية ولا اليونانية في اعتباره على سائر اللغات الاخرى انما الواجب ان تكون العبادة بالاخلاص والروح والحق وكذلك لا فرق بين موضع وآخر لتأدية العبادة لان المواضع كلها سواء عند الله فلا رسم ولا طقس ولا وضع خصوصي للعبادة الا ان تكون بالروح والحق كما يعلمنا الانجيل (يو:٤:٢٤)

المسيحي الحقيقي يعتبر كل الناس اخوانه ويرغب في مصلحة الغير كما يرغب في مصلحة نفسه ويصنع الخير حسب طاقته مع الجميع في الروحانيات والجسديات (مت ١٢: ٧ و ٣٩: ٢٢ و ١ كو ١٠: ٢٤) لان المسيح علمه ذلك القانون الذهبي (مت ١٢: ٧) الذي لو سار بموجبه جميع الناس لاصبحت الارض سماء فهو يعامل الآخرين لا كما يعاملونه بل كما يحب هو ان يعاملوه ان كانوا مرضى يعودهم وان جاعوا يطعمهم وان ضلوا عن الله يعامهم ما علمه المسيح (مت ٢٨: ١٩ و ٢٠) وبالجمله يحب الجميع ولا سيما اهل الايمان (غل ٦: ١٠ قابل مت ٢٣: ٨ و يوحنا ١٣: ٣٤ و ٣٥) بل يحب اعداءه ومضطهديه (مت ٥: ٤٤ و ١٢: ٣ و ٢ بط ١: ٥-٧) عالما ان هؤلاء الاعداء من جملة الذين مات من اجلهم المسيح وقد حدث ان احد اعداء المسيح اصبح احب

احبائه لانه انما كان ضالاً ووجدته الراعي الصالح وخلصه من بين
انياب الذئب (يو ١٠: ١١-٦)

تلميذ المسيح الحقيقي صادق ومستقيم ونقي القلب ولطيف (مت
٢٧: ٥ واف ٢٥: ٤ وبع ١١: ٤ و ١٢) يسعى جهد طاقته في بث روح
الوحدة والوفاق بين الناس (رو ١٢: ١٨) يرثي للمتضايقين (رو ١٢:
١٥ وعب ١٣: ١٦) يقابل ما يصيبه من الاذى بالصبر الجميل مفوضاً
امره الى الله (مت ١١: ٢٩ واف ٤: ٢٥-٣٢) مع انه اذا رأى الاذى
يقع على غيره بغياً وعدواناً يشتعل الغضب الصالح في قلبه ويندفع
لانتقاد المظلوم مهما كلفه ذلك من التضحية . وقد روي عن قوم
مسيحيين قبلوا ان يباعوا كالرفيق حتى يتمكنوا من مؤاساة وتعزية
الانفس الواقعة تحت عبودية قاسية

المسيحي الحقيقي يعلم انه خلق لخدمة الله وانه اشترى بثمن عظيم
بدم كريم دم المسيح (١ كو ٦: ٢٠ و ٧: ٢٣) وان جسده هيكلاً لروح
الله القدوس بسبب ايمانه بالمسيح (١ كو ٣: ١٦ و ١٧ و ١٩: ٦) فيأخذ كل
حذره من أن يدنس ذاته نفساً وروحاً وجسداً بالاستسلام للشهوات
الجسدية ويجاهد بنعمة الله ان يحفظ نفسه طاهراً بلا عيب ولا دنس
عائشاً بالقداسة (٢ كو ١: ٧ واف ٥: ٤ وبع ١: ٢١) ولا يرفض اطعمة

قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفي الحق لأنه منذ تأسيس العهد الجديد اباح الله كل انواع الاطعمة واذ قد استنار ذهنه تحقق وصية سيده - كل ما يدخل الفم لا ينجس الإنسان بل ينجسه الذي يخرج منه لأنه يصدر عن القلب مثل الافكار الشريرة والزنى والفسق والقتل (مر ٧: ١٤-٢٣) وان كان الطعام مباحاً بأصنافه فليس بمباح الشره والتبذير للمسيحي (١ كو ١٠: ٣١ قابل رو ١٤: ٢٠ و ١١: ٢١ و ١٠: ٤ و ٥) مثل المسكرات والخمور (لو ٢١: ٣٤ و رو ١٣: ١٣ و ١ كو ١١: ٥ و ١٠: ٦ و ١٠: ٥ و ٢١: ٥ و اف ٥: ١٨) وكذا التمتع الردي

المسيحي الحقيقي يعرض عن كل كلمة وعمل غير لائق ويسعى جهده في مرضاة الله (مت ١٦: ٢٤ و رو ٦: ١١-٢٣ و ١ كو ٦: ١٢-٢٠ و ١ تس ٤: ٣-٨ و ١ بط ١: ٢٢) متقدماً في النعمة وفي معرفة الله يسوع المسيح ربنا (٢ بط ٣: ١٨) عالماً ان هذا فقط هو الذخر الباقي والكنز الدائم بخلاف ثروة هذا الدهر ومجده وعظمته التي يطلبها ويجد في أثرها اهل الغرور فان مسيرها للزوال والتلف (مت ١٦: ٢٦ و اف ١: ١٥ و ٢: ١٠ و في ٣: ٧-١٦)

ومهما تكن اشغاله او مصباحته يدأب على عمله بامانة واتقان حتى يسر قلب خالقه وفاديه ويمجد اسمه القدوس محاذراً من الاهمال

والكسل آكلًا خبزه بعرق جبينه وحسب طاقته يجتنب الديون
 معتبراً أن كل ما ملكت يده فللرب الهه يتصرف فيه على وفق مشيئته
 في وجوه الخير والاحسان (مت ٢٥: ١٤-٣٠ ولو ١٩: ١٢-٢٧ وكو
 ٣: ٢٣ و ٢٤ واتس ١١: ٤ و ١٢ و ٢ تس ٣: ١٠) وكل ما ازداد في خدمة
 المسيح باخلاص واتسعت مداركه في معرفة شخصه العجيب عظمت
 محبته له بحيث لا يفصله عنه اية شدة واضطهاد (رو ٨: ٣٥-٣٩) وعلى
 مدى الايام يكثر تشبهه واقتداؤه بالمسيح غير مكتف بما هو دون
 صلاحه وقداسته الكاملة (٢ كو ٣: ١٨ و ١ بط ٢: ٩) واذا تصالح مع
 الله صارت ارادته على وفق ارادة ابيه السماوي ويفيض قلبه بفرح
 مقدس لا ينطق به ومجيد بالرغم عما يكتنفه من تجارب الحياة وآلامها.
 وفرحه هنا عربون لفرحه الدائم في السماء. وما ذكرناه قليل من كثير
 من نتائج الايمان بالمسيح في قلب المؤمن به يتقدم بشجاعة لاتمام
 واجباته في ملء الرجاء قائلاً ما قال بولس الرسول «استطيع كل
 شيء في المسيح الذي يقويني» (في ١٣: ٤)

ومما يجب التنبيه اليه ان المسيحي في هذه الحياة الدنيا وان
 صلحت اخلاقه الى الحد الذي ذكرناه فلا يزال غير كامل وعرضة
 لتجارب العالم والجسد والبلس وعليه ان يحارب هؤلاء الاعداء

ويفلبهم حتى الموت وان ابليس مع شدة قوته لا يستطيع ان ينتصر على المؤمن الواثق بالمسيح الا ان المؤمن ذو جسد تحت الآلام كسائر الناس لكنه حالما يتذكر مرافقة المسيح له ذاك الذي حمل احزاننا وتحمل اوجاعنا (اش ٥٣: ٥) وانه يمكنه معنا كل الايام (مت ٢٨: ٢٠) تنبت فيه روح الشجاعة والقوة فيقابل بالصبر الجميل كل ما يسمح به الله ان يجري عليه من صنوف التجارب والبلايا منتظراً وطناً افضل من بعد القبر (٢ كو ٥: ١ - ٩ وفي ١: ٢٣) وراجياً قيامة ابتهاج ومجد عند ما يأتي المسيح ثانياً بالقوة والسلطان وقد خضعت اعداؤه تحت قدميه (يو ٢١: ٥ - ٢٩ و ٤٠: ٦ و ١ كو ١٥ وفي ٣: ٢١)

وفي العالم الاتي يعرف المسيحيون الحقيقيون الله كما هو و يرون مجده وجهاً لوجه ويسكنون مع المسيح الى الابد (مت ٨: ٥ و ١ كو ٩: ٢ و ١٣: ١٢ ورؤ ٣: ٢٢ و ٤) حينئذ يكملون في القداسة وينالون العصمة من الخطية ويرثون من الفرح والسعادة ما لم تر عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على بال انسان يسكنون في نور احسان الله وبركاته وكلما جال في قلوبهم هذا الخاطر وهم في الحياة الدنيا وتذكروا نعمة الله المخلصة لجميع الناس المؤدية الى طهارة السيرة والحياة الابدية سبجوا الله مع رسول الانم قائلين «يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه ما ابعد

احكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء لأن من عرف فكر
 الرب أو من صار له مشيراً أو من سبق فاعطاه فيكافأ لان منه وبه
 وله كل الاشياء له المجد الى الابد آمين» (رو ١١: ٣٣-٣٦)

الى هنا شرحنا ووصفنا كيف يجب على المسيحي ان يكون اذا
 اطاع وصايا الانجيل غير ان اخواننا المسلمين كثيراً ما يغمضون عيونهم
 عن اخلاق المسيحيين الحقيقيين ويحتجون علينا بأخلاق من يلاقونهم
 من كفرّة الافرنج محاولين ان يقيموا الحجة والبرهان على ان اثمار
 الديانة المسيحية لا تختلف عن الاديان الاخرى لان اصحابها اشرار
 محبوبون لذواتهم عالميون فجار ولو انهم تأملوا بامعان لتحققوا انهم
 مخطئون في تقريرهم لان كثيراً من الافرنج لم يدعوا قط انهم مسيحيون
 وقول بعضهم ان كلمة نصراني واورباوي مترادفتان فهو خطأ محض
 عدا ذلك فان كثيرين يدعون انهم مسيحيون وهم ليسوا من المسيحية
 في شيء سوى الاسم والصورة الظاهرة ولكن ليس الظاهر كالباطن
 والا لم يكن على الارض مراؤون ومنافقون وهذا باطل ومحال
 يُعرف المسيحي الحقيقي بسلوكه وطاعته لنا موسى المسيح فان رأينا
 احداً يدعي انه مسيحي وهو يخالف وصايا المسيح فهو مرأى ومنافق
 ويحمل وزر نفسه فاذا دعي المسلم الى الجهاد واندفع الى ميدان القتال

يسفك دماء الاعداء الى ان مات محاطاً بالقتلى فقد برهن للملائكة صحة اسلامه كما انه اذا دعي الطبيب المسيحي المرسل الى مقاومة الطاعون والكوليرا يكافح ذلك العدو الفتاك بارواح العباد معرضاً نفسه لخطر الموت لافتداء بني جنسه من كل دين فهو يبرهن نسبته الى الديانة المسيحية ولكن اذا اقتدى المسلم بالمسيحي بمعالجة المرضى لم يعتبره اخوانه من اتباع رسول السيف وان اقتدى المسيحي بالمسلم في سفك الدماء لم يعتبره اخوانه تابعاً لرسول السلام فكما ان الشجرة تعرف من اثمارها يعرف المسيحي الحقيقي من اعماله ونقول كما قلنا ان ادعى احد انه مسيحي وتصرف بالخيانة ضد هذا الدين الصالح لا يحكم عليه اهل دينه فقط بل نفس الذين يدينون بالاسلام قائلين ليس هذا بمسيحي حقيقي وعليه فقد يشهدون ضمناً بطهارة وقداسة الايمان المسيحي. قال الرسول يوحنا «من يفعل البر فهو بار كما ان ذاك (المسيح) بار. من يفعل الخطية فهو ابليس لان ابليس من البدء مخطىء. لاجل هذا اظهر ابن الله لكي ينقض اعمال ابليس» (يو ١٧: ٨) وعليه فكل احتجاج على المسيحية بسبب ان بعضاً من المدعين بها يسلكون بغير استقامة احتجاج باطل لا يروج لدى اهل العقول الراجحة ثم نقول اخيراً ان الداء الديانة المسيحية يسمون انه يوجد

مسيحيون حقيقون متفردون في اماكن مختلفة لا ينكر احد تقواهم
وتفانيهم في فعل الخير من رجال ونساء بعضهم مرسلون وبعضهم
صناع وتجار واصحاب اشغال متنوعة من المهن والحرف الشريفة
وشهدت الاعداء ان لا ديانة اخرى على وجه الارض تعد هكذا اناساً
صالحين. نعم اية ديانة ترسل مرسلين الى كل اجزاء العالم حتى مجاهل
افريقيا والجزائر البعيدة منهم المرسلون والاطباء والمرضون لكل
انواع الامراض؛ اية ديانة ترغب السيدات ذلك الجنس اللطيف ان
يفادرن الاهل والوطن ويقطعن البحر والبر حتى يخدمن في
مستشفيات البرص في بلاد الهند؛ واية ديانة ترسل الاعانات العظيمة
في المجاعات والابوثة والزلازل وسائر النكبات؛ اية ديانة ضحت المال
والرجال في تحرير العبيد واعتقتهم من ربة العبودية؛

واعلم ان المسيحية لا يقتصر تأثيرها في تحويل الجفاء والخشونة
الى لطف ومحبة على امة دون امة مثل التأثير على الامم المتمدنة اكثر
من الهمجية كلابل تؤثر في الكل على السواء في الهند والصين
واليابان ومصر والعجم وفي اية امة وبلاد يكرز بانجيل المسيح توجد
امثلة كثيرة لا تقياء المسيحيين رجالاً ونساء حولهم الانجيل من قساوة
القلب وحياة الاثم والرديلة الى مثال التقوى والفضيلة والمحبة وذلك

منذ اعتنقوا الديانة المسيحية وكم منهم احتمل الاضطهاد والتعذيب
 لاجل خاطر المسيح حتى الموت فامثال هؤلاء رسائل المسيح الحية
 المعروفة والمقروءة من جميع الناس (٢ كو ٢: ٣ و ٣)

وهنا نعرف انه لسوء الحظ يوجد بين طوائف النصارى من
 يقدمون العبادة لبعض القديسين وللعداء مريم ويسجدون للصور
 والتمائيل الا ان هذه العبادة محرمة بموجب نصوص كثيرة من اسفار
 العهدين اي التوراة والانجيل (خر ٢٠: ٢-٥ ويو ١٤: ٦ و ١ تي ٢: ٥)
 وكم حذرنا الانجيل من عبادة الاصنام بما لا يدخل تحت حصر (١ كو
 ١٠: ٥ و ١١ و ٩: ٦ و ١٠: ٧ و ١٤ و غل ٢٠: ٥ واف ٥: ٥ و كو ٣: ١ و بط
 ٣: ٤ ورؤ ٩: ٢٠ و ٨: ٢١ و ١٥: ٢٢) وقد امتلأت صحائف التوراة من
 العبر التي حاقت بالامة الاسرائيلية بسبب عبادة الاصنام وحيث ان
 الكتاب المقدس ينهى كما رأيت عن هذه العبادة فليس من الصواب
 ان نتخذها دليلاً للاحتجاج به ضد الديانة المسيحية كما ليس من
 الصواب ان نتخذ عبادة الاولياء وغيرهم عند بعض المسلمين حجة
 على الاسلام

المسيحي الحقيقي من يقتدي بالمسيح في حياته ويشهد له شهادة
 محسوسة بارزة من خلال اعماله اليومية الا ان الكنيسة المنظورة

تشتمل كما قال المسيح على الحنطة والزوان (مت ١٣: ٢٤-٣٠ و٣٦-٤٣) والعافل يميز بين الحنطة والزوان ، وبين الطيب والخبيث والعملة المزيفة لا تكون حجة على العملة الحقيقية . والتاجر المدرب يفرز هذه من تلك

الفصل السابع

في خلاصة الأدلة على ان اسفار العهد القديم والعهد الجديد تتضمن
الوحي الحقيقي

ينبأ في مقدمة الكتاب الاقيسة الصحيحة التي نقيس عليها كل كتاب يزعم اصحابه انه وحي ونرجو ان يكون قد تحقق القارئ النبيل من الفصول المتقدمة ان الكتاب المقدس مستكمل الشروط ولكن لزيادة الفائدة تتوسع اكثر في هذا المبحث ونأتي بالادلة القاطعة التي لا تدع مجالاً للشك

(اولاً) ان الانجيل يمثل لنا في المسيح اقدس حياة واكمل مثال ظهر على وجه البسيطة وعاش بين الانام نعم قد اطنت كل امة في بطل دينها ورفعت درجته الى ذروة المجد واقامت له التماثيل الا ان اكثر الحكايات في هذا الموضوع ترجع الى خرافات عجائزية كما

يؤخذ من اساطير الهنود في قصص ابطالهم مثل «رامه» «وكريشنه»
 الا انه توجد بعض القصص ترجع الى اصل صحيح ولكنهم غالوا فيها
 وبالغوا كما حكوا عن بوذا اله الهنود ومع ذلك اذا قارنا هؤلاء
 الاقطاب والابطال في كل أمة تحت السماء (حتى الذين صورهم الوهم)
 بالمسيح لظهر فرق عظيم بينهم وبينه في جميع خلال الخير وسجايا
 الكمال فستان بينهم وبين المسيح في التواضع والصلاح والنقاوة
 والعدالة واللفظ والمحبة والرحمة والقداسة وسائر الفضائل المعترف
 بها من جميع الناس بل قد علا صلاحه وفاق مبالغة الشعراء في مدح
 ابطالهم بني الوهم والخيال. على ان حياة المسيح حقيقية لا ريب فيها كما
 يقر ويعترف الجميع فالكتاب الذي سجل هذه الحياة العديدة المثال
 كتاب الله بمعنى ان الذين عرفوا المسيح وعاشروه واتبعوه وكتبوا
 سيرته وتعليمه كتبوا ما كتبوه بالهام الروح القدس كما وعدم يسوع
 نفسه (يو: ١٦: ١٢ و ١٣) والروح عصمهم من الخطأ وامدهم بالنور
 والمعرفة فجاءت شهادتهم للمسيح طبق الواقع (اع: ١: ٨) سواء كانت
 شهادتهم قولاً أو كتابة فالمسيح دليل نفسه

(ثانياً) ان اعلان الله او مظهره لا يمكن ان يكون كتاباً بل يجب
 ان يكون شخصاً وحتى تطلع الناس على حياته واعماله وتعليمه يجب ان

تكتب في كتاب تحت ارشاد وهيمنة من هو معصوم من الخطايا ومنزه
عن الكذب ومن يطلع على الكتاب المقدس بروح الاخلاص والصلاة
تنجلي له الحقيقة في ثوبها الناصع ويجد المسيح الموعود به في التوراة
والمسطورة حياته في الانجيل بانه «المخلص» «وكلمة الله» وهو الشخص
الوحيد الكفو لا اعلان الله للناس وقد اعلنه في صفاته وحياته وسيرته
وموته وقيامته وتعليمه ووعدده وبمقتضى هذا الاعلان الوحيد في بابه
يحل الانجيل معضلة الدهور التي لم يستطع كتاب آخر ان يحلها الا
وهي كيف الاله الغير المحدود يعلن نفسه لمخلوقاته المحدودة؛ هذه معضلة
اجهدت الفلاسفة عقولهم في حلها واسفر اجتهادهم عن خيبة حتى ان
علماء اليهود الذين لم يؤمنوا بالمسيح عجزوا ايضاً عن الاجابة على هذا
السؤال وكذا عجزت علماء الاسلام وما اتوا به من الحل او هي من
بيت العنكبوت ومن اقوالهم في هذا الصدد ما ورد في كتاب ميزان
الموازين قال المولف «كل مدرك لا بد له من وسيلة يدرك بها وعليه
يجب ان يكون بين المدرك والمدرك صلة يتدرب بها الى الادراك ولما
كان الله غير محدود وخلائقه محدودة انعدمت كل علاقة وانقطعت
كل صلة بين الطرفين وعليه لم تكن ثمة وسيلة للانسان ان يدرك الله
ولا اي مخلوق كائن كما كان يستطيع ان يدرك الخالق عز وجل الا ان

مؤلف ميزان الموازين زعم انه يوجد مخلوق يدعى المخلوق الاول الذي بحسب الحق الاعظم خليقة الله الوحيدة وجمال الازل المطلق والنور الكلي ومظهر الله الكامل فلما فصد الله ان يخلق الخلق ويعلم لهم ذاته خلق هذا المخلوق الاول فصار موضوع محبته ومظهر صفاته وبما ان الله احبه فقد احب الله كذلك وهذا المخلوق على زعم المؤلف الوسيط الاعظم والني المطلق وكل ما حدث من بدء الخليقة وما يحدث الى المنتهى حدث بواسطته

هذا الرأي كيفما كان ليس له اصل في الاسلام وانما تطرق اليه من اصحاب البدع وفلاسفة الوثنيين كاريوس الهرطوقي فانه زعم انه يوجد مخلوق اول قد خلق الله به العالم وكذا زعم ماني الفارسي الا ان هذا الاخير قال ان الشيطان بعد ذلك خلق الانسان على صورة المخلوق الاصلي وصورته هو اي جمع فيه النور الاعظم والظلمة كما في العالم الصغير ثم انه توجد طائفة يقال لها النحشية او عبدة الافاعي او العرفاء قد اعتادوا ان يحترموا الخنثى ويدعونه غير المغلوب ويزعمون ان معرفته بداية معرفة الله ومن اقوالهم ان بداية الكمال معرفة الانسان ونهايته معرفة الله وعندهم ان آدم خلق على صورة ذلك الانسان الذي يدعونه الانسان الاعظم والاكمل ومما يشبه هذه الآراء ما يزعم قوم

من فرق اليهود يدعون «بالقبالاه» وهؤلاء اخذوا عن الوثنيين ايضاً
 كما أخذ عنهم المسلمون فقالوا ان الله الغير المحدود اراد من الازل ان
 يعرف وللوصول لهذا الغرض انبثق منه كائن ومن ذلك الكائن انبثق
 كائن آخر وهلم جرا الى العشرة ومن هؤلاء العشرة يتألف الانسان
 الاصلي ويسمونه بلسانهم (اذام قدمون) او الانسان السماوي ورأسه
 مؤلفة من الانبثاقات الثلاثة الاولى وان آدم او الانسان الترابي
 خلق على صورته بدون وضوح

غير ان هذه التخمينات مع كونها من مواليد الاوهام لم تهتد
 السبيل قط الى حل المعضلة المتقدمة وذلك لان المخلوق الاول مهما
 بلغت عظمته وسمت صفاته لا يزال مخلوقاً وبينه وبين الله ما لا
 يحمد ولا يقاس وعليه لا يقدر ان يدرك الله لانه لاصلة بين المحدود
 والغير المحدود كما قرر مؤلف ميزان الموازين فضلاً عن ان بدعة
 المخلوق الاول تؤدي الى عبادته دون الله وهذا هو الشرك الذي
 يقول عنه القرآن انه خطية لا تغتفر بعينه

اما الانجيل فيجيبنا على السؤال الغامض افضل اجابة ينمى الفلاسفة
 والعلماء عجزوا عن تصور وجود «كلمة الله» الذي هو واحد مع ابيه
 بالذات (يو ١٠: ٣٠) وصار واحداً مع الانسان بتجسده فالكتاب الذي

أظهر لنا هذه الحقيقة يجب أن يكون صادراً عن الله فالفرق إذاً بين
 تعليم المسيحيين وفلاسفة الإسلام في ما تقدم ذكره هو أن أولئك
 الفلاسفة استنبطوا من عالم الخيال كائناً لا هو إله ولا إنسان وقالوا إنه
 هو الوسيط بين الله والناس وشفعوا استنباطهم لهذا الكائن بأراء
 يهودية ووثنية مبنية على الحدس والتخمين. واما نحن النصارى فنقول
إن الوسيط الوحيد بين الله والناس هو يسوع المسيح الذي هو إنسان
تام وإله تام واستندنا في قولنا لا على رأي الفلاسفة ولا المبتدعين بل
على كتاب الله الأمين ومن المعلوم أن المسيح كائن حقيقي وليس وهمياً
 افترضوا وجوده للضرورة بل له وجود حقيقي كما هو مثبت في
 الانجيل والقرآن. هذا الذي أعلن الله لنا بمثال حياته الكاملة في القداسة
 كما باقواله وهو الذي قدم لله كفارة عن خطايانا بذبيحة نفسه على
الصليب فإن قارنت بين آرائهم وآرائنا ظهر لك الحق من الباطل
 وتعرف أي الفريقين المبتدع وإيهم المتبع لتعليم الله على لسان أنبيائه
 ورسله الذين أوحى إليهم الكتاب بالروح القدس

(ثالثاً) نقول ومن الأدلة على كون الانجيل من الله أنه بملاً فراغ
 النفس من حيث شوقها لمعرفة الله، وتبريرها امامه تعالى من تبعه الأثم،
 ومغفرة خطاياها، وتطهير القلب والحياة (١) يخبرنا الانجيل بقصد

الله الازلي من جهة الانسان ويشرح على التوالي السبب الذي من
 اجله خلق وكيفية سقوطه في حماة الخطية وحاجته العظمى الى القداسة
 (٢) يخبرنا كيف نحصل على مغفرة خطايانا بالايمان بالمسيح وبذلك
 نتبرر امام الله (٣) وكيف تطهر قلوبنا بالايمان بالمسيح وتصبح هيكلًا
 لسكنائه وتنقى افكارنا ورغائبنا من الخبائث وكيف تشددت عزائمنا
 في الجهاد ضد الخطية وابليس كلما عظمت محبتنا له (٤) ويرينا كيف اننا
 بالايمان بالمسيح نصير اولاد الله المختارين وتفيض قلوبنا سلامًا وفرحًا
 روحياً متوقعين بالتحقيق واليقين وبفروع صبر ذلك اليوم السعيد
 الذي يقوم فيه الاموات وحينئذ نتمتع بالسعادة الدائمة والقداسة الكاملة
 في حضرة الله وبالاجمال ما من رغبة روحية تصبو اليها النفس الا
 وهي متوفرة في الانجيل فلذا هو رسالة الله الى ابن آدم المسكين
 ومن المحقق الذي دل عليه الاختبار ان كتب اهل الاديان
 الاخرى لا تؤدي باصحابها الى شي مما ذكرنا فاي كتاب منها يسكن
 روع الخاطيء من هول الحساب واي منها يستميل القلب لمحبة الله
 واي منها يكلف الانسان بظاهرة القلب والحياة ويمده لسماء طاهرة
 لا تدخلها الشهوات ولا تحوم حولها الادناس يسكن فيها جماعة
 المخلصين الذين نالوا الحرية الكاملة من كل عيب ودنس ونقص

الى غير ذلك مما هو مغاير لطبيعة الله الكلي القداسة فهذه الكتب لا تدل على طريق خلاص من الخطية ولا احراز القبول لدى الله بل تغادر الانسان بدون ان تروي له غليلاً نعم قد تأمره بالحج والصوم ونحر الضحايا مما ليس له اقل مساس بنقاوة القلب ولا باعلان صفات الله فيصبح المتعبد بها هائماً لا يستقر على حال من القلق منفياً من بيت الاب السماوي

(رابعاً) ومن الادلة على كون الانجيل من الله هو تجديد القلب والحياة الذي يحصل عليه الذين يقبلون تعليمه وابتدئ هذا التجديد من الداخل ويمتد الى الخارج وهو من الالهية بمكان حتى انه وصف بالميلاد الثاني الروحي (يو ٣: ٥) ويتم بواسطة عمل روح الله القدوس

(خامساً) في الكتاب المقدس معلنة صفات الله العظمى التي يتشوق الانسان الى معرفتها ومؤهل لادراكها الى حد معلوم — صفاته الكمالية. كالقداسة والمحبة والرحمة والعدل وصفاته الجلالية كالقدم والقدرة والحكمة واخلق وحفظ الكون هذه الصفات وتلك مينة بمزيد الوضوح على السواء وجاء في الكتاب ان الله اعلن نفسه في الرب يسوع المسيح الذي جال يصنع خيراً ولم يصرف احداً من امام وجهه

خائباً من الذين اتوه طالبين منه المغفرة والمعونة ومع انه كان منزهاً
 عن الخطية قد اظهر الانعطاف نحو الخطاة المعترفين بخطاياهم الخائفين
 من دينونة اليوم الرهيب ورحمهم وقد كلفه ذلك تضحية حياته حتى
 يتهيأ له انقاذ الذين يؤمنون به من سلطان الخطية وتناجها المريعة فلم
 يخبرنا اذاً الكتاب بصفات الله بالكلام والامثال من اساليب التعبير
 فقط بل اظهره لنا بالعيان وجهاً لوجه حتى يراه كل من اراد في حياة
 يسوع المسيح وعلى ذلك قوله «الذي رأني فقد رأى الآب» (يو
 ٩: ١٤) وبهذا الاعلان الوحيد ادركنا اكثر بكثير من غيرنا
 كم هي مكروهة الخطية في نظر الله القدوس وانه بدون قداسة لا
يتمتع احد برؤية الله (عب ١٢: ١٤) وها كم فلسفة القدماء والمتأخرين
 بين ايدي طلبة العلم فهل رأيت كتاباً من كتبهم يصف الله بما يصفه
 به الكتاب المقدس من صفات الكمال؟ اظن لا. بل اقول حتى الكتب
 المقتبسة من الكتاب المقدس ضلت ضلالاً بعيداً لانها فيما هي تعلم
 عن وحدة الله فاتها ان تقر بالطريقة الوحيدة التي بها اعلن الله نفسه
 للناس وتركت بين الخالق والمخلوق برزخاً لا يعبر مع ان الوصول
 لله بيت القصيد في الدين كله

(سادساً) ان روحانية الانجيل اشرف وانقى وارفع من اي كتاب

آخر وكل المساعي التي بذلت لانكار هذه الحقيقة اسفرت عن خيبة
 فاستعار بعضهم اقوالاً مأثورة عن فلاسفة الصين والهند واليونان
 وارادوا ان يضاهوها بما يقابلها في الانجيل ومن امثلة ذلك علم المسيح
 تلاميذه قانوناً ذهبياً «كل ما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا هكذا
 انتم ايضاً بهم» (مت ١٢: ٧) وعلم بعض الفلاسفة في الهند واليونان
 الصيغة السلبية من هذا القانون الذهبي فقالوا لا تفعلوا بالآخرين ما
 لا تريدون ان يفعلوه بكم. فمن يتأمل في القولين يجد الفرق بعيداً
 كبعد السموات عن الارض وكذلك كونفوشيوس وفيلسوف الصين
 المشهور ذكر ذلك القانون بالصيغة السلبية مراراً ولم يذكره ولا مرة
 واحدة بالصيغة الايجابية الا ان حفيده كنغ تشي اقترب الى الصيغة
 الايجابية اكثر منه حيث يقول ان اربعة اشياء ترفع قدرا الانسان لم
 اظفر بواحد منها بعد الى ان قال عن الشيء الرابع وددت ان اعامل
 صديقي كما اريد ان يعاملني لكنني لم ادرك هذه الغاية ومع ذلك لا
 يزال بين قوله وقول المسيح فرق عظيم لان المسيح اوجب المعاملة
 بمقتضى ذلك القانون لكل الناس واما هذا الفيلسوف فقد حصرها
 بين اخل وخليله فضلاً عن كونه اقر بفشله

وكثيراً ما اجتهد العلماء ان ينقبوا ويبحثوا في جميع ما وصلت

اليه ايديهم من كتب الاديان والحكم والامثال وجمعوا من الوصايا
والشرائع ما قدروا ان يجمعوه فكانت النتيجة ان وصايا ذلك الكتاب
الصغير اعني به الانجيل افضل واسمى مما استطاعوا ان يجمعوه من
كتب العالم كافة على ان الوصايا التي جمعوها كانت اشبه الاشياء
بكومة من الزهور الذابلة اما وصايا الانجيل فكزهور نضيرة وكجنة
فيحاء فيها كل مالذ وطاب. اليس هذا وحده دليلاً راهناً. انه موحى به
من الله؟ والا فكيف استطاع كتبة الانجيل ان يضمنوه ما اودعته
الحكماء والفلاسفة في بطون كتبهم من خالص الوصايا وصميم
الشرائع في الهند والصين واليونان ومصر والفرس والرومان في كل
زمان ومكان الا ان يقال ان الله المحيط بكل شيء اوحى الى رسله
الاظهار بما ليس في استطاعة العلماء اجمع ان يأتوا به؟ فتأمل
واهم من ذلك لنا في حياة المسيح على الارض كما دونها رسله
الاظهار اعظم ناموس واصلاح مثال فانه عاش حسب علم من الوصايا
الذهبية عديمة النظير وعدا هذا كله فان الكتب الاخرى وان
تضمنت شيئاً من الوصايا الجيدة لم تخل من التعاليم الخبيثة التي طالما
ادت الى البوار وليس الخالص من الشوائب كالمزوج بها امتزاج
السم بالدسم كفخذ الضان الذي قدم لمحمد واصحابه بعد واقعة خيبر

فهو طعام شهى لكنه موت زؤام واما الانجيل فلا يحمل بين دفتيه
الا الصلاح المحض

بقي علينا ان نقول ان الانجيل لا يأمر بالصلاح ويدع الانسان
وشأنه بل يمنحه القوة التي تدفعه الى العمل — ما هي تلك القوة
العجيبة؟ — المحبة للمسيح — قوة لا توجد الا في الانجيل. سأل تلميذ
مسيحي احد علماء الهند البوذيين قال انك قرأت الكتاب المقدس
وقرأت كتبكم فماذا وجدت؟ قال وجدت احساسات شريفة في كل
من كتبكم وكتبنا الا ان الفرق عظيم وهو انكم معاشر النصارى
تعرفون الواجب ولكم من القوة ما يؤهلكم للعمل اما نحن فنعرف
الواجب ولكننا غير قادرين على القيام به. فمثل الاديان الاخرى مثل
قوم مدوا سكة حديد ولكن ليس لهم القوة المحركة واما الديانة
المسيحية ففضلاً عن كونها مدت سكة اقوم سبيلاً ففيها القوة المحركة
التي تحرك الطالب الى السير وتلك القوة هي المسيح والفرق جوهرى
وعظيم ولا يبرح من ذهن القارىء الكريم ان فيلسوف الصين لم
يذكر اسم الله في جميع مؤلفاته الا مرة واحدة وتلك المرة ليست
من كلامه بل مقتبسة فهو ليس من رجال الدين بالمرة

(سابعاً) ومن الادلة على ان الكتاب المقدس موحى به اتمام

النبوات المتضمنة فيه مما ليس له نظير في كتب الاديان الاخرى فانه
 عدا النبوات الكثيرة الواردة في اسفار العهد القديم بشأن المسيح
 وتمت فيه كما هو مقرر في اسفار العهد الجديد قد وردت نبوات
 اخرى ليست اقل من الاولى. سأل ملك من ملوك بروسيا مسيحياً
 قال هل تقدر ان تبرهن على وحي الكتاب بكلمتين اجاب «اليهود
 يامولاي» ان النبوات التي وردت في الكتاب عما يصيبهم تحققت
 كما تشاهد احوالهم اليوم ومن امثلة ذلك ما ورد في (تث ٢٨: ١٥ -
 ٢٨ ومت ٣: ٢٤ - ٢٨ ومر ١: ١٣ - ٢٣ ولو ٥: ٢١ - ٢٤) وكما تمت
 النبوات عن اليهود تمت النبوات الاخرى المنذرة بخراب نينوى وبابل
 وكثير من المدن العظيمة وعدا ذلك قد تنبأ دانيال النبي قبل ملك
 الاسكندر بزم من طويل عن انتصاره على مادي وفارس وانقلابهما
 (دا ٨: ٣ - ٢٧) وعن انقسام مملكة الاسكندر من بعد موته وقد
 حقق التاريخ ذلك ثم تنبأ الانجيل عن امتداد الديانة المسيحية وما
 يلحقها من الاضطهادات كما تنبأ عن قيام الانبياء الكذبة والارتداد
 عن الايمان وسريان الاحاد والكفر في الايام الاخيرة وكل ذلك
 تحقق كما هو مشاهد بالعيان فليس سوى الله علام الغيوب الذي
 سبق وانبا بهذه الامور على السنة كتبه الاسفار المقدسة

(ثامناً) ومن الأدلة على وحي الكتاب المعجزات التي أتت بها المسيح ورسله ومن أهمها قيامة المسيح من الموت بعد ثلاثة أيام في القبر مما يؤيد دعواه أنه مخلص العالم «وكلمة الله»

(تاسعاً) يظهر حق الإنجيل من انتشار المسيحية في العصور الأولى وغلبتها على وسائل التدمير التي أثارها عليها إبليس والأشرار (مت ١٦: ١٨) ولا تزال رافعة أعلام النصر إلى عصرنا الحاضر والعجب العجيب أنها انتشرت وغلبت بدون وسائل بشرية لأن الرجال الذين وكلت إليهم الكرازة بالإنجيل كانوا فقراء مالهً وعلماً وكرزوا بما يخالف رغائب الناس وأميلهم وعوائدهم وبما هو بعيد عن عقولهم وتصوراتهم واشترطوا على الذين يقبلون كرازتهم أن يقبلوا الاضطهاد من الأعداء مهما اشتدت وطأته حتى الموت الأليم بدون أن ينتقموا لأنفسهم حتى ولا يطلبوا النعمة من الله على مضطهديهم بل بالاحرى يباركهم ويدعوا لهم بالدعوات الصالحات (اع ٧: ٦٠) فمن كان يظن أن ديانة كهذه يروج سوقها في هذا العالم الأثيم ولكن بما أنها من عند الله راجت بالرغم عن سهام الأعداء الملتهبة حتى أنه لم يعض عليها بضعة قرون حتى امتدت إلى كل جهات المعمورة وقلبت كيان الوثنية رأساً على عقب في سوريا ومصر وآسيا الصغرى واليونان والرومان إلى غير

ذلك من البلدان المشهورة بدون سيف ولا اكرام بل بالايمان
 واللفظ والمحبة والشجاعة الاديبة والامانة حتى موت الاستشهاد مع
 الكرازة ببساطة الانجيل ألا يدل كل ذلك على ان روح الله القدوس
 ايد المسيحيين الحقيقيين وافرغ عليهم صبراً وشجاعة حتى شهدوا
 لسيدهم واستمالوا قلوب الاعداء الى صوبهم وربحوا للايمان بالمسيح
 الى ان صاروا له جنوداً واعواناً نعم اننا لا ننكر ان بعض الاديان
 الاخرى انتشرت ولكن بالترغيب والتهديد العاجلين والآجلين مثل
 ان يأتي الداعون البلاد يحملون في اليد الواحدة الكتاب الذي يدعون
 اليه وفي اليد الاخرى السيف ولست اخالك تجهل ان السيف عند
 الكثيرين برهان قاطع ودليل ساطع حتى قالوا انه اصدق انباء من
 الكتب واما الترغيب مثل ان يرغبوا الناس بتعدد الزوجات وتبديلهن
 من حين الى حين بما لذ وطاب في هذه الحياة الدنيا وتعليق رجائهم
 في الحياة الاخرى بزوجات اكثر وجمال رائع فتان فان انتشرت
 ديانة بمثل هذه الوسائل لا يكون انتشارها دليلاً على كونها من عند
 الله لان الله قدوس يبغض الشر ويمقت الفجور والبغى والبهتان
 فشتان بين المسيحية وبين الاديان الاخرى
 فان قست الكتاب المقدس على الشروط التي نتوقعها بالبداية

في الوحي الحقيقي حسبما ذكرنا في المقدمة نجدها متوفرة فيه بحيث لا نتردد في الجزم بأنه موحى به من الله وخصوصاً لأنه يشهد من اوله الى آخره ليسوع كلمة الله اي مظهره الكامل الحقيقي

الفصل الثامن

في الكيفية التي انتصرت بها الديانة المسيحية في القرون الاولى

لما بدأ الرب يسوع المسيح يركز بالانجيل اختار من بين اتباعه اثني عشر رجلاً الذين علمهم الحق ودرّبهم على التبشير وكان هو الحق فبمجرد وجودهم معه ومعاينتهم اعماله ومعجزاته وسماعهم اقواله وتعاليمه عرفوا الحق بمعنى انهم عرفوا الله في شخص المسيح بأنه الاب السماوي القدوس الصالح (يو ١٤: ٦-١٠ و ١٧: ٣) ودعاهم رسلاً (لو ٦: ١٣) لأنه كان قاصداً ان يرسلهم الى العالم (قابل سورة الصف آية ١٤) ثم لما اكمل عمله وقام من بين الاموات وكان على وشك الصعود سلم اليهم مأمورية الكرازة ووكّل اليهم ان يتلمذوا جميع الامم (مت ٢٨: ١٩) ويشهدوا له الى اقضاء الارض (اع ١: ٨) ولما كان الانسان ضعيفاً ومعرضاً للزلل امرهم ان يكتشوا في اورشليم حتى يرسل اليهم الروح القدس يقويهم ويذكّرهم بالحق ويعصمهم من الخطي في تبليغ

الرسالة ويعد لهم القلوب ووعدهم بأنه يرسله بعد ايام قليلة (اع ١: ٥
 ويو ١٤: ١٦ و ١٧ و ٢٦ و ١٥: ٢٦ و ١٦: ٧-١٥ واع ١: ٤ و ٨) وامتثالاً
 لامره (لو ٢٤: ٤٩ واع ١: ٥) مكثوا في اورشليم منتظرين اتمام الوعد
 ففي ختام خمسين يوماً من قيامته او عشرة ايام من صعوده كانت الرسل
 مع جماعة من المؤمنين يبلغ عددهم جميعاً مائة وعشرين يصلون ويسبحون
 الله واذا بصوت كما من هبوب ريح عاصفة ملاً كل البيت حيث
 كانوا جالسين وظهرت لهم السنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على
 كل واحد منهم وامتلاً الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون
 بالسنة اخرى كما اعطاهم الروح ان ينطقوا (انظر اع ١: ٢-١٣) ومن
 ذلك الوقت ملاًهم الروح القدس بالمحبة والايمان والغيرة الصالحة
 والشجاعة الادبية ومعرفة الحق (يو ١٤: ٢٦ و ١٣: ١٦) الذي اراد الله
 ان يعلنه لهم وان يبلغوه للعالم ومما يدل على صدق ارسالهم الى العالم
 انه وهب لهم ان يتكلموا بالسنة اخرى (اع ٢: ٤) ومن ذلك الوقت لم
 نسمع ابداً انهم بشروا في بلاد اجنبية بعد درس لغاتها. ان الله تعالى
 اعطاهم قوة التكلم بالالسن كعلامة على ان روح الله يعينهم على
 الكرازة باية لغة اينما ذهبوا وان بعضاً من الرسل ان لم نقل كلهم ايدهم
 الله بالمعجزات الباهرة في شفاء المرضى واقامة الموتى كمعجزات سيدهم

(اع ٤:٢ و ١٠:٣ و ١١ و ١٢:٥ و ١٦ و ١٧:٨ و ١٧:٩ و ٣١:٤) الا انهم
عملوا هذه المعجزات باسم المسيح وليس بقوتهم ولا تقواهم (اع ٣:
١٦ و ٦)

وبعد ذلك ببضعة سنوات اهتدى بولس الى الايمان بالمسيح
بمعجزة عجيبة (اع ص ٨) وبعثه المسيح رسولا وايده بالمعجزات كفاثي
الرسل (اع ١٤: ٨-١٠ و ١٩: ٦ و ١١ و ١٢ و ٢٠: ٩ و ١٠ و ٢٨: ٨ و ٩) ومما
يجب ملاحظته ان المعجزات اعطيت في بداءة الديانة المسيحية الى
زمن معين لاجل تأييدها في الغالب الى آخر زمان الرسل ولو كانت
استمرت المعجزات كل الزمان الى العصر الحاضر لاصبحت اعتيادية
وفقدت ما لها من السلطان في تأييد جماعة الرسل في ما كتبوه من
الاسفار المقدسة وما كرزوا به ولذا أيد الله بها المؤسسين الاولين
لتثبيت الايمان وتشجيعهم على احتمال عذاب الاضطهاد (عب ٢: ٤)
ولم نقرأ قط لا عن المسيح ولا عن رسله انهم عملوا المعجزات
لاقناع غير المؤمنين وحملهم الى الايمان

واعلم ان الروح القدس ساعد الرسل في مناداتهم بالانجيل
وكتاباتهم وعصمهم من الخطايا وارشدتهم الى الحق الذي اراد الله اعلانه
للناس فما كرزوا به وما كتبوه ليس كلامهم بل كلام المسيح (مر ١٣:

١١ ويو: ١٤: ٢٦ ورو: ١٥: ١٨ و١٩ و١ كو: ٢: ١٢ و١٣ و١ تس: ٢: ١٣)
 فمن قبلهم قبل المسيح ومن رفضهم رفض المسيح وعلى ذلك قوله «الذي
 يسمع منكم يسمع مني والذي يردكم يردني والذي يردني يردل الذي
 ارسلني» (لو: ١٠: ١٦) وعليه جماعة الرسل صادقون في دعواهم بالرسالة
 من الله (١ كو: ١: ١ وغل: ١: ١ و١ بط: ١: ١)

ثم ان قوة الله وفاعلية الحياة المقدسة التي عاشها المسيح على
 الارض ظهرت تمام الظهور بكراسة الرسل وذلك لانه لم يمض وقت
 طويل حتى ان الوفاء كثيرة من اليهود بل من نفس الكهنة اعتنقوا
 الديانة المسيحية (اع: ٢: ٤١ و٤: ٤ و٦: ٧ و٢١: ٢٠) وكذلك آمن من
 الامم جماهير كثيرة الذين انتقلوا من الظلمة الى النور ومن ملكوت
 الشيطان الى حرية مجد اولاد الله ومن عبادة الاوثان اليكم الى عبادة
 الله الحي (١ تس: ١: ٩)

واعلم ان معجزات العهد الجديد التي اتى بها الرسل لم تذكر
 فقط في اسفارهم وفي مؤلفات المسيحيين الاواين بل شهد لها اليهود
 كما جاء في تامودهم الا ان كتبهم المتأخرين نسبوا معجزات المسيح الى
 السحر وكذلك شهد لسرعة انتشار الديانة المسيحية عدد ليس بقليل
 من كتبة الوثنيين منهم بليني وتاكيثوس وساسوس والامبراطور

يوليان المرتد وقد اتخذ الاعداء كل وسيلة لمحو آثار المسيحية عن وجه الارض ولكنها بالرغم من ذلك ثبتت امام الاضطهادات الجهنمية والاستشهادات الوحشية

ينكر بعض اخواننا المسامين على تلاميذ المسيح لقب الرسول ولكن بانكارهم ذلك يظهرون عدم اطلاعهم على نفس كتابهم الذي يدعونه (في سورة آل عمران آية ٥٢ والمائدة آية ١١٤ والصف آية ١٤) الحواريين واجمعت العلماء ان هذه الكلمة حبشية الاصل ومعناها رسول وفي نسخة العهد الجديد الحبشية وردت كلمة الحواريين موضع كلمة رسل (انظر لوقا ١٣: ٦) وهي مشتقة من كلمة تفيد باللغة العربية معنى ارسل ولذلك لا مسلم حريص على كرامة القرآن يتجاسر أن ينكر كون تلاميذ المسيح رسلاً او كون المسيح لم يصب في تسميتهم بهذا الاسم وان بولس تعين رسولاً ايضاً بعد تعيين الرسل الاولين بمدة وجيزة حينما ظهر له المسيح من السماء وهو مسافر الى دمشق الشام ودعاه اولاً الى الايمان ثم بعثه رسولاً (اع ١٠: ٩ - ٣٠ و ٢٢: ٢١ و ١١: ١٣ و ٢ كو ١٢: ١٢ و اتي ٢: ٧) وعدا ذلك فان نجاح الرسل في نشر بشرى الخلاص دليل على صحة رسالتهم لانه ظهر ختم الله على اعمالهم

ومن المعلوم ان الجهاد بالاسلحة الجسدية لنشر الدين قد نهى عنه المسيح وعدّه جرماً عظيماً وعلى ذلك قوله لبطرس حالما جرد سيفه ليدافع عنه «رد سيفك الى مكانه لان كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون» (مت ٢٦: ٥٢) وعدا ذلك فان المسيح يكره الرياء والجهاد يضطر الانسان الى اعتناق الدين خوفاً من الموت أو الاضطهاد وهذا عين الرياء والنفاق فاذا لا يقدر السيف ان يصير الانسان مسيحياً كما انه ليس بالسيف انتشرت الديانة المسيحية في القرون الاولى حتى في العصر الحاضر الذي رجحت فيه قوة النصارى على العالم اجمع لا تجبر المسيحية رعاياها المسامين أو الوثنيين على اعتناق ديانتها بالسيف ولا بما هو دونه من وسائل الاجبار بل تركهم وشأنهم يتغنون الدين الذي يصادف استحسانهم لانهم يعامون ان الايمان الحقيقي لا يمكن ان يكون بالالزام والضغط وعليه فكل دين يمتد بالاكره فهو ليس بحق وبالتالي ليس من عند الله وفضلاً عن كون السيف لم يستخدم قط لصالح المسيحيين فانه استخدم لمقاومتهم واضطهادهم اكثر من اي دين آخر على وجه الارض فان اكثر رسل المسيح استشهدوا في ختام حياتهم بعدما عانوا تعاباً وضيقاً تفوق الوصف في خدمة الانجيل واوصوا أتباعهم بالصبر في احتمال انواع العذاب حباً بالمسيح وعمل

السيف فيهم وعملت النار بما ادهش مضطهديهم واستمال قلوب اعدائهم
فانجذبوا الى المسيح حتى قال كبريانوس ان دماء الشهداء بذار الكنيسة
وبات قوله مثلاً مضرراً وليس بالفصاحة والبلاغة جذب الناس
الى الايمان بل بالعكس كانت كرازتهم بسيطة معنى ولفظاً (١ كو ٢:
١-٥ و ١٢ و ١٣)

ولما كتبوا البشائر والرسائل التي أطلق عليها الانجيل بالهام
الروح القدس لم يستعملوا لغة عالية لا يفهمها الا الراسخون في العلم
بل كتبوا ما كتبوه بأبسط العبارات مما يستطيع ان يفهمه الجمهور
بغير عناء ليحصلوا من اقرب طريق على رحمة الله ونعمته ومحبته
وصلاحه وحكمته فتستأثر قلوبهم الى الخلاص. والحق يقال ان كلام
الله ينبغي ان يكون من النوع البسيط قريب التناول حتى ينتفع به
السواد الاعظم من الناس الذين لا يفهمون الا قليلاً وهم عند الله
كساداتنا العلماء لانه ليس عند الله محاباة (مز ١٤٥: ٩) وربما لاجل
هذا السبب كتب الفيلسوف العظيم افلاطون رسائل سقراط بلغة
عصره المتداولة حتى يفهمها كل من يطلع عليها

ثم ان الانجيل لا يشجع احداً على اشباع شهواته البهيمية ولا
يوهمه انه بمجرد اعترافه بالمسيحية ينجو من عقاب الدنيا والاخرة

مع إصراره على خطاياه (مت ٢١:١ ويو ٨:٣٤ ورو ١:٦ و ٢ و ١١ و ١٥ - ٢٣) ووصف طريق الخلاص بأنها ليست واسعة يعبر فيها الانسان وخطاياه معه بل ضيقة لا تسع الا الانسان وحده (مت ١٣:٧ و ١٤) وعلم المسيح ورساله جماعة المؤمنين ان ارتكاب الخطية عبودية لابليس وانه مستعد ان يمنح الحرية الحقيقية من نيره الثقيل ومن نير الاهواء الجسدية والشهوات الردية ومن ذلك قول الرسول بطرس «ايها الاحباء اطلب اليكم كغرباء ونزلاء ان تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التي تحارب النفس» (١ بط ٢: ١١ و ١٢)، وان يكونوا جنوداً امناء للمسيح مستعدين ان يقدموا حياتهم وذلك اولى من ان يرجعوا الى عبودية ابليس وعبادة الاصنام

ولم يشتغل الرسل بين المتمدين فقط ولا بنوع خاص بل اشتغلوا في كل البلاد المعروفة في عصرهم مثل مصر والشام ومكدونية وإيطاليا وغيرها وظهرت نعمة الله للعيان في تحويل الناس الاشرار الى اناس صالحين

ومن العصر الرسولي ابتدأت المجمع المسيحية تنعقد في كثير من المدن الشهيرة مثل سوريا ومصر وآسيا الصغرى واليونان ومكدونيا وإيطاليا ولو ان المسيحية ابتدأت أولاً بين اليهود في ارضهم لكنها لم

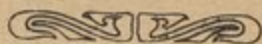
تلبث طويلا حتى انتشرت بين امم الارض كافة وكان اليهود يسافرون
ويتاجرون في جهات الارض المعروفة حينئذ فكان المهتدون منهم يثبون
في الحل والترحال بشرى الخلاص واما اليهود الذين لم يؤمنوا فكانوا
اول المقاومين والمعديين للذين آمنوا ثم نسج على منوالهم بعد ذلك
الوثنيون واخذوا يضطهدون المسيحيين بقساوة بربريه ولكن كما قلنا
على الرغم من هذا الاضطهاد تقدمت النصرانية الى اقصى اطراف
المسكونة بوسائل صالحة كالكراسة والصبر والمحبة واللطافة وفعل الخير
نخسبت امبراطرة (اباطرة) الرومان من سطوة الانجيل على الوثنية التي
يدينون بها فثاروا على المسيحيين اضطهادات عنيفة وابتدأت هذه
النكبات في زمن الملك نيرون ويقال انه هو الذي اعدم حياة بطرس
وبولس الرسولين واحرق جماهير من النصارى احياء وجعل من
ابدانهم مصاييح ومشاعل لاناارة بساتين قصره ليلا وكان الرومانيون
في ذلك الوقت بلا دين غير انهم كانوا يتعبدون لملوكم وسعوا جهد
استطاعتهم ان يستميلوا مواطينهم المسيحيين الى تلك العبادة المحرمة فلم
يفلحوا فهجموا عليهم وساقوهم الى قبورهم بميتات شنيعة كسوقهم الى
الوحوش في ملاعب رومية واستولوا على املاكهم وتكررت هذه

الكوارث من حين الى آخر في كل انحاء المملكة الرومانية مدة
ثلاثة قرون

وهذه المملكة كانت تمتد من اسكتلندا غرباً الى خليج العجم
شرقاً رافعة اعلامها على شمال افريقيا ومصر وفلسطين وسوريا وآسيا
الصغرى وتركيا في اوربا وفرنسا والمانيا والنمسا واسبانيا والبرتغال
وبريطانيا ومع انها بلغت الى هذا الحد من العظمة وضخامة الملك فما
استطاعت بكل سلطانها ان تزعزع اساس الكنيسة المسيحية بل
ثبتت امام هجماتها الرهيبة كالجبل الراسي لان ذراع القدير كان
يحميها وحقت عليها نبوة المسيح حيث يقول « على هذه الصخرة
ابني كنيسةتي وابواب الجحيم لن تقوى عليها » (مت ١٦: ١٨) وفضلا عن
كونها لم تزعزع فانها امتدت وازهرت في وسط هذه البلايا الى
ان تحولت معابد الاوثان في كثير من الجهات الى كنائس مسيحية
ومما تحسن الاشارة اليه هنا هو انه مع كون النصارى غلبوا بصبرهم
ولطفهم حتى عظمت طائفتهم لم يقاوموا مضطهديهم ولم يرفعوا في
وجوههم سلاحاً لاهجوماً ولا دفاعاً سوى سلاح الصبر والتسليم
لله حتى ياتيهم الفرج من لدنه تعالى

وفي سنة ٣١٤ للميلاد اعتنق الملك قسطنطين الديانة المسيحية ولكنه لم يتعمد الا بعد سنين كثيرة من ذلك التاريخ وحينئذ نجح المسيحيون من الاضطهاد بل علت منزلتهم لدى الهيئة الحاكمة وهذا زين لكثير من الناس ان يتنصروا افواجاً افواجاً بدون توبة ولا تجديد ولا تعليم فدخلوا معهم الى الكنيسة اراء كثيرة وثنية ودب في النصارى روح الاهمال في مطالعة الاسفار المقدسة وانحرفوا الى اكرام القديسين وفترت محبتهم بعضهم لبعض واخذت العبادة المسيحية ان تتميز في الطقوس والرسوم الكنائسية وفقدت الكثير من روحانياتها ونقاوتها الاولى وراجت سوق الرياء وكثرت البدع وعوض ان يحب اولئك النصارى بعضهم بعضاً كما اوصاهم الانجيل اخذوا يتجادلون ويتباحثون في المواضيع التافهة حتى سولت لهم نفوسهم ان يضطهدوا بعضهم بعضاً فأنحدر جمهور منهم في وهدة الخطية وتعبداً آخرون لمريم العذراء والقديسين والتمائيل وهذه الاعمال هيجت عليهم غضب الله حتى انه كما سلب على اليهود لاجل تمردهم وعصيانهم ملوك بابل واشور واليونان والرومان هكذا سلب على النصارى لاجل تأديبهم العرب خصوصاً في بلاد الشرق (رو٩: ٢٠ و ٢١) اما الآن فكثير من الكنائس

الشرقية استنارت ورفضت عبادة الصور والتماثيل واقبلت تطالع
الاسفار المقدسة وتسير بموجبها حسب ارشاد الروح القدس وقامت
طائفة منهم تركز بالانجيل للمسلمين واخيراً نقول ان المسيحيين
على اختلاف مذاهبهم يؤمنون بالكتاب المقدس ويعتقدون بالمسيح
كلمة الله ويتكلمون على كفارته التي قدمها على الصليب لاجل خطايا
العالم فليرتض الله اله كل رحمة ان ينير اذهان القراء الكرام حتى
يشتركو معنا في هذا الخلاص المجيد المقدم مجاناً للعالم اجمع بالمسيح
يسوع الحي



الباب الثالث

بحث باخلاص في دعوى ان دين الاسلام دين الله الابدی

—*—

الفصل الاول

في ايضاح سبب البحث

اسمح لي ايها القارئ الكريم ان اقص عليك حادثة: منذ سنين كثيرة سافر الى شيراز (من امهات مدن الفرس) تاجر مسيحي يحمل بين يديه تجارة لا يقدر ثمنها الا وهي نسخ من كلام الله اي كتاب « اهل الكتاب » الذي يشهد له القرآن كما شرحنا في ما تقدم ومن العجيب انه حالما اطلع الاهالي على تجارته اثار عليه المشائخ زمرة من الرعاع فاولسعوه ضرباً ومزقوا كتبه وداسوها بالاقدام واخرجوا الرجل خارج المدينة وتهددوه بالقتل ان عاد بمثل هذه الكتب والحاصل انهم عملوا به ما عمله الكرامون في العبيد الذين اوفدهم سيدهم لياتوا بثر الكرم (مت ٢١: ٣٣-٤٤) فكيف والحالة هذه يقولون بمل افواههم « آمنّا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من

ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون»؛ (سورة البقرة آية ١٣٦)
 ومن جملة الذين شاهدوا هذه الحادثة صبي من اهل تلك البلاد فاخذه
 العجب والحيرة من اولئك المشايخ الذين حرصوا على اتلاف كتب
 يقول القرآن انها منزلة من عند الله وانه مصدق لها ومهيمن عليها
 واعمل فكره لحظة وقال في نفسه لعلها تشتمل على امور يخشى منها
 ساداتنا العلماء على ثبات القرآن وافلق هذا الفكر به اذ كان متمسكاً
 باذيال دينه واجتهد ان يتخلص من هذا الفكر ويريح قلبه من العناء
 وحدث انه لما شب صمم ان يقف على البيّنات التي تؤيد الاسلام
 ليستريح من الشكوك التي ازعجته حينئذ من الدهر وكان على مقربة من
 شيراز يسكن عالم حاز شهرة كبيرة في حرصه على مناسك دينه مثل
 اقامة الصلاة وتلاوة القرآن وصيام رمضان الحفاتي اليه صاحبنا ابتغاء
 الاستفادة منه والوقوف على جليلة الامر واخفى ما في نفسه من
 الشكوك خوفاً منه وبعد عبارات التجلة والاكرام قال له انني يامولاي
 قابلت بالامس يهودياً واجتهدت ان ابرهن له صحة دين الاسلام
 لاجتذبه اليه فسمع لي كل ما قلته لاثبات رسالة نبينا (صلعم) ولم يقتنع
 فهل يتكرم مولاي بسر د البراهين التي يجب ان اقولها له فالتفت اليه
 العالم عابساً وقال «الارجح عندي انك كافر» تخاف الغلام وسافر الى

بومباي وحالما تيسر له الامر استعار نسخة من الانجيل وقرأها بتأمل
رجاء ان يعثر على الشيء الذي ازعج المشائخ حتى حرصوا على اتلافه
ويقال ان اشد التعذيب وقعاً على النفس بعد تبكيت الضمير هو
ارتباب المرء في الدين الذي نشأ فيه فضلاً عن كون الشك يضعف عزيمة
الانسان عن تأدية الواجب ويخيب رجاءه في الحياة الاخرى ويعرضه
لتجارب ابليس الا ان الله سبحانه وتعالى سمح ان تختلف الاديان
وتتضاد حتى يتزكى المفكرون طلاب الحقيقة ويظهر الحريص من
المتهاون فالواحد لا يبالي والاخر يحصر فكره في الموضوع باحثاً عن
الدلة التي تؤيد دينه ولولا الاهتمام بالسؤال والبحث ما غير احد دينه
سواء كان حقاً او باطلاً ومن هنا تظهر ضرورة فحص اركان الدين
والوقوف على صحاحه من فاسده والضمانة الوحيدة للسلامة من
الضلالة في البحث هو ان يبحث طالب الحقيقة بروح التواضع
والاخلاص جاداً في طلب مرضاة الله مبنهاً اليه ان يمهده بهدايته بنور
من السماء ليعرف الحق من الباطل ويسلك في الحق كبني النور فاذا
كان من بعد البحث بهذه الكيفية يظهر لك ان دينك حق تنتفي من
قلبك الشكوك الى الابد وتفيض نفسك حمداً لله لاجل توفيقه لك
بالهدى ثم تقبل الى بني جنسك ترشدكم بما فتح الله عليكم شارحاً لهم

طريق الخلاص ولكن اذا اتضح لك بعد التأمل ان دينك باطل
والشكوك التي خالجت قلبك مبنية على ثبوت وحسن نظر فما اخرى
باك ان تطرح من وراء ظهرك هذا الدين الباطل وتجد في طلب
الحق لتفوز برضوان الله والحياة الابدية وعلى كل حال فلا ضرر من
البحث باخلاص وتدقيق في اصول الايمان وانما الضرر هو انه اذا
فطن الباحث الى موضع الخلل في دينه لا يقوى على عواطفه فيخضع
نفسه ويتعاضد عنه نعم ان في هذا الطامة الكبرى اذ تتوالى عليه
الشكوك ويقع اخيراً في شرك الكفر ويموت بلا اله وبلا رجا فما
احسن البحث باخلاص وجد كما في المثل المشهور من طلب شيئاً
وجد وجد ومن قرع باباً ولج ولج

فهللوا بنا معاشر الاسلام نبحت معاً نابذين التعصب جانباً في
الاصول المبني عليها دينكم ونعرضه على القاعدة التي قدمناها في الجزئين
الاولين من كتابنا وعرضنا عليها الديانة المسيحية

فنقول ان الركن الاول الذي بُني عليه الاسلام هو الشهادتان أما
الشهادة الاولى فمقبولة عند اليهود والمسيحيين كما هي مقبولة عند
المسلمين انفسهم وهي «لا اله الا الله» وقد شرحنا هذه الكلمة في
كتابنا وان الادلة على وجود الله ووحدانيته كثيرة ووردت في

كتب متعددة عدا عن امكانية الاستدلال عليها من الخليفة وعليه
فلا حاجة بنا الى مزاوله البحث في ما نحن متفقون عليه. الله سبحانه عز
وجل قد اقام الدليل على وجوده ووحدته في كل ورقة نبات وزهرة
بل في ضمائرنا ووجداننا وفي وحدة نظام الكون والحاصل انه توجد
الوف من الادلة على صحة الشهادة الاولى .

أما الشهادة الثانية ألا وهي «ان محمداً رسول الله» فعليها مدار
بحثنا فإهي الادلة يأتري على صحة رسالة محمد؟ اشار اخواننا الميامون
الى جملة ادلة اهمها ما يأتي : —

(١) قالوا ان اسفار العهد القديم والعهد الجديد تنبأت عنه
(٢) قالوا ان لغة القرآن وتعاليمه مما ليس له نظير في كل الكتب
وعليه فالقرآن بمفرده هو الدليل الاعظم على صدق دعوى محمد
(٣) آيات محمد ومعجزاته كختم الله على رسالته

(٤) حياته واخلاقه برهان على انه خاتم الانبياء وسيد المرسلين
(٥) سرعة انتشار دينه برهان على ان الله ارسله بالكتاب النهائي
نقول ان هذه البراهين لا شك انها تستحق الاعتبار وثبت
رسالته فقط اذا كانت حقيقية ولهذا ينبغي للعاقل قبل ان يعتنق هذا
الدين ان يفحص البراهين المذكورة فخصاً دقيقاً كما ينقد التاجر الدراهم

التي يبيع بها بضائعه لئلا يقع في شرك محتمل ذي دهاء وصدق من قال
سعادة المرء في ديناه واخراه متوقفة على نفاذ عزيمته في ما يختاره لنفسه
فالآن دونك شيئاً من شيئين اما ان تؤمن ان المسيح هو مخلص العالم
او المخلص هو محمد. قد اتينا بهذا التخيير لا من باب التحامل على الاسلام
ولا التشيع للنصرانية بل من باب مقارنة الشيئين بنظيره والبحث بعناية
وحذر وصلاة في ما هو اقوم سبيلاً. كل من المسلمين والنصارى لهم
مصلحة في هذا البحث الهام فان اخلصوا جميعاً لوجه الله كانت
النتيجة خيراً لان الحق لا يظل محتجباً وقتاً طويلاً ولا بد ان يظهر
يوماً ما كالشمس عند الظهيرة

وهذا ما عزمنا على بيانه في الفصول الآتية «صادقين في المحبة
كما يجب على المسيحيين» (اف ٤: ١٥) باذلين الجهد ان نحصى كتاباتنا
من كل ما يجرح احساسات اخواننا الذين يبحثون على الحقيقة
باخلاص وجد بان نجتنب كل عبارة بل كل كلمة لا تنطبق على ناموس
اللطيف والمحبة فاذا زل قلمنا وكتبنا شيئاً يشتم منه رائحة التعصب
ففرجو المذرة سلفاً لان نيتنا حسنة اذ لسنا نريد سوى الفائدة
لاخواننا كما نريد لانفسنا والانسان مهما احتسب لا يسلم من الزلل
ومن شيم الكرام الصفح

الفصل الثاني

هل تنبأ الكتاب المقدس عن محمد

لا شك ان مجيء المسيح سبق الانباء به في اسفار العهد القديم في مواضع كثيرة تفوت الحصر وذلك من المسلم به فان فرضنا ان الله قصد ان يبعث الى العالم رسولا آخر اعظم بكثير من المسيح لا بد ان يسبق الانباء عنه لا في اسفار العهد القديم فقط بل وفي الجديد ايضا وعليه يلزم بطبيعة الحال ان يبحث اخواننا المسمون في اسفار العهدين عن النبوات التي تؤيد دعوى مؤسس دينهم ثم ان كان محمد خاتم الانبياء وسيد المرسلين ومن اجله خلق الله العالمين فيكون من العجب العجيب ان لا تتقدمه النبوات لتوجيه الانظار اليه والالتقياد لآوامره ولما لم يقدر المسمون ان ينكروا ضرورة ذلك اضطروا ان ينتحلوا من الكتاب نبوات عن رسولهم وادعوا انه كان يوجد نبوات اخرى اكثر من هذه حذفها اليهود والنصارى

واما ادعواهم بوقوع الحذف والتحريف في الكتاب المقدس فقد دحضناها بالدليل الساطع والبرهان القاطع في الباب الاول واثبتنا ان الكتاب المقدس المتداول اليوم بين ايدينا هو عين الكتاب الذي كان

موجوداً في عصر محمد وقبل عصره بقرون كثيرة ولم تمسه يد
المفسدين لا قبل محمد ولا بعده اذاً لا حاجة بنا الى بيان تزييف ما
 ادعوه بهذا الخصوص واما اذا كان يوجد في الكتاب حقيقة نبوات
 تشير الى محمد فيجب على كل مسيحي ان يلتزم بها ويؤمن بخاتم
 الانبياء وهو مطمئن وليس لاحد منا حجة اذا اعتذر عن تلك النبوات
 بان المسلمين زادوها على الكتاب يوم كان لهم السلطة على النصارى في
 كثير من البلدان ولكن ان ثبت انه لا يوجد في كتابنا اية نبوة عن
 محمد فلا يكون من الشجاعة وحرية الفكر ان يعتصموا بالدعوى
 الاولى وقد تبين فسادها كقولهم انه كان في كتابهم نبوات عن محمد
 ونحن اهل الكتاب حذفناها الخ

على ان مجرد احتجاجهم بكتابنا على رسالة نبيهم دليل على انهم
 معترفون اولاً بانه موحى به من الله وثانياً انه غير محرف بل باق
 على اصله والا فما الداعي الذي يحملهم على الاحتجاج بكتاب يعلمون
 انه تأليف الناس فاذا اعترف المسلمون حقيقة بالمقدمتين المذكورتين
 يكون البحث حينئذ في الآيات التي زعموا انها تشير الى نبيهم بحثاً
 مشمراً ولذيذاً والا كان البحث عقيماً ولسنا ننكر ان كثيراً منهم ذوو
 علم واطلاع لا يسعهم انكار القضيتين السابقتين اي ان الكتاب

المقدس موحى به وانه باق على اصله غير اننا نرجو من حضرات
 القراء الكرام ان يعترفوا بصحة البراهين التي بسطناها في الباب
 الاول والثاني من هذا المؤلف وانها تثبت سلامة الكتاب المقدس
 ومن المسلم ان لنا الحق ان نفسير آية في الكتاب بأية اخرى
 وكل مطلع خبير يعلم ان التفسير بهذه الكيفية قرين الصواب لازالة
 ما عساه يرد في الكتاب من العضلات وما يعترض به عليه من وجوه
 المناظرة كما هي الحالة في اي كتاب آخر لان الآيات الغامضة يجب
 ان تُشرح بالآيات الظاهرة حسب موقعها في سياق الكلام مثال
 ذلك ان كانت آية متأخرة تشرح آية متقدمة عليها فلا يجوز لعالم
 فاضل خال من التعصب ان يرفض الشرح الكتابي ويلجأ الى تفسير
 غريب لا يتفق مع سياق الكلام ولا مع الآيات الصريحة الواردة
 في المواضع الاخرى. وبهذه الكيفية التي يركبها كل عالم فاضل تتقدم
 الى فحص الآيات التي اوردها اخواننا المسلمون من الكتاب المقدس
 لاثبات نبوة محمد ونبدأ بآيات العهد القديم

(١) (نك ١٠: ٤٩) زعموا ان هذه الآية تشير الى نبوة محمد
 وخصوصاً لان كلمة «يهوذا» عددها مشتقة في الاصل العبراني من الفعل
 «حمد» كما اشتق اسم «محمد» وهذا الزعم باطل لانه ظاهر من القرينة

ان شيلون المقولة في شأنه النبوة يولد من ذرية يهوذا وظاهران محمداً
 لاهو من ذرية يهوذا ولاهو من ذرية اسرائيل بل من قبيلة قريش
 وشتان بين قريش وبين بني اسرائيل وعدا ذلك فان قضيب الملك
 زال من الامة اليهودية قبل ولادة محمد باكثر من خمسمائة وخمسين
 سنة والآية تقول انه لا يزول حتى يأتي شيلون الخ وعليه فالآية
 المذكورة لا تشير الى محمد وقد اتفق مفسرو اليهود ان كلمة شيلون من
 القاب المسيح وكذلك السامريون فهي تشير الى المسيح لانه هو الذي
 ولد من سبط يهوذا واياه اطاعت الشعوب

(٢) تث ١٨: ١٥ و ١٨ قالوا ان النبي الموعود به هنا لا يكون من
 بني اسرائيل وعبارة «من وسطك» لم ترد في الترجمة السبعينية ولا في
 اسفار موسى عند السامريين ولا هي وردت في (اع ٣: ٢٢) بل قيل
 «من اخوتك» اي الاسماعيليين (قابل تك ٩: ٢٥ مع ١٨) وقالوا لم
 يتم نبي كموسى في اسرائيل بدليل هذه الآية (تث ١٠: ٣٤) وان
 محمداً كموسى في جملة وجوه كلاهما نشأ في بيوت اعدائهما وكلاهما
 ظهر ايين عبدة الاصنام وكل منهما رفضه قومه اولاً ثم عادوا فقبلوه
 والاثنان هربا من وجه اعدائهما اما موسى فهرب الى مديان واما محمد
 فهاجر الى المدينة واسما الموضوعين بمعنى واحد وكل منهما نزل الى
 (٢٠)

ساحة القتال وحارب الاعداء وعمل المعجزات وساعد اتباعه من بعد موته على امتلاك فلسطين هذا ما قاله المسلمون ورداً عليهم تقول ان الآية الواردة في (تث ٣٤: ١٠) تفيد انه لم يقم نبي كوسى في اسرائيل الى الوقت الذي كتب فيه هذا السفر وكلمة «بعد» تفيد ان بني اسرائيل توقعوا ان يكون النبي منهم لامن الخارج واما عبارة «من وسطك» فهي واردة في اكثر النسخ

ومع ذلك فلمعنى بها وبدونها ظاهر. لانكر ان اسمعيل اخ لاسحق من ابيه الا اننا نقول اذا صح بناء على هذه القرابة اعتبار بني اسمعيل وبني اسرائيل اخوة فكم بالاولى كثيراً يكون اسباط اسرائيل الاثنا عشر اخوة بعضهم لبعض وقد ورد مثل ذلك في القرآن انظر سورة الاعراف آية ٨٤ حيث يعتبر شعيباً اخا لمدين وعدا ذلك فقد كثر في سفر التثنية عينه اعتبار البعض من الاسرائيليين اخوة للبعض الآخر (انظر ٣: ١٨ و ٧: ١٥ و ١٥: ١٧ و ١٤: ٢٤) وفي اصحاح ١٧: ١٥ وردت عبارة نظير الآية المطروحة على بساط البحث بخصوص الرجل الذي يجب أن يتوجوه عليهم ملكاً حيث يقول خطاباً لاسرائيل «فانك تجعل عليك ملكا الذي يختاره الرب الهك من وسط اخوتك تجعل عليك ملكا لا يحل لك ان تجعل عليك رجلاً اجنبياً ليس هو

اخاك» ان اكثر ممالك اوربا ان لم نقل كلها محكومة بعائلات اجنبية او كانت اجنبية يوماً ما اما بني اسرائيل فمن اول تاريخهم الى نهايته لم يتوجوا رجلاً اجنبياً ملكاً عليهم ولو كان استدلال المسامين بآية البحث استدلالاً صحيحاً لوجب على بني اسرائيل كلما احتاجوا الى ملك ان يذهبوا الى الاسماعيليين ويختاروه منهم الا انهم لم يفعلوا مثل هذا الفعل بل كانوا يعينون ملوكهم من بينهم وهم اعلم من غيرهم بلغتهم ويعرفوا التفسير الحقيقي لعبارة «من اخوتك»

ومن من المسامين اليوم اذا قيل له ان يستدعي احد اخوته ليتقلد منصباً عالياً فيهم من ذلك ان يستثني اعضاء عائلته ويبحث عن رجل غريب يجمعه معه رابطة الحدود الاقدمين؛ وبخلاف ذلك فقد ورد في التوراة نصوص صريحة تحذر بني اسرائيل ان لا يقبلوا اي نبي من ذرية اسمعيل لان عهد الله كان مع اسحق لا اسمعيل (تك ١٧: ١٨ — ٢١ و ٢١: ١٠ — ١٢) ولا ياخذنك العجب اذا قلت لك ان القرآن نفسه يؤيد رأي التوراة من هذه الحيثية لانه يصرح في مواضع كثيرة ان النبوة موكولة الى بني اسرائيل ومن ذلك قوله في (سورة العنكبوت آية ٢٧) ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب الخ وقوله «ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة

ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين» سورة الجاثية آية ١٥
ويقال خلاف ما تقدم ان النبي المنتظر في آية البحث موعود به
ان يرسل لبني اسرائيل واما محمد فاعان رسالته بين العرب الذين منهم
ولد وينهم نشأ واما من جهة وجوه المشابهة المشار اليها في آية البحث
بين موسى والنبي المنتظر ان يقوم من بني اسرائيل فشروحة في تث
١٠:٣٤-١٢ وتنحصر في نقطتين الاولى معرفة الله وجهاً لوجه عند
كل من النبيين والثانية المعجزات العظيمة لكل منهما اما عن النقطة
الاولى فنقول انها ليست متوفرة في محمد لانه قال في حديث مشهور
«ما عرفناك حق معرفتك» واما عن النقطة الثانية فليست متوفرة فيه
ايضاً بدليل القرآن نفسه فانه يشهد في مواضع كثيرة انه لم يأت بمعجزة
واحدة وعلى ذلك قوله «وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب
بها الاولون الخ» (سورة الاسراء آية ٥٩) انظر تفسير البيضاوي وابن
عباس وقوله «وقال الذين لا يعامون لولا يكلمنا الله او تأتينا آية الخ»
(سورة البقرة آية ١١٢) وقوله «وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه الخ»
(سورة الانعام آية ٣٧ و٥٧ و١٠٩) وسورة الاعراف آية ٢٠٢ ويونس
آية ٢٠ والرعد آية ٨ و٢٩ والعنكبوت آية ٥٠) هاتان هما نقطتا الشبه
المقصودتان في التوراة واما وجوه الشبه الكثيرة التي عددها اخواننا

المسامون بين موسى وبين محمد فتوفرة عند مسيامة الكذاب وعند ماني الفارسي فهل يكونان بذلك نبيين؟

ونقول اخيراً ان الله نفسه فسر في الانجيل ما انبأ به في التوراة واطهر ان النبي الموعود به هو المسيح لا محمد (قابل تث ١٨: ١٥ و ١٩ «له تسمعون» مع مت ١٧: ٥ ومر ٩: ٧ ولو ٩: ٣٥) ثم ان المسيح ذاته طبق هذه النبوة وغيرها من نبوات التوراة على نفسه (يو ٥: ٤٦ انظر تك ١٢: ٣ و ٢٢: ١٨ و ٢٦: ٤ و ٢٨: ١٤) اولاً لانه من نسل يهوذا وبالتالي من بني اسرائيل (مت ١: ١-١٦ ولو ٣: ٢٣-٣٨ وعب ٧: ١٤) وصرف معظم حياته بين اليهود واليهيم ارسل رسله اولاً ولم يرسلهم الى الامم الا اخيراً (مت ١٠: ٦ ولو ٢٤: ٤٧ و مت ٢٨: ١٨-٢٠ وفي اع ٣: ٢٥ و ٢٦) تصريح بان آية البحث تشير الى المسيح

(٣) تث ٣٢: ٢١ «ثم اغاروني بما ليس إلهاً اغاظوني باباطيلهم فانا اغيرهم بما ليس شعباً بامة غبية اغيظهم» قالوا ان الامة الغبية المشار اليها هنا امة العرب التي ارسل منها محمد حيث لا يمكن ان تكون امة اليونان التي ارسل اليها بولس وبقية رسل المسيح لان امة اليونان لم تكن غبية بل كانت اهل حكمة وعلم ورداً على ذلك نقول هذه النبوة لا تشير الى نبي ولا الى رسول

بل الى ان الله سيغير الامة اليهودية بان يدعو لعبادته الامم الاجنبية
يونان وعرب ومصريين وغيرهم وينتظمون في سلك الاخوية المسيحية
وكانت تلك الامم في اعتبار اليهود امماً غبية وثنية وعدا ذلك فان
الانجيل نفسه يفسر هذه الآية حسبما فسرناه ومن ذلك قوله «واما
انتم فجنس مختار وكهنوت ملوكي» الى ان قال «الذين قبلاً لم تكونوا
شعباً واما الآن فانتم شعب الله الذين كنتم غير مرحومين واما الآن
فرحومون» (١ بط ٢: ٩ و ١٠ واف ١١: ٢-١٣) واما القول بان
اليونان كانت امة حكيمة وليست امة غبية فنجيب عليه: لم تكن حكمة
اليونان الحكمة الحقيقية لانهم لم يكونوا يعرفوا الاله الحقيقي وورد
في الكتاب «رأس الحكمة مخافة الرب» «وبدء الحكمة مخافة الرب
ومعرفة القدوس فهم» (مز ١١١: ١٠ وام ١: ٧ و ٩: ١٠) وورد ايضاً ان
حكمة العالم غير مرعية عند الله ومن ذلك قوله «لان حكمة هذا العالم
هي جهالة عند الله» وقوله «الرب يعلم افكار الحكماء انها باطلة»
(١ كو ٣: ١٩ و ٢٠)

(٤) تث ٣٣: ٢ «جاء الرب من سيناء واشرق لهم من سعير
وتلاًلاً من جبل فاران واتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريرة

لهم» قالوا قوله «جاء الرب في سيناء» يشير الى تنزيل الشريعة على موسى وقوله «واشرق لهم من سعير» يشير الى تنزيل الانجيل على عيسى واما قوله «وتلاً من جبل فاران» فيشير الى تنزيل القرآن على محمد بدليل انهم زعموا انه يوجد بقرب مكة جبل يسمى فاران ورداً على ذلك نقول ان القرينة هنا تدل على ان موسى في كلامه على هذه المواضع لم يشير الى انجيل ولا الى قرآن بل اراد ان يذكر بني اسرائيل كيف اضاء مجد الله الى مسافات بعيدة عندما كانوا ضاربين خيامهم عند جبل سيناء ونعلم من خريطة الجغرافية ان سيناء وسعير وفاران ثلاثة جبال متجاورة واقعة في شبه جزيرة طور سيناء على بعد مئات من الاميال من مكة ويظهر صحة ذلك باكثر وضوح عندما نراجع المواضع التي ذكر فيها فاران في التوراة (تك ١٤: ٦ وعد ١٠: ١٢ و١٦: ١٣ و٣: ١ وتث ١: ١٠١ مل ١١: ١٨)

(٥) مزه٤ قالوا بما ان النبي المشار اليه في هذا المزمور متقلد سيفاً على نغذه عدد ٣ - فهو محمد غير انه عندنا جوابان كل منهما يدحض هذه الدعوى الاولى نجد في عدد ٦ قوله «كرسيك يا الله الى دهر الدهور» والخطاب هنا للذي قيل له «تقلد سيفك على نغذك ايها الجبار» ولم يدع المسلمون قط ان محمداً إله يصح ان يخاطب بهذا

الخطاب فاستدلوا بصدر الآية واهملوا عجزها والجواب الثاني ورد في الانجيل (عب ٨: ٩) ان المزمور المشار اليه خطاب للمسيح واما ما ورد في ذلك المزمور من حكاية العذارى والحظيات وابنة الملك التي في خدرها وعلاقتهن بالمخاطب فهو اشارة الى عروس المسيح الروحية التي هي الكنيسة (انظر رؤ ٢: ٢١) والاعداء في قوله «نبلك المسنونة في قلب اعداء الملك» اشارة الى ابليس وجنوده والقوم الذين اثار غضبهم لمقاومة المسيح وانجيله (انظر رؤ ١٩: ١١-٢١)

وجاءت في الزمائر نبوات اخرى عن المسيح تشبه ما تقدم ذكره وهي مز ٧٢ و ١١٠ ومن المحتمل ان المزمور الذي تكلمنا عنه اولاً يشير الى زواج سليمان الملك من ابنة فرعون (١ مل ٣: ١) ثم جعل هذا الزواج رمزاً الى الاتحاد الروحي بين المسيح وكنيسته (٦) مز ١٤٩ زعموا ان هذا المزمور نبوة عن محمد وقالوا ان الترنمة الجديدة (عدد ١) هي القرآن والسيف ذو الحدين (عدد ٦) سيف محمد وسيف علي ابن ابي طالب الذي جرده لخدمة الاسلام وقالوا ان الملك (عدد ٢) هو محمد ورداً عليهم نقول لا يمكن ان يكون القرآن الترنمة الجديدة لان الترنيم غير مستعمل في العبادة الاسلامية وكذلك السيف ذو الحدين ليس سيف محمد ولا علي بدليل ان الآية

تصرح بأنه ليس في يدي الملك الذي يزعمون انه محمد بل في يد الاسرائيليين ينتقمون به من اعدائهم و«الملك» في عدد ٢ قيل عنه في صدر الآية بأنه الخالق ودعي في عدد ٤ «الرب» وعدا ذلك لا يمكن ان يقال عن محمد انه ملك اسرائيل ولا فرح اسرائيل بمحمد لان سوء معاملته لهم اشهر من نار على علم كما سترى معاملته لبني النضير وبني قريظة وغيرهما

(٧) ادعى بعض المسلمين ان اصحاح ١٦: ٥ من سفر نشيد الانشاد يشير الى محمد لان كلمة «محامديم» في العبري المترجمة مشتهيات في العربي مشتقة من «حمد» وهي المادة المشتق منها محمد ورداً على ذلك نقول ان الكلمة العبرانية محامديم اسم نكرة لا معرفة بدليل انه جاء في صيغة الجمع ووردت هذه الكلمة في غير موضع من التوراة بصيغة النكرة (انظر هو ٦: ٩ و ١٦ و ١ مل ٦: ٢٠ ومرآتي ١: ١٠ و ١١ و ٤: ٢ و يوثيل ٣: ٥ واش ١١: ٦ و ٢ اي ١٩: ٣٦ وحز ١٦: ٢٤ و ٢١ و ٢٥) وجاءت في النص الاخير (حز ١٦: ٢٤) «شهوة عينيك» وكانت الاشارة الى زوجة حزقيال قابل (حز ١٨: ٢٤) واستعملت ايضاً للاشارة الى بني وبنات عبدة الاصنام من جماعة اسرائيل (حز ٢٤: ٢٥) فان صح اسناد كلمة مشتهيات في سفر نشيد الانشاد الى محمد لانها مشتقة

من حمد فيصح ايضاً ان يسند اليه ايضاً كلمة «شهوة» هنا المشار بها الى زوجة حزقيال وبني وبنات عبدة الاصنام لانها مشتقة من «حمد» كذلك

ثم نقول ان في اللغة العربية كلمات كثيرة مشتقة من «حمد» ولكن هذا الاشتقاق لا يجعلها خصيصة بمحمد فان قال احد ان محمداً مشار اليه في سورة الفاتحة بكلمة «الحمد» في قوله «الحمد لله رب العالمين» لان الحمد ومحمداً مشتقان من مادة حمد فهل يكون استدلاله صحيحاً وكذلك ان استدلال الهندي بان احد آلهته المدعو رام قد ذكر في القرآن في سورة الروم في قوله «غلبت الروم» بدليل ان الاسمين مشتقان من مادة رام كما في القواميس العربية ألا يكون استدلاله مجلبة للسخرية عند اهل العلم والتميز

(٨) اش ٢١: ٧ «فرأى ركاباً ازواج فرسان ركاب حمير ركاب جمال» قالوا ان عبارة «ركاب حمير نبوة الى المسيح الذي دخل اورشليم راكباً حماراً وعبارة «ركاب جمال نبوة الى محمد بدليل انه كان دائماً يركب الجمال غير ان سياق الكلام يدل على ان لا اشارة هنا الى المسيح ولا الى محمد انما هذا الاصحاب نبوة الى سقوط بابل كما يظهر من عد ٩ والعبارة ان المشار اليهما اي ركاب الحمير وركاب الجمال

تدلان على الكيفية التي يتم بها تبليغ هذا الخبر وتم سقوط بابل على عهد داريوس سنة ٥١٩ و ٥١٣ ق . م

(٩) اش ٤٢ : ١ - ٤ ظنوا انهم يجدون اشارة الى محمد في النصوص المذكورة في هذا الموضع غير اننا اذا اعتبرنا صحة ما رواه عن محمد من الاخبار ابن هشام والطبري وابن الاثير والخطيب والواقدي وغيرهم من كتبة المساميين لا يسعنا ان نصدق ان الموصوف بالسلام والوداعة في الآيات المذكورة هو النبي المتقلد بالسيف ومع ذلك فقد جاء في مت ١٢ : ١٥ - ٢١ ان الموصوف بالسلام هو المسيح وقد تمت فيه كل النبوة المشار اليها ثم ان شريعته التي تنتظرها الجزائر هي الديانة المسيحية بدليل ان الجزائر المشار اليها في عصر النبوة جزائر البحر الايض المتوسط وسواحلها وهي مسيحية وما كان غير مسيحي منها فواقع تحت نفوذ المسيحيين

(١٠) في الاصحاح المتقدم عدد ١٠ و ١١ و ١٢ وردت كلمة قيذار اسم قبيلة من قبائل العرب ولما اطلع على ذلك المسامون ظنوا ان هذه ايضا نبوة عن محمد وان الترانيم الجديدة المنوه عنها كناية عن اعتناق قبائل العرب دين الاسلام ونحن نقول لا يمكن ان الترانيم تشير الى شيء في الاسلام ولا هي معروفة عند المساميين كما ان قيذار

ليست من المحتم ان تشير الى الاسلام وان كانت من قبائل العرب لان من المؤكد ان كثيراً من قبائل العرب كانت تدين بالدين المسيحي مثل قبيلة حمير وغسان وربيعة ونجران والحيرة الخ ولما قويت شوكة المسلمين اكرهوهم على اعتناق دينهم او نفوهم من بلادهم ولا شك انهم يعودون يوماً ما الى دينهم الاول وهذه الآيات تمتة عدداً ١-٤ وتشير الى انتشار الديانة المسيحية حتى في بلاد العرب نفسها كما تنتشر في جزائر البحر (عدد ١٠) اما قوله «عبدى» (عدد ١) فشرع في (اصحاح ٤٩: ٣) من هذا السفر عينه حيث يظهر ان المراد به هو اسرائيل وهو لا شك اسرائيل الله اى الذين يؤمنون بالمسيح (انظر غل ٦: ١٦) والمسيح رأسهم لانه قيل عنه انه «رأس الجسد الكنيسة» (كو ١: ١٨) لهذا فسر قدماء اليهود (اش ٥٢: ٣) قوله عبدى بالمسيا المنتظر وعلى كل حال فالمسيح من اسرائيل جاء واياه يمثل اما محمد فلا هذا ولا ذاك

(١١) اش ٥٣ يقولون ان هذا الاصحاح نبوة الى محمد بدليل ما يأتي اولاً لانه ولد في بلاد العرب وكان «كعرق من ارض يابسة» ثانياً لانه دفن في المدينة «فجعل مع الاشرار قبره» ثالثاً لانه رأى ثمرة اتعابه وعليه تمت النبوة القائلة «من تعب نفسه يرى ويشبع» رابعاً

قيل في هذا الاصحاح «مع العظماء يقسم غنيمة» وقسم محمد الغنيمة مع
 انصاره خامساً تمت فيه هذه الكلمات «سكب للموت نفسه» في حين
 انهم ينكرون موت المسيح ويقولون انه ارتفع الى السماء حيًا وردًا
 على ذلك نقول اولاً ان الاعداد ٥ و ٦ و ٧ و ٨ من هذا الاصحاح بكل
 تأكيد لا تشير الى محمد ولا الى شخص آخر سوى المسيح وهاك
 نصها «هو مجروح لاجل معاصينا مسحوق لاجل آثامنا تأديب
 سلامنا عليه وبحبره شفيينا كلنا كغنم ضاللنا ملنا كل واحد الى طريقه
 والرب وضع عليه اثم جميعنا ظلم اما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة
 تساق الى الذبح وكنعجة صامئة امام جازيها فلم يفتح فاه من الضغطة
 ومن الدينونة اخذ وفي جيله من كان يظن انه قطع من ارض الاحياء
 انه ضرب من اجل ذنب شعبي» ثانيًا ان نصفي عدد ١٢ و ٩ لا يناسبان
 محمدًا كيفما كانت الحالة ثالثًا اما من حيث كونه يقسم غنيمة فالآية
 تصرح بان ذلك يتم بعد موته وتم ذلك فعلاً المسيح بمعنى روحي
 اكمل واعظم لان بعد موته وصعوده حالاً ابتداء الناس من كافة الالام
 والشعوب ان يؤمنوا به ويحبوه كفاديهم والهمم وليست غنيمة كهذه
 رابعًا اما كون محمد دفن في المدينة وليس في مكة ومن اجل ذلك
 جعل مع الاشرار قبره فلا نذري لأي سبب اعتبروا المدينة شريرة

مع ان اهلها الانصار الذين دافعوا عنه جهد استطاعتهم في حين ان
 اهل مكة رفضوه وناصبوه العدو ان خامساً كل جزئيات هذه النبوة
 تمت في المسيح ماهو حرفي و ماهو روعي فرويحي عدا ما فيها
 من الامارات الظاهرة التي لا يمكن بوجه من الوجوة اسنادها لغير
 المسيح او على الاقل لا يمكن اسنادها الى مقاتل كحمود وخلاف ذلك
 فقد اجمع اليهود الاولون ان هذا الاصحاح نبوة عن مسيا المنتظر
 وكذلك كتبة اسفار العهد الجديد للملمين اقتبسوا كثيراً من اقوال
 هذا الاصحاح كنبوات عن المسيح التي عاينوا اتمامها فيه ومثل هذا
 الاصحاح . مزمو ر ٢٢ الذي قد تم أيضاً في المسيح لا سواه

(١٢) اش ١: ٥٤ ظن المسلمون هذه الآية نبوة تشير الى
 محمد باعتبار كونه من ذرية اسمعيل وان يزداد اتباعه عن اتباع انبياء
 اسرائيل واليك نص الآية «ترني ايتها العاقر التي لم تلد اشيدي
 بالترنم ايتها التي لم تتخض لان بني المستوحشة اكثر من بني ذات
 البعل قال الرب» لهذه الآية معنيان معنى حرفي ومعنى روعي فالحرفي
 هو ان بني اسرائيل سيعتقون من اسر بابل ويردون الى اورشليم
 وتمت هذه النبوة بالمعنى الحرفي المذكور في ايام كورش ملك فارس
 سنة ٥٣٦ ق م (انظر عزص ١) والمعنى الروحي شرحه بولس الرسول

(انظر غل ٤: ٢١-٣١) حيث تم عندما رجعت الامم عن عبادة الاصنام التي دانوا لها من قديم الزمان الى عبادة الله وقبلوا انجيل المسيح ومن غريب الاتفاق ان بواس قرر في هذا الاصحاح عدم افضلية

بني هاجر على بني سارة الروحانيين عدا حرمانهم من الميراث

(١٣) اش ٦٣: ١-٦ يقول المسامون ان المحارب المشار اليه في هذه الآيات هو محمد بدليل انه من حملة السيف ويظنون ان بصرة المذكورة هنا هي مدينة بصرة الشهيرة غير اننا نجد في العدد الاول انها من بلاد ادوم وتدعى اليوم البصيرة واقعة على مسافة قصيرة من جنوب البحر الميت ثم اذا قابلنا عدده من هذا الاصحاح مع اش ٥٩: ١٥ و١٦ نجد المحارب المشار اليه هو رب الجنود الذي انتقم من ادوم على خطاياها وورد مثل هذا الوصف في رؤ ١٩: ١١-١٦ حيث يظهر ان ذلك المحارب انما هو « كلمة الله » الذي سيعاقب الفجار ويهزمهم نهائياً ويضع كل اعدائه تحت قدميه (١ كو ٥: ٢٥)

(١٤) اش ٦٥: ١-٦ قالوا ان هذه الآيات نبوة عن اهتداء العرب الى الاسلام والآيات التي بعدها تنبئ عن خطايا اليهود والنصارى التي بسببها رفضهم الله والحقيقة هي ان عدداً نبوة عن اهتداء كثير من الامم الى المسيح ولو ان من عدد ٢-٦ تذكر خطايا

اليهود لكن من عدد ٨٥٥-١٠ يصرح ان الله لا يرفض شعبه المحبوب
رفضاً نهائياً بل يعود ويقبلهم (انظر رومية ص ١١) ولم يرد هنا شيء
بخصوص المسيحيين ولا عن محمد

(١٥) دا ٢: ٤٥ زعم بعضهم ان هذه الآية تنبئ عن ظهور الاسلام
وامتداده وقالوا ان الممالك الاربع المذكورة في هذا الفصل هي
الكلدانيون والمديانيون والفرس واليونان وان اسكندر الكبير
هزم الفرس وفرق شملها الا انها عادت الى سابق مجدها فيما بعد
واخذت تضعف تارة وتقوى اخرى الى زمن كسرى انوشروان
وبعد موت محمد قصد اليها جيوش المسلمين وفتحوها وفتحوا
ما بين النهرين وفلسطين وعليه فمملكة الاسلام هي المقصودة بالمملكة
التي خلفت الممالك الاربع وسادت على كل الارض (عدد ٤٤ و ٤٥)
والحقيقة ان هذا الشرح لا ينطبق على حقائق التاريخ لسبب
ظاهر وهو انه لم يكن للمدانيين مملكة بعد البابليين بل هما مملكة
واحدة بدليل ان داريوس المادي (دا ٥: ٣١ و ٦ و ٩: ١) قد ملك على
الكلدان وهي الاقاليم الواقعة حول بابل بضعة شهور ثم صار نائباً
للملك كورش العظيم وبهذا ابتدأت المملكة الثانية اي مملكة الفرس
(دا ٨: ٣ و ٤ و ٢٠) ثانياً اليونان خلفت الفرس فكانت المملكة الثالثة

(٨١د: ٧٥و ٢١) وخلفت اليونان الرومان وهي المملكة الرابعة (٢١د: ٤٠) التي عظمت فوق الكل الا ان مؤرخي الساميين اهلوها بالسكية رابعاً اما مملكة الفرس المتجددة لا يمكن ان تكون هي المملكة الرابعة بل يجب اما ان تكون المملكة الخامسة او الثالثة والنبوة تشير الى ما يحدث في عهد المملكة الرابعة (٢١د: ٤٠ و ٤٤ و ٧: ٧ و ١٩ و ٢٣) اما كون اليونان المملكة الثالثة لا الرابعة كما زعم الساميون فظاهر مما قيل عنها لانها غلبت الفرس وخلفتهم (٨١د: ٧٥ و ٢١) وانقسمت اليونان الى اربعة اقسام من بعد موت اسكندر الكبير (٨١د: ٢٢ و ٢٣) واخذ يتقلص ظلها حتى اندمجت في المملكة الرومانية التي شمل نفوذها العالم المتمدن في ذلك العصر وفي اثناء حكم الرومانيين ولد يسوع في اليهودية وكانت خاضعة لهم والمملكة التي اسسها يسوع حينئذ لم تكن من هذا العالم (يو ١٨: ٣٦ ولو ١١: ٣١-٣٣ ود ١٣: ٧ و ١٤ و ٢٧) بدليل انها لم تقم بالسيف كما لك العالم وعدا ذلك دعا المسيح نفسه ابن الانسان ومن هنا يظهر انه هو الشخص الذي رآه دانيال في رؤياه جالساً على سحاب السماء سائداً على كل الارض (دانيال ٧: ١٣) ومملكته هي التي وصفها دانيال بالحجر الذي قطع بغير يدين وملاً كل الارض (د ٢: ٤٥) ولما يأتي ثانياً الى ارضنا تسجد له كل ركبة (في ٢: ٩-١١)

(١٦) حب ٣: ٣ «الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران الخ»
 ظن المسلمون قوله والقدوس من جبل فاران اشارة الى محمد غير ان
 آخر الآية يقول «جلاله غطى السموات والارض امتلات من
 تسبيحه» وهذا دليل صريح على انه ليس المراد بالقدوس محمد بل الله
 الذي يرجع اليه الكلام من أول الآية حيث يقول «الله جاء من
 تيمان الخ وعدا ذلك فقد اثبتنا ان جبل فاران واقع في شبه جزيرة سيناء
 لا في مكة كما زعموا وتيمان اسم لاقليم ادوم وفيه مدينة قريبة من
 بئرا وعلى مسيرة ايام قليلة من اريحا نحو الجنوب فجبل فاران واقليم تيمان
 متقاربان وهما الى مدينة اورشليم اقرب بكثير منهما الى مكة وجاء في
 سفر التكوين (١١: ٣٦ و ١٩) ما يثبت تناسل تيمان من عيسو اصل
 الادوميين ويوافق على ذلك المؤرخون وعلماء الجغرافية كما يوافق عليه
 الانبياء الذين كتبوا عن هذه المدينة وهم ارميا (٤٩: ٢٠ و ٢٠) وحزقيال
 (١٣: ٢٥) وعاموس (١: ١١ و ١٢) وعوبديا (٨ و ٩ و ١٠) فان كان اخواننا
 المسلمون لم يقتنعوا بهذه الادلة على ان تيمان لا علاقة لها بالمرّة بمحمد
 ولا اسلامه وتمسكوا برأيهم فنقول حسناً اذا كانت تيمان لها علاقة
 بالاسلام فقد نبأ عنها عوبديا بالويلات والدمار وبالتالي عن الاسلام الا
 أننا نحن المسيحيين لا شك عندنا بان تيمان ليست من الاسلام في شيء

(١٧) حجج ٧:٢ «وازلزل كل الامم ويأتي مشتهى كل الامم فاملاً
 هذا البيت مجدداً. قال رب الجنود» قالوا ان المراد «بمشتهى كل الامم»
 محمد وذلك لان «مشتهى» في اللغة العبرانية متصرفة من حمده
 المتصرف منها محمد فنقول قد اثبتنا حتى في اللغة العربية نفسها ان ليس
 كل ما يتصرف من مادة «حمد» يشير الى محمد فمن باب اولى اللغة
 العبرانية ثم ان هذه الكلمة عندها «حمده» وردت في نبوة دانيال (١١):
 (٣٧) بمعنى «شهوة النساء» وعليه فلا دليل منطقي يترتب على كلمة يشترق
 منها الفاظ ذات معاني مختلفة كما اننا لا نقدر ان نصدق ان محمداً كان
 مشتهى كل الامم وذلك لانه فتح البلاد بالسيف وكل فاتح بالسيف
 مكروه لا مشتهى خصوصاً عند الامة المغلوبة والمحتمل ان مشتهى
 الامم اما ان يكون (١) الذهب والفضة المذكورة في عدد ٨ او (٢)
 اختيار كل الامم الذي يدعوه الرسول بولس «اختيار النعمة» (رو ١١: ٥)
 الذين منهم تألفت الكنيسة المسيحية او (٣) الرب يسوع المسيح نفسه
 الذي جاء الى هيكله ومن مدينة المقدس افاض على كل الامم سلاماً
 بواسطة ذبيحة نفسه التي قدمها كفارة عن خطايا العالم (حج ٩: ٢ ومل
 ٣: ٣ ومت ٦: ١٢ و٤١ و٤٢ ولوق ٣٦: ٢٤ ويو ١٤: ٢٧ و١٦: ٣٣ و٢٠: ١٩
 و٢١ و٢٦)

ثم ان الشيعة يحتجون ايضاً ببعض آيات من التوراة ظناً منهم انها نبوات عن محمد وان كان اهل السنة لا يوافقونهم عليها الا انه من المحتمل ان تكون لهم وجهة معقولة في احتجاجهم ولهذا رأينا أن نسرد ما قالوه في هذا الصدد

(١٨) « واما اسمعيل فقد سمعت لك فيه ها انا اباركه واثمره واكثره كثيراً جداً اثني عشر رئيساً يلد واجعله أمة كبيرة » (تك ١٧ : ٢٠) قالوا ان قوله « اثني عشر رئيساً يلد » نبوة عن الاثني عشر اماماً الذين يعتبرونهم خلفاء محمد الشرعيين في الامامة ورداً على ذلك لا نقول شيئاً سوى ان نستلفت نظرهم الى هذا السفر عينه الذي اقتبسوا منه هذه الآية (١٣: ٢٥ - ١٦) حيث نجد الوعد المشار اليه قد تم وولد اسمعيل اثني عشر رئيساً وذكرت اسماءهم وبعدها قيل « هؤلاء هم بنو اسمعيل وهذه اسماءهم بديارهم وحصونهم اثنا عشر رئيساً حسب قبائلهم » وعليه فقد تمت هذه النبوة بدون احتياج الى محمد وخلفائه (١٩) . ارا ٤٦: ١٦ « فهذا اليوم للسيد رب الجنود يوم نقمة للانتقام من مبغضيه فيأكل السيف ويشبع ويرتوي من دمهم لان للسيد رب الجنود ذبيحة في ارض الشمال عند نهر الفرات » قالوا ان قوله « للسيد رب الجنود ذبيحة الخ » نبوة عن قتل الحسين في واقعة كربلاء زاعمين

ان الحسين مات كفارة عن الخطية ودحضاً لهذه الدعوى نقول اذا تأملنا في العدد الثاني من هذا الاصحاح عينه نجد الاشارة الى جيش فرعون نخو ملك مصر الذي كان على نهر الفرات في كركميش الذي ضربه نبوخذ ناصر ملك بابل في السنة الرابعة ليهوياقيم ملك يهوذا سنة ٦٠٦ ق م ولا احد من المسلمين يقدر ان يدعي بان مذبحه المصريين وقد كانوا عبدة الاصنام حينئذ تكون كفارة عن الخطية فضلاً عن ان الكلمة المستعملة للدلالة على «ذبيحة» استعملت ايضاً للدلالة على مذبحه كما في هذه المواضع (اش ٦: ٣٤-٨ وحز ١٧: ٣٩-٢١ وصف ١: ٧ و٨) ونقول اخيراً لا يمكن ان يكون ارميا النبي عني كربلا بقوله «ارض الشمال»

ولنأت الآن الى اسفار العهد الجديد ونفحص باعتماد ودقة الفصول التي يوردها المسلمون للاستدلال على نبوة محمد

(١) مت ٢: ٣ «توبوا لانه قد اقترب ملكوت السموات» هذه كلمات يوحنا المعمدان وكررها الرب يسوع (مت ٤: ١٧) زعم المسلمون ان «ملكوت السموات» اشارة الى مملكة الاسلام (انظر مت ١٣: ٣١ و ٣٢) واما القرآن فهو شريعة هذه المملكة الخ ونحن نقول يجب لفهم معنى ملكوت السموات او ملكوت الله ان نراجع المواضع التي

وردت فيها هذه العبارة ففي (مت ١٢: ٢٨) قال المسيح «ولكن ان كنت انا بروح الله اخرج الشياطين فقد اقبل عليكم ملكوت الله» وفي مر ٩: ١ قال يسوع لتلاميذه «الحق اقول لكم ان من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد اتى بقوة» وفي مواضع اخرى يصرح بان هذا الملكوت يبدأ به الى حد ما في حياته ثم يمتد بعد موته ويكمل بعد مجيئه ثانياً ليدن المسكونة بالعدل ويحكم بالحق والانصاف (١٣: ٧١د و ١٤ و رؤ ١١: ١٥) واما في الوقت الحاضر فملكوت الله آخذ في الامتداد يومياً بواسطة الكرازة بالانجيل ودعوة الناس للدخول فيه (مت ٢٨: ١٠ — ٢٠) واعلم انه ليس ملكوت السموات نظير ممالك العالم (يو ١٨: ٣٦) وانه لا يأتي بابهة وزخرفة عالمية (لو ١٧: ٢٠) ويخص «المساكين بالروح» (مت ٥: ٣) لا المتكبرين ولا عظماء هذا الدهر الذين يبتطلون ولا يقدر احد كائناً من كان ان يتتبع لهذا الملكوت ما لم يولد من جديد ولادة روحية (يو ٣: ٣ و ٥) ومن المستحيل ان يدخل اليه الاشرار (١ كو ٦: ٩ و ١٠ و غل ٥: ٢٠ و ٢١ اف ٥: ٥) ولهذه البراهين والادلة لا مناسبة بين المملكة التي اسسها محمد وخلفاؤه وبين ملكوت السموات (٢) مت ١١: ١٧ «فاجاب يسوع وقال لهم ان ايليا يأتي اولاً»

ويرد كل شيء» وظن بعضهم ان قوله «ايليا يأتي اولاً نبوة عن مجي محمد الا اننا اذا قرأنا العدد التالي نجد ان ايليا قد أتى وعلى ذلك قوله «ايليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما ارادوا كذلك ابن الانسان ايضاً سوف يتألم منهم حينئذ فهم التلاميذ انه قال لهم عن يوحنا المعمدان» نعم ان يوحنا غير ايليا في شخصه لان التناسخ ليس من تعاليم الكتاب المقدس لهذا لما سئل يوحنا ان كان هو ايليا ام لا اجاب «لست انا» وانما كان سابق المسيح الذي يعد الطريق امامه «روح ايليا وقوته» (لو ١: ١٧) كما انبأ جبريل اباه زكريا (لو ١: ١٩) وبهذا المعنى كما تنبأ ملاخي ايضاً (مل ٤: ٥) كان يوحنا المعمدان ايليا النبي لان كليهما عاشا بكيفية واحدة (قابل مت ٤: ٣ مع ١ مل ١٧: ١-٦) (٣) مت ١٠: ٢٠-١٦ فسر المسلمون هذا المثل بكيفية غريبة

لأثبات نبوة محمد فقالوا الفعلة الذين اشتغلوا من الصباح ثم اليهود والذين اشتغلوا من الظهر ثم النصارى والذين اشتغلوا في المساء ثم المسلمون^{*} (١) ورداً على ذلك نقول ان «المساء» المشار اليه في عدد ٨ هو عبارة عن الوقت الذي ذكر في مت ١٩: ٢٨ اي وقت «التجديد

(١) ان الذي فسر هذا المثل بهذه الكيفية هو محمد نفسه كما في البخاري

متى جلس ابن الانسان على كرسي مجده» كانه عنى بالمساء آخر الدهور الذي فيه يأتي الرب يسوع على سحب السماء بقوة ومجد كثير لكي يدين الارض (مت ٢٤: ٣٠ و ٣١ ومر ١٣: ٢٦ و ٢٧ ولو ٢١: ٢٧ ورؤ ١٧: ١ و ٢٠: ١١-١٥) يظهر صحة تفسير المساء بما ذكرناه من مقدمة المثل وخاتمته لانه يبتدىء بتعليل السبب الذي من اجله يكون الاولون آخرين والآخرين اولين وينتهي بهذه النتيجة والآن قد اقبل المساء وكادت تغرب شمس الدهر الحاضر وكل من النصارى والمسلمين ينتظرون رجوع المسيح ثانياً ويتوقعون حدوث ذلك قريباً جداً ومتى جاء يملك على كل الارض الى ما شاء الله ويدين الاحياء والاموات عند ظهوره وملكوته (٢ تي ٤: ١) ومما تقدم يظهر ان لا فرصة في وقت المساء للعصر الاسلامي وبالتالي لا نبوة في المثل المذكور عن محمد

(٤) مت ٢١: ٣٣-٤٤ (انظر مر ١٢: ١-١١ ولو ٢٠: ٩-١٨) قالوا ان المسيح تنبأ في هذا المثل عن مجيئ محمد وقوة بطشه. سلموا ان رب البيت هو الله وان ابنه هو المسيح وانه تكلم عن نفسه كأن اليهود قتلوه وكان يجب عليهم ما دام المسيح قائل هذه الاقوال ان يسلموا بها ويقروا ان المسيح ابن الله وانه مات عن خطايا العالم لو

اقروا بذلك ما كان اغناهم عن البحث في شؤون محمد ولكن اذا
 كانوا لا يسمون ان المسيح هو الضارب لهذا المثل فمن العبث
 أن يحتجوا بكلام يعقدون بطلانه ومما يجب ملاحظته في هذا المثل انه
 من بعد ارسال الابن لم يرسل رسول آخر وحيث انهم ساموا ان
 المرسلين الاولين كانوا خداماً وعبيداً لرب البيت كان الرسول الاخير
 الابن فليس من المعقول انه من بعد ما ارسل الابن يمشي القهقري
 ويرسل العبيد ومن هنا يظهر بطلان دعواهم مرة أخرى عدا ذلك
 فان المسيح اقتبس هنا خبر «الحجر الذي رفضه البنائون (مز: ١٨: ٢٢)
 وان بطرس الرسول صرح بان صاحب سفر المزامير غنى بالحجر الذي
 رفضه البنائون المسيح نفسه حيث يقول «فليكن معلوماً عند جميعكم
 وجميع شعب اسرائيل انه باسم يسوع الناصري الذي صلبتموه انتم
 الذي اقامه الله من الاموات بذلك وقف هذا امامكم صحيحاً هذا
 هو الحجر الذي احتقرتموه ايها البنائون الذي صار رأس الزاوية»
 (اع: ٤: ١٠ و ١١ و ١٢ بط: ٢: ٤-٨) وعليه فالبنائون كانوا يهود عصره لا
 ابراهيم ولا اسمعيل اللذين بنيا الكعبة على زعمهم وقال المثل خطاباً
 لليهود «ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لامة تعمل اثماره» (مت
 ٢١: ٤٣) قالوا معنى هذا الكلام هو ان يؤخذ ملكوت الله من

اليهود ويعطى للاسمعييليين الا ان العهد الجديد يبين انه يعطى للذين يؤمنون بالمسيح ايماناً حقيقياً الذين هم «جنس مختار وكهنوت ملوكي امة مقدسة شعب اقتناء» وقال لهم «لكي تحبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة الى نوره العجيب الذين قبلاً لم تكونوا شعباً واما الآن فانتم شعب الله الذين كنتم غير مرحومين واما الآن فرحومون» (١ بط ٢: ١٠ و٩) وهنا تلميح لطيف الى الاثمار التي يطلبها رب البيت من الامة التي تتولى الكرم وورد ذلك باكثر تصريح في كلام الرسول عن المسيح حيث يقول «الذي بذل نفسه لاجلنا لكي يقدسنا من كل اثم ويطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في اعمال حسنة» (تي ٢: ١٤ وغل ٥: ٢٢-٢٤) والى هنا انتهينا من اظهار الامة التي اعطي لها الكرم ألا وهي الكنيسة المسيحية والكرم ملكوت الله (مت ٢١: ٤٣ يشرح عدد ١٤) وعليه فلا اشارة في هذا المثل الى محمد ولا أمته كما انه قد ثبت ان الحجر الذي رفضه البناؤون هو المسيح نفسه لا الحجر الاسود الذي بحائط الكعبة ولا محمد ولا هاجر

واما مقاومة المسيح وعدم الرضوخ له فأبان المثل انه هو الامر المثير لسخط الله وحلول نقمته على اعدائه وقد تم شيء من ذلك عند خراب اورشليم وتمثيل الرومان باليهود تمثيلاً قظيماً في سنة ٧٠

للميلاد او بعد صلب المسيح بنحو اربعين سنة وظن بعض المسامنين ان المراد برب البيت المشار اليه في المثل هو محمد ولكن ذلك ما لا يمكن اثباته لان المسيح في عدد ٣٧ بحسب ما جاء في المثل كان ابن رب البيت ولا يتصور احد ان المسيح ابن محمد وعليه فلا يمكن تطبيق هذا المثل على ما زعمه المسامون واثبات دعواهم الا بثلاثة اشياء الاول تحريف المثل الثاني اغفال القرينة وسياق الكلام والثالث اغفال النصوص الكثيرة الواردة في اسفار العهد القديم والعهد الجديد

(٥) «وكان يكرز قائلاً يأتي بعدي من هو اقوى مني الذي لست اهلاً ان انخني واحل سيور حذائه» (مر ١: ٧) قالوا ان الانجيل كلام المسيح وهذه الآية من الانجيل فهي من كلام المسيح وعليه يكون المسيح انبأ بمجيء نبي افضل منه بكثير هو محمد . من تأمل هذه الاقوال يعلم قصور المسامنين وعجزهم الكلي عن ان يأتوا بدليل من الكتاب على اثبات نبوة نبهم وذلك لان عدد ٦ اي ما قبل آية الاستدلال يصرح باسم القائل لها ألا وهو يوحنا المعمدان لا يسوع وصرح يوحنا في (يو ١: ٢٦ - ٣٤) ان الآتي بعده هو المسيح لا محمد ومن ذلك قوله «وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً اليه فقال هو ذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم هذا هو الذي قلت عنه يأتي بعدي

رجل صار قدامي لانه كان قبلي» (يو: ١ و ٢٩ و ٣٠ انظر مت ٣: ١١-١٤ ولو: ٣ و ١٦ و ١٧) فاذا قيل ان يسوع كان معاصراً ليوحنا فلا يصح ان يقول عنه انه يأتي بعده فنجيب وان كان معاصراً له الا انه لم يبدأ بخدمته كرسل الامن بعد طرح يوحنا في السجن (مر: ١ و ١٤) ومت ٤: ١٢ و ١٧) وانتهاء خدمته لان هيرودس ملك اليهود امر بقطع رأسه (٦) يو: ١ و ٢١ «فسألوه اذاً ماذا . ايليا انت . فقال لست انا . النبي انت فاجاب لا» قال المسامون ان نبهم قد ذكر في هذه الآية وذلك لان اليهود سألو ايوحنا المعمدان متحرين عن ثلاثة انبياء بالتوالي المسيح وايليا والنبي ولم يخالفهم في ما سألو عنه فاستنتجوا من ذلك ان النبي المشار اليه هنا لا هو ايليا ولا هو المسيح بل محمد كذلك النبي الذي تنبأ عنه موسى (تث ١٨: ١٨) هو محمد لا المسيح ولا ايليا ورداً عليهم نقول اما من حيث النبي الذي كتب عنه موسى (تث ١٨: ١٨) فقد اثبتنا في ما تقدم انه لا يمكن ان يكون محمداً وانما هو المسيح راجع ذلك في موضعه وعليه فالنبي المشار اليه في سؤال اليهود ليوحنا المعمدان هو المسيح بذاته وسأل اليهود عن الثلاثة مبتدئين بالاخير الى الاول باعتبار ترتيب زمان ظهورهم فقالوا ليوحنا «انت المسيح» ظناً منهم ربما يكون اياه فلما انكر يوحنا كونه المسيح

عادوا فسألوه ان كان هو سابقه ايليا (مل ٤: ٥ ومت ١٧: ١٠ و مر ٩: ١١) فانكر ايضاً كونه ايليا بالذات لانهم كانوا ينتظرون ان يرجع ايليا بنفسه الى الارض في آخر الزمان مع ان يوحنا وان لم يكن ايليا بالذات لكنه جاء بروحه وقوته لاعداد طريق المسيح كما تقدم الكلام (راجع مل ٤: ٥ بالمقابلة مع مت ١١: ١٤) ولما لم يفهم اليهود من هو يوحنا المعمدان اذا لم يكن المسيح ولا ايليا حاروا في انفسهم والتجأوا الى رأي ارتآه بعض اليهود وهو ان النبي الذي كتب عنه موسى هو سابق آخر للمسيح وليس من المعقول ولا المحتمل ان يكون سؤالهم ليوحنا عن نبي يأتي بعد المسيح بثلاث من السنين حالة كون المسيح نفسه لم يكن قد ظهر بعد ولهذا يلزم ان يكون سؤالهم اما عن المسيح او احد سابقيه لا عن نبي يأتي بعده

(٧) يو ٤: ٢١ «قال لها يسوع يا امرأة صدقيني انه تأتي ساعة لافي هذا الجبل ولا في اورشليم تسجدون للآب» بنى بعض المسلمين على هذه الآية ان اورشليم من ذلك الوقت فصاعداً لا تكون قبلة للمصلين ويحل محلها الكعبة الا ان عدد ٢٣ و ٢٤ التاليين لهذه الآية يظهر ان ما قصده المسيح بقوله «لا في هذا الجبل ولا في اورشليم تسجدون للآب» فانه علمنا ان العبادة التي تحوز القبول عند الله

لا تتوقف على المكان التي تقدم فيه بل تتوقف على حالة قلب العابد
 وقضى قضاء مبرماً على كل ما يقال له قبلة للصلاة بعد ذلك التاريخ
 (٨) يوحنا ١٤: ٣٠ «لا انكلم ايضاً معكم كثيراً لان رئيس هذا العالم
 يأتي وليس له في شيء» قال المسلمون ان رئيس العالم الذي بشر بمجيئه
 المسيح انما هو محمد ورداً عليهم نقول يظهر من سياق الكلام والقرينة
 ان المسيح لم يعن برئيس العالم هنا نبياً ولا رسولاً بل عنى ابليس
 بدليل قوله «ليس له في شيء» فان هذه العبارة لا تشير الى حبيب
 موال كشأن النبي الى زميله النبي بل تشير الى عدو مقاوم وورد في
 مواضع كثيرة من الكتاب المقدس ذكر ابليس موسوماً بالقاب
 نخمة من ذلك قوله «الآن دينونة هذا العالم الآن يطرح رئيس
 هذا العالم خارجاً» (يو ١٢: ٣١) وقوله «الذين فيهم اله هذا الدهر قد
 اعمى اذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم انارة انجيل مجد المسيح الخ»
 (٢ كو ٤: ٤) ودعي ابليس «رئيس سلطان الهواء الروح الذي يعمل
 الآن في ابناء المعصية» (اف ٢: ٢ و ٦ و ١١ و ١٢)

(٩) (يو ١٦: ١٧ و ١٧ و ٢٦ و ١٥ و ٢٦ و ١٦ و ١٣ الخ) يجزم المسلمون ان
 كلمة البارقليط المترجمة «المعزي» يجب ان تترجم محمد وعليه يكون
 المسيح تنبأ عن محمد في هذه الآيات ويقولون ان القرآن الذي جاء

به هو من عند جبريل وهو عندكم الروح الامين اي الروح القدس
وانه شهد للمسيح (يو ١٥: ٢٦ ومجده يو ١٦: ١٤) كما مجده القرآن وذلك
لان القرآن رفع مقام المسيح كمولود من عذراء وكنبي ورسول مؤيد
بالمعجزات والآيات وقال انه صعد الى السماء حياً وان الله آتاه الانجيل
ونفى عنه النبوة لله التي زعمتها النصارى الخ وقالوا ايضاً ان النصارى
الاولين فهموا من اقوال المسيح بخصوص ارسال البارقليط ان
نبياً آخر عظيماً سيأتي بعده بدليل ان رجلاً يسمى ماني الفارسي
ادعى انه الروح القدس بعد المسيح ببضعة قرون وراجت دعوته عند
بعضهم استناداً على هذه النبوة الى آخر ما قالوا . اما نحن فنقول
ليس احد خيراً بالانجيل يقدر ان يستنتج من كلام المسيح عن ارسال
الروح ما استنتجه اخواننا مما ورد في (يو ١٤ و ١٥ و ١٦) وذلك لما
يأتي . اولاً ان كلمة بارقليط لا تعني «محمداً» بل تعني «المعزي» او
«المؤيد» كما في قوله «وايدناه» (المسيح) بروح القدس «(قرآن) او
«الوكيل» وهذه لا تناسب محمداً مطلقاً لان المعنى الاول اي المعزي
لا يلائم حامل السيف بل هما ضدان والمعنيتين الاخيرين «المؤيد
والوكيل» لا يصح اسنادهما الى مخلوق كائن ما كان لانهما من القاب
الله سبحانه وتعالى كما ورد في القرآن «وما ارسلناك عليهم وكيلاً»

(سورة الاسرى عدد ٥٥ وسورة النساء عدد ٨٠. ثانياً ان كلمة البارقليط لم تستعمل في اسفار العهد الجديد الا للدلالة على الروح القدس (يو ١٦: ١٤ و ١٧ و ٢٦ و ١٥: ٢٦ و ١٣: ١٦) وجاءت ايضاً للتاميح الى المسيح (يوحنا ١٦: ١٤ وانظر يو ١: ٢). ثالثاً ان البارقليط حسبما ورد في هذه الآيات لا يمكن ان يكون انساناً ذا روح وجسد بل هو روح محض غير منظور روح الحق الذي عند ما تكلم المسيح عنه بانه يأتي كان اي الروح حينئذ ما كثراً مع التلاميذ (يوحنا ١٤: ١٧ و ١٦: ١٤). رابعاً ان الذي يرسله هو المسيح كما في (يو ١٥: ٢٦ و ١٧: ١٦) واخواننا المسلمون لا يقبلون على محمد ان يكون رسول المسيح. خامساً كان محمد رجل حرب وغزو يفتح البلاد بسيفه ويدوخ العباد بجيشه واما الروح القدس فعمله ان يبكت العالم على الخطية وجوهر الخطية عدم الايمان بالمسيح (يو ١٦: ٩) فما اعظم الفرق. سادساً قيل عن الروح القدس انه متى جاء يمجّد المسيح لا يمجّد نفسه لانه يأخذ مما للمسيح وينخبّرنا (يو ١٦: ١٤ و ١٥). سابعاً ان محمداً والقرآن ينكران بنوة المسيح لله وقد صرح انه ابن الله بقسم (في مر ١٤: ٦١) وكذا ينكران لاهوته مع كونه مثبتاً في كل من اسفار العهد القديم (اش ٩: ٦ ومز ٦: ٤٥) والعهد الجديد (يو ١٠: ٣٠ وعب ١) وبناء عليه لا يكون محمد

وقرآته ممجدين للمسيح بل مضادين له على خط مستقيم وبالتالي لا يكون محمد الروح القدس كما زعموا. ثامناً ان محمداً وقرآنه ينكران صلب المسيح الذي به صار التكفير عن خطايا العالم وبهذا قد انكرا حقيقة جوهرية من اعظم حقائق الكتاب المقدس (انظر مز ٢٢ واش ١٣: ٥٢ - ٥٣ كله ومت ١٩: ٢٠ الح) التي يترتب عليها خلاص الجنس البشري. تاسعاً ان انكار صلب المسيح يترتب عليه انكار قيامته التي هي رجاء جميع المسيحيين (١ كو ١٥: ١٧ - ١٩) وحيث ان محمداً يخالف الانجيل في هذه النقط الرئيسية وغيرها ويعارض التعاليم التي امر رسله ان يكرزوا بها للعالم (مت ٢٨: ٢٠) فلا يصح ان يقال عنه انه متم نبوة ارسال الروح القدس الذي انما جاء ليذكر التلاميذ بكل ما قاله لهم المسيح (يو ١٤: ٢٦). عاشرأ ان احتجاجهم بما ادعاه ماني من انه هو الروح القدس وتطبيقهم دعوة محمد على قول ماني دعوة باطلة وشاهد زور واذا كان احد منا يضاهي بين محمد وماني وبين قرآن الاول وكتاب الآخر الذي ادعى كما ادعى محمد انه جاء به من السماء وانه ليس في طاقة البشر ان يأتوا بمثله ولم يأتوا بمثله لجرحنا احساسات اخواننا المسلمين واغضبناهم ولكن ليكن معلوماً ان كاتب هذه السطور يتحاشى على قدر امكانه ان يبدي مضاهاة كهذه احتفاظاً بالسلام

واعلم ان المطلعين من المسيحيين رفضوا دعوة ماني بانه الروح
 للقدس لجملة ادلة منها ان النبوات المتعلقة بالبارقليط لا تشير الى انسان
 بل الى روح. ومنها ان هذه النبوات تمت بعد صعود المسيح ببضعة
 ايام وذلك بحلول الروح القدس على المائة والعشرين مسيحياً الذين
 كانوا يسبحون الله في العلية في مدينة اورشليم واخذوا يتكلمون
 بألسنة اخرى كما اعطاهم الروح القدس ان ينطقوا (راجع اع ١٠:٢ -
 ٣٦) ومن هنا يظهر ان تعليم العهد الجديد في عصر ماني هو كما في
 العصر الحاضر والمسيح وهو على الارض اخبر بظهور انبياء كذبة
 وذلك في مواضع كثيرة من الانجيل وحذرنا من الانقياد لاي نبي
 يأتي بعده (مت ٢٤: ١١ و ٢٤ و مر ١٣: ٢٢ قابل مت ١٥: ٧) لهذا عندما
 ظهر ماني وادعى النبوة رفضه مسيحيو عصره بناء على ما سبق
 التحذير منه في الانجيل واعتبروه نبياً كذاباً كما يعتبره اخواننا المسلمون.
 حادي عشر ان البارقليط قيل عنه انه سيسكن في قلوب المسيحيين
 الحقيقيين (يو ١٦: ١٤ قابل اكو ١٩: ٦ و رو ٩: ٨) وهذا لا يمكن ان
 يصدق على محمد. ثاني عشر قد وعد المسيح بان الروح القدس (يو ١٤:
 ٢٦) يجب ان ينزل من السماء على التلاميذ بعد صعوده بايام قليلة وامرهم
 ان لا يباشروا خدماتهم كرسل (مت ٢٨: ١٩ - ٢٠) حتى يحل عليهم

الروح القدس (اع ١: ٢٥) وبناء على امره مكثوا في اورشليم الى ان تم هذا الوعد (انظر لو ٢٤: ٤٩ واع ١: ٤ و ٨ و ٢: ١-٣٦) فهل تظنون ان مراد المسيح ان ينتظر تلاميذه بدون ان يمارسوا عملهم مدة ستمائة سنة الى ان يأتي محمد؟ هذا محال وعليه فلا تشير النبوة هنا الى محمد بوجه من الوجوه بل الى الذي تم يوم الخميس بعد صعود المسيح بايام قليلة كما قدمنا ذكره (انظر اع ص ٢) ومن بعد ذلك الوقت نالت جماعة الرسل قوة فائقة وحكمة واسعة وجالوا يكرزون بالانجيل في الارض كلها (١٠) ايو ٤: ٣٥ « بهذا تعرفون روح الله . كل روح يعترف يسوع المسيح انه قد جاء في الجسد فهو من الله وكل روح لا يعترف يسوع المسيح انه قد جاء في الجسد فليس من الله » ظن بعض المسلمين ان قوله « روح الله » يشير الى محمد بدليل انه اعترف بان المسيح قد جاء في الجسد كما تقول الآية ومعنى ذلك عندهم هو حيث ان محمداً انكر لاهوت المسيح وصرح انه انسان كسائر الناس يكون قد اعترف بان المسيح قد جاء في الجسد مع ان قوله « جاء في الجسد » يراد به نفي ضلالة ظهرت في ذلك الوقت الا وهي ان جسد المسيح لم يكن جسداً حقيقياً بل خيالياً لانهم اذ كانوا يعتقدون بانه اله شق عليهم ان يؤمنوا ايضاً بانه ذو جسد حقيقي وعللوا اعراضه الجسدية المذكورة

في الانجيل مثل كونه اكل وشرب وتعب ونام واستيقظ ومات
وقام الخ من قبيل التصورات الخيالية التي لا وجود لها في الحقيقة
فاذا قيل لهم كان المسيح يأكل الطعام فكيف لا يكون جاء في الجسد
اجابوك لم يأكل المسيح ولم يشرب حقيقة ولكن شبه لهم واذا قيل
لهم كان المسيح ينام وينتبه من النوم قالوا كلا بل شبه لهم واذا قيل مات
المسيح وقام قالوا لم يمت حقيقة ولم يقم ولكن شبه لهم فدفعا لشر هذه
الضلالة انذرنا الوحي على لسان يوحنا الرسول بان كل من يعترف
بان المسيح جاء في الجسد اي يعترف بان اعراضه الجسدية التي ذكرت
في الانجيل كانت حقيقية فهو من الله وكل من ينكر كونه جاء في
الجسد اي ينكر كون اعراضه الجسدية كانت حقيقية فليس من الله
ومحمد انكر موت المسيح وهو من اعظم اعراضه الجسدية وكانت
طريقة انكاره مثل طريقة اصحاب تلك الضلالة بمعنى انه حول واقعة
الحال الى واقعة خيال فقال ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فتأمل
(١١) يه ١٤ و ١٥ «وتنبأ عن هؤلاء ايضا اخنوخ السابع من آدم
قائلاً هوذا قد جاء الرب في ربوات قدسيه ليصنع دينونة على الجميع
ويعاقب جميع فجارهم على جميع اعمال فجورهم التي فجروا بها الخ» تجراً
بعض المسلمين وقالوا ان «الرب» في هذه العبارة يراد به محمد وقوله

«يصنع دينونة» يشير الى كونه متقلداً بالسيف ومثيراً للحرب على اعدائه ولكن لامسلم حقيقي يقدر أن يسند لقب «الرب» الى مخلوق كائننا من كان لانه من القاب الله (انظر سورة التوبة آية ٢٢) والحقيقة ان اخنوخ تنبأ هنا عن المسيح باعتبار مجيئه الثاني عندما يملك على الارض ودا ١٣: ٧ و ١٤ ومث ٢٤: ٢٩ — ٥١ و ٢ تس ١: ٦ — ١٠ ورؤ ١: ٧ و ١٩: ١١ — ٢١) واسم الرب من القاب المسيح التي كثر اسنادها اليه في اسفار العهد الجديد واسندت اليه بحق كما نعلم من في ٢: ٩ — ١١ (١٢) رؤ ٢: ٢٦ — ٢٩ «من يغلب ويحفظ اعماله الى النهاية فساعطيه سلطاناً على الامم فيرغام بفضيب من حديد كما تكسر آنية من خزف كما اخذت انا ايضاً من عند ابي واعطيه كوكب الصبح الخ» قالوا ان هذه نبوة عن محمد بدليل انه حارب الامم بسيفه واخضع كثيراً منهم تحت سلطانه فان صحت دعواهم ينتج ان محمداً استمد هذه القوة والسلطان من المسيح جزاء له على تمسكه بوصاياه وحفظه اعماله الى النهاية وبالتالي كان مقامه دون مقام المسيح الا ان اخواننا المسلمين لا يرضيهم ذلك ولا يرضيهم ان يكون مقامه كمقام المسيح بل أعظم منه كيف لا وهو عندهم خاتم الانبياء وسيد المرسلين والحقيقة هي ان من يراجع الاصحاح الثاني والثالث من هذا السفر يجد ان المتكلم هو

المسيح يحرض اعضاء الكنائس السبع على الغلبة واعداً من يغلب
 باحسن الجزاء وكرر ذلك سبع مرات فلا يشير الى محمد ولكنه يتكلم
 كلاماً عمومياً لترغيب شعبه في الغلبة لا غلبة السيف والسهم بل
 غلبة الخطية والجسد والعالم والشیطان

الى هنا انتهينا من النبوات الواردة في اسفار العهد القديم والعهد
 الجديد التي خالها المسلمون تشير الى محمد ورأينا ان لا نبوة منها تشير
 اليه وعدا ذلك علمنا من الانجيل تمام العلم ان لا كتاب يلي الانجيل
 ولا نبي يأتي بعد المسيح والعصر الوحيد الآتي هو رجوع المسيح
 من السماء ليملك على الارض الملك الدائم وعلى ما تقدم سقطت دعوى
 محمد بالرسالة من الله سقوطاً ليس من ورائه مجال للشك

حقاً ان بعضاً من المسلمين اندهشوا عندما قرأوا عن الجراد في
 (رؤ ٩: ١٠ و ١٣) حيث يقول «وقيل له ان لا يضر عشب الارض ولا شيئاً
 اخضر ولا شجرة ما الا الناس فقط الذين ليس لهم ختم الله على
 جباههم» لانهم يقصون علينا انه حدث في زمن خلافة ابي بكر
 الصديق انه زود جنوده عندما ساروا لفتح الشام باوامر تمت معها
 هذه النبوة حرفياً وانه مما يستحق الاعتبار ان نجد اثنين من مؤرخي
 المسلمين لا يعلمان غالباً بهذه النبوة يرويان لنا حديثاً يذكرنا بها قال

جلال الدين الاسيوطي لما بعث ابو بكر الصديق زياد ابن ابي سفيان
 لفتح الشام امره ان لا يقتل امرأة ولا طفلاً ولا شيخاً هرمًا ولا يقطع
 اشجاراً منتجة اثماراً ولا يتلف ارضاً مزروعة ولا ينحر شاة ولا دابة
 الا ما دعت اليه حاجة الطعام ولا يقطع نخلة منتجة ولا يحرقها قبل قلعها
 ولا يغدر باحد ولا يخشى احداً وروى الواقدي الرواية عينها باكثر
 تفصيل قال امر ابو بكر الصديق يزيد ابن ابي سفيان انه اذا ظفر
 باعدائه لا يذبح ولدًا ولا شيخًا ولا امرأة ولا طفلاً ولا يقرب نخلة
 ولا يحرق مزروعة ولا يقطع اشجاراً مثمرة ولا ينحر ماشية الا لضرورة
 الطعام ولا يغير ما اتفق عليه ولا ينقض مخالفة صالح واذا مر بادية
 الرهبان الذين انقطعوا لعبادة الله يدعهم وما انقطعوا اليه لا يقتلهم
 ولا يهدم اديرتهم واما اذا مر بتلك الطائفة التي تعبد الشيطان
 والصلبان ذوي الرؤوس المخلوقة من الوسط يضربهم بسيفه الى ان
 يعتنقوا دين الاسلام او يدفعوا الجزية وهم صاغرون

لا شك ان المشابهة عظيمة بين ما ورد في سفر الرؤيا وبين ما
 امر به ابو بكر جنوده ولكن لم ترد اشارة الى نبي ما في ذلك
 الموضع مما يؤيد دعوة محمد كما انه لا مسلم خبير يقدر ان يستشهد
 بالآيات المذكورة ولو سلمنا انها نبوة عما تم بعد موت محمد بحملة سنين

الفصل الثالث

هل يمكن أن تكون فصاحة القرآن معجزة تدل على انه
موحى به من الله ؟

يخزم اخواننا المسامون ان فصاحة القرآن وطلاوة عباراته بالغة
حد الامجاز حتى انه يكفي لاثبات رسالة محمد سيما وانه لم يكن يعرف
الكتابة ولا القراءة فمن المحال أن يكون قادراً على الاتيان به ما لم
يكن موحى به من الله ويقولون لكل نبي آية بينة تدل على ان
رسالته من عند الله الا ان الآيات تنوعت حسب أحوال الزمان
الذي جاءت فيه الانبياء ففي زمن موسى مثلاً بلغ السحر والسحراء
مكانة عظمى عند المصريين فأوتي موسى من الآيات ما يشبه السحر
في ظاهره وهو ليس بسحر في الحقيقة بل معجز للسحراء وفي زمن
المسيح بلغ الطب مبلغاً عظيماً فكانت آيات المسيح مشبهة بالطب ولكنها
تفوقه وفي زمن محمد كانت الفصاحة هي الصناعة الرائجة بين العرب
فأوتي القرآن معجزاً لفصحاء عصره وشعرائه ومن ادلهم على اعجاز
القرآن ما جاء فيه من تحدي العرب على أن يأتوا بكتاب مثله أو سورة
منه كما في سورة البقرة آية ٢٣ ومن ذلك قوله « قل لئن اجتمعت

الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» (سورة الاسرى آية ١٨)

ورداً عليهم نقول اذا فخصنا دعواهم باعجاز القرآن فخصاً دقيقاً خليقاً باهمية الموضوع لا نجد دليلاً على صحة دعواهم لانه كم من الكتب الشهيرة في العالم ألفها قوم لا يعرفون القراءة ولا الكتابة وقد جاءت لا مثيل لها ومن هذه الكتب كتاب وضعه ريج فيدا في بلاد الهند وضعه بين سنة ١٠٠٠ و ١٥٠٠ ق م قبل أن تعرف صناعة الكتابة في تلك البلاد بزمن طويل يزيد حجمه عن القرآن صنفه اكثر من واحد الا انهم لم يكن لهم كاتب يملون عليه آيات كتابهم وفي اللغة اليونانية القديمة قصيدتان في غاية الفصاحة وهما الالياذة والاولدسة^(١) منسوبتان في الغالب الى شاعر اعمى اسمه هو ميروس وكانت العميان في سالف الزمان لا يعرفون القراءة ولا الكتابة ولا كانت لديهم الوسائل التي لديهم اليوم وليس ثمت وجه للظن أن يكون أملى قصيدتيه على بعض الكتبة لانه كان فقير الحال يحصل قوت يومه بالتجوال على البيوت يتلو أشعاره . على انه لم يقد دليل قاطع على ان محمداً كما زعموا غير عالم بالقراءة والكتابة وغاية ما أورده لا ثبات

(١) Iliad—Odyssev

هذه الدعوى هو ما وصفه به القرآن بأنه النبي الامي (سورة الاعراف ١٥٦ و ١٥٧) الا ان هذا الوصف لا يثبت عدم معرفته القراءة والكتابة لموصوفه بل يثبت كونه نبياً من الامم^(١) الا من بني اسرائيل وذلك واضح من سورة آل عمران آية ٢٠ في قوله « وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الخ » ومن ذلك ترى ان العرب مدعوون هنا بالاميين فقال النبي الامي كما نقول اليوم النبي العربي وكانت عادة الانبياء أن يأتوا من اهل الكتاب اي بني اسرائيل

فلما ادعى محمد النبوة وكان من غير اهل الكتاب دعوه النبي الامي اي من الامم كما تقدم تمييزاً له عن بقية الانبياء الذين كانوا جميعاً من بني اسرائيل وبخلاف ذلك قد علم المطلعين من المساميين بالروايات المنسوبة الى البخاري ومسلم التي تنفي عن محمد وصحة الجهل بالقراءة والكتابة من ذلك ما ينسبونه اليه في معاهدة الحديبية من انه اخذ القلم وضرب على توقيع علي بن ابي طالب بالنيابة عنه تحت امضاء « رسول الله » وكتب « ابن عبد الله » ومما ينسبونه اليه انه لما احتضر طلب أن يأتوه بادوات الكتابة ليوصي بمن يخلفه وقبل ان يأتوه بها

(١) لقد قال بمثل ذلك بعض محققى المساميين انظر السيرة النبوية لزيبي

خاتمه قواه كما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس وبما ان هذه الروايات موضوع نزاع بين اهل السنة والشيعة فلا نجزم بصحتها غير اننا نقول ان مجرد وجودها مسندة الى ائمة الحديث أمر يستحق الاعتبار وخصوصاً لان لا شيء فيها بعيد الوقوع

واعلم ان فن الكتابة كان معلوماً عند العرب في عصر محمد لانه معلوم بالتأكيده لما وقعت بعض اهالي مكة اسرى عند اهالي المدينة افتدوا انفسهم منهم بان يعلموهم الكتابة ثم ان وجود المعلقات السبع (سواء كانت معلقة في الكعبة كما ظن جلال الدين الاسيوطي ام محفوظة في خزانة عكاظ كما قال ابو جعفر احمد ابن اسمعيل بن نواس) دليل على ان الكتابة كانت امراً عادياً بين مؤلفي ذلك العصر والذين قبلهم سواء كانوا يكتبون مؤلفاتهم بانفسهم او يكتبها كتبة آخرون على ذمتهم

وان قلنا ان محمداً كان يعرف الكتابة ولكنه لم يحسنها بحيث يتهيأ له ان يكتب كتاباً فلا يؤثر ذلك في أهمية القرآن لاننا نعلم من اقوال السالفين ان زيدا بن ثابت كان من جملة الكتبة الذين استخدمهم محمد وكانوا يكتبون كما يولي عليهم على العظام وعلى الخشب

واخزف بالحرف الكوفي^(١) خلواً من نقط الوقف وحركات الضبط
وعلى مدى الايام تبين لعلماء التفسير اختلاف القراءات القرآنية الذي
نتج عن نقص الابدعية الكوفية ولي هنا سؤال أمكتوب القرآن
بالحرف الكوفي في اللوح المحفوظ ام بغيره على ان الحرف الكوفي
وان كان قديماً الا انه مستخرج من الابدعية السريانية وتلك
من الفينيقية

وكان اذا املا محمد آية على الكاتب يسارع الى حفظها المتدينون
من قومه ولكن ذلك لا يمنع من ان بعض الآيات لم يحفظها احد
او مات الذين حفظوها. جاء في صحيح مسلم ان عائشة قالت ما معناه
مما انزل في القرآن عشر آيات في الرضاة نهى عنها ونسخت بخمس
آيات آخر ومما لا شك فيه ان عائشة سمعت هذه الآيات في زمانها
من بعض القراء ولا نجد لها اليوم في القرآن

وروى مسلم عن عمر بن الخطاب قال ما معناه ان الله ارسل
محمدًا بالحق وانزل عليه الكتاب وبما ان آية الرجم مما انزله الله في هذا
الكتاب رجم رسول الله ورجمنا من بعده والرجم حد الزاني وكان

(١) هذا خلاف المشهور لان الحرف الكوفي لم يكن يعرف الا بعد

نص آية الرجم هكذا «والشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة»
ولكننا لا نجد هذه الآية في القرآن المتداول اليوم والذي نجده
ان الزنى حده الجلد مائة جلدة (انظر سورة النور ٢-٤) وروى ابن
ماجة قالت عائشة ان آية الرجم والرضاعة نزلتا . . . وكان القرطاس
المكتوبتان فيه تحت فراشي ومات رسول الله حينئذ وفيما انا منشغلة
بموته دخلت بهيمة واكلت القرطاس وروى مسلم عن ابي موسى
الاشعري انه قال لخمسة من حفظة القرآن في البصرة انا اعتدنا ان
نتلو سورة تضاوي سورة براءة في الطول والشدة وقد نسيتهما ولم
يبق منها في بالي غير هذه الكلمات «توكلت الخ» واعتدنا ان نتلو
سورة على المسبحة ونسيتهما ما عدا قوله «ايها الذين الخ»

ومن المشهور ان ابياً زاد على نسخة قرآنه سورتين قصيرتين
تحت اسمين اعتباريين وهما سورة الخلع وسورة الخفض وتسمى
الاخيرة ايضاً سورة القنوت لانه يؤكد انهما نزلتا في القرآن وحذفهما
عثمان في حين ان ابن مسعود حذف سورة الفاتحة والمعوذتين من
مصحفه وقال قوم من الشيعة كان في القرآن بعض الآيات المشيرة
الى علي بن ابي طالب وحذفت عمداً من القرآن المتداول اليوم من
ذلك في سورة النساء آية ١٣٦ و١٦٤ وسورة المائدة آية ٧١ وسورة

الشعراء آية ٢٨٨ وقالوا ان في سورة آل عمران آية ١٠٦ ابدلت كلمة «أمة» الاصلية بكلمة «امة» وفي سورة الفرقان آية ٧٤ ابدلت العبارة الاصلية «واجعل لنا من المتقين اماماً» بعبارة محدثة «واجعلنا للمتقين اماماً» وذكروا تغييرات اخرى في سورة يوسف آية ١٢ والمؤمنين آية ٣٩ احدثوها عمداً وقد سلم الامام فخر الدين الرازي ان في سورة هود آية ٢٠ تختلف القراءة عن مصحف علي في القرآن المتداول تقرأ هكذا «ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماماً ورحمة» وتقرأ في مصحف علي هكذا «ويتلوه شاهد منه اماماً ورحمة ومن قبله كتاب موسى» والفرق بين العبارتين خليق بالاعتبار عند الشيعة لما في العبارة الثانية من الاشارة الى علي باعتبار كونه هو الشاهد وهو الامام والرحمة وليس كتاب موسى الامام والرحمة كما في العبارة الاولى وقال آخرون ان سورة برمتها حذفت من القرآن بالقصد وتسمى سورة النورين واقتبسها الى آخرها مرزا محسن من كشمير ببلاد الهند في كتابه المسمى (دبستان مذاهب)

وليس غرضنا من ذكر شبهات الشيعة في ما اضيف الى القرآن وما حذف منه اثبات هذه الشبهات او نفيها ولكن حيث انهم قالوا ان القرآن معجزة لرسالة محمد صار من الواجب علينا الاشارة الى

ما قاله نفس علمائهم والثقة منهم في الزيادة والنقصان اللذين اعترياه
دفعاً لدعوة الاعجاز

نتقدم الآن الى بيان المنهج الذي سلكوه لجمع متفرقات القرآن
من سور وآيات الى كتاب واحد ونعتمد في التحري عن ذلك على
المصادر الموثوق بها عند المسامحين انفسهم

«عن زيد بن ثابت قال ارسل اليّ ابو بكر بعد مقتل اهل اليمامة
فاذا عمر بن الخطاب عنده قال ابو بكر ان عمرأ اتاني فقال ان القتل
قد استعجز يوم اليمامة بقراء القرآن واني اخشى ان استعجز القتل بالقراء
بالمواطن فيذهب كثير من القرآن واني ارى ان تأمر بجمع القرآن
قلت لعمر كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلعم قال فقال عمر
هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك
ورأيت في ذلك الذي رأى عمر قال زيد قال ابو بكر انك رجل شاب
عاقل لا تهملك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلعم فتتبع
القرآن فاجمعه فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان اثقل عليّ
مما اخبرني به من جمع القرآن قال قلت كيف تفعلون شيئاً لم يفعله
رسول الله صلعم قال هو والله خير فلم يزل ابو بكر يراجعني حتى
شرح الله صدرى للذي شرح له صدر ابى بكر وعمر فتتبع القرآن

اجمعه من العسب والخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة
التوبة مع ابي خزيمة الانصاري لم اجدها مع احد غيره لقد جاءكم
رسول من انفسكم حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند ابي بكر حتى
توفاه الله ثم عند عمر طول حياته ثم عند حفصة بنت عمر رواه البخاري
كما في مشكاة المصابيح في آخر كتاب فضائل القرآن

وذكر هذه الرواية ما عدا الجملة الاخيرة جلال الدين السيوطي
(انظر تاريخ الخلفاء طبعة لاهور سنة ١٣٠٤ للهجرة صحيفة ٥٣)

ومن المحتمل انه لم تكن وقتئذ نسخة كاملة للقرآن سوى تلك التي
جمعها زيد واعتمدت كافة المسلمين في قرآنهم على حفظه في الصدور
وتلاوته بالشفاه الا بعض اجزاء منه قد كتبت حسبما تلاها الحفظة في
سبع قرات. ولما اصبحت القرآن في خطر الضياع والفساد والسرمان
الاختلال في جميع متونه انذر حذيفة ابن اليمان عثمان بن عفان بسوء
العاقبة وذلك عندما كان منهمكاً في افتتاح بلاد الارمن واذر ييجان
وروى ذلك البخاري بما معناه يا امير المؤمنين تدارك المسلمين قبل ان
يقع الاختلاف بينهم في القرآن كما اختلف من قبلهم اليهود والنصارى
فارسل عثمان الى حفصة يقول لها ابعتي الينا بالصحف لننسخها في
المصاحف ثم زدها اليك فبعثتها اليه وعند ذلك انتدب الخليفة زيد ابن

ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الله بن الحارث بن هشام فنسخوها وقال للثلاثة القرشيين ان اختلفتم مع زيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلغة قریش لانه نزل بلسانهم ففعلوا ذلك حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وارسل الى كل اقليم نسخة واصدر امراً ان كل قرآن خالف هذه النسخة يحرق . قال شهاب اخبرني خارجة بن زيد بن ثابت انه سمع زيد بن ثابت يقول لما نسخنا القرآن فقدت آية من سورة الاحزاب كنت اسمعها من رسول الله صلعم وبعد التحري عنها وجدناها عند خزيمة ابن ثابت الانصاري : «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه» فالحقناها بموضعها ومن ذلك يتضح وجود تنقيح في النسخ التي اصدرها عثمان لما رأيت من الخلاف بينها وبين الصحف الاصلية التي كانت عند حفصة وعدا ذلك فان صدور امر الخليفة بحرق النسخ القديمة المخالفة لما استنسخه هو دليل آخر على وقوع الاختلاف في نسخ القرآن ومما يزيد ذلك الدليل وضوحاً ان نسخة حفصة نفسها امر بحرقها مروان عندما كان حاكماً على المدينة لما تحققه من خلاف بينها وبين ما استنسخه عنها عثمان وبالرغم عن هذه الوسائط المتناهية في الشدة التي اتخذها حكام المسلمين الأول لتوحيد نسخة القرآن لم يزل

فيه بعض الاختلافات التي يعبرون عنها بالقراآت كما نعلم مما نقله الينا
 الأئمة والمفسرون الراسخون في العلم ومنهم البيضاوي وانظر مثلاً
 تفسيره لسورة آل عمران آية ١٠٠ وسورة الانعام ٩١ وسورة مريم
 ٣٥ وسورة القصص ٤٨ وسورة الاحزاب ٦ وسورة سبأ ١٨ وسورة
 ص ٢٢ الخ

الا انه من الوجه الآخر نقول ان السبب الرئيسي الذي نستنتج
 منه بقاء القرآن على ما كان عليه تقريباً بعد وفاة محمد هو انه تضمن
 اقوالاً كشفت الستار عن حياته الادبية مثل سورة الاحزاب ٣٧
 و٣٨ و٤٩ و٥٢) لانه من المحال ان يحتريء مسلم على ان يلصق بنبيه
 تلك الوصمة المشار اليها في هذه المواضع ما لم يكن اعترف بها هو
 نفسه وامر ان تدرج طي في كتابه الذي نزل عليه من السماء (على زعمه)
 ويحبذا لو اعترف بانها خطيئة اعترافاً صريحاً واستغفر ربه لكنه ادعى
 انه فعل ما فعله بموجب تنزيل العزيز الحكيم «لكيلا يكون على
 المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان امر الله
 مفعولاً» لهذا لم ينجل اتباعه ان يذكروا له تلك الحادثة في مادونه
 من تاريخه وبالرغم عن الاعتذارات الكثيرة التي شفعوها بها لم يتبرر
 امام الناقدن المحققين فاجتنبوه واجتنبوا دينه

وليس بين علماء المسلمين اليوم من يستطيع أن يبرر القرآن
ومجدها من تلك القصة ومهما قالوا مدافعين لا يقدر أن يسكتوا
لسان الضمير الحي عن التصريح بالحق أن لم يصرح الفم قالوا أن
القرآن لمعجزة بل الآية الواحدة منه معجزة دالة على رسالة محمد
الالهية وأنه لا الملائكة ولا الانس ولا الجن يقدر أن يأتيوا بسورة
منه ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وان كل كلمة منه خطت بالقلم في
اللوحة المحفوظ بجانب عرش الله قبل أن يبرأ البرايا بعصور كثيرة مع
العلم بأن القصة المشار إليها كانت من ضمنه ثم ان جبريل نزل به من
عند العرش الى سماء الدنيا في ليلة القدر وبعد ذلك بلغه الى محمد شيئا
فشيئا حسب مقتضيات الاحوال قال ابن خلدون تأييدا لهذا «اعلم
ان القرآن انزل من السماء باللسان العربي على الاسلوب الذي كان
مألوفاً عند العرب للاعراب عن افكارهم وانزل عليه باللفظ حسب
مقتضيات الاحوال ببيان وحدانية الله وشرح الواجبات المفروضة
على الانسان في هذه الدنيا» وقال في غير موضع «ويدلك هذا كله
على ان القرآن من بين الكتب الالهية انما تلقاه نبينا صلوات الله
وسلامه عليه متلوا كما هو بكلماته وتراكيبه بخلاف التوراة والانجيل
وغيرهما من الكتب السماوية فان الانبياء يتلقونها في حال الوحي

معاني ويعبرون عنها بعد رجوعهم الى الحالة البشرية بكلامهم المعتاد لهم
ولذلك لم يكن فيها اعجاز» وعلى رأي هذا العالم يكون القرآن لفظاً ومعنى
من عند الله بخلاف التوراة والانجيل فان معانيهما من عند الله واما
الفاظهما فمن عند الانبياء والرسل الذين كتبوها وعليه اذ اتضح لنا
من البحث ان عبارة القرآن ليست من الاعجاز في شيء او على الاقل
لا دليل على اعجاز القرآن فلا يصح ان يرد علينا المسلم بقوله «كذلك
عبارة التوراة والانجيل خالية من الاعجاز ولا يمكن أن تدل على
كونهما صادرين من الله» لاننا لم ندع قط ان عبارة كتابنا تتضمن
شيئاً من الاعجاز ولا ادعينا انها دليل على تنزيله من عند الله بل نقول
عن كتابنا ما قاله ابن خلدون مما يدل على ان مسيحي عصره والعصر
الحاضر على رأي واحد من جهة اسفار الكتاب المقدس وهو ان
كل كاتب من كتبه استعمل عباراته الخصوصية فمنهم من كتب
شعراً فصيحاً بليغاً ومنهم من كتب ثراً بسيطاً فكانت المعاني من
عند الله والتعبير من عند ذلك النبي أو الزبوري أو البشير أو المؤرخ
كل حسب امره الرب ان يكتب

ثم انه من المحقق الآن عند العلماء ان لسان قريش الذي كتب
به القرآن انما هو لسان اهل مكة لا لسان اهل الجنة فان العربية كما

هو معلوم احدى اللغات السامية وهي كاخواتها العبرانية والارامية
والحبشية والسريانية والاشورية وغيرها من اللغات التي هي اقل
اهمية ونحن لا ننكر ان اللغة العربية احدى اللغات القديمة كما اننا
نعترف بان القرآن في بعض فصوله فصيح العبارة وبلغ الاسلوب
غير ان علماء اللغة اثبتوا اشتماله على كلمات غير عربية معدولة عن اللغات
الاجرى. منها كلمة فرعون مأخوذة من اللسان المصري القديم وكلمتا
آدم وعدن مأخوذتان من لغة قديمة تدعى اكاديان وابراهيم من لغة
الاشوريين وهاروت وماروت والصراط وهور والجن والفردوس
مأخوذة من لغة قدماء الفرس وتابوت وطاغوت وزكاة وملوكوت
من لغة السريان والحواريين من اللغة الايتوبية وحبر وسكينة
وماعون وتورا وجهنم من الفاظ اليهود والانجيل من لغة اليونان.
وعليه فكلام القرآن ليس عربياً محضاً وحينئذ لا مانع من ان تكون
هذه الكلمات الغير عربية مكتوبة في اللوح المحفوظ اسوة بكلماته
العربية مادام لها الفضل عليها في التعبير عن كثير من معاني القرآن.
مع ان هذا يفتقر الى الاثبات وكما اشتمل القرآن على كلمات غير
عربية اشتمل على تراكيب لو وردت في غيره من الكتب لعدا علماء
النحو والبيان غلطات لاحالة وهي كثيرة نكتفي ببعضها: ففي سورة

البقرة^(١) قوله أولاً « تلك عشرة كاملة » والصواب تلك عشر
وقال في سورة الاعراف وقطعنا ثم اثنتي عشرة اسباطاً فانث العدد
وجمع المعداد والصواب التذكير في الاول والافراد في الثاني وقال
في سورة النساء (آية ١٦٠) لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون
الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر والصواب والمقيمون الصلاة
وقال في سورة المائدة (آية ٧٣) ان الذين آمنوا والذين هادوا
والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا
خوف عليهم ولا هم يحزنون والصواب « والصابئين » وقال في سورة
المنافقين (آية ١٠) وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي احدكم الموت
فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين
والصواب واكون بالنصب وقال في سورة آل عمران (آية ٥٢) ان
مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون
والصواب فكان

ومما اخطأ فيه مراعاة الروي قوله « سلام على الياسين » والوجه
الياس وقوله « وطور سينين » والوجه سيناء ومن خطاه في الضمائر

قوله في سورة الحج (آية ٢) «هذان خصمان اختصموا في ربهم»
والوجه اختصما في ربهما وقوله في سورة الانبياء واسروا النجوى
الذين ظلموا والوجه واسر النجوى وقوله في سورة الحجرات وان
طائفتان من المؤمنين اقاتلوا فاصالحوا بينهما والوجه اقاتلتا او بينهم
وبخلاف ما تقدم فان الرأي العام عند العلماء الخالين من الغرض
هو ان القرآن ليس بافصح من كل الكتب العربية فبعضهم لا يفضلونه
من حيث الفصاحة والبلاغة على المعلقات السبع وعلى مقامات الحريري
وان كانوا لا يتجاسرون على التصريح بذلك في البلاد الاسلامية على
ان التاريخ ذكر ان كثيرين من علماء العرب انكروا اعجازه من حيثية
اللغة وقال السلطان اسمعيل في كلامه عن الاسلام ان عيسى ابن صابح
المكنى بابي موسى مؤسس شيعة المزدارية والمعروف بالمزدار كان يقول
ان البشر يقدرون ان يكتبوا مثل القرآن في الفصاحة والبلاغة والروي
وقال بخلقه ونشأ عن ذلك نزاع استفحل شره في حكم المأمون استمر
من سنة ١٩٨ هجرية الى سنة ٢١٨ وقال مؤلف كتاب شرح المواقف
ان المزدار كان يقول كان ممكن للعرب ان يأتوا بافصح من القرآن
بكثير وقال الشهرستاني ابطال المزدار دعوى القرآن بالاعجاز من
حيث الفصاحة والبلاغة والنظام يقول ان اعجاز القرآن ليس من حيث

جمال عباراته بل من حيث اخباره بحوادث الماضي والمستقبل التي
تضمنها وان الذي صرف العرب عن مباراته هو عدم الانصاف في
الحكم بمضاهاته وادعائه باحرازه سبق على غيره بغير حق مما ثنى
عزيمة المناظرين عن الاهتمام بدعواه ولو وجدوا حكماً يقضي بينهم
وبين صاحب القرآن لاتوا بمثله بدون نزاع

نعم ان اخواننا المسلمين يعتبرون من قال منهم بعدم اعجاز القرآن
مبتدعاً ويسوءهم إعادة هذا القول الا اننا لسنا نريد اساءتهم ولا اهانة
كتابهم بل نقصد فقط ان نبين لهم بما لدينا من الادلة ان مسألة
اعجاز القرآن لم تقع موقع القبول والتسليم حتى عند العرب انفسهم
بل كانت من بدء الاسلام الى الآن موضوع خلاف ونزاع ادى الى
التحزب والانشقاق فان كان العرب ارتابوا في اعجاز القرآن وانكروه
حالة كونهم ارباب اللغة واهلها فكيف يتعين على الاعاجم ان يسلّموا
باعجازه ويتخذونه دليلاً على نبوة صاحبه فاحكموا

ولنفرض كيفما كانت الحال ان القرآن افصح كتاب عربي على
وجه الارض هل يلزم عن ذلك انه كتب بالوحي او هبط على محمد
من سماء السموات لا يلزم ذلك ابداً لانه في كل لغة راقية كتب
عديمة المثال في لغتها في اللغة الانكليزية لا يوجد اشعار كاشعار شكسبير

وفي لغة الالمان تفردت قصيدة شيلر وغوث عن النظر في لغة
الفرس فاق حافظ الكل في نوع من القصائد وفاق مولانا الرومي
في نوع آخر وفي لغة السكريتية الهندية تجلت عن المثل قصائد ريج
فيدا ولم يدع كتبها بالاعجاز لفصاحتها وبلاغتها ولا قالوا انها وحي
هبط عليهم من السماء

وعليه ففصاحة الكتاب ليست دليلاً على كونه منزلاً من السماء
لانه على الارض فصحاء كثيرون والفصاحة من الصناعات البشرية
انما الدليل سمو تعليمه لا تنسيق الفاظه كما شرحنا في المقدمة والا
لكان الهنود محقين في دعواهم عن كتابهم مع انه قد ذكر فيه نحو
ثلاثة وثلاثين الهاً. ويكون الكتاب موحى به من الله باعتبار ما يتضمن
من التعاليم الحقّة والافكار الصالحة والمبادئ الروحانية السامية ولا
حاجة الى الالفاظ الا ما دعت اليه ضرورة البيان وتسري هذه
القاعدة على الكتب المؤلفة ايضاً فان قيمتها الحقيقية تقاس بصلاح
تعليمها وجودة مبادئها لا بزخارف الفاظها وطلاوة عباراتها. فان كان
لا يزال يدعي المسلم بان القرآن افصح كتاب في الوجود وفصاحته
معجزة تدل على ان محمداً رسول الله فنقول هذه دعوى لا يمكن
اقامة الدليل عليها الا اذا توفرت لدينا شروط هي من وراء مقدرة

البشر لانه لا يتأتى لاحد ان يحكم بأسبقية القرآن على سائر الكتب
 في كل اللغات في الفصاحة والبلاغة ما لم يطلع على كافة الكتب واللغات
 ويقارن بينها وبين القرآن وهذا ما لا سبيل اليه ولا يتعرض احد به
 مسكة من العقل لمشروع محال وعليه فليس من المعقول ان يتمسك
 المسلم باهداب هذه الحجة الواهية مؤكداً ان ديانته نور وهدى لكل
 الناس وان نبهه خاتم الانبياء وسيد المرسلين الى غير ذلك من الدعاوي
 الطويلة العريضة وليس لديه من البراهين الافصاح القرآن المزعومة
 التي لا يتهيأ لمخلوق ان يسلم بها لانها تقتضي كما قلنا فصلاً لا يستطيع
 لو يكلف الاعمى ان يميز جميع الالوان التي في قوس قزح كان ذلك
 ايسر من ان يكلف البصير بفحص جميع الكتب التي في العالم في كل
 اللغات ليعلم عن ينة اي كتاب افصح الكل وعليه فكل الدعاوي
 الاسلامية قائمة على هذا الاساس الباطل والبرهان الساقط

ومع اننا لم نستطع ان نقرأ الكتب جميعها ونعلم كل اللغات لنميز
 بينها وبين القرآن فقد قرأنا الكتاب المقدس ولله الحمد واننا نقول بملء
 فينا ان كثيراً من اسفاره في لغتها الاصلية افصح من اي قسم من
 القرآن ومن بين تلك الاسفار سفر النبي اشعيا والتثنية والمزامير وقد
 لا ينكر احد هذه الحقيقة من علماء اللغات الاخواننا المسلمون ولو

فتح الله عليهم ودرسوا اللغة العبرانية التي كتبت بها هذه الاسفار
لا تعرفوا هم ايضاً بهذه الحقيقة

ونذكر هنا طريقة سهلة مستطاعة لكل قارئ يقابل بها بين
الكتاب المقدس والقرآن اذا كان يجهل اللغات الاصلية التي كتب بها
الكتاب المقدس فليقرأ سفر النبي اشعيا او غيره من الاسفار التي
ذكرناها في اي لغة كاللغة التركية او الفارسية او الانكليزية او
الفرنساوية الى غير ذلك ثم يقرأ اي سورة من القرآن في تلك اللغة
فلا يلبث طويلاً حتى يتنازل عن دعواه وهو صاغر

ولكن لنفرض بعد هذا كله ان القرآن يرجع على سائر الكتب
في الفصاحة والبلاغة فلا يصح ان نتخذ رجحانه من هذه الحثيثة
دليلاً على كونه موحى به من الله لانه لا مناسبة بين الفصاحة والوحي
كما انه لا يستدل بجمال المرأة على فضيلتها ولا بقوة الرجل على حكمته
وانما يعلم الوحي من غيره بما اشتمل عليه من صلاح التعليم وملاءمة
مبادئه لطبيعة الله القدوسة وكفاءته لجبر نقائص البشر وشفاء
اشواقهم الروحية كما شرحنا ذلك في موضعه

قيل عن ماني الذي ادعى النبوة زاعماً انه هو الروح القدس
الذي بشر به المسيح انه يأتي بعده انه جاء بكتاب صور جميلة يدعى

ارتج وقال ان الله اعطاه هذا الكتاب ليكون معجزة وينة على انه
رسوله الامين ونبيه الصادق وحجته على صحة دعواه ان لا احدمن
البشر يقدر ان يرسم صورة مثل هذه الصور فهل لانه لا احد عمل
كتاباً مثل كتابه تقوم صحته ونؤمن به نبياً ورسولاً كلا بل غاية ما
في الامر نعرف له باتقان صناعة الرسم والتصوير وعلى هذا القياس
ان سامنا بانه لا كتاب في الدنيا يضاهي القرآن فصاحة فحسبنا ان
نعترف لصاحبه باتقان الفصاحة كما اعترفنا لما في باتقان التصوير
فالاعتماد اذاً لا على زخارف القرآن اللفظية بل على مشتملاته وهذا
ما قصدنا ان نبحت فيه في الفصول الآتية

الفصل الرابع

هل اذا فحصنا مشتملات القرآن تفيدنا انها من عند الله اوحى بها الى محمد؟
من اهم طرق الفحص التي بواسطتها نطلع على حقيقة القرآن ان
نقرأ محتوياته بتأمل وامعان نظر لان مجرد استظهاره بدون تعقل
معانيه لا يكفي ولا يغير محفوظات البيغاء الذي يكرر الفاظاً ولا
يدري ما يقول . ان الذين يؤمنون ان القرآن كلام الله وانه نور
وهدى للناس اقل ما يجب عليهم ان يتفقهوا معناه ويتقنوا على حقيقته

لا نارة قلوبهم واذهانهم واعلم ان النور لا يليق به ان يوضع من وراء
ستار من الباطل ولا تحت مكيال الخرافات والجهل بل يوضع على
منارة التعقل والتروي ليضيء من استضاء به ويهدي من اهتدى به
فقراءة القرآن بتأمل وعناية وبفهم معناه مما يجب على كل مسلم
ومهما يكن للقرآن من علو المنزلة فلا يظفر احد بطائل من ورائه ما لم
يفهم اقواله ويلزم الطاعة لاوامره ونواهيه ولكننا بعكس ذلك نحمد
جمهور المسلمين من قرأء وسامعين قد اكتفى هؤلاء بتلاوته وتجويده
بلحن مطرب واكتفى اولئك بالسمع ونشوة الطرب واغرب من
ذلك انهم يتوقعون ثواب الله من تلاوة واستماع بهذه الكيفية فتأمل .
ومن العجب العجيب ان لا يتلى الا بالعربية مهما يكن لسان الذي
يتلوه وألسنة الذين يسمعون وهذا ما لا يجوز ان يقابل به كتاب
يقولون انه منزل من عند الله فانهم بهذه المعاملة لقرآنهم يشبهون ابن
سبيل يسير في الدجى مخفياً مصباحه تحت طي ثيابه وكان ينبغي له
ان يظهره ويرفعه امام بصره ليتبين له الطريق

وحيث ان اخواننا المسلمين يدعون للقرآن دعاوي عالية
ان من اهم الامور ان لا ينبغي ان يرفض الانسان وحياً الهياً فلذلك
توغب ان المفكرين من المسيحيين يدرسون القرآن درسا دقيقاً ليتعلموا

ما يعلمهم اياه لئلا يرفضون النور والهدى والخلاص برفضهم له. واذا درس المسامون والمسيحيون الكتاب باعتناء فيكونون قادرين اكثر على معاونة احدهم الاخر لمعرفة طريق الحق والسير في الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين واعلم ان اهم ما في القرآن ما جاء فيه عن ذات الله واوصائه وتوحيده مثل كونه الاله الازلي الابدی القادر الحكيم العليم وانه هو السميع البصير المتكلم فاطر السموات والارض الرحيم العدل الكريم الصبور القدوس المحيي المميت الموصوف بجميع اوصاف الكمال المنزه عن النقائص والعيوب متعال عن الضعف والجهل والظلم والتغير

ثم انه يدعو الناس الى الايمان بتوحيده وينتهي عن الشرك وعبادة الاصنام وينذر بالنشر والثواب والعقاب على الاعمال التي يعملها العبد في هذه الحياة الدنيا ويعد الصالحين بجنت تجري من تحتها الانهار والاشرار بعذاب النار. وان من اوفى محتوياته مقالا واوسعها مجالا ما شهد به للتوراة والزبور والانجيل اي اسفار العهد القديم والجديد الذي يحجمها الكتاب المقدس كما ذكرنا ذلك في المقدمة امراً بالايمان به وبالا نبياء والرسل الذين جاءوا به والذين لم يأتوا بكتب

وعدم التفريق بينهم . ويحرم الرياء وانه يحرم بعض الاشياء ويحل البعض الآخر . وينهى عن القتل والسرقة والزنا والحنت ويأمر بانصاف اليتيم وبالاحسن الى المسكين

اما من حيث هذه التعاليم فالكل يسامون بصوابها سواء كانوا مساهمين او نصارى لانها صالحة وكل صالح مصدره الاول الله بصرف النظر عما اذا كان جاء به نبي في كتاب موحى به او ضمير او باي حالة اخرى وعليه فقبل ان تقبل دعوى محمد كنيي او رسول يجب ان نبحت اولاً في هذه النقط (١) هل كان محمد اول من علم بوحداية الله وبالخلال والحرام وبشر الخطية وثواب الآخرة وعقابها (٢) او هل تعليمه من هذه الخيثة او غيرها كان اوسع وارق مما جاء به الانبياء الاولون؟ اذ كان نتيجة وحي جديد يحتاج الحال الى ارسال رسول آخر بكتاب غير الكتب السابقة ليقرر هذه الحقائق من جديد وعلى هذا السؤال نجيب فنقول : ان جميع هذه الحقائق التي ذكرها القرآن اخيراً جاءت من قبل في الكتاب المقدس مفصلة تفصيلاً ليس وراءه من مزيد ونودي بها في انحاء كثيرة من المسكونة حتى بلاد العرب نفسها لم تعدم نصيباً من معرفة وحدانية الله وعظمة صفاته من قبل ان يخلق محمد واجداده الاولون هل من يجهل ان

وحدانية الله مثبتة في فصول العهد القديم والجديد من اولها الى آخرها الكل يعلمون ذلك ويؤكدون ان هذه العقيدة اساس الايمان عند النصراني كما هي عند اليهود وكذا العقائد الاخرى مشروحة شرحاً وافياً في الكتاب المقدس مثل كون الله هو خالق السموات والارض وعرف ذلك كل من خالط اليهود والنصارى من الشعوب الآخرين كما دلت آثارهم فانهم اكتشفوا كتابات منقوشة على صخور في بلاد الفرس لداريوس الملك يحرص قومه على الايمان بان الله هو الخالق عز وجل وذلك من قبل التاريخ المسيحي بخمسمائة سنة وقبل محمد باكثر من الف سنة

فلو كان محمد هو اول من قال بوحداية الله لوجب علينا بدون نزاع ان نؤمن به اما وقد سبقه الى ذلك كثيرون من قديم الزمان فليس له علينا حجة واقل ما نقول في هذا الصدد ان العرب من قبل مولده كانوا يؤمنون بالله واحد عظيم يدعونه «الله تعالى» ويدعون الكعبة «بيت الله» واعلم ان كلمة الله متى وردت محلاة بال التعريفية دلت على الاله الحق الواحد وقد ذكرتها العرب محلاة بال التعريفية كما مر بيانه ونعلم ذلك حتى ان اسم ابي محمد «عبد الله» الذي مات قبل ان يولد ابنه لان اسمه يتضمن اسم الله معرباً بال فثبت الايمان

بوحدايته تعالى ولا ننكر ان العرب في الجاهلية كانوا يعبدون آلهة
مع الله يعبدونها كوسطاء وشفعاء يقربونهم اليه وبهذا المعنى جعلوها
كشركاء له تعالى ومع هذا فكان لا يزال يوجد بين هؤلاء المشركين
موحدون . ولو فرضنا ان محمداً لم يسمع قط من وثني العرب عن
وحداية الله لكفاه ما سمعه من العرب المنتصرين والمتهودين ومن
النصارى واليهود النازلين في بلاد العرب في ذلك الزمن ولعلك لست
جاهلاً ان محمداً سافر الى سورية لا اقل من مرتين وخالط وعامل
اهلها وكانوا حينئذ يدينون بالنصرانية ووقع ذلك من قبل ان يدعي
الرسالة اما سفره الاول فحدث وهو ابن تسع سنوات برفقة عمه ابي
طالب واما سفره الثاني فحدث وهو ابن خمس وعشرين سنة برفقة
مملوك خديجة يدعى ميسرة ولا ينكر احد ان كثيراً من اقاربه
 واصحابه كانوا يهوداً ونصارى ناهيك عن زوجته مارية القبطية ومن
هؤلاء ورقة بن نوفل كان تابعاً لمذهب الخنفاء ثم صار مسيحياً واطلع
على التوراة والانجيل (انظر سيرة الرسول مجلد اول) ومنهم عثمان
بن حوirth الذي تنصر في بلاط القيصر بالقسطنطينية وكلا الشخصين
حسب سلسلة الانساب التي دونها ابن هشام هما ابنا عم خديجة
وكان رجل من الخنفاء يدعى عبيد الله ابن جحش قد اسلم وهاجر

الى الحبشة ولكنه لم يلبث حتى تنصر ثم توفي وتزوج محمد بارملته
المدعوة ام حبيبة. وكان من جملة صحابته سليمان الفارسي الذي يقول
عنه البعض انه من نصارى بين النهرين ولما اخذ في السبي الى بلاد
الفرس اعتنق مذهب زردشت ويقول آخرون وهو الرأي المعول
عليه انه فارسي وزردشتي مولداً ومنشأً لكنه اعتنق الدين المسيحي
فيما بعد في بلاد سورية وبعدها سافر لبلاد العرب ثم اسلم وصاحب
محمداً وهو الذي اشار عليه عند هجومه الى الطائف باقامة المتاريس
لهدم مبانيها وكذا اشار عليه بحفر الخنادق حول المدينة لحمايتها من
هجمات قريش وحلفائهم في السنة الخامسة للهجرة. ومنهم عبد الله بن
سلام وكان من قبل اتباعه لمحمد عالماً يهودياً وخبيراً من اخبار اليهود
وروى عنه العباسي^(١) والجلالان في تفسيرهما انه هو الرجل المشار
اليه بقوله «وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله» (سورة الاحقاف
آية ١٠) يريد الاتفاق بين الاسفار المقدسة وبين القرآن. وذكر
العباسي ان عبداً مسيحياً يسمى يسار او ابو فكيهة رجلاً آخر رومياً
دعته العرب ابو تقييحه اتهمهما الناس بانهما اعانا محمداً على تأليف القرآن
واملياه عليه واشار القرآن الى هذه التهمة في سورة الفرقان حيث

(١) لعل صوابه ابن عباس اه مصحيح

يقول « وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً وقالوا اساطير الاولين اكتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلاً » وقال العباسي ايضاً في تعليقه على سورة النحل (آية ١٠٣) « ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذين يلقون اليه العجبي وهذا لسان عربي مبين » ما معناه ان الرجل الاعجمي الذي زعموا انه علم محمداً القرآن رجل مسيحي يدعى قايين وذهب الجلالان ان الآية تشير الى شخصين آخرين وهما يسار وجبرا وقال بعضهم بل تشير الى سلمان الفارسي وآخرون الى صهيب وآخرون الى راهب اسمه عداس ناهيك ان زيدا الذي تبناه محمد كان سوري الجنس مولداً ومنشأاً^(١) وعليه فقد كان يدين بالمسيحية ولعل اشارة القرآن كانت اليه

فاذا اعتبرنا هذه الاخبار التي صراحتها لا تحتاج الى محاورة ولا جدال نجد انه لا يمكن بالكلية ان تنسب التعاليم التي جاءت في القرآن من حيث وحدانية الله والقيامة والثواب والعقاب الى غير ذلك مما تقدم ذكره الى محمد بدليل ورودها في الكتاب المقدس اي التوراة والانجيل من قبل محمد بقرون كثيرة وعليه نحكم انه اقتبسها من هذا

(١) كذا في الاصل لكن المصحح يظنه بعيد الاحتمال

الكتاب بمعرفة هؤلاء الصحابة والاعوان ونحن لا نذمه على اقتباسه
 هذه التعاليم من التوراة والانجيل بل بالحري نشكره غير ان وجود
 هذه الحقائق في القرآن لا يثبت اعجازه ولا هو دليل على وحيه
 وكثيراً ما قالوا ان البرهان القاطع على نبوة محمد انباؤه بامور
 كثيرة مستقبلة في القرآن وقد تمت وهذا يدل طبعاً انه من عند الله
 لانه لا يعلم الغيب الا هو ويؤيدون حججهم هذه بما ورد في سفر
 التثنية ١٨: ٢١ و ٢٢ حيث يقول « وان قلت في قلبك كيف تعرف
 الكلام الذي لم يتكلم به الرب فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث
 ولم يصرفه الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي
 فلا تخف منه » فمن الواجب علينا ان نفحص باعتناء الآيات القرآنية
 التي يزعمون انها تتضمن انباء عن حوادث كانت ستحدث في
 المستقبل عندما أملاها محمد لكتبته

لو اتفق المسلمون ان القرآن تأليف محمد وكتب بالوحي وليس
 كما يقولون انه املاه له جبرائيل لكانت حججهم اقوى
 وقد احصوا الآيات الانبائية في اثنين وعشرين خبراً وردت في
 المراضع الآتية (سورة البقرة آية ٢١ و ٢٢ و ٨٨ و ٨٩ و سورة آل
 عمران آية ١٠ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٤٤ و سورة المائدة آية ٧١ و سورة

الانفال آية ٧ وسورة التوبة آية ١٤ وسورة الحجر آية ٩ و٩٥ وسورة
النور آية ٥٤ وسورة القصص آية ٨٥ وسورة الروم آية ١-٤ وسورة
فصلت آية ٤٢ وسورة الفتح آية ١٦ و١٨-٢١ و٢٧ و٢٨ وسورة
القمر آية ٤٤ و ٤٥ وسورة الصف آية ١٣ وسورة النصر آية ٢ و١
ولا يخفى على القارئ الفطن ان هذه النبوات المزعومة تنقسم الى ثلاثة
اقسام الاول ما يشير الى انتصارات محمد والثاني ما يشير الى القرآن
نفسه والثالث وهي نبوة واحدة تشير الى الروم ولنتأمل في هذه
الاقسام بالتتابع على وجه مختصر

فنقول اما من جهة النبوات بانتصارات محمد فلا تحتاج الى بحث
كثير لانه لا يمكن اقامة الدليل على انها كتبت او نزلت كما يقولون
من قبل وقوع الحوادث التي قال المفسرون انها تشير اليها ولكن نسلم
جدلاً ان تلك النبوات كتبت قبل الوقائع الدالة عليها فلا يترتب على
ذلك شيء عظيم لانه ليس بالامر المستغرب ان يعد محمد قومه بالنصر
في مقدمة كل حرب بل هذه خطة القواد العظام يبشرون جيوشهم
بالنصر تشجيعاً لهم على خوض غمار الحرب بقلب رابط الجأش ولا بد
ان تدور الدائرة على احد القاديين المتحاربين فهل يجوز للقائد المنتصر
ان يدعي النبوة بناء على كونه سبق فوعد قومه بالنصر من قبل كل

يعلم ان القاديين جنكيزخان وتيمورلنك مثلاً بشراً عساکرها بالفتح
المبين والغنم العظيم وقد تمت بشرهما وانهمزمت الاعداء فهل كانا
لاجل هذا من انبياء الله ورسله؟ على ان انباء محمد بانتصاراته يرجى
تحقيقها عند جنوده اكثر مما يرجى تحقيق انباء القواد الآخرين عند
جنودهم لان اولئك كانوا يؤمنون بان قائدهم رسول الله المؤيد بقوة
غير المتناهية وهذا يولد في نفوسهم البسالة والاقدام بكيفية عديمة
المثال في الحروب الاعتيادية كما جرى في واقعة الوهايين وفي واقعة
المهدي وخليفته في الاقطار السودانية التي كانت لا محالة يستفحل
شرها لولا قددهمها وهي في مهدها ضربة قاضية من الجيوش المنتظمة
ذوي العدد المستكملة مما لم يلق محمد مثله في زمانه الغابر

ولزيادة الايضاح نتأمل في غزوة بدر احدى غزوات محمد لان
بعضهم يطبق عليها ماورد في سورة القمر آية ٤٤ و٤٥ حيث يقول
«ام يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر» قال
البيضاوي في تفسيره لسورة الانفال آية ٥ ما معناه ان اباسفيان مع
تسعة وثلاثين راكباً كانوا يحرسون قافلة آتية من سوريا فأعلم جبريل
محمداً بنحبرها وقلة حرسها مع وفرة ثروتها فقام محمد لساعته وحرص
رجالها بان يهجموا على تلك القافلة ويسلبوا ثروتها فلما بلغ الخبر اهل

مكة قادم ابو جهل الى بدر واذ سمع رجال محمد بذلك خشوا العاقبة
ولاموا محمداً على عدم انذارهم بذلك من قبل لياخذوا لانفسهم الالهبة
اللازمة وودوا لو يجدون في طلب القافلة فقالوا يارسول الله عليك
بالعير ودع العدو فاعتذر بان الله وعده بالغلبة على احدي الطائفتين
إما القافلة او العدو وقال البيضاوي ايضاً في تفسيره الآية ٦ من
السورة عينها ما معناه ان المسامين احجموا اولاً عن محاربة قريش في
هذه الواقعة لانهم يزيدون عنهم عدداً وسلاحاً ولم يكونوا مستعدين
للحرب حينئذ . وقال في تفسيره لسورة القمر آية ٤٤ و ٤٥ ما معناه
ان عمر لم يكن يعلم معنى هذه الآية حتى الساعة التي لبس فيها محمد
درعه وخرج للقتال في ذلك اليوم . اما كون المسامين خشوا بأس
قريش في بادئ الامر فظاهر من سورة الانفال آية ٦ «يجادلونك
في الحق بعدما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون»

وقال ابن هشام عن واقعة بدر ما معناه لما علم رسول الله بقدم
جماعة ابي سفيان من سورية حرض رجاله ليقوموا بهم وقال لهم هاكم
قافلة قريش تحمل امتعتهم فاحملوا عليهم عسى الله ان يدفعهم الى يديكم
فتحمس بعضهم واحجم البعض الآخر اذ لم يخطر في خلدكم ان
رسول الله يتقدمهم في المعركة ولما دنا ابو سفيان من الحجاز اخذ

يسأل في طريقه كل من مر به عن قوم محمد لانه اوجس خيفة على قافلته من شرهم الى ان بلغه خبرهم بالتفصيل فاستأجر ضمضم بن عمرو الفغاري واوفده الى مكة بحشد قريش ويبادر بهم اليه لحماية اموالهم من هجمة محمد فاقبل جند عديد منهم للغاية المذكورة. وورد في كتاب حياة القلوب معلقاً على الروايتين السابقتين ما معناه ان محمداً اظهر لقومه ان القافلة لا يمكن الحاقها اذ قد بعدت عنهم وان قريشاً قادمون نحوهم ويأمرهم الله بالجهاد في سبيله ضد هؤلاء القوم الكافرين فما بلغهم ذلك حتى هلمت قلوبهم من شدة الخوف وقال في غير موضع لما سمع قوم محمد بكثرة عدد قريش وقع الرعب في قلوبهم وصاحوا مولوين فاخذ محمد يشجعهم ويثبت فيهم روح البسالة والاقدام مكرراً عليهم سورة القمر آية ٤٤ و ٤٥؛ حيث يقول «ام يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر» وهذه على نحو ما يقول كل قائد جنوده يوم يلتئم الجمعان وتحدث نار الحرب الا ان محمداً زاد عن القواد ان عزى قوله الى مصدر سماوي ليقوي رجاءهم فاربوا بشجاعة ونالوا النصر وليس ذلك من النبوة في شيء كما رأيت

ثم نتقدم الى القسم الثاني من نبوات القرآن المزعومة وهي التي تتعلق بالقرآن نفسه ظن قوم ان بقاء القرآن سالماً من التحريف

بالزيادة والنقصان كان تميمًا لقوله في سورة الحجر ٩ «انا نحن نزلنا
 الذكر وانا له حافظون» قال صاحب كتاب اظهار الحق اي حافظون
 له من الزيادة والحذف الخ بواسطة القراء وقد تم ذلك فانه منذ تنزيله
 الى عصرنا الحاضر لم يجترى كافر من الكفرة الملحدين ولا مترف
 من القرامطة ان يمسه اقل مساس في المعنى او اللفظ او حركات
 الضبط . غير ان الذين فطنوا الى ما قدمناه في الفصل الثالث من
 الجزء الثاني من هذا المؤلف يذكرون حكاية ما فعله عثمان ثالث
 الخلفاء الراشدين بالقرآن وكيف انه احرق جميع النسخ القديمة مما
 يدل بلا نزاع على وقوع اختلاف بين نسخ القرآن لا يمكن اخفاؤه
 الا بحرق القديم منها فكيف نضرب عن ذلك صفحًا ونقول ان
 القرآن باق على ما نزل وعدا حادثة الحرق نقول ان كان القرآن باقيا
 على ما كان عليه حقيقة فاذا يكون ظنك حينئذ بالاحاديث الصحيحة
 الشاهد بوقوع التغيير في نسخه من ذلك قول محمد «رحم الله فلانا
 لقد اذكرني كذا وكذا آية كنت اسقطتهن» وروى «انسيتهن»
 ومن الآيات الساقطة التي لم يتفق له من يذكره اياها آية المتعة اسقطها
 علي وهذا ما حدا بعائشة ان تلومه وتقرعه على هذا الفعل الذميم
 فقالت انه يجلد على القرآن وينهي عنه وقد بدله وحرفه ومنها آية الرجم

وما كان يقرأه ابي بن كعب وفقد من القرآن المتداول اليوم وهو قوله «اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك وتتوكل عليك الخ» وعليه نقول ان كانت آية «انا نحن نزلنا الذكر وانا له حافظون» نبوة كما يزعمون فهي نبوة لم يتبين صدقها فاذا القسم الاول والثاني من نبوات القرآن المدعى بها مما يختص بانتصارات محمد وبقاء القرآن على اصله وصونه من التحريف لم ينطبق عليها حكم النبوات الصحيحة

بقي علينا ان نتكلم عن القسم الثالث من النبوات المحكي عنها وهي التي تشير الى انهزام الروم ثم غلبتهم وهي واقعة في اربع آيات ونقل لفظها هنا للتفكير «آلم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيفعلون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم» سورة الروم الى ٤ زعم قوم من المفسرين ان هذه الآيات نبوة صريحة بالمستقبل دالة على صحة رسالة محمد وقالوا ان الآية الاولى منها تدل على انكسار الروم في سورية امام الفرس في ملك خسرو برويز ولما بلغ خبر انتصار الفرس على الروم فرح المشركون وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون فقد ظهر اخواننا على اخوانكم فلنظهرن عليكم فعند ذلك نزلت الآية التالية «وهم من بعد غلبهم

سيغلبون في بضع سنين» وروي ان ابا بكر عقد مراهنة بينه وبين
 ابي بن خلف ان هذه الآية ستم في ظرف ثلاث سنين لكنه لما علم
 من محمد ان كلمة بضع المشار اليها في الآية هي كناية عن عدد قليل
 يتراوح بين الثلاثة والتسعة بدل الشروط المتفق عليها من حيث المدة
 وقالوا ان الروم غلبت بعد سبع سنين ورجح ابو بكر المراهنة وقبض
 قيمتها من ورثة ابي الذي كانت ادركته الوفاة وقتئذ هذا ما حكوه
 لتأييد نبوة القرآن المتعلقة بالروم وفارس والآن اسمح لي ايها القارئ
 العزيز ان نتبين صحة هذه الحكاية مع التسليم بان الآية المشار اليها
 كتبت قبل واقعة الحرب وظهور النتيجة وانها باقية على ما كانت عليه
 نعلم من التاريخ ان فارس هزمت الروم في ارض سورية في
 السنة السادسة قبل الهجرة الموافقة لسنة ٦١٥ ميلادية واذ تمت هذه
 الحادثة وغلبت الروم في ادنى الارض بلغ هذا الخبر الى مكة في ايام
 قليلة قال البيضاوي في تفسيره مامعناه ان تلك النبوة تمت يوم انتصر
 الروم على فارس وكانت ذلك في يوم الحديبية . ونعلم ان معاهدة
 الحديبية تمت في ذي القعدة من السنة السادسة بعد الهجرة الموافقة
 لشهر مارس سنة ٦٢٨ ميلادية فان صح تفسير البيضاوي كانت غلبة
 الروم في السنة الثانية عشرة بعد انهزامهم خلافا لما جاء في القرآن من

ان بين الحادثتين بضع سنين والبضع لا يزيد عن تسع وعليه فلم تتم النبوة على انه ليس من النوادر البالغة حد الإعجاز ان يخبر احداً بآية الدولتين تحرز الغلبة فان هذا يمكن معرفته بدون تكليف جبريل بان يأتي بوحي من السماء بل يعرف ذلك بمضاهاة الدولة الواحدة بالآخرى فمن كانت اكثر رجالاً واوفى عدة واعلاهمة فهي الغالبة لا محالة حتى وان غلبت في بادئ الامر . لهذا لنا الحق ان ندعي بان محمداً نبياً بانتصار الروم اخيراً من تلقاء نفسه بمجرد رأيه الثاقب وذكاء فكره اسوة بكثيرين من ذوي الآراء الصائبة وقيل في الامثال ظن العاقل اصح من يقين الجاهل . عدا ذلك نقول انه من المحتمل ان يكون ابو بكر راعن صاحبه على انتصار الروم من قبل ان يشاور محمداً فان صح هذا الاحتمال كان ابو بكر نبياً ايضاً كمحمد لانه تأكد ان الروم من بعد غلبهم سينغلبون في بضع سنين حتى انه عقد مراهنه على هذه النتيجة فتأمل . اما الحقيقة الناصعة فهي انه لا قول ابي بكر ولا قول محمد من النبوة في شيء بل انهما كرجلين مدرين بمرور السنين ومحنكين بمشاهدة الوقائع لاحظا ان دولة الفرس كثر فيها الاضطراب والهرج واخذ منها الضعف والاختلال كل مأخذ بدليل تولية الملوك عليها وسقوطهم في زمن قصير فانه ما بين موت

انوشروان سنة ٥٨٧ ميلادية وبين سقوط يزدجرد الثالث سنة ٦٤٢ ميلادية ملك على الفرس لا اقل من اربعة عشر ملكاً ومات اكثرهم قتلاً بعد تملكهم بزمن قصير وحدث في السنين الخمس التي ما بين ملك خسرو فرويز (سنة ٢٢٧ ميلادية) وبين تولية يزدجرد انه قد ملك نحو احد عشر ملكاً فكل من له مسكة من العقل يحكم لاول وهلة ان دولة كهذه لا تقوى على الروم فليس بعظيم على محمد ان يعرف هذه النتيجة الضرورية على ان محمداً لم يعين بالضبط عدد السنين التي تكون الغلبة من بعدها بل اتى بعدد مرن يتددوينكش فقال « بضع سنين » محتاطاً لنفسه لئلا تمسك عليه غاطلة ومع ذلك فاختطأ الحقيقة بالرغم من احتياطه ولو مددنا بضماً الى اقصى حدودها لان الروم لم يغلبوا فارس قبل مرور عشرة سنين لا تسع بعد انهزامهم على اقل تقدير

ومما يؤكد لنا ان محمداً كان عالماً بضعف الفرس من قبل ان يطالع على آية الروم بسنين كثيرة ما رواه ابن هشام في سيرة الرسول قال ما معناه عقد محمد ورؤساء قريش مؤتمراً في مكة قبل الهجرة واجتهد في ان يستميلهم الى الاقرار بالكلمة الاولى من الشهادتين واطراح الشرك واعداء اياهم بعلو المنزلة على العجم والعرب الى ان قال

«يا عم كلمة واحدة تعطونها لها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم»
ومع هذا كله فان البيضاوي كفانا مؤونة هذا البحث وارا حنا
من المناظرة فيما اذا كانت آية الروم نبوة كما زعموا ام لا وذلك لانه
يروي لنا خبر اختلاف قراءة تلك الآية اذ يقرأها بعضهم هكذا غلبت
(مبنياً للمعلوم) عوض غلبت (مبنياً للمجهول) وسيفلبون (مبنياً
للمجهول) عوض سيفلبون (مبنياً للمعلوم) فتكون جملة الآية هكذا
«غلبت الروم في اذنى الارض وعم من بعد غلبهم سيفلبون في بضع سنين»
فان صحت هذه القراءة بطالت دعوى الذين يدعون باشمال هذه الآية
على معجزة الانباء بالمستقبل وكانت حكاية المراهنة التي زعموا ان ابا
بكر عقدها مع ابي حديث خرافة لان ايما كان قد مات قبل انتصار
المسلمين على الروم بل قبل انتصار الروم على الفرس بسنين كثيرة
ومن هنا نعلم شطط الحديث ووهنه وهو عند مصادره الثقة وقال
البيضاوي في تفسيره آية الروم بحسب القراءة الثانية ما معناه ان الروم
انتصروا على ريف الشام ثم ان بقية الآية تبشر بانتصار المسلمين عليهم
في بضع سنين وبموجب هذا التفسير يلزم ان يكون الحديث الذي
اثبتوا به نزول الآية المذكورة قبل تاريخ الهجرة بست سنين غير
صحيح لانها تكون قد نزلت بعد ذلك باثنتي عشرة سنة على الاقل

والحاصل ان الاستدلال على كون محمد رسول الله بانبائه عن حادثة مستقبلية كما يزعمون استدلال باطل . اولاً لان تاريخ نزول الآيات المتضمنة الانباء بالمستقبل غير معلوم بالضبط . ثانياً لان قراءتها الصحيحة غير معلومة ايضاً . ثالثاً لا يمكن ان يتبين من معنى الآية المذكورة ان شيئاً من النبوة قد تم

مما تقدم يظهر ان ما بناه المسلمون من اثبات رسالة نبيهم على براهين النبوات المزعومة في القرآن قد سقط من اصوله لدى الامتحان الدقيق ولما كانت الاشياء تعرف باضدادها علينا ان نقارن بين نبوات القرآن المذكورة وبين نبوات الكتاب المقدس وما كان منها بخصوص المسيح في العهد القديم وما كان بخصوص اليهود في كلا العهدين او تلك النبوات التي في سفر الرؤيا مثل ص ٩ و ١٤ و ٦:

ومن البراهين التي يقدمونها على كون القرآن موحى به من الله ما يدعونه من اشتماله على اخبار الانم البائدة منذ قرون كثيرة . اما هذه الدعوى فلو صحت لكانت ذات اهمية عظيمة في اثبات ما ارادوا ان يثبتوه فعلينا ان نعرضها على بساط البحث والتنقيب كتاجر حريص ينقد الدراهم التي يتعامل بها خشية من ان تكون مزيفة فيندم حيث لا ينفع الندم اما الذهب النقي فيدفع به صاحبه الى يد

النافذ غير هياب ولا وجل لانه كيفما يمتحن يتزكى ويحمد حتى اذا طرح في نار حامية فهل ياترى تحتمل اخبار القرآن التاريخية نار الامتحان كذهب خالص او تحرق من قليل الشرر كهشيم العشب ولنبدأ بحكاية عاد وثمود قبيلتين من العرب ذكرهما القرآن فنقول اتنا نعلم بوجودهما من كانبين من قدماء اليونان وهما بطليموس وديودورس سيسلوس وزاد القرآن عما ذكراه شيئاً يسيراً في قصة تينك القبيلتين. وان كثيرين من المكتشفين المحققين الذين نبغوا في العصر الحاضر اثبتوا باكتشافاتهم ما رواه الكتاب المقدس عن قدماء المصريين وبابل واشور اما عاد وثمود فلم يثبت احد ما حكاه القرآن عنهما حتى ظن كثير من العلماء الباحثين ان محمداً نقل خبرهما من كتب الصابئين^(١) التي دعاها في قرآنه «صحف ابراهيم» (سورة الاعلى ١٩) ويظهر انه فيما بعد قد علم ان هذه الصحف زورة فلم يعد يذكرها مدة اربع سنين بعد ادعائه الرسالة اما من جهة هود وصالح وشعيب فمن المحتمل ان يكونوا مبشرين مسيحيين جاءوا بلاد العرب يكرزون لها بالانجيل ومن المحتمل ان يكونوا غير ذلك حيث انه لم يذكرهم احد من المؤرخين ولا غيرهم سوى القرآن اما تاريخ الزمن الذي وجدوا

(١) انظر ملاحظة الكندي عن عاد وثمود في رسالته من طبعة لندن

فیه ان كانوا وجدوا حقيقة فغير معلوم وقال بعض العلماء اذا كان القرآن لم یصب كبدا الحقيقة فی ما رواه عن الاشخاص المعلوم وجودهم من التاريخ قبل الاسلام بقرون فلنا حق ان نزع أيضاً بان ما رواه عن عاد وثمود وطسم وجديس وهود وصالح وشعیب الخ ليس بصحيح الا اذا كان یقام علیه الدلیل. ومن امثلة ما اخطأ القرآن في سرد اخباره ابرهیم فانه روى عنه كثيراً مما لا یوافق ما جاءت به التوراة التي يشهد لها انها نزلت من عند الله مثل حكاية طرحه في النار وخروجه منها سالماً التي انما هي خرافة يهودية اخذها عنهم بغير تثبت من اصحابها. قال صاحب مصادر الاسلام ما معناه منشأ هذه القصة اشتباه بعض المفسرين الجملة بين لفظة اور بلغة البابليين القديمة التي معناها مدينة الواردة في قوله تعالى خطاباً لابرهیم «انا الرب الذي اخرجك من اور السكلدانيين» (تك ۱۵: ۷) وبين كلمة اور التي معناها نار في اللغة السكلدانية فظن ذلك المفسر ان الرب اخرج ابرهیم من نار السكلدانيين لا من مدينتهم فاضطر حينئذ الى تمهيد الخبر بتلك القصة السخيفة ووردت كلمة اور بمعنى مدينة في قوله اورشليم اي مدينة شليم واخطأ القرآن في تسمية ابي ابرهیم «آزر» (سورة الانعام آية ۷۴) وهو تارح (تك ۱۱: ۲۶) ثم قال في سورة الاعراف ما معناه ان الله

ارسل الطوفان على المصريين في عصر موسى وذكر الطوفان محلي بال
 التعريف في هذا الموضع يحملنا على الظن بأنه عنى طوفان نوح الذي
 ذكر في السورة عينها (انظر آية ١٣٢ و ٦٣) ومن خطاه الفاضل ان
 التبت عليه مريم ابنة عمران (سورة آل عمران آية ٣٣-٤٤) واخت
 هرون (سورة مريم آية ٢٩ مع خر ٢٠: ١٥ وعد ٢٦: ٥٩) بمريم ام المسيح
 (انظر سورة التحريم آية ١٢) وبين الاولى والثانية زهاء الف واربع مائة
 سنة قال الامام مسلم في صحيحه ما معناه ان نصارى نجران انتقدوا على
 القرآن هذه الغلطة التاريخية امام المغيرة فتشاور مع محمد بهذا الصدد
 ولكنه لم يقف منه على جواب شاف ومن وقتها الى الآن تقضت
 الف وثمانمائة سنة على القرآن وهو يدرس ويشرح الا انه لم يتوفق
 لاحد من العلماء ان يركبه بازاء هذا الشطط التاريخي الصريح

وجاء في سورة الكهف ٦٤-٩٩ سيرة ذي القرنين قال البيضاوي
 وابن هشام انه اسكندر الكبير المكشوني وهذه عبارة البيضاوي حرفياً
 «ويسألونك عن ذي القرنين» (يعني اسكندر الرومي ملك فارس
 والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين او لانه طاف
 قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس
 وقيل كان له قرنان اي صغيرين وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه

لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكباش للشجاع كأنه ينطح اقرانه
واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه

ان كان اسكندر عمر جيلين كما زعم البيضاوي فما كان اقصر
اعمار اهل زمانه اذ انه توفي ابن ثلاث وثلاثين سنة على اثر ارتكابه
فسقاً بسكر في مدينة بابل سنة ٣٢٣ ميلادية ولم يكن نبياً كما زعم
القرآن ولا مؤمناً من عامة المؤمنين انما كان من عباد الاصنام وادعى
انه ابن اله المصريين اموت واما حكاية انه بلغ مغرب الشمس
ووجدتها تغرب في عين حمئة او حامية حسب قراءة بعضهم فمن
مختلف الحديث (سورة الكهف ٨٧) لان الشمس لا تدور حول
الارض بل الارض تدور حولها كما هو معلوم وكذلك لا صحة لما
رواه القرآن عن السد الذي بناه من زبر الحديد والقطار (النحاس)
بين جبلين مأهول احدهما بامة صالحة والاخر بامة متوحشة (سورة
الكهف ٩٥) ومع ذلك فيجزم البيضاوي مع رفقائه المفسرين ان ذا
القرنين ما هو الا اسكندر المكدوني المعروف ولعل الذي جعلهم على
ذلك التأكيده ما ورد في نبوة دانيال ٨: ٣ و٤ من سيرة الكباش ذي
القرنين الذي كان ينطح غرباً وشمالاً وجنوباً ولم يقف امامه احد فظنوا
انه رمز الى اسكندر وسموه ذا القرنين والحقيقة بخلاف ذلك لان

الاصحاح نفسه يبين ان ذلك الكبش يرمز به لا الى اسكندر بل الى
 اتحاد بمالكتي مادي وفارس وعلى ذلك قوله «اما الكبش الذي رأيت»
 ذا القرنين فهو ملوك مادي وفارس» (٢٠: ٨١د) واما اسكندر فرمز
 اليه في الاصحاح عينه بتيس ذي قرن واحد بين عينيه وصرح بانه غلب
 الكبش اي مملكة مادي وفارس وعلى ذلك قوله «رأيت الكبش
 ينطاح غرباً وشمالاً وجنوباً فلم يقف حيوان قدامه ولا منقذ من يده
 وفعل كمرضاته وعظم وينما كنت متأملاً اذا بتيس من المعز جاء من
 المغرب على وجه كل الارض ولم يمس الارض وللتيس قرن معتبر بين
 عينيه وجاء الى الكبش صاحب القرنين الذي رأيت واقفاً عند النهر
 وركض اليه بشدة قوته ورأته قد وصل الى جانب الكبش فاستشاط
 عليه وضرب الكبش وكسر قرنيه الخ» وقوله «والتيس الثاني ملك
 اليونان والقرن العظيم الذي بين عينيه هو الملك الاول» (٨١د: ٤ و ٥
 و ٢١) ومما مهد الاسباب لعلماء المسلمين ان يعتبروا ذلك الكبش رمزاً
 الى اسكندر هو ان كلمة الكبش تطلق في العربية على «سيد القوم»
 والحاصل ان كل ما قاله القرآن عن ذي القرنين الذي يعني به اسكندر
 للمكدوني لا اثر له في تاريخ ذلك الملك العظيم الذي دونه كثير من

مشاهير المؤرخين وهذا ما حدا بالعلماء ان لا يثقوا بالاخبار التاريخية
المنقولة عن القرآن

ومن خطاه في التاريخ انه اخبر بان المرأة التي تبنت موسى هي
امراة فرعون (سورة القصص آية ٩) بينما موسى نفسه وهو اعلم بمن
ربته من محمد قال انها ابنة فرعون لا امرأته (انظر خر ٢: ٥-١٠)
وجاء ذكر هامان مقترناً بفرعون في مواضع جمّة من القرآن كخادمه
ووزيره والحقيقة لم يكن لاحدهما اقل علاقة بالآخر فانتنا نعلم من
سفر استير ان هامان كان حبيباً وخليلاً لـ حشويرش ملك فارس
الذي يدعوهُ اليونان زركيس وعاش في بلاد فارس لا في مصر بعد
فرعون موسى بمئات من السنين . ومن غلطاته انه قال ان فرعون
امر هامان ان يبني له صرحاً يمس السموات كما في سورة غافر وهذا
خطأ وصوابه ان هذا البرج او الصرح لم يبن في مصر بل في بابل
من قبل فرعون بقرون كثيرة (انظر تك ١١: ٩-١٠)

وجاء في سورة (طه آية ٧٨ و ٩٦) ان العجل الذي عبده بنو
اسرائيل في البرية في وقت موسى قد عمله لهم السامري وهذا خطأ
فاضح لان مدينة السامرة المنسوب اليها هذا الرجل لم تكن بعد في
الوجود وقد بنيت بعد موسى بمئات من السنين (انظر مل ١٦: ٢٤)

ولعله التبس على كاتب هذه السورة العجل الذي عبده بنو اسرائيل في البرية بالعجلين الاخرين اللذين عبدهما بعد زمن داود وسليمان (١ مل ١٢: ٢٨) حتى ان هذين العجلين كانا قبل ان تبني مدينة السامرة ولما بنيت السامرة كانت عاصمة لمملكة السامرة وهذه الحقيقة هي التي بنيت عليها هذه القصة

وجاء في سورة البقرة (آية ٢٥٠-٢٥٢) حكاية داود مع جليات الجبار مشوشة بحكاية فرقة جدعون التي امتحنها بالشرب من النهر عندما حارب المديانيين وبين الحكايتين زمن مديد وفي سورة الكهف (آية ٨-٢٦) وردت قصة اهل الكهف وهي حكاية مكذوبة صنفها اصحاب البدع من طوائف النصارى وخلاصتها ان سبعة شبان مسيحيين هربوا من اضطهاد احد قيصرة الروم المدعو دقيانوس واختبأوا في مغارة فرقدوا نحو ٣٠٠ سنة ولما استيقظوا وجدوا كل شيء قد تغير وكان الامبراطور حينئذ ثيودوسيوس وهو رجل مسيحي فاندھشوا غاية الاندهاش اذ بين ليلة وضحاها انقلبت الاحوال رأساً على عقب وقد وردت هذه القصة في كتاب لا تبني اسمه مجد الشهداء تأليف غريغوريوس كما اثبت ذلك صاحب كتاب مصادر الاسلام وظن بعضهم ان كاتب هذه القصة لم يكتبها كواقعة حال بل تخيلها كرواية

ليعض بها قومه ويريههم قدرة الله على كل شيء واما اليوم فلا يصدقها
 احد من النصارى وتستعمل في اوربا لتسليمة الاولاد الصغار
 واطن لا حاجة بنا الى المزيد من سرد الغلطات التاريخية
 الواردة في القرآن اكتفاء بما سردناه ولعل في هذا القدر كفاية
 اصرف اخواننا المسلمين عن الاحتجاج بمضامين القرآن التاريخية
 على صحة نسبته الى الله وعلى صدق رسالة محمد

وزعم بعضهم ان من البراهين الداله على كون القرآن كتاب الله
 خلوه كما يترأى لهم من التناقض الاختلاف كأنهم يقولون ان كتاباً
 كبير الحجم كهذا ان لم يكن من عند الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً
 وهذه ايضاً دعوى باطلة لاننا نرى فيه اختلافاً كثيراً بعضه قليل
 الاهمية وبعضه جوهرى فالاول كالاختلاف الواقع بين عددي ١٣
 و ١٤ وبين عددي ٣٩ و ٤٠ من سورة الواقعة وما قاله البيضاوي
 ونقله الزمخشري من الحديث لتسوية الاختلاف المذكور لم يكن
 قولاً سديداً ولكننا نسلم ان هذا شيء زهيد بجانب ما سنذكره
 لك من المسائل الخطيرة

جاء في (سورة النساء آية ٤٧) ان الله لا يغفر خطية الشرك
 ويغفر ما دون ذلك والشرك هو اتخاذ آلهة مع الله او دونه الا انه

ورد في (سورة الانعام آية ٧٦-٧٨) ان ابراهيم اتخذ الشمس والقمر
والنجوم آلهة دون الله وهذا شرك بين في حين ان اخواننا المسلمين
يعتبرونه نبيا عظيما من اولي العزم ويعتبرون ان جماعة الانبياء معصومون
ويحرم القرآن النفاق في جملة مواضع منها سورة (البقرة آية ٧٦
والنساء آية ١٣٨ والتوبة آية ٦٥-٦٩ والمجادلة آية ١٤) ويجعل مثوالم
في الدرك الاسفل من النار (سورة النساء آية ١٤٤) ومما لا ينكره
احد من ذوي العقول السليمة انه اذا اسلم احد مكرها بقوة السيف
لا يكون اسلامه من قلبه بل من شفتيه ومتى خالف ظاهر الانسان
باطنه كان منافقا ولا يخفى ما فرضه القرآن على المسلمين من نشر دينهم
بقوة السيف الى ان يدين بالاسلام كل العالم ولا تكون في الارض
فتنة ويكون الدين كله لله في مثل هذه الظروف يتخير الرجل للمز
بالاسلام كرها خصلة من خصلتين اما الموت الزؤام او كلمة يقولها وينجو
بحياته فيقولها نفاقا ورياء وهذا من ارجاء انواع الاختلاف يحرم الشيء
لقبحه فاذا كان فيه مغنم حلله وحض عليه نعم قد اضاف القرآن خصلة
ثالثة لاهل الكتاب وهي دفع الجزية وهم صاغرون ان لم يرغبوا في
الاسلام ولا في القتال (سورة التوبة آية ٣٠ وسورة المائدة آية ٤٤
وسورة الصف آية ١١ وسورة الحج آية ٧٨) الا ان دفع الجزية ضرب

من الأكراه وقد اسلم من اهل الكتاب خلق كثير تخلصاً من الجزية
وما بلغت اليه من المغارم الفادحة في عهد الحكم الظالمين رافعين
شكواهم الى رب العالمين

يحرم القرآن الى حد معلوم خطيئة الهوى وعلى ذلك قوله «واما
من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى»
(سورة النازعات ٤٠ و ٤١) فنقض ذلك باباحة تعدد الزوجات بالاضافة
الى ما كان مملوكاً من السراري (سورة النساء ٢٣) وابعاح لمحمد من
هذه الحيثية اكثر من سائر المسلمين بل اباح له ما هو محظور عليهم
فن ذلك قوله «واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه أمسك
عليك زوجك واتق الله وتخني في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس
والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجنا بها لكيلا يكون
على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان
امر الله مفعولاً» وقوله «ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له
سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدراً مقدوراً» وقوله
«يا ايها النبي انا احللت لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن وما
ملكك يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك
وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامراًة

مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة
 لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما
 ملكت أيماهم لكي لا يكون عليك حرج وكان الله غفوراً رحيماً
 ترجي من تشاء منهم وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت
 فلا جناح عليك ذلك ادنى ان تقر أعينهن ولا يحزن الخ (سورة
 الاحزاب ٣٧ و ٣٨ و ٤٩ و ٥١) ونعلم من الحديث الصحيح ان محمداً
 منح له ان يتمتع بالنساء اكثر من سائر المسلمين لرجحانه عليهم في
 الهوى والصبابة اليهن وزد على ذلك ان الجنة التي وعد بها في دار البقاء
 والخلود هي تلذذ غير محدود بحور عينية حتى وان كان احد غير
 مستعبد للهوى فما دام مسامحاً لا مناص له من هذه الجنة (سورة الرحمن
 ٤٦-٧٨ وسورة الواقعة ١١-٣٩) وانظر كتاب مشكاة المصابيح في
 صفة الجنة فالقرآن من هذه الحثيثة اردأ من ان يخالف بعضه بعضاً
 على انه من الاختلاف ايضاً غير معصوم فكيف يكون هوى
 النفس محرماً في الدنيا وهو في الجنة مباح ؟!

والخمر محرم على المسلم هنا على الارض كما جاء في سورة المائدة
 (آية ٩٣) «يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام
 رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون» قابل ايضاً سورة

البقرة (آية ٢١٦) ولكن في الجنة للمؤمنين انهار من خمر كما ورد في سورة محمد (آية ١٦) «مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين» (وقابل سورة الدهر آية ٥ وسورة التطهيف آية ٢٥)

واقوال القرآن عن المسيح يسوع لا تخلو من التناقض. فبعض الآيات تتكلم عنه كمجرد انسان ونبي كسائر الانبياء وتنكر لاهوته بتاتا كما ورد في سورة المائدة (آية ١٩) «لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم. قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا» وراجع (آية ١١٣ و ١١٤) من سورة وكذلك آل عمران (آية ٤٩) وقيل ايضا في سورة الزخرف (آية ٥٩) «ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلاً لابي اسرائيل» ثم توجد بعض الآيات الاخرى التي تعطي له اعظم الالقاب التي لم تعط فيه لغيره البتة منها «كلمة الله» (سورة النساء آية ١٦٩) وهذا اللقب لا يصح ان يسمى به اي مخلوق كان. ويذكر له وحده معجزة الولادة من العذراء (سورة الانبياء آية ٩١) وانه «وجه في الدنيا والاخرة» (سورة آل عمران آية ٤٠) ويقول البيضاوي «الوجه في الدنيا النبوة وفي الاخرة الشفاعة». وفي سورة المائدة

قيل «واني اعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» وجاء في الحديث
 تفسيراً لهذه الآية كما أخرجه مسلم والبخاري والغزالي وغيرهم «كل
 ابن آدم عند ولادته ينخسه الشيطان باصبعيه في جنبه الا عيسى بن
 مريم ذهب ليطعن فطعن في الحجاب» (راجع مشكاة المصابيح الكتاب
 الاول الباب الثالث) ويشهد القرآن لمعجزات المسيح (سورة البقرة
 آية ٢٥٤) وانه خلق طيراً من الطين مع ان قوة اخلق هي من صفات
 الله وحده وهو الفريد من بين الانبياء اولي العزم الذي لا يذكر له
 القرآن خطية. ولا نجد فيه عن اي نبي آخر ان ولادته كانت بقوة
 الروح القدس «والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها
 وابنها آية للعالمين» (سورة الانبياء آية ٩١) وانه آية للعالمين (كما مر)
 وانه «روح من الله» (سورة النساء آية ١٦٩) وكل الانبياء اموات ما
 عدا يسوع كما يقول القرآن ان الله رفعه اليه (النساء آية ١٦٩) وهو حي
 في السماء. ويوافق المسلمون المسيحيين في الاعتقاد ان المسيح سيرجع
 في انتهاء العالم. لم يكن يلزم للمسيح ان يشرح صدره ويوضع عنه وزره
 كما قيل عن محمد في سورة الشرح والقول بمغفرة خطايه يناقض ما
 جاء في سورة (محمد آية ١٩) «واستغفر لذنبك وللمؤمنين وللمؤمنات»
 ولا تصل عليه امته ولا تسلم كما امر محمد (مشكاة المصابيح وجه ٨٦)

ومن المعلوم ان لا نبي يحتاج لشفاة امته وصلواتها الا هو
 ففي كل هذه النقط يتفق المسلمون مع المسيحيين على الفرق
 الموجود بين المسيح واي نبي او انسان آخر. والقرآن لا يعطي مجداً
 المقام الذي يعطيه يسوع ولا شك ان غرض القرآن هو استبدال
 المسيح بمحمد كرأس الجنس البشري . وهذا الامر عجيب جداً
 ومتناقض حيث ان القرآن لا يسند لمحمد ولادة بمعجزة ولا يقول
 بعصمته ولا ينسب له القدرة على المعجزات ولا حتى صفات حميدة
 شريفة كما سنظهره في آخر هذا الفصل وما يليه

ومن اهم تعاليم القرآن ان القدر هو سبب سعادة او شقاء
 الانسان في الآخرة . كما جاء في سورة الاسراء آية ١٣ و١٤ « وكل
 انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً .
 اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً » وفي سورة ابراهيم
 آية ٤ « فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء » وورد نفس القول في
 سورة المدثر آية ٣٤ ثم معناه في سورة البقرة آية ٦٥ والنساء آية ٩
 والانعام ١٢٥ والاعراف ١٧٧ و١٧٨ الخ ثم نجد في سورة الاعراف
 آية ١٧٨ « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس » وفي سورة
 هود آية ١٢٠ « ولأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين » (راجع

سورة السجدة آية ١٣) وان ذلك كان غرض الله تعالى من الخلق مع
انه في اما كن اخرى نجد ان الناس سيجزون حسناً في العالم الآتي
اذا كانوا مسلمين ويعاقبون اذا لم يكونوا كذلك. فاذا كان كل عمل قد
قدر على الانسان من قبل والانسان ليس له حرية ارادة فينتج ان
الانسان لا يكون له استحقاق او عدم استحقاق ولا يكون صالحاً
او طالحاً وليس له ثواب او عقاب فان الثواب والعقاب عبارة
عن جزاء خير او شر . ولا تكون للاوامر والنواهي الالهية
فائدة حيث انه لا توجد في الانسان مقدرة على الطاعة او عداها
لان القدر سجل كل شيء من ذي قبل. ولكن القرآن يحتوي على
اوامر ونواهي ويصرح انها انزلت من العليم في بعض الاماكن
يخبر القرآن محمداً ان مساعيه لا هداء الناس عبث لان الله نفسه جعل
من المستحيل عليهم الايمان كما ورد مثلاً في (سورة البقرة آية ٦٥)
«ان الذين كفروا سواء عليهم اأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون. ختم
الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم»
ثم نراه مأموراً ان يسعى في هدايتهم لا بالعنف بل باللطف كما جاء
في سورة البقرة آية ٢٥٧ «لا اكره في الدين» وفي سورة النور آية
٥٤ «قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل

وعليكم ما حاتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين»
وفي سورة الغاشية آية ٢١ و ٢٢ «فذكر انما انت مذكر لست عليهم
بمسيطر»

ولكن في مكان آخر نجد تعليمًا مناقضًا تمامًا لهذا التعليم فكل واحد
يعرف ان المسمى «نبي السيف» ادعى ان الله امره ان ينشر الاسلام
بالقوة كما ورد في سورة البقرة آية ٨٦ - ٨٩ و ١١٢ و سورة النساء ٧٦
و ٩١ و سورة الانفال آية ٤ و سورة الفتح آية ١٦ و سورة التحريم
آية ٩ فنجد من المناقضات شيئًا كثيرًا. ولا فائدة من القول ان
الآيات المتأخرة نسخت الآيات الاولى كما ورد في سورة البقرة آية
١٠٠ «ما ننسخ من آية او ننسخها نأت بخير منها او مثلها» وايضا سورة
النحل آية ١٠١ واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت
مفتري بل اكثرهم لا يعلمون» ان هذه انما اتى بها لكي تبعد عن الازهان
تناقض القرآن لذاته. ولنا مثال حسن عن ذلك اذا قابلنا البقرة آية ٦٢
مع سورة آل عمران آية ٨٥ ففي الاولى نرى ان المسلمين واليهود
والمسيحيين والصابئين خالصون في قوله «ان الذين آمنوا والذين
هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا
فاهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» وفي الثانية

نرى ان المسلمين وحدهم لهم الخلاص اذ قال «ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» ومن السهل علينا ان نظهر مناقضات اخرى في القرآن حيث ان علماء المسلمين انفسهم يصرحون ان في القرآن لا اقل من مائتين وخمسة وعشرين آية منسوخة . وكثير من هذه الآيات المنسوخة هي خاصة بالعدل والمباحات الدينية ونرى الله الغير المتغير يأمر بعد ذلك المسلمين بالجهاد والحرب واضطهاد الناس رغماً عن ارادتهم (البقرة ٢١٧ و ٢١٨ وسورة التوبة ٢٩ و ٦)

ويوجد نوع مهم آخر من التناقض في القرآن يجب على المسلمين ملاحظته وهو يختص بما في القرآن عن التوراة والانجيل . فقد رأينا آنفاً ان القرآن يصرح انه «انزل» مصداقاً لسائر الكتب وليحفظها من التغير والتبديل ولكنه في امور كثيرة يناقضهما معاً . ومن هذه المناقضات التامة تعاليم جوهرية في الانجيل مثلاً موت المسيح على الصليب اتماماً للنبوات وكفارته عن خطايا العالم كله ولا هوته وقيامته وانه وحده القادر على تخليص انفس العالم . وواضح انه لا يمكن للغير المتغير ان ينزل وحياً يخالف قصده الازلي وطريقه المعين للخلاص ومواعيده وشريعته الادبية وتعاليمه الالهية . وعدا ذلك فان دعوى

القرآن انه وحي جديد ودعوى محمد انه نبي برسالة جديدة تخالفان
 تعاليم العهد الجديد كما يتضح ذلك من قول الرب يسوع المسيح
 «السماء والارض تزولان ولكن كلامي لا يزول» (متى ٢٤: ٣٥) وقابل
 (مرقس ٣١: ٨ ولوقا ٣٣: ٢١ ويوحنا ١٢: ٤٨) ويقول بواس الرسول
 ولكن ان بشرناكم نحن او ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن
 اناثيا. كما سبقنا فقلنا اقول الآن ايضا ان كان احد يبشركم بغير ما
 قبلتم فليكن اناثيا (غلاطية ١: ٨ و ٩) اذا فلا محل لاي وحي جديد
ينزله جبرائيل او غيره سواء كان انسانا او ملاكا. ففي هذا الامر
 يناقض القرآن نفسه فهو اولا يشهد بصحة الكتاب وبتصديقه له
 ثم يعلم تعاليم تخالف تعاليمه الجوهرية

وفي امور ثانوية اخرى كثيرة يناقض القرآن ايضا نفسه
 باختلافه عن الكتاب المقدس الذي جاء مصدقا له. ففي سورة مريم
 آية ٢٣ يقول ان المسيح ولد تحت نخلة مع ان الكتاب المقدس يقول
 انه ولد في خان ووضع في مذود (لوقا ص ٢) ويقول القرآن انه تكلم
 وهو في المهد سورة آل عمران آية ٤١ وسورة المائدة آية ١٠٩ وسورة
 مريم آية ٣١) وانه لما كان صبيا خلق من الطين طيرا (سورة آل عمران
 آية ٤٣) وسورة المائدة آية ١١٠) لا ننكر ان هذه معجزات ولكن
 (٢٦)

الانجيل يصرح ان اول معجزة صنعها كانت في بدء خدمته الجهارية
 في الثلاثين من عمره (لوقا ٣: ٢٣ ويوحنا ٢: ١١) وكذلك في الواجبات
 الادبية يخالف القرآن الانجيل فان المسيح علم ان يحب الناس اعداءهم
 ومحمد علمهم أن يجاهدوا في سبيل الله. قال المسيح في القيامة لا
 زوجون ولا يتزوجون (متى ٢٢: ٣٠ ومرقس ١٢: ٢٥ ولوقا ٢٠: ٣٥)
 غير ان القرآن يعلم انه سيكون في الجنة للمسلمين ما لا يحد من
 الملاهي والذات الشهوانية

ومن المحال رفض هذه الحجج بدعوى ان الكتب المقدسة التي
 يأيدي اليهود والنصارى محرقة اذ قد فندنا هذا الزعم تماما في اول هذا
 الكتاب. كان الامر سهلاً لو كانت هذه الدعوى من كتاب لا يزعم
 انه منزل من الله كما يقول القرآن . وكل واحد يصادق على ان كل
 مؤلف الكتاب متأخر يمكن ان ينخدع سيما متى كان ملقنوه جهلة
 اعتمدوا على خرافات شائعة وليس على الكتاب المتقدم نفسه .
 ولكننا لانرغب ان نستنتج مثل هذا الاستنتاج عن القرآن نفسه بل
 تفضل ان تترك الامر لآخواننا المسلمين ليحكموا لانفسهم. ولا شك
 ان القارئ العزيز قد رأى ان القرآن ليس فيه حجة وافية على وحيه
 اذا كان القرآن من الله تعالى فلا بد ان تعاليمه تكون في كل

شيء أرق وأشرف وأرفع عن ما جاء في الإنجيل . كما ان الإنجيل في
 أمور خاصة أرفع وأرق من التوراة ولكن ليس الحال كذلك لان
الإنجيل لا يعد المؤمنين في الدار الأخرى بأكل وشرب وأمور عالمية
بل بأفراح روحية كسلام القلب والطهارة ومحبة الله وخدمته . فالإنجيل
 يعلمنا ان المؤمنين الحقيقيين بالمسيح الذين يثبتون في محبتهم وطاعتهم
 الله ويكونون أمناء حتى الموت فهو لاء يدخلون الى المنازل المقدسة
 التي اعد لها لهم يسوع المسيح ويسكنون دائماً ابداً في الحضرة الالهية
 «وعبيده يخدمونه وهم سينظرون وجهه واسمه على جباههم» (رؤيا
 يوحنا ٢٢: ٤٥) وينهى الإنجيل عن استعمال القوة في الأمور الدينية
 ويترك للانسان حرية تامة لقبول او رفض الحق . اذا اراد احد ان
يؤمن بالمسيح فالروح القدس يساعده ويمكنه من قبول ولادة روحية
جديدة ويهبه الهدى والخلاص . والذين يرفضون المسيح ليسوا
 بملزمين بالايمان به ولكنهم يحكمون على انفسهم بالدينونة (يوحنا ٣ :
 ١٨ - ٢١) وعلاوة على ذلك فالإنجيل خلافاً للقرآن يمنح راحة القلب
 والثقة بنوال السلام مع الله الذين يأتون اليه بواسطة يسوع المسيح .
 وكل مسيحي حقيقي يعرف ذلك من اختباره ولكن بحسب القرآن
 يبقى الانسان طول حياته بين الشك واليقين فيما اذا كان من السيئ

لحظ الذين حكم الله عليهم بالهلاك وخلقهم للهلاك

البشارة (الانجيل) معناها اخبار مفرحة وهذا هو القصد منها اذ
يعان ان الله لم يخلق نفساً للهلاك بل بالعكس «يريد ان جميع الناس
يخلصون والى معرفة الحق يقبلون» (١ تيموثاوس ٢: ٤) ولكي ينال الناس
هذه النعمة ارسل ابنه الوحيد الى العالم كي لا يهلك كل من يؤمن به
بل تكون له الحياة الابدية (انظر يوحنا ٣: ١٦) فالانجيل يعلم بوضوح
ان لا يهلك احد الا الذين يرفضون محبة الله ورحمته المقدمة في شخص
يسوع ولا يؤمنون به ولا يعترفون بدعواه ولا يقبلونه مخلصهم
وشفيهم الوحيد عند الله فيفضلون الظلام على النور لان اعمالهم
شريرة ولا يقبلون محبة الحق كي ينالوا الخلاص

واذا كان القرآن هو آخر واتم وحي للانسان فلا بد ان يبين
لنا اكثر من الانجيل واحسن منه عن قداسة الله وعدله ورحمته
وعن طاعة تامة لشرائع الله ويظهر نجاسة الخطية روحياً وطريق
الخلاص والحاجة الى قداسة روحية وعن محبة الله لنا وعن ضرورة
محبتنا له وواجبنا نحو الله ونحو الانسان ولزوم طهارة القلب ويصور
لنا اللجنة صورة أشرف واطهر مما جاء بها العهد الجديد. فالذين قرأوا

القرآن والكتاب المقدس يحكمون لانفسهم اذا كان القرآن حقاً فاق
على الانجيل في ذلك

اذا فخصنا محتويات القرآن لنعرف اذا كان من اللّام لا يعترضنا
هذا السؤال كيف نعرف ماهية القرآن وحقيقته اذا لم يكن من اللّاه
فيوجد جواب تام لهذا في مصادر الاسلام. يؤكد العلماء ان كثيراً
من الحكايات القرآنية ومن الفروض والطقوس الاسلامية مأخوذة
من الاديان الاخرى والكتاب المذكور يقدم البراهين على ذلك .
فالقارىء العالم يجد فيه اجزاء من الكتب الفارسية والهندية وقدماء
المصريين وغيرهم من الامم السالفة وان مؤلف مصادر الاسلام يؤكد
ان هذه الاجزاء المدرجة بالقرآن هي في اغلب الاحيان مأخوذة منها
ويقدم البراهين ايضاً على انه توجد غير تلك اشياء اخرى كثيرة هي
خرافات كانت شائعة بين جهلاء اليهود والنصارى في وقت محمد
لا أثر لها في الكتاب المقدس

وعلاوة على كل ذلك فمن يفحص كتاب سيرة ابن هشام يرى
ان زيدا بن عمرو بن نوفل قبل محمد علم بما يأتي (١) التوحيد (٢) رفض
عبادة اللات والعزى وبقية الاصنام التي يعبدوها العرب (٣) السعادة
في الجنة (٤) تحذير الاشرار بعقاب النار (٥) اعلان غضب اللّاه على

الكافرين (٦) ذكر هذه الاسماء لله - رب والرحمن والغفور (٧) منع دفن البنات احياء . وقال ايضاً مع الحنفاء اننا نبحت عن « ملة ابراهيم » . ومحمد نفسه صرح انه يدعو الناس الى ملة « ابراهيم » والقرآن في مواضع كثيرة يدعو ابراهيم حنيفاً (سورة آل عمران آية ٨٩ وسورة النساء آية ١٢٤ وسورة الانعام ١٦٢) وفي الجزء الثالث من كتاب الاغانى وجه ١٥ ان محمداً قابل زيداً بن عمرو وتحادث معه قبل ادعائه النبوة

ومؤلف مصادر الاسلام يؤيد قوله بان قصة المعراج الواردة في سورة الاسراء وفي الاحاديث هي على نسق حكاية الشاب الزردشتي التي الوارد في كتاب فارسي يسمى «ارتاني ثيراف نامك» وفيه ان ذلك الشاب صعد الى النجوم وعند رجوعه قال ما زعم انه رآه . وان المؤرخ العربي ابا الفدا في كتابه «التواريخ القديمة من المختصر - في اخبار البشر» يذكر فروضاً ادخلت الى الاسلام وامر بها القرآن والحديث فيقول «كان العرب في الجاهلية يفعلون اموراً قد اتخذها الاسلام ودونها في شريعته» ويذكر ابو الفدا عوائد ادخلت الى الاسلام من وثني العرب في الجاهلية منها منع التزوج بالامهات والبنات والجمع بين الاختين والحج للكعبة ولبس الاحرام

والطواف والسعي ورمي الجمار كالوضوء والغسل وفرق الشعر وتقليم
 الاظفار الخ وقال ان وثنيي العرب كانوا يختنون ويقطعون يد السارق.
 لا شك ان البعض يقولون مع ابن اسحق (جزء ١٤ وجه ٢٧) ان هذه
 العوائد كانت من ايام ابراهيم . هذا صحيح عن الختان ولكن ليس
 صحيحاً عن العوائد الاخرى المشار اليها سابقاً ولا يعقل ان الله
 باعطائه وحياً جديداً لامة يأمرهم باستعمال الفرائض التي يقيمونها قبل
 وايضاً هذا لا يوافق المعتقد ان القرآن كان مكتوباً على اللوح المحفوظ
 في السماء منذ اجيال قبل ان تكون العرب

يقول المسلمون ان القرآن يعلم شيئاً كثيراً عن علم الله وعن
 الآداب وعن الحكم بالعدل وعن الحياة الآتية فلذا هو من الله .
 نقول لا شك انه كذلك ولكن هذه الحجة تكون قوية اذا كان القرآن
 يفوق الكتاب المقدس في سمو تعاليمه عن هذه الامور ولكن حيث
 قد رأينا ان صفات الله وذاته في القرآن ليست باتم منها في الانجيل
 بل والحق يقال ان قول القرآن عن عزم الله ليملا جهنم بالانس
 والجن (سورة هود آية ١٢٠ وسورة السجدة ١٣) وسماحه تعالى لمحمد
 بالتلذذ بالنساء اكثر من سائر المسلمين وامره بالجهاد لانتشار الاسلام
 وغير ذلك من امور مهمة تبرهن ان تعاليم القرآن ادنى بكثير من

شريعة موسى . فالعهد القديم لم يصرح بتعدد الزوجات عموماً (مع انه
 سمح لليهود به ضمناً وقتاً من الزمن) ؟ فوحدة الزوجة هي شريعة
الله للانسان كما هو ظاهر في (تكون ٢: ١٨-٢٤) ووضحه المسيح في
 (متى ١٩: ٣-٩ ومرقس ١٠: ٢-١٢) وشدد عليه رسله كما في
 (١ تيموثاوس ٣: ٢-١٢ و١ كورنثوس ٧: ٢) بل حرم المسيح شهوة
 العين على هذه الارض كما جاء في (متى ٥: ٢٨) ولكن القران يجعل
 المسلم يؤمل بشهوات جسدية لاحد لها في الجنة امام وجه الله سبحانه
 وتعالى وهذا التعليم لا ينتج طهارة قلبية هنا على الارض اما عن
 الحكم بالعدل فيحسن بنا ان نسأل هل وجد حاكم عادل في البلاد
 الاسلامية في اي زمن في التاريخ الماضي والحاضر ؟
 لا ننكر ان القران يخبرنا شيئاً كثيراً عن العالم الآتي
 وخصوصاً عن عذاب الجحيم وملذات النعيم وليس لنا ان نبحت في
 الاول منها هنا فقط نذكر اخواننا المسامين بشيئين عن الجحيم الاول
 في (سورة مريم آية ٧١) قوله «وان منكم الا واردها كان على ربك
 حتماً مقضياً» وقدسمى المفسرون جهنم في تأويل هذه الآية والامر
 الثاني هو الحديث القائل ان امة واحدة من الطوائف الاسلامية هي
 التي ستخلص فمن هذين الدليلين نرى اذا كنا مسلمين ان الخوف

من الموت ومن يوم الدينونة يظلم حياتنا كلها . فالمسيحي الحقيقي
ينتظر بفرح يوم القيامة والمسلم يخاف منه

ولا يجمل بنا ان نمر على امر الملمات الموعود بها المؤمن في
الجنة بدون ان تقدم بعض ملاحظتنا . فنجد لها وصفا كاملا في
(سورة البقرة آية ٢٣ وسورة النساء آية ٦٠ وسورة الرعد آية ٣٥
وسورة يس آية ٥٥-٥٨ وسورة الصافات آية ٣٩-٤٧ وسورة محمد
آية ١٦-١٧ وسورة الرحمن آية ٤٦-٧٨ وسورة الواقعة آية ١١-
٣٧ وسورة الدھر آية ١١٥-٢٢ وسورة المرسلات آية ٣١-٣٦
وسورة التطفیف ٢٢-٢٨) وحبا في الاختصار اوردنا هنا بعضها
« مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار
من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل
مصفى ولهم فيها من كل الثمرات » (سورة محمد ١٦ و١٧)

« السابقون السابقون اولئك المقربون . في جنة النعيم ثلة من
الاولين وقليل من الآخرين . على سرر موضونة . متكئين عليها
متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون . با كواب واباريق وكأس من
معين . لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون . ولحم طير
مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون .

لا يسمعون فيها لغواً ولا نائثاً. الا قيل سلاماً سلاماً واصحاب اليمين
 ما اصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء
 مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة
 انا انشاءناهن انشاء فجعلناهن ابكاراً عرباً اتراباً»

(سورة الواقعة ١٠ - ٣٩)

«وجزاعم بما صبروا الجنة وحريراً. متكئين فيها على الارائك لا
 يرون فيها شمساً ولا زمهريراً. ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها
 تذليلاً. ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قواريراً. قوارير
 من فضة قدروها تقديرأ. ويستقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً.
 عينا فيها تسمى سلسبيلاً ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم
 حسبتهم لؤلؤاً منشوراً. واذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكا كبيراً. عاليهم
 ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة وسقائم ربهم
 شراباً طهوراً (سورة الانسان)

«ولن خاف مقام ربه جنتان. فبأي آلاء ربكما تكذبان. ذواتا
 أفنان فبأي آلاء ربكما تكذبان. فيهما عينان تجريان. فبأي آلاء
 ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان. فبأي آلاء ربكما تكذبان
 متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنا الجنتين دان. فبأي آلاء

في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لو تأمن الطعام في كل
 بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن في كل غداة يعني من القوة على
 جميع ذلك» ثم قال قال (صلعم) ان الرجل من اهل الجنة لينزوج خمسمائة
 حوراء واربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب الخ الح «(الاحياء)
 وعندما تدرس كل ذلك ترى انه بحسب القرآن والحديث
 سعادة المسلم الآتية هي لبس الحرير والالتكاء على ارائك من استبرق
 والاكل من كل فاكهة زوجان وارتشاف خمر لذة للشاربين والتلذذ
 بحور العين وقاصرات الطرف . فمثل تلك الجنة مادية مملأى بكل ما
 تريده نفس الانسان الشهوانية ولا محل فيها للقديسين والطاهرين
 من الرجال والنساء. يهرب منها الطاهرون كما هربوا على الارض من
 النهم والخمور والفجور. مثل هذه الجنة لا يصح ان الله القدوس الذي
 تبغض ذاته كل خطية واثم يعدها للمؤمنين . كيف ان الروح البشرية
 التي خلقت لمعرفة وخدمة الله التي تطلب سعادة روحية في محبة خالقها
 والقرب منه تفرح وتسرب مثل هاتيك الامور الدنيوية . وحتى هنا
 على الارض يرى المتهتكون ان هذه الملذات الشهوانية تنتج شقاء
 لا سعادة. فوصف الجنة في القرآن يدل على انه لا يمكن ان يكون من
 الله . ان المفسر محيي الدين لما رأى ذلك سعى ان يؤوله الى معنى روحي

فقال تفسيراً للسورة الواقعة آية ١٨ «اكواب وآباريق — من خور الارادة والمعرفة والمحبة والعشق والذوق ومياه الحلم والعلوم الخ» ولكن معظم المسامين ان لم يكن كلهم اعتبروه هرطوقياً وقالوا بحق ان القرآن والحديث معناهما حرفي

وفي بحثنا في محتويات القرآن يجب ان لا نفعل عن الفات نظر القارئ الى انه لا يسد عوز واشتياق البشر روحياً الذي هو من اعم امور الوحي للانسان فان الله وضع في قلب الانسان ذلك الاشتياق حتى لا يجد راحة الا مع الله. يقول بعض كتبة المسامين ان القرآن يخيف الناس ويجعلهم يبكون كما جاء في حديث النجاشي ملك الحبشة (مع العلم انه يجهل العربية) انه بكى عند سماعه بعض القرآن. وبفرض صحة ذلك لا يمكنهم البتة القول بان القرآن يمنح سلاماً للقلب كما منح المسيح المؤمنين به في كل الاجيال ولا يزال يمنح (يوحنا ١٤: ٢٧) بل بالعكس توجد فيه آيات مثل قوله «وان منكم الا واردها كان على ربك حتماً مقضياً» مع الاعتقاد بالقدر تجعل كل مسلم عاقل يقضي حياته في فزع دائم من الموت. ولا يعلن القرآن الله تعالى للانسان كي يعرفه. وهذا واضح من كتابة المسامين بعدم امكانية معرفة الله حتى في الكتب المقصود بها التعاليم والارشاد فواضح انه حيث لم يرشد

القرآن الى معرفة تامة عن الله وان محمداً نفسه صرح بان معرفته عن الله ليست كما يجب فالاسلام في هذا الامر المهم جداً لا يسد احتياج الانسان

والقرآن لا يعلم ان طهارة القلب ضرورة قبل الاقتراب من الله. بل بالعكس كما رأينا يحتوي القرآن على عبارات مضادة لامكانية طهارة قلب الانسان ويظهر منها ان الله لا يعمل بحسب قداسته وعدله ورحمته ومحبته. ولا يظهر القرآن كيف ينال الانسان مغفرة خطاياها وبحسب باراً امام الله. صحيح انه توجد فيه فروض لها جزاء ولكن لا مفر من القدر في القرآن والقدر هو الحكم في مستقبل الانسان هناء او شقاء. ولا توجد كفارة فيه ولا يعين كيف يكسر الانسان قيود الخطية وهو عبدها

يقول بعض المسلمين ان محمداً سيفتح لشعبه في يوم الدينونة ويقول آخرون انه الآن وهو ميت له نفوذ عند الله. ولكن كل ذلك مخالف تماماً للكتاب المقدس الذي يدعي القرآن بتصديقه. فن (يوحنا ٦: ١٤ واعمال ١٢: ٤ و١ تيموثاوس ٢: ٦) يتضح انه لا يوجد شفيع او وسيط غير يسوع. بل ولا يوجد في القرآن نفسه عبارة تثبت وساطة محمد بين الله والانسان. لا حاجة لنا للحديث في هذا

الموضوع فإن المأمور في القرآن بالاستغفار لذنوبه لا يمكنه أن يكون وسيطاً لدى الله. نعم إن الإنسان الذي اخطأ وتاب يمكنه الصلاة لله لمغفرة ذنوب الآخرين كالدنوب نفسه ولكن هذا امر آخر. القرآن والحديث يصرحان أن نبي العرب يستغفر لذنوبه وذنوب امته في سورة غافر آية ٥٥ «فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمديك بالعشي والابكار» وفي سورة النساء آية ١٠٥ «واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيماً» وهاتان الآيتان تشابهان الآيات الواردة في القرآن أن الله وعده أن يغفر ذنوبه كما في سورة الفتح آية ٢٥ «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» ويقول ابن عباس ما معناه ذنوبه قبل النبوة وذنوبه إلى يوم موته وقال الزمخشري في كشافه «يريد جميع ما فرط منك ما تقدم في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد» وعلى الفرض أن القرآن قد نزل من الله تعالى نرى هنا أمراً مهماً عن محمد فإن كلمة «ذنب» المستعملة لمحمد في القرآن ليست أقل من خطية ففي آية الرحمن آية ٣٩ كلمة ذنب مستعملة للانس والجان وفي سورة القصص آية ٧٨ نرى كلمة «ذنب» مساوية لكلمة «جرم» ونرى كلمة ذنب مستعملة أيضاً للكذب والافتراء والشهوة وعدم الايمان ولا امور

اخرى كثيرة من اكبـر الخطيئات كما في سورة يوسف آية ٢٩ وسورة الملك آية ١١ وسورة الشمس آية ١٤ وغير ذلك. وفي سورة محمد آية ١٩ نراه يخاطب محمداً قائلاً «واستغفر لذنـبك وللمؤمنين وللمؤمنات» فهنا نرى كلمة ذنب خاصة به دون تابعيه من المؤمنين والمؤمنات كما فسرهما بعضهم اعتسافاً. وفي سورة الشرح «ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك» فهل يمكن ان نخطئ جميع هذه الآيات الواضحة؟ حقاً ان الكمال لله وحده

والحديث يوافق القرآن في هذا الامر سواء كان في كتب السنة او الشيعة ولناخذ قليلاً من الامثال المؤيدة ذلك. روى احمد والترمذي وابن ماجه كما في مشكاة المصابيح عن فاطمة ان محمداً كان يقول عند دخوله المسجد «رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك» وعند خروجه رب اغفر لي ذنبي وافتح لي ابواب نعمتك» وعن عائشة اللهم اغفر لي وارحمني والحقني بالرفيق الاعلى «الجامع الصغير» وعنـها «اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك» وعن ابي موسى اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في امري وما انت اعلم به مني. اللهم اغفر لي خطيئي وعمدي وهزلي وجدي وكل ذلك

عندي اللهم اغفر لي ما اسررت وما اعلنت انت المقدم وانت المؤخر
وانت على كل شيء قدير» وروى البيهقي عن عائشة في كتاب الدعوة
الكبرى انها سألت النبي قائلة ألا يدخل احد الجنة الا برحمة الله فقال
لا يدخلها احد الا برحمته تعالى قالت ولا انت قل ولا انا الا ان
تغمدني الله برحمته وكرر ذلك ثلاثاً. وروى الامام جعفر ان محمداً
بات ليلة عند ام سلمة وبينما كان يصلي بكى وقال اللهم لا تسكنني الى
نفسي طرفه عين ولا تنزع مني صالح ما اعطيتني» قالت له ام سلمة
لقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فلماذا تقول هذا فقال
لها يا ام سلمة كيف اكون آمناً من نفسي وقد ترك الله يونس لنفسه
طرفه عين ففعل ما فعل» وقال محمد الباقر ان محمداً بات ليلة عند عائشة
وصرف وقتاً طويلاً في الصلاة فقالت له لماذا تتعب نفسك وقد غفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا عائشة الا اكون عبداً
شكوراً» وروى انه في نهاية خطابه يوماً لتابعيه قال اللهم اغفر لي
ولأمتي وخاطبهم اني اسأل الله المغفرة لنفسي ولكم» ويوجد غير
ما تقدم احاديث كثيرة سنية وشيعية ولكن ما ذكر فيه الكفاية
وهذه الاحاديث تبين لنا في بحثنا عن محمد وتؤكد انه كان كبقية
ابناء البشر يشعر بضرورة رحمة الله ومغفرته والقرآن يشير الى

خطايا انبياء العهد القديم فلا دم (البقرة ٣٣ و ٣٤ وطه ١١٩) ولنوح
 (نوح ٢٩) (ولابراهيم) (الانعام والبقرة) وموسى (الاعراف والشعراء
 والقصص) وهرون ويوسف (سورة يوسف) ويونس (سورة يونس)
 ولا شك انهم تابوا كما يذكر الكتاب المقدس . فترى في الزمور
 الحادي والخمسين صلاة داود التي قدمها في توبته . وكل خاطئ يحتاج
 للتوبة ويطلب المغفرة من الله وطلب المغفرة اقرار بالذنب . كل انسان
 بشري يمكنه استعمال الصلوات التي قدمها محمد وذكرها آنفاً . وعليه
 فلا يمكن لمن يحتاج الى التوبة او لمن احتاجها ولومرة واحدة ان يكفر
 عن خطايا غيره . والقرآن يقول انه لا ينفع انسان آخر في يوم القيامة
 ورد في سورة البقرة «واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا
يقبل منها شفاعه» (آية ٤٨ ومكررة في آية ١٢٣) وايضاً في سورة
 الانفطار «يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والامر يومئذ لله» (آية ١٩)
 وحيث تبرهن ان محمداً لا يمكنه تخليص امته فلذلك هم يحتاجون
 لمخلص . والقرآن لا يعلن مخلصاً ولا شفاعة فلذلك هو لا يسد
 احتياجات الانسان . فالقرآن لا يتم الشروط التي رأيناها في المقدمة
 الصحة الوحي الحقيقي . فهو في ذلك على عكس الانجيل تماماً كما بينا

في القسم الثاني من هذا الكتاب. المسيح حي ومحمد ميت^(١) والمسيح ليس انساناً كاملاً بدون خطية فقط بل كلمة الله « وهو قادر ان يخلص ايضاً الى التمام الذين يتقدمون به الى الله اذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم

ولا تنس ان الغرض هنا ليس المباحثة بل طلب الحق . ولا ننفعننا التعصب فلننبذه بنعمة الله وقد اجهد المؤلف نفسه في كلامه عن محتويات القرآن ان لا يحيد عن قانون الادب والامانة واللطف وسوف يسير على مبداه هذا في ما يلي من الفصول ايضاً

الفصل الخامس

بحث في المعجزات المنسوبة لمحمد وهل هي برهان على نبوته

ليس من الضروري لاثبات نبوة شخص ما ان يعمل معجزات. فانبياء كثيرون لم تكن لهم معجزات واناس آخرون لم تكن لهم الرسالة الالهية واتوا بما يشبه المعجزات . ففي عصر موسى مثلاً فعل سحرة مصر اعمالاً ظهرت كأنها عجائب مثل اعمال موسى (خروج ١٠: ٧-١٣ و ٢٢ و ٨ و ١٨) وعلاوة على ذلك اخبرنا الكتاب عن انبياء كذبة

(١) كل المسلمين يعرفون ان محل قبر المسيح المزعوم خال وقبر محمد فيه جثته

سيفعلون معجزات (مرقس ١٣: ٢٢ وحتى ٢٤: ٢٤ ورؤيا ١٦: ١٣ و ١٤ و ٢٠: ١٩) وخصوصاً الذي سيأتي المسمى عند المسامين بالذجال . قليل من الانبياء الحقيقيين من صنع المعجزات . في العهد القديم لم يعمل احد معجزات حتى ايام موسى وحيث لم يكن موسى نبياً عظيماً فقط بل مشترعاً ومرسلاً بوحى جديد لذلك أعطيت له قوة على عمل المعجزات المذكورة في التوراة . وكان ذلك ضرورياً له ليثبت دعواه انه اتى برسالة من الله وانه يتكلم بساطان من الله وانه يعان وحيّاً الهياً . وهذه القوة على عمل المعجزات اعطيت لايلىا واليشع ايضاً لانهما عاشا في وقت كاد الدين يمحي فيه وكان عليهم ان يردوا الشعب الى الله ولكن لم يخبرنا الكتاب ان داود او ارميا او غيرها من الانبياء الكبار كانت لهم قوة المعجزات . فيوحنا المعمدان الذي كان اعظم نبي الى وقته (متى ١١: ١١ ولوقا ٧: ٢٨) قال عنه اليهود بحق «يوحنا لم يفعل آية واحدة» (يوحنا ١٠ : ٤١) فيتضح انه في وقت الاحتياج الشديد او عند اعلان وحي جديد كان الله يعطي قوة المعجزات دليلاً على الرسالة

فاذا كانت دعوى محمد صحيحة ثابتة بانه خاتم الانبياء وآخر واعظم المرسلين الذي ارسل للعرب الذين لم يقيم منهم قبلاً نبي الخ . والذي

قال انه اتى باعظم رسالة الهية وبوحي اعظم من سابقه وان القرآن
املاه عليه جبرائيل الذي انزله في ليلة القدر من السماء السابعة حيث
كان مكتوباً على اللوح المحفوظ واعلن ايضاً ان رسالته عامة لجميع
الناس ولا تخلفها رسالة اخرى لانه خاتم المرسلين كان من الضروري
ان يعمل معجزات ليبرهن هذه الدعوى والا لا تثبت دعواه وحيث
انه لم يتنبأ كما يدنا سابقاً فيجب علينا البحث في معجزاته

اما القرآن فيجيبنا جواباً صريحاً حاسماً انه لم يعمل معجزة البتة.
وهذا وارد في كثير من الآيات منها «وما منعنا ان نرسل بالآيات
الا ان كذب بها الاولون» (اسراء آية ٥٩) وقد فسرهما البيضاوي
بقوله . وما صرفناه عن ارسال الآيات التي اقترحها قريش (الا ان
كذب بها الاولون) الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم في الطبع
كعاد وثمود وانما لو ارسلت لكذبوها تكذيب اولئك واستوجبوا
الاستئصال على ما قضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستأصلهم لان
فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن وابن عباس يذكر مثل ذلك المعنى .
ولا شك في معناها فهي واضحة بان الله لم يعط محمداً قوة المعجزات
التي طلبها منه قريش لانه علم انهم سيرفضونه حتى ولو صحت دعواه
وتوجد آيات اخرى غير هذه فيها هذا المعنى في سورة البقرة

(آية ١١٢ و ١١٣) «وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون. انا ارسلناك بالحق بشيراً ونذيراً» ويقول البيضاوي ان قريشاً هم الذين طلبوا منه الآيات . فبدلاً من الآيات (المعجزات) التي طلبوها قدم لهم آيات (اعداد) من القرآن كدليل على ارسالته. ومما يظهر ان الآيات هنا معناها اعداد من القرآن ما جاء في سورة البقرة (آية ١٤٦) «كما ارسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا» فهذه الآيات ليست معجزات كما يدعي البعض بل هي اعداد من القرآن والا فها هو معنى الفعل «يتلو». وفي سورة البقرة (آية ٢٥٣) تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين» وفي سورة البقرة (آية ٩٣) «ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون» فالفعل انزلنا يبين ان الآيات انما هي اعداد قرآنية وهي التي يتكلم عنها القرآن دائماً بقوله انزلنا كما في سورة الاعراف (آية ٢٠٢). ومن معنى الآية «واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله» (انعام آية ١٢٤) نرى ان قريشاً طلبت بدلاً من الآيات القرآنية معجزات كالتي عماها رسل الله. وقد طلبوا منه ذلك في سورة الانعام (آية ٣٧) وسورة يونس (آية ٢١) وسورة الرعد (آية ٢٩) وايضاً في

الانعام (آية ١٠٩) «واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون» وهذا يصرح ان محمداً لم يعط قوة المعجزات . ونوع الآية التي طلبها قريش واضحة في (آية ٣٢ من سورة الرعد) «ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله الامر جميعاً» والبيضاوي في تفسيره هذه الآية يظهر طلب قريش الذي لاجله نزلت هذه الآية وفي سورة (الاسراء آية ٩٢-٩٥) نرى ما يشابه ذلك «وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفتجيراً او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً او تأتي بالله والملائكة قبيلاً او يكون لك بيت من زخرف او ترقي في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرأه قل سبحان ربي هل كنت الا بشراً رسولاً»

ومن هذه العبارة يتضح ان قريشاً لم ترض بالقرآن كدليل على ارسالية محمد فطلبوا منه عمل المعجزات المذكورة . جوابهم محمد بانه بشر ولا يمكنه عمل مثل هاتيك المعجزات . وعليه فقصه المعراج وتدفق المياه من الارض او من بين اصابعه (كما سنرويهِ بعد) لا يعول عليه لانها لو كانت حقيقة تاريخية لما جاوبهم بمثل ذلك بل كان بالحري

يثبت لهم قدرته على فعل المعجزات . وفي سورة العنكبوت نراهم
ايضاً يطلبون نفس الطلب وكان الجواب الرفض كالاول . « وقالوا
لولا انزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير
مبين او لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة
وذكرى لقوم يؤمنون »

فيتضح من هذه العيارات ان القرآن يصرح بعدم اتيان محمد
بالمعجزات بل قال ان الآيات القرآنية هي دليل كاف على ارساليته
ونبوته (كما في سورة الاسراء) وقد رأينا في الباب الثالث والفصل
الثالث من هذا الكتاب ان البلاغة والفصاحة لا تكفيان لان تكونا
حجة على انزال كتاب من الله

غير ان بعض المسلمين يقولون ان في القرآن نفسه توجد
معجزتان لمحمد اولاهما انشقاق القمر . ففي سورة القمر (آية ١) يقول
« اقتربت الساعة وانشق للقمر » ولكن هذا القول لا يثبت انها
معجزة اتاها محمد لاسباب عديدة منها

- (١) اذا كان المقصود منها معجزة فهي تناقض ما جاء في سورة
الاسراء والمسلمون يقولون بعدم تناقض القرآن لنفسه
- (٢) ان محمداً لم يذكر هنا او في اي محل آخر من القرآن ان له

علاقة بهذه المسألة. ولا يدعوها القرآن معجزة ولا يقول ان انشقاق القمر دليل على ارسالية محمد. ولو كان القرآن قصدا ان محمداً عمل مثل هذه المعجزة الباهرة لصرح بذلك كما صرح العهد القديم والعهد الجديد عن معجزات موسى والمسيح وتلامذته بكل وضوح (٣) اذا كان محمد اتى بهذه المعجزة وشق القمر لكان يجب بها طلبات قريش الواردة في سورة الرعد وسورة الاسراء وغيرها مع العلم ان جميع المفسرين متفقون على ان سورة القمر نزلت قبل تينك السورتين

(٤) ان تلقاً او ضرراً يعمل باحدى مخلوقات الله كالقمر يكون علامة على قوة عظيمة ولكنه لا يثبت ان عاملها مرسل من الله (٥) لو كان قد حصل امراً مثل ذلك يختص بالطبيعة لكان قد علم في جميع الارض وسجل في تواريخ امم كثيرة كحادثة خارقة للعادة ومدهشة. والذين لهم معرفة ببعض علم الفلك ومقدار حجم القمر وماذا ينتج لو انشق الى اثنين وانفلتا على الارض لا يصدقون ذلك (٦) ولا يوجد تاريخ يذكر مثل هذه الحادثة ولا حتى ظهور انشقاقه بل وبعض اكابر المفسرين ينكرون الزعم بان سورة القمر تشير الى مثل ذلك فمنها قول البيضاوي والزخشري « قيل معناه

سينشق يوم القيامة» فلو كان الامر صحيحاً لما كان للشك مجال ولا قيل ولا قال او لو كانت الاحاديث القائلة ان محمداً اظهر لاهل مكة انشقاق القمر الى قسمين او الى فلتتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت كما قال ابن عباس او كما قال ابن مسعود رأيت حراء بين فلتتي القمر (الزمخشري) او كما قال آخرون فلقة صارت دون الجبل والاخرى فوقه وعلى هامش المشكاة اجتهد الشارح على الهامش في ان يبين كيف لم ير الناس الحادثة فقال «كان بالليل وقت نيام الناس في لحظة فلا يلزم شعور الناس في جميع الافاق بذلك حتى يجب اشتهاره بين جميع الامم التي كان القمر طالعا عليهم في ذلك الوقت»

(٧) كلمة «الساعة» معرفة بالها معنى خاص في القرآن كما في سورة طه وسورة الحج وسورة الشورى وفي مشكاة المصابيح «باب اشراط الساعة» هو يوم القيامة كما يقول البيضاوي فواضح ان يوم القيامة لم يكن قريباً عندما كتبت سورة القمر لانها كتبت قبل الهجرة بزمان طويل وحيث انهم يقولون ان انشقاق القمر علامة من علامات الساعة وقريب منها فيكون المعنى عندما تقوم الساعة ينشق القمر. ومعلوم انه يمكن في العربية استعمال الافعال الماضية بمعنى المستقبل. وقد رأينا انه حتى في وقت البيضاوي فسر بعضهم الآية

بهذا المعنى وهما نحن اليوم بعد ذلك بمئات من السنين ولم تأت الساعة فلا شك إذاً ان المقصود بانشقاق القمر انه سيكون حين قيام الساعة وابن عباس يقول ان انشقاق القمر وظهور الدجال علامات آخر تحصل قبل يوم القيامة

ومن كل ما مضى نرى ان القرآن لم ينسب لمحمد عمل هذه المعجزة فلا يصح إذاً ان نقبس هذه الآية دليلاً على ذلك وكذلك لا يمكن التمسك بمعجزة لم تحدث الى الآن دليلاً على نبوة محمد (وقد جاء في المعلقات السبع لامرء القيس قصيدة فيها ست فقرات وارادة في القرآن في سورة القمر احداها «دنت الساعة وانشق القمر» وقد مات هذا سنة ٥٤٠ م اي قبل ولادة محمد فتأمل !!)

والمعجزة الثانية التي ينسبها البعض لمحمد هي حادثة غزوة بدر مع ان البعض يقولون بل كانت في غزوة حنين وآخرون احد وآخرون خيبر وقد جاءت في سورة الانفال (آية ١٧) «وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى»

وقال البيضاوي لما طلعت قريش اتاه جبرائيل وقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمع ن تناول كفاً من الحصباء فرمى بها وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا

وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على
 التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت . (وما رميت) يا محمد
 رمياً توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه (اذ رميت) اي اتيت بصورة
 الرمي (ولكن الله رمى) اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم
 جميعاً حتى انهزموا . وقيل ما معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء
 ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن (محمد)
 بها ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او
 رمية سهم رماه (محمد) يوم خيبر نحو الحصن فاصاب لبابة بن ابي
الحقيق على فراشه (وهو زوج صفية التي تزوجها محمد بعد مقتل
زوجها بقليل) والجمهور على الاول

ومن هذا الشرح يتضح انه لا يعرف يقيناً عما اذا كانت هذه
 العبارة تشير الى بدر او احد او خيبر او الى الحصباء التي رماها محمد
 بل ربما الى طعنة طعنها او سهم رماه . وعلى كل حال لا تثبت انها
 معجزة عملها محمد . بل بالعكس تظهر الآية ان محمداً لم يقدر على رمي
 الحصباء في اعين اعدائه او على قتل احد فان الفاعل بالحقيقة لم يكن
 محمد بل الله . فاذا سلمنا ان الآية تشير الى بدر فليس من الغريب ان
 يفعل مثل ذلك قائد لكي يشجع جنوده ويثبط اعداءه فاذا كانت

النتيجة الفوز لا يتصور احد بشي خارق في المسئلة . ولا يمكن ان تكون طعنة انسان معجزة اذا كانت هي المشار اليها
 وعدا هاتين الآيتين يزعم بعض المسلمين وجود آيات بينات في
 اما كن اخرى من القرآن تنسب لمحمد عمل المعجزات . فاذا كان
 ذلك صحيح نستغرب جداً كيف لم يصف القرآن معجزة واحدة منها
 مع انه ينبر نوعاً عن المعجزات التي فعلها يسوع (سورة آل عمران آية
 ٤٣) فلنفحص تلك العبارات ونرى اذا كانت تشير الى آيات بينات
 اتى بها محمد

ففي سورة (الصف آية ٦) « فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر
 مبين » وهذا اما يشير الى الوعد بمجيء شخص يدعى احمد ولا وعد
 مثل ذلك في الانجيل واما ان يشير الى المسيح المذكور في الآية
 نفسها والبيضاوي يؤيد هذا الرأي الاخير بقوله « فلما جاءهم بالبينات
 قالوا هذا سحر مبين » الاشارة الى ما جاء به او اليه وتسميته سحراً
 للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائي هذا ساحر على ان الاشارة
 الى عيسى عليه السلام » فاذا صح تفسير البيضاوي فلا دليل في العبارة
 لآتيان محمد بمعجزة . او بعبارة اخرى نرى ان « آيات بينات » الواردة
 هنا او في اي مكان آخر تشير الى آيات قرآنية كما يننا سالفاً ليس الا

واذا قال أحد ان قوله «سحر مبين» او «ساحر» يؤيد عمل اشياء خارقة للطبيعة ولا يمكن ان تشير الى الفصاحة نجيبه من القرآن نفسه في سورة ص (آية ٤) «وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب» وفي سورة الزخرف (آية ٣٠) «ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون» قال البيضاوي «سموا القرآن سحراً» وفي سورة الاحقاف (آية ٦) «واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين» فترى في هذه الآية نفس ما رأينا في سابقها والبيضاوي يقول ان المراد بالحق الآيات (الاعداد)

ويحتج كثير من المسلمين بان في الاحاديث معجزات كثيرة منسوبة لمحمد وانا لا ننكر ذلك كما ستري ولكن علينا ان نفحص صحة الاحاديث الدالة على هذا الامر قبل ان نقبلها كبرهان او دليل. فنلاحظ اولاً ان القرآن لم يذكر معجزة لمحمد بل وبين سبب عدم اعطائه قوة المعجزات. فكل مفكر سواء من المسلمين او المسيحيين يرى ان الآية القرآنية اعم بكثير من عدة احاديث. ثم انه من السهل جداً ان نفهم لماذا في الازمنة المتأخرة وضعت احاديث تنسب المعجزات لمحمد ومحال ان تصور ان الآيات القرآنية غيرت او بدلت

لا نكار معجزاته ان كان عمل معجزات . ثانياً نرى الذين جمعوا
 الاحاديث لم تكن لهم معرفة ذاتية عن الحوادث التي جمعوها فكلهم
 عاشوا بعد محمد بكثير من السنين فكان تعويلهم على اقوال متداولة
 وقالوا انها مسندة باسناد موثوق بها . ويرى القارىء في كشف
 الظنون الجزء الثاني وجه ٣٤-٣٧ ان جامعي كتب الصحاح الستة
 ماتوا بحسب ما يأتي :

البخاري سنة ٢٥٦ هـ ومسلم ٢٦١ هـ والترمذي ٢٧٩ هـ وابو داود
 ٢٧٥ هـ والنسائي ٣٠٣ هـ وابن ماجه ٢٧٣ هـ اما كتب الشيعة فبعد ذلك
 ايضاً الكافي سنة ٣٢٩ هـ ومالا يستحضره الفقيه ٣٨١ هـ والتهذيب
 ٤٦٦ هـ والاستبصار ٤٠٦ هـ ونهج البلاغة ٤٠٦ هـ . وان اختلاف اهل
 الشيعة واهل السنة في الاحاديث مع اتفاقهم في القرآن يدل على عدم
 الثقة بالاحاديث سيما ما خالف منها نص القرآن . واكثر الاحاديث
 ثقة هو حديث البخاري في صحيحه ويتلوه مسلم والترمذي . ولكي
 يظهر للقارىء الكريم كثرة الاحاديث المكذوبة في ايام البخاري
 نفسه وكم من الموضوعات كانت شائعة اذ ذاك يكفي ان نذكر ان
 البخاري نفسه يقول انه جمع ١٠٠٠٠٠ حديث ظنه هو صحيح و ٢٠٠٠٠٠
 لم يثق بصحته وبعد الفحص والتنقيب حكم بصحة ٢٧٥ و ٧ حديثاً ولما

حذف منها المكرر بقي ٤٠٠٠ فقط وحتى ما بقي ليس كله صحيحاً
فكثير منها ما يناقض الواحد الآخر كما في هذه المسئلة عن معجزات
محمد . وجمع ابو داود ٥٠٠٠ و٥٠٠ حديثاً وقبل منها ٤٠٠٠ فقط

فعلياً ان تقدم بعضاً من تلك المعجزات المزعومة لتعرف طبيعتها
(١) بعث النبي صلعم رهطاً الى ابي رافع فدخل عليه عبد الله بن
عتيك بيته ليلاً وهو نائم فقتله فقال عبد الله بن عتيك فوضعت السيف
في بطنه حتى اخذ في ظهره فعرفت اني قتلته فجعلت افتح الابواب
حتى انتهيت الى درجة فوضعت رجلي فوقمت في ليلة مقمرة^(١)
فانكسرت ساقى فعصبتها بعمامة فانطأقت الى اصحابي فانهيت الى النبي
صلعم فخذته فقال ابسط رجلك فبسطت رجلي فسخها فكان لم
اشتكها قط» رواه البخاري وسرى في الفصل التالي ماذا تبين لنا
هذه القصة عن اخلاق محمد . ولكننا نكتفي هنا بملاحظة ان حكاية
قتل ابي رافع حكاها ابن هشام في سيرة الرسول وابن الاثير وكاتب
روضة الصفا وفي كل مخالفة للآخرى فالواحد يقول ان ساقه الذي
كسر والآخر ذراعه وغيره بل صدره رض فقط . وبعضها كما في

(١) يقول في مشكاة المصابيح في هامشها سبب الوقوع اشتباه الدرج

ابن هشام وابن الاثير لا يذكر ان محمداً شفاه او ينسبها معجزة لمحمد ولكنهم كلهم يتفقون ان قتل الرجل وهو نائم كان بامر محمد . فلو كان محمد عمل معجزة في هذه الظروف اكنا وقعنا في مشكلة ادبية اشد واصعب اذ هل يصح ان نقول ان معجزة الهية تصنع خير قاتل مثل عبد الله بن عتيك ؟

(٢) توجد اخبار متناقضة ومختلفة عن الماء الذي انبعه محمد لتابعيه العطشى ونجد في مشكاة المصابيح عدداً وافياً منها وسنقدم لك نوعاً «عن جابر قال عطش الناس في يوم الحديبية ورسول الله صلعم بين يديه ركوة فتوضأ منها ثم اقبل الناس نحوه قالوا ليس عندنا ما يتوضأ به ونشرب الا ما في ركوتك فوضع النبي صلعم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كالمثال العيون قال فشربنا وتوضأنا قليل لجابر كم كنتم قال لو كنا مائة الف اكفانا . كنا خمس عشرة مائة» وعن رواية اخرى ١٦٤٠٠ واخرى بين ١٦٤٠٠ و ١٦٥٠٠ واخرى ١٦٣٠٠ وغيرها ١٦٦٠٠ وغيرها ١٦٧٠٠ وابن عباس ١٥٥٢٥ وروى البخاري نفس هذه الحكاية باختلاف قال «عن البراء بن عازب قال كنا مع رسول الله صلعم اربعة عشر مائة يوم الحديبية والحديبية برّ فزحناها فلم تترك فيها قطرة فبلغ النبي صلعم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء

من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها ثم قال دعوها ساعة فارووا
انفسهم وركابهم حتى ارتحلوا رواه البخاري وقد كررت هذه الحكاية
في المشكاة وكل مرة تختلف عن الاخرى

فيرى القارىء انها ليست معجزة اذ تتجمع المياه في البئر بعد تركها
مدة وهذا يخالف تماماً ما قيل عن كفاية ١٠٠٠٠٠ رجل من نبع اصابعه
(٣) وتوجد عدة قصص عن اشجار واحجار حييت محمداً كرسول
الله وكيف ان الاشجار تبعته او اطاعت او امره واخترنا للقارىء
واحدة كعينة «عن جابر قال سرنا مع رسول الله صلعم حتى نزلنا وادياً
افيح فذهب رسول الله صلعم يقضي حاجته فلم ير شيئاً يستتر به واذا
شجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلعم الى احدهما فاخذ
بغصن من اغصانها فقال انقادي عليّ باذن الله فانقادت معه كالبعير
المخشوش الذي يطيع قائده حتى اتى الشجرة الاخرى فاخذ بغصن
من اغصانها فقال انقادي عليّ باذن الله فانقادت معه كذلك حتى اذا
كان بالنصف مما بينهما قال التما عليّ باذن الله فالتما متاً فجلست احدث
نفسى فحانت منى لفته فاذا انا برسول الله صلعم مقبلاً واذا الشجرتين
قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق رواه مسلم»

(٤) وتروى ايضاً عينة من نوع آخر من المعجزات عن أنس قال

«ان رجلا كان يكتب للنبي صلعم فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين فقال النبي صلعم ان الارض لا تقبله فاخبرني ابو طاححة انه اتى الارض التي مات فيها فوجده منبوءاً فقال ما شأن هذا فقالوا دفناه مراراً فلم تقبله الارض» وعلماء الساميين لم يتفقوا مطلقاً على من هو هذا الرجل السيء الحظ

(٥) وعن جابر قال كان النبي صلعم اذا خطب استند الى جذع نخلة من سوارى المسجد فلما صنع له المنبر فاستوى عليه صاحبت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت ان تنشق فنزل النبي صلعم حتى اخذها فضمها اليه فجعلت تنانين الصبي الذي يسكت حتى استقرت قال بكت على ما كانت تسمع من الذكر رواه البخاري»

(٦) «عن علي بن ابي طالب قال كنت مع النبي صلعم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله رواه الترمذي والدارمي»

(٧) «عن ابن عباس قال ان امرأة جاءت بابن لها الى رسول الله صلعم فقالت يا رسول الله ان ابني به جنون وانه لياخذ عند غداثنا وعشاينا ففسح رسول الله صلعم صدره ودعا فتع ثمة وخرج من جوفه مثل الحجر الاسود يسمى رواه الدارمي»

(٨) عن ابن عمر قال كنا مع النبي صلعم في سفر فاقبل اعرابي فلما دنى قال له رسول الله صلعم تشهدان لاله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله قال ومن يشهد على ما تقول قال هذه السامة فدعاها رسول الله صلعم وهو بشاطئ الوادي فاقبلت تحذ الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثاً فشهدت ثلاثاً كما قال ثم رجعت الى منبتها رواه الدارمي

(٩) وعن ابن عباس قال جاء اعرابي الى رسول الله صلعم قال بم اعرف انك نبي؟ قال: ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة يشهد اني رسول الله فدعا رسول الله فجعل ينزل من النخلة حتى سقط الى النبي صلعم ثم قال ارجع فماد فأسلم الا اعرابي رواه الترمذي وصححه

(١٠) وفي كتاب تركي اسمه امرأة الكائنات القصة الآتية: —

لما خرج محمد الى الطائف قال «فاذا انا بسحابة قد اظلمتني فنظرت اليها فاذا فيها جبريل فقال ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث الله اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت قال صلعم فنناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وانا ملك الجبال وقد بعثني اليك ربك لتأمرني

(١) وجدناها حرفياً في السيرة النبوية فنقلناها منه

بأمرك ان شئت ان اطبق عليهم الاخشيين قال النبي صلعم لا بل
ارجو ان يخرج الله من اصلاهم من يعبدوه وحده لا شريك له الخ
ولا ضرورة ان نزيد من هذه الحكايات فمن يرغب الزيادة
فعليه ان يرجع الى روضة الصفا او روضة الاحباب وجامع المعجزات
في الفارسية او مرآة الكائنات في التركية وفي كثير من الكتب
العربية ذكرنا آنفاً بعضها

ونجد في الكتب الهندية والوثنية كثيراً جداً من معجزات
الاصنام كهذه يصدقها كثيرون من جهلاء الوثنيين في بلاد عديدة.
ولكن جميعها تختلف في الاسلوب والماهية عن المعجزات الصحيحة
الواردة في الانجيل والتي يشهد القرآن بصحتها. وتلك الحكايات
(الوثنية وغيرها) تذكرنا بحكايات الف ليلة وليلة وتثبت ان العرب
في الجاهلية كانت لهم قوة التصور وتأليف الحكايات

ولنلاحظ ان بعض تلك المعجزات التي قد روينها هي نفس ما
طلبته قريش من محمد. فلو كان قد اتاها فعلاً لكان قد ذكر القرآن
بعضها ولكن بدلاً عن ذلك نراه يقول ان محمداً ليس بوكيل بل نذير
وبشير ويبين سبب عدم اتيانه بالمعجزات مطلقاً

اذا تفضل قراؤنا بالاطلاع على المعجزات التي صنعها يسوع

وتلاميذه كما هي مدونة في العهد الجديد قالوا ما اعظم الفرق في نوعها
عن تلك التي ينسبها الحديث لمحمد مناقضاً القرآن

ليست معجزات العهد الجديد مجرد حوادث مذهشة خارقة
للطبيعة كشجرة تشير وتكلم وعمود يصرخ ويئن كالطفل او مسح
ساق او ذراع قاتل فتشفي الخ بل هي امثال فعلية ملأى بالتعاليم
الروحانية وظاهرة بها الرحمة والقوة الالهية مثل ابراء الابرص وفتح
اعين الاعمي واقامة الموتى الخ (متى ١١: ٤ و٥ ولوقا ٧: ٢٢) ومعجزات
المسيح لم تعمل لنجاة قاتل من احدى نتائج فعلته ولم يكرس القوى
الالهية في جعل الاشجار تتكلم والاحجار تصرخ

وعلاوة على ذلك فمعجزات العهد الجديد كتبت بعد صعود
المسيح بقليل في حياة اكثر تلاميذه تحت الارشاد الالهي بعضها
كتبها نفس تلاميذ المسيح كمتى ويوحنا وبعضها تحت ملاحظتهم
كمرقس ولوقا ويوجد سبب آخر على صحة ما دون عن معجزات
المسيح وهي كتابتها عند حدوثها. ولكن من الوجهة الاخرى نرى
المعجزات التي ينسبها الحديث لمحمد لم تكتب الا بعد موته بمئات من
السنين. وجاء في الانجيل ان المسيح يشير الى اعماله باعتبار انها دليل
على رسالته الالهية « الاعمال التي انا اعمالها باسم ابي هي تشهد لي »

(يوحنا ١٠: ٢٥) (راجع ايضاً عدد ٣٣ و ٣٧ و ٣٨ و ١٤: ١١ و ١٢ و ١٥: ٢٤)
 اما في القرآن فبالعكس فانه انكر معجزات محمد. انظر (الاسراء)
 وشهد بمعجزات المسيح انظر (سورة آل عمران)
 ونبين باختصار بعض الفروق العظمى التي بين معجزات المسيح
 ومعجزات محمد التي في الاحاديث

توجد شهادة كافية ان كثيرين ممن صرحوا بانهم اول شهود
 المعجزات المسيحية صرفوا حياتهم في اتعاب واطوار وآلام تحملوها
 طوعاً في تقرير الحوادث التي ساموها لنا ولسبب اعتقادهم بها فقط
 خضعوا لقوانين جديدة غيرت سلوكهم
 ولا توجد شهادة ان الذين صرحوا بانهم شهود المعجزات
 المحمدية فعلوا مثل ذلك في تقرير الحوادث التي دونوها او غيروا
 سلوكهم بسبب اعتقادهم بها

جمع الاحاديث الاسلامية كان متأخراً جداً وحوادثها غريبة حتى
 لا يمكن لعالم ان يثق بصحتها كمعجزات غير انها ربما كانت تستحق
 ثقة اكثر بخصوص امور اخرى متعلقة بمحمد. وما جاء عن ذلك في
 المشكاة او حياة اليقين او عين الحياة وغيرها من الكتب الشائعة
 الاستعمال بين علماء السنة والشيعة غريبة جداً حتى انها تلقي الشك

والريب على جميع الاحاديث الاخرى فمثلاً يوجد حديث منه ان
الحور العين تنمو من الارض كالورد على شاطئ نهر في الجنة فيجمعهم
المسلمون للمذاييم. وايضاً يوجد في الجنة طيور مطبوخة وتطير ثانية
بعد ان يشبع منها المسلمون. وان الله تعالى لما اراد خلق آدم بعث الى
الارض جبرائيل ليأتيه بقبضة من ترابها فلما اتاها جبرائيل ليقبض
منها القبضة قالت اني اعوذ بعزة الله الذي ارسلك ان تأخذ مني شيئاً
يكون فيه غداً للنار نصيب فرجع جبرائيل الى ربه ولم يأخذ منها
شيئاً وقال يا رب استعاذت بك فكرهت ان اقدم عليها (ثم ارسل
ميكائيل فكذلك ثم بعث الله تعالى ملك الموت فاتى الارض فاستعاذت
بالله ان يأخذ منها شيئاً فقال واني اعوذ بالله ان اعصي له امرأً فقبض
قبضة من زواياها الاربعة. وفي حديث آخر «ان الله تعالى اذن لي
(محمد) ان احدث عن ديك قد مرقت رجلاه الارض وعنقه منثنية
تحت العرش وهو يقول سبحانك ما اعظمك فيرد عليه لا يعلم ذلك
من حلف بي كاذباً. وفي حديث آخر لما ارادت حواء ان تأكل من
الحبة نمت الشجرة علو ٥٠٠ سنة لتنجو منها. وحديث آخر ان المسافة
ما بين اكتاف واذان حمة العرش مسيرة ٧٠ سنة

ويصرح علماء الشيعة انه توجد مناقضات في الحديث فورد

في السكافي ان علياً بن ابراهيم سأل علياً بن ابي طالب عن تناقض بعض الاحاديث ومخالفة بعضها للقرآن وطريقة تمييز الصحيح منها عن غيره فذكر له بعض شروط لتمييز ذلك فقال له فان وافق الخبر ان جميعاً قال ينظر الى ما ليس اليه حكمهم وقضائهم اميل فيترك ويؤخذ بالآخر. قال فان مال حكمهم الى الخبرين جميعاً قال ان كان فارجه حتى تلقى امامكم فان الوقوف عند الشبهات خير من الافتحام في الهلكات فينتج من كل ذلك ان دعوى محمد النبوة لم تؤيدها معجزة كما بينه القرآن اما المعجزات في الحديث فغير معقولة البتة ومتناقضة تماماً وبعضها مناقض للقرآن وليس لها أدلة تثبت حدوثها

الفصل السادس

بحث في بعض اخلاق محمد بحسب ما ورد عنه في القرآن والتواريخ الاسلامية والتفاسير لنعلم دعواه النبوة

علينا الآن ان نتأمل في بعض اعمال محمد والاخبار عن صفاته لنرى هل تثبت هذه دعواه كرسول من الله ونبى واننا في بحثنا هذا نرى وجوب سلوك اللياقة التامة اكراماً لخطار اخواننا المسلمين . وعليه فلسنا نريد ان نقتبس اقوال كتبة المسيحيين في ذلك بل نقتبس من مشاهير المسلمين وكذلك اردنا ان لا نحكم بانفسنا على اي امر كان

متذكرين قول بولس الرسول «من انت الذي تدين عبد غيرك. هو لمولاه يثبت او يسقط» ونحن جميعنا عبيد الله وهو وحده الديان العادل ولكن يحسن لكل منا ان يرى رأياً خاصاً في الموضوع ولو لم يصرح به. ولكي يعرف القراء المحترمون حقائق هذه المسألة المهمة ليحكموا بانفسهم اذا كان محمد حسباً يعتقد فيه المسلمون ام لا نرى وجوب اقتباس آيات قرآنية مع تفسيرها من اكابر المفسرين لثلاث نخطئ في معناها ثم نأتي ببعض عبارات من حياة وسيرة محمد التي كتبها المسلمون وبعض الاحاديث المتفق عليها ليتضح ما فعل بعد ما نال قوة بالتحاده مع قبيلتي الاوس والخزرج (الانصار) واعتناقهم للاسلام. وليلاحظ اننا لا نأتي هنا بأرائنا بل نقبس فقط عبارات اسلامية في الموضوع

والمواضيع التي نريد ان نتكلم عنها هي (١) حوادث محمد الزوجية (٢) طريقة معاملته لاعدائه. والعماء من القراء سيرون انه كان يمكننا اقتباس اقوال ادنى من التي اقتبسناها في كل موضوع ولكننا نحاشينا ذكر ما نظنه مبالغاً فيه او تساهلوا في نقله كالمثأخرين من الكتاب الذين لم يفكروا بان ما كتبوه مبالغ فيه فيصور ذلك للقراء النصفين صورة غير ملائمة لمحمد. فتحاشينا الاقتباس من امثال هؤلاء اكتفينا

بالمؤلفات الاولى المقبولة لدى الجميع. وتوجد بعض الاقتباسات من كتب فارسية او تركية تثبت ان العالم الاسلامي باجمعه يوافق على ما سنذكره

(١) مسألة زواجه - في سورة (النساء آية ٣) قاعدة لكل مسلم ان يتزوج مثنى وثلاث ورباع او ما ملكت يمينه ويفسر البيضاوي هذا الجزء الاخير بالسراي وهذه الآية تجيز تعدد الازواج واتخاذ السراي لكل المسلمين في كل الاوقات وقد سبب ذلك اضراراً عظيمة شائعة في البلاد الاسلامية ولكن لم يكن لمحمد (ص) لزواجه لانه يقول في سورة الاحزاب «يا ايها النبي انا احللت لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج» وقال البيضاوي «خالصة لك من دون المؤمنين» ايدان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله وقال ايضاً خالصة اي خلوصاً لك او

(١) انظر روضة الاحباب حيث ترى كل شيء عن محمد كزوج

هبة خالصة ولكي نعرف مقدار استعمال محمد هذا الترخيص نجد انه عند وفاته كانت له تسع نسوة احياء فضلاً عن سريتين على الاقل مارية وريحانة ويقول ابن هشام ان محمدًا تزوج ثلاث عشرة امرأة منهن عائشة التي كانت بنت ست لما عقد عليها وبنت تسع لما بنى بها «ابن هشام وابن الاثير والمشكاة والبخاري»

اما مارية القبطية التي ارسلها المقوقس حاكم مصر الخ. فقد جاء في سورة التحريم آية ١ و٢ «يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبغني مرضاة ازواجك والله غفور رحيم. قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم». وقد ذكر البيضاوي تفسيرين لهذه العبارة احدهما اثبته سائر المفسرين وهو «روي انه صلعم خلا بمارية في فراش عائشة او حفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت. والحكايات بحذافيرها واردة في روضة الصفوا وغيره ولكننا اخترنا هذا التفسير المختصر كي نتحاشى ذكر ما لا يجب ذكره ههنا وما تنيره لنا هذه الحكاية عن محمد ليس حسناً. وليلاحظ ههنا ان وحيًا نزل لحل الايمان

اما عن زواج محمد بزيب بنت جحش امرأة ابنه الذي تبناه زيد بن حارثة فاننا نقرأ في سورة الاحزاب آية ٣٧ و٣٨ «واذ تقول للذي انعم

الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما
 الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً
 زوجناكم اكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا
 منهم وطراً وكان امر الله مفعولاً. ما كان على النبي من حرج في ما فرض
 الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدراً مقدوراً
 يقول الجلالان في تفسيرهما ما ملخصه نزلت في زينب فزوجها النبي
 لزيد ثم وقع بصره عليها بعد حين فوقع في نفسه حبها وفي نفس زيد
 كراهتها (؟) فقال هذا للنبي اريد فراقها فقال امسك عليك زوجك
 ثم طلقها زيد وانقضت عدتها فدخل عليها النبي بغير اذن واشبع المسلمين
 خبزاً ولحماً. وقال البيضاوي «امسك عليك زوجك» زينب وذلك انه
 صاعم ابصرها بعد ما انكحها اياد فوقع في نفسه فقال سبحان الله مقاب
 للقلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن لذلك ووقع في
 نفسه كراهة صحبتها فأتى النبي صاعم وقال اريد ان افارق صاحبتي فقال
 مالك ارايك منها شيء فقال لا والله ما رأيت منها الا خيراً ولكنها
 لشرفها تتعظم علي فقال له امسك عليك زوجك فلما قضى زيد منها
 وطراً «حاجة بحيث ملأها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها
 «زوجناكم» والمعنى انه امر بتزويجها منه او جعلها زوجته بلا واسطة

عقد ويؤيده انها كانت تقول لساثر نساء النبي ان الله تولى انكاحي
وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان السفير في خطبتها وذلك ابتلاء
عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه^(١). ويتضح من هذا القول الاخير
ان البيضاوي شعر ان هذا العمل اوجد الشك في قلوب الناس من عمله
وتاريخ محمد مع صفية وريحانة ونسائه وسراريه موجود في ابن
هشام وابن الاثير وروضة الصفا وروضة الاحباب الخ ولا يحسن
ان نورد شيئاً زيادة لعدم نفعه ولعدم لياقته الا انه ينير لنا عن
اخلاق محمد. ولكننا نكفي انفسنا بما اوردناه عن هذا الامر
(٢) والآن لتأمل في طريقة معاملته لاعدائه وهنا ايضا نذكر
قليلاً من كثير فقط

فقد ذكر ابن هشام كيف سامت قبيلة بني قريظة نفسها لمحمد
بعد حرب طويلة والنبي حكم فيهم عدوهم المجرور من حربهم سعد بن
معاذ قال بسعد «اني احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبي
الذراري والنساء قال ابن اسحق قال صلعم لسعد لقد حكمت فيهم

(١) الضمير عائذ على زيد لانه بعد ان سمح الوحي بطلاقها منه وتزويجها
للنبي قال له النبي: اني لا اجد ثقة تسمع لقوله سواك فاذهب اليها واخطبها
لي فذهب وأتم ما امر به ولو كرهت طبيعته هذا العمل (المصحح)

بحكم الله من فوق سبعة اربعة. قال ابن اسحق ثم استنزلوا خبيسهم
 صلعم بالمدينة في دار بنت الحرث امرأة من بني النجار ثم خرج رسول
 الله صلعم الى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخذق بها خنادق ثم
 بعث اليهم فضرب اعناقهم في تلك الخنادق يخرج بهم اليه ارسالا
 وفيهم عدو الله حيي بن اخطب وكعب بن اسد رأس القوم وهم ستمائة
 او سبعمائة والمكثر لهم يقول كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة وقد قالوا
 لكعب بن اسد وهم يذهب بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ارسالا يا كعب ما تراه يصنع بنا قال افي كل المواطن لا تعقلون ألا
 ترون الداعي لا ينزع وانه من ذهب به منكم لا يرجع هو والله القتل
 فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلعم واتى يحيى بن
 اخطب عدو الله وعليه حلة تقاحية. فلما نظر الى رسول الله صلعم قال
 اما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل من الله يخذل
 ثم اقبل على الناس فقال ايها الناس انه لا بأس بامر الله كتاب وقدر
 ومأجدة كتبها الله على بني اسرائيل ثم جاس فضربت عنقه

قالت عائشة لم يقتل من نساءهم الا امرأة واحدة قالت والله انها
 لعندي تحدث معي وتضحك ظهرا وبطنا ورسول الله يقتل رجالها في
 السوق اذهتف هاتف باسمها اين فلانة قالت انا والله قلت لها ويلك

مالك قالت اقبل قات ولم قالت لحدث احدثته قالت فانطلق بها
 فضربت عنقها فكانت عائشة تقول فوالله ما انسى عجباً منها طبيب
 نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت انها تقتل. وهي التي طرحت الرحي
 على خلاد بن سويد فقتلته... قال ابن اسحق وكان رسول الله صلعم
 قد امر بقتل كل من انبت منهم قال ابن اسحق ثم ان رسول الله
 صلعم قسم اموال بني قريظة ونساءهم وابناءهم على المسلمين. ثم بعث
 صلعم سعد بن زيد الانصاري اخا بني عبد الاشهل بسببا من سببا بني
 قريظة الى نجد فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحاً وكان رسول الله صلعم
 قد اصطفى لنفسه من نساءهم ربحانة بنت عمرو بن خشفة فكانت
 عند رسول الله صلعم حتى توفي عنها وهي في ملكه وقد كان صلعم
 عرض عليها ان يزوجه ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله
 بل تتركني في ملكك فهو اخف عليّ وعليك» (ابن هشام)

وبعد غزوة بدر بعد ان طرح المسلمون قتلى اعدائهم في القليب
 ورجعوا الى المدينة بالاسرى قتل بعض الاسرى كما يقول ابن هشام
 «قال ابن اسحق حتى اذا كان رسول الله صلعم بالصفراء قتل النضر
 بن الحريث قتله علي بن ابي طالب كما اخبرني بعض اهل العلم من اهل
 مكة. ثم خرج حتى اذا كان بعرق الظبية قتل عقبة بن ابي معيط

قال عقبة حين امر صاعم بقتله فن للصبية يا محمد قال النار (ابن هشام
باب ذكر النبي ييدر والاسارى) وحكاية قتل كب بن الاشرف حكاها
ابن هشام قال: «ثم رجع كب بن الاشرف الى المدينة فشبب بنساء
المسلمين حتى اذا هم فقال رسول الله صاعم من لي بابن الاشرف فقال له
محمد بن مسامة انا لك به يا رسول الله انا قتله. قال له فافعل ان قدرت
على ذلك. فرجع محمد بن مسامة فكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب
الا ما يعلق به نفسه فذكر ذلك لرسول الله صاعم فدعاه فقال له لم
تركت الطعام والشراب قال يا رسول الله قلت لك قولاً لا ادري هل
أفي لك به أم لا فقال انما عليك الجهد فاجتمع في قتله محمد بن مسامة
وسلكن بن سلامة بن وقش وهو ابو نائلة احد بني عبد الاشهل وكان
اخا كب بن الاشرف من الرضاة وعباد بن بشر احد بني عبد الاشهل
وابو عباس بن جبر ا احد بني حارثة ثم قدموا الى عدو الله كب بن
الاشرف فجاء ابو نائلة فتحدث معه ساعة فتناشدا شعراً وكان ابو نائلة
يقول الشعر ثم قال ويحك يا ابن الاشرف اني قد جئتكم لحاجة اريد
ذكرها لك فاكنتم عني قل اقل قل كن قدوم هذا الرجل (محمد)
علينا بلاء من البلاء عادتنا به العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت
عنا السبل حتى ضاع العيال وجهدت الانفس واصبحنا قد جهدنا وجهد

عيالنا فقال كعب انا ابن الاشرف اما والله لقد كنت اخبرك يا ابن
 سلامة ان الامر سيصير الى ما اقول فقال له سلطان اني قد اردت ان
 تبديعنا طعاماً ونرهنك ونوثق لك وتحسن في ذلك فقال اترهنوني ابناكم
 قال لقد اردت ان تفضحننا ان معي اصحاباً لي على مثل رأيي وقد اردت
 ان آتيك بهم فتبديعهم وتحسن في ذلك ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء
 واراد سلطان ان لا ينكر السلاح اذا جاءوا بها قال ان في الحلقة لوفاء
 قال فرجع سلطان الى اصحابه فاخبرهم خبره وامرهم ان يأخذوا السلاح
 ثم ينطلقوا فيجتمعوا اليه فاجتمعوا عنده صلعم قال مشى معهم صلعم الى
 بقيع الفرق ثم وجههم فقال انطلقوا على اسم الله اللهم اعنهم ثم رجع
 صلعم الى بيته وهو في ليلة مقمرة واقبلوا حتى انتهوا الى حصنه
 فهتف به ابو نائلة وكان حديث عهد بعرس فوثب في ملحفته
 فاخذت امرأته بناحيتهما وقالت انك امرؤ محارب وان اصحاب الحرب
 لا ينزلون في هذه الساعة قال انه ابو نائلة لو وجدني نائماً ما ايقظني
 فقالت والله اني لاعرف في صوته الشر قال قال لها كعب لو يدعى الفتى
 لطعنه لاجاب فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ثم قال هل لك
 يا ابن الاشرف ان نماشى الى شعب العجوز فتحدث به بقية ليلتنا هذه
 فقال ان شئتم تخرجوا تماشون فمشوا ساعة ثم ان ابا نائلة شام يده في

فود رأسه ثم شم يده فقال ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قط ثم مشى ساعة ثم عاد لمشاها حتى اطمان ثم مشى ساعة ثم عاد لمشاها فاخذ بفود رأسه ثم قال اضربوا عدو الله فضر به فاختافت عليه اسيا فهم فلم تغن شيئاً قال محمد بن مسلمة فذكرت نصلاً لي حين رأيت اسيا فانا لا تغني شيئاً فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا اوقدت عليه نار فوضعت في معدته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عاتقه فوقع عدو الله وقد اصاب الحرث بن اوس بن معاذ جرح في رأسه او في رجله اصابه بعض اسيا فانا قال نخر جنا حتى سلكننا على بني امية بن زيد ثم على بني قريظة ثم على بعث حتى اسفرنا في حرة العريض وقد ابطأ علينا صاحبنا الحرث بن اوس ونزفه الدم فوقفنا له ساعة ثم اتانا يتبع آثارنا قال فاحتملناه فجننا به رسول الله صلعم آخر الليل وهو قائم يصلي فسامنا عليه نخرج الينا فاخبرناه بقتل عدو الله وتقل على جرح صاحبنا فرجع ورجعنا الى اهلنا «سيرة ابن هشام باب قتل كعب ابن الاشرف» ولنا حكاية اخرى عن محيصة وحويصة وقتل احد رجال اليهود بأمر محمد والوسيلة التي اعتنق بها بعض اهل المدينة الاسلام قال ابن اسحق قال صلعم من ظفرت به من رجال اليهود فاقتلوه فوثب محيصة بن مسعود على ابن شينيه رجل من تجار اليهود كان يلبسهم ويبايعهم

فقتله وكان حويصة بن مسعود اذ ذاك لم يسلم وكان أسن من محيصة
فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول اي عدو الله اقتله اما والله لرب
شحم في بطنك من ماله. قال محيصة فقلت والله لقد امرني بقتله من
لو امرني بقتلك لضربت عنقك قال فوالله ان كان لاول اسلام
حويصة قال الله لو امرك محمد بقتلي لتقتاني قال نعم والله لو امرني بضرب
عنقك لضربت بها قال والله الا ديناً بلغ بك هذا لعجيب فاسلم حويصة.
قال ابن اسحق حدثني هذا الحديث مولى لبني حارثة عن ابنة محيصة عن
ابنها محيصة» (ابن هشام باب امر محيصة وحويصة) ويذكر ابن هشام
هذه الحكاية نفسها عن اعتناق حويصة الاسلام باختلاف عن هذا
اختلافاً طفيفاً وكان السبب الخوف لان محيصة قتل انساناً بامر محمد
وذكر ابن اسحق حكاية مقتل سلام بن ابى الحقيق بامر محمد
ايضاً فذكر اولاً ان بني الاوس وبني الخزرج كانوا يتصاوان في غيرتهم
على الاسلام فذكرت الاوس انهم قتلوا كعب بن الاشرف فقالت
الخزرج «والله لا يذهبون بها فضلاً علينا ابداً قال فتذاكروا من رجل
لرسول الله صلعم في العداوة كابن الاشرف فذكروا ابن ابى الحقيق
وهو بخير فاستأذنوا رسول الله صلعم في قتله فاذن لهم فخرج اليه من
الخزرج من بني سامة خمسة نفر عبد الله بن عتيك ومسعود بن سنان

وعبد الله بن انيس وابوقتادة الحرث بن ربيعي وخزاعة بن اسود
 حليف لهم من اسلم فخرجوا وامر عليهم رسول الله صلعم عبد الله بن
 عتيك ونهاهم عن ان يقتلوا وليداً او امرأة فخرجوا حتى اذا قدموا خيبر
 اتوا دار ابن ابي الحقيق ليلاً فلم يدعوا بيتاً في الدار الا اغلقوه على
 اهله قال وكان في عليه له لها سلم قال فصعدوا فيها حتى اقاموا على بابه
 فاستأذنوا اليه فخرجت اليهم امرأته فقالت من انتم قالوا اناس من
 العرب نلتمس الميرة قالت ذا كم صاحبكم فادخلوا عليه فلما دخلنا عليه
 اغلقنا علينا وعليها الحجرة تخوفاً ان تكون دونه محاولة تحول بيننا
 وبينه قال فصاحت امرأته فنوهت بنا وابتدرناه وهو على فراشه
 باسياقنا فوالله ما يدلنا عليه في سواد الليل الا بياضه كأنه قطنية ملقاة
 قال ولما صاحبت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر
 نهي رسول الله صلعم فيكف يده ولولا ذلك لفرغنا منها ليل قال فلما
 ضربناه باسياقنا تحامل عليه عبد الله بن انيس بسيفه في بطنه حتى
 انفضه وهو يقول قطني قطني اي حسبي حسبي قال وخرجنا وكان
 عبد الله بن عتيك رجلاً سيء البصر قال فوقع من الدرجة فوثقت
 يده وثناً شديداً ويقال رجله^(١) وحملاه حتى نأتي منهراً من عيونهم

(١) راجع ما قلناه في معجزات محمد عن هذه الحكاية

فندخل فيه قال فاقودوا النيران واشتدوا في كل وجه يطلبوننا حتى
 اذا يسوا رجعوا الى صاحبهم فاكتنفوه وهو يقضي بينهم... فاحتملنا
 صاحبنا فقدمنا على رسول الله صلعم فاخبرناه بقتل عدو الله واختلفنا
 عنده في قتله كلنا يدعيه فقال صلعم هاتوا اسيا فكم قال فجتنا بها فنظر
 اليها فقال لسيف عبد الله بن انيس هذا قتله ارى فيه اثر الطعام (سيرة
 ابن هشام باب مقتل سلام بن ابي الحقيق) وفي هذه القصة رأينا ان
 محمداً امر بعدم قتل امرأة ولكن ليس هذا الحال دائماً لما نرى من
 قصة قتل عصماء وقتل رجل شيخ عجوز كما يظهر من ابن اسحق .
 ان رجلاً يدعى ابو عفك بلغ من العمر نحو المئة كتب اشعاراً ضد
 محمد «فقال صلعم من لي بهذا الخبيث نخرج سالم بن عمير اخو بني عمرو
 بن عوف وهو احد البكائين فقتله» وعصماء بنت مروان كانت
 شاعرة هجت محمداً ببعض اشعارها قال ابن اسحق فلما قتل ابو عفك
 نافقت وكانت تحت رجل من بني خطمة يقال له يزيد بن زيد فقالت
 شعراً تعيب الاسلام فقال صلعم حين بلغه ذلك الا آخذ لي من ابنة
 مروان فسمع ذلك من رسول الله صلعم عمير ابن عدي الخطمي وهو
 عنده فلما امسى من تلك الليلة سرى اليها في بيتها فقتلها ثم اصبح مع
 رسول الله صلعم فقال يا رسول الله اني قد قتلها فقال نصرت الله

ورسوله يا عمير فقال هل علي شيء من شأنها يا رسول الله فقال لا ينتطح
فيها عنزان فرجع عمير الى قومه وبنو خطمة يومئذ كثير موجهم في
شأن بنت مروان ولها يومئذ بنون خمسة رجال فلما جاءهم عمير بن عدي
من عند رسول الله صلعم قال يا بني خطمة انا قتلت ابنة مروان فليدوني
جميعاً ثم لا تنظرون فذلك اليوم اول ما عز الاسلام في دار بني خطمة
وكان يستخفي باسلامه فيهم من اسلم وكان اول من اسلم عمير بن
عدي . واسلم يوم قتلت ابنة مروان رجل من بني خطمة لما راوا من
عز الاسلام . (ابن هشام الجزء الثالث باب قتل ابي عفك وباب قتل
عصماء بنت مروان) وفي رواية اخرى ان عميراً كان اعمى وكان سابقاً
زوج عصماء وقد سرى اليها ليلاً في حجرتها وفي حضنها طفل فازاح
الطفل عنها وتحامل عليها بسيفه شيئاً فشيئاً حتى نفذ فيها ولما سمع محمد
في اليوم التالي اشار الى عمير في المسجد وقال قد نصر هذا الله ورسوله
وقبل قتل ابن ابي الحقيق بقليل قتلت ام قرفة بامر زيد وذلك
بان ربط القوم رجليها الى جملين والزموا الجملين بالسير الى طريقين
متعاكسين فانشقت المسكينة وتقطعت فهناً محمد زيداً بعمله ولم يوبخه
على هذا التوحش . وذكر ابن هشام ايضاً ان محمداً ارسل عمرو بن
امية وجبار ابن صخر من المدينة الى مكة لقتل ابي سفيان بن حرب ولم

يمكنهما قتله اذ عرفهما البعض ففرا ولكنهما قتلا ثلاثة رجال في طريقهما الواحد بعد الآخر. (ابن هشام الجزء الثالث باب بعث عمرو بن أمية لقتل ابي سفيان بن حرب وما صنع في طريقه) وكل ذي علم يعرف انه من السهل علينا ان نقبس من كتبة مشاهير المسلمين روايات عن اخلاق محمد اشد مما كتبنا مثل حكاية قتل مخيريق ولكن كفى بما ذكرناه في هذا الموضوع^(١) ولا نريد ان نقول كلمة واحدة من انفسنا عن هذه الروايات فقط نسأل اخواننا المسلمين سؤالاً واحداً لو لم يدع محمد النبوة بل كان عربياً وثنياً كالعرب في الجاهلية ولم يتعلم عن الله تعالى الرحمن الرحيم القدوس بل كان فقط محارباً عظيماً مثل تيمورلنك وكانت رغبته الوحيدة ان يكون قوياً ويلدذ نفسه بالطيب والنساء

ففي اي شيء كان يختلف (بغض النظر عن القرآن والفرائض الدينية) عن تيمور رغمًا عن ادعائه النبوة والرسالة الالهية او بعبارة اخرى في اي شيء اختلفت اخلاقه الادبية عن الفاتحين الذين جل قصدهم النجاح العالمي والتلذذ بالشهوات؟

هل اخلاق محمد في ما ذكرناه من جهة العفة ومسامحة الاعداء

(١) راجع رسالة الكندي عن ذلك

والتواضع والشفقة والورع تبرهن على ان رسالته من الله وانه خاتم الانبياء وآخر المرسلين واكمل الخلائق ؟ وهل من الضروري ان تؤمن بدعواه رغمًا عن اخلاقه التي ظهرت بعد ادعائه النبوة ؟

(٣) اما طريقة الوحي لمحمد فمعدنا اقوال كثيرة لمؤرخي الاسلام وكتبة الحديث متفق عليها بين اهل السنة والشيعة في ابن اسحق وابن هشام وابن الاثير وحسين بن محمد وفي علي جابي (تريكي) وفي كثير غير ذلك وتجد احسن مجموعة للاحاديث في هذا الموضوع كتاب مشكاة المصابيح في كتاب الفتن وباب البعث وبدء الوحي قيل بعث في الاربعين سنة من عمره وكان بغار حراء بقرب مكة وزعم محمد ان الملاك جبرائيل جاءه وامره ان يقرأ باسم ربه فرجع يرجف فؤاده الى خديجة

وقال زملوني زملوني فغطوه ويظهر انه اغمي عليه لانهم رشوا عليه الماء حتى صحا لنفسه كما في ابن الاثير وقيل ان خديجة امتحنته لتعرف ان كان الشيطان هو الذي ظهر له فافتنعت بانه الملاك جبرائيل ولكن محمداً نفسه كان في شكوك كثيرة وخصوصاً لما فتر الوحي فترة فحزن النبي حزناً شديداً غداً منه مراراً حتى يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلماته في بذورة جبل لكي ياتي نفسه منه تبدى له

جبريل عليه السلام . رواه البخاري وغيره

وبعد ذلك كان كل ما جاءه الوحي تظهر عليه علامات تجعل
الحاضرين ينتظرون منه آيات قرآنية فمن عائشة سئل رسول الله
صلعم كيف يأتيك الوحي فقال أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس
وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت عنه قال وأحياناً يتمثل لي
الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول . قالت عائشة ولقد رأيته ينزل
عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد
عرقاً (مشكاة المصابيح باب المبعث وبدء الوحي) وروى مسلم « كان
النبي إذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتردد وجهه » (المشكاة)

وقال ابن اسحق ان محمداً كان يرقى من العين وهو بمكة قبل
ان ينزل عليه القرآن . فلما نزل عليه القرآن اصابه نحو ما كان يصيبه
قبل ذلك واشتهر على بعض اللسان كما ذكر صاحب كتاب انسان
العيون ان أمانة ام محمد رفته من العين وجاء ان رسول الله صلعم قال
لخديجة اذا خلوت سمعت نداء ان يا محمد يا محمد وفي رواية ارى نوراً
اي يقظة لا مناماً واسمع صوتاً وقد خشيت ان يكون والله لهذا امر .
وفي رواية اخشى ان اكون كاهناً اي فيكون الذي يناديني تابعاً من
الجن . وفي رواية اخشى ان يكون بي جنون فانه كان يصيبه ما يشبه

الاغماء بعد حصول الرعدة وتغمض عينيه وتربد وجهه ويفط كغطيط
 البكر. وروى عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم كان اذا نزل عليه
 الوحي لم يستطع احد ان يرفع طرفه اليه حتى ينقضي الوحي وفي
 لفظ كان اذا نزل عليه صلعم الوحي استقبلته الرعدة وفي رواية كرب
 لذلك وتربد له وجهه وتغمض عينيه وربما غط كغطيط البكر محمرة
 عيناه وعن عمر بن الخطاب انه كان اذا نزل على رسول الله صلعم
 الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل. وايضاً عن ابي هريرة انهم
 كانوا يضعون على رأسه الحناء بسبب ألم الرأس الذي كان يصيبه
 «كتاب مرآة الكائنات» وفي انسان العيون عن زيد بن ثابت انه
 لما كان ينزل عليه الوحي كان يثقل جداً فجاءت ساقه مرة على ساق
 فوالله لم ار اثقل من ساق رسول الله صلعم. وكان يأتي الوحي احياناً
 وهو على الجمل فكانت تنوء تحته وتجنو وكما كان الوحي ينزل على
 النبي كان كأن نفسه تؤخذ منه لانه كان يحصل له اغماء ويظهر كالمثل
 ولم تبدأ هذه الحوادث مع محمد قبل النبوة بقليل بل من صغره
 منها انه لما كان ولداً صغيراً وهو في الصحراء عند مرضعته حصل له
 نوع من ذلك ورويت هذه القصة في اشكال شتى ورواها مسلم عن
 انس قال «اتاه جبرائيل وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه فشق

عن قلبه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله
 في طشت من ذهب بماء زمزم ثم لأمه واعاده في مكانه وجاء الغلمان
 يسعون الى امه يعني ظئره فقالوا ان محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو
منتقع اللون قال أنس فكنت ارى اثر المخيط في صدره وعلى هامش
 هذا القول قال صاحب مشكاة المصابيح «قد وقع الشق له صلعم
 مراراً فعند حلیمة وهو ابن عشر سنين ثم عند مناجاة جبرائيل له
 بغار حراء ثم في المعراج ليلة الاسراء» فترى ان ما حصل له في حادثته
 حدث له ثانية في غار حراء وهو ما يقال له مبعث الوحي

ويقول ابن هشام ان زوج حلیمة (ظئره) قال «لقد خشيت
 ان يكون هذا الغلام قد اصاب فالحق به باهله قبل ان يظهر ذلك
 به» ولما ارجعته الى امه آمنة قالت هذه لها «افتخوفت عليه الشيطان
 قالت قلت نعم»

وهنا يعترضنا السؤال كيف يثبت ان هذا العارض كان اشارة
 الى نزول جبرائيل ونزول الوحي؟ نخبرنا المؤرخون ان يوليوس قيصر
 الامبراطور الروماني وبطرس الاكبر قيصر روسيا ونا بليون بونا بورت
 امبراطور فرنسا الاول وغيرهم من العظماء والمخارين حدث لهم مثل

تلك العوارض . ولكنهم ليسوا انبياء ولا رسلاً . بل اكد الذين كانوا معهم انه مرض اصابهم

لا شك ان بعض المسلمين من القراء درسوا علم الطب والبعض الآخر لهم اصدقاء اطباء فليبحثوا اذا كان يوجد مرض يظهر غالباً في سن الحداثة من اعراضه ان يصرخ العليل صرخة غريبة غير واضحة ويصرع الى الارض ويصفر لونه ثم احياناً يصير بلون الارجوان ويرتعد الجسد ويزبد الفم وتغلق العينان ويظهر الریض كأنه على وشك الموت وغالباً يرى انواراً واضواءً ويسمع صليصلة في اذنيه ثم يعتريه ألم شديد في رأسه . وغالباً يشعر بالنوبة قبل مجيئها اكدوا ان هذا المرض موجود وانه ليس بنادر وحيث ان كاتب

هذه الاسطر ليس بطبيب فلذلك لم يبت رأياً في هذه المسئلة وانا اترك للقراء ان يحكموا بهداية الله اذا كانت الحقائق التي رويناها عن محمد وعن اخلاقه تثبت انه نبي مرسل من الله . ولنلاحظ ان ما اوردناه ليس كلام اعدائه بل اقوال اصحابه واقربائه والمؤمنين به كخاتم الانبياء والمرسلين .

الفصل السابع

بحث في كيفية انتشار الاسلام أولاً في بلاد العرب ثم في البلاد المجاورة
 من ابن هشام وسير نبي العرب الاخرى نعلم انه لما ادعى النبوة
 في مكة في الاربعين من عمره استعمل اولاً الوسائل الودية لانتشار
 دينه الذي دعاه دين ابراهيم وثبت تعاليمه بتعاليم زيد الحنيف واستعمل
 نفوذه الشخصي وشدد وحاج العرب ليرجموا عن عبادة الاصنام
 الى عبادة الله تعالى. وكانت امرأته خديجة اول تابعة له ثم تبعها سبعة
 وهم عبده زيد بن حارثة (ففاك عبوديته) وابو بكر وعثمان بن عفان
 والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص وطلحة.
 ويذكر ابن هشام اسماء آخرين اعتنقوا الاسلام اولاً منهم الفتاة عائشة
 وهؤلاء اعتنقوا الاسلام سرّاً في السنوات الثلاث الاولى لنبوة محمد
 ثم بدأ يذيع تعليمه جهراً تحت حماية عمه ابي طالب الذي لم يكن قد
 اسلم بعد. ولا يعلم ان كان قد اعتنق الاسلام بعد ذلك ام لا. وقد
 ذكر ابن هشام في الجزء الاول باب الهجرة الاولى الى الحبشة ان
 ستة عشر مسالماً فقط هم الذين هاجروا في السنة الخامسة ولكن لحقهم
 من وقت لا آخر آخرون الى بلاد النجاشي حتى بلغ عددهم ثلاثة وثمانين

رجلاً عدا بعض النساء والاولاد ولا دليل على قول بعضهم ان النجاشي اسلم اذ ان بلاد الحبشة لا تزال الى اليوم تدين بالديانة المسيحية. وبعد ذلك بقليل اسلم قريب من اربعين من رجال ونساء بمكة ويقول ايضا ان عشرين من نصارى نجران سمعوا القرآن وآمنوا. ولكن ذلك غالباً ليس بصحيح فانه اولاً لا يمكن للمسيحيين أن يدخلوا مكة التي كانت وقتئذ ملاءى بالاصنام وثانياً لانهم بالطبع لم يجدوا في كتابهم عنه شيئاً كما قال ابن هشام «وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من امره»

وقد اجتمع اشراف قريش فاراد محمد ربهم الى جانبه بان اكد لهم انهم يملكون العرب وتدين لهم العجم لوعبدوا الله وتركوا عبادة الاصنام. (ابن هشام)

وبعد هجرة كثيرين من اتباعه الى الحبشة سعى نفس هذا المسعى لربح قريش بقوله «أفرا أتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى تلك الغرائيق العلى وان شفاعتهن اترجى» ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها (راجع سورة الحج آية ٥٢) وتفسيرها فانتشرت الاخبار الى الحبشة بان اهل مكة قد اساموا فرجع اكثرهم فوجدوا ما كانوا اخبروا به من اسلام اهل مكة باطلاً لان محمداً غير

الجزء الاخير من الآية حالا كما تراها الآن في سورة النجم (آية
٢١-٢٣)

وقد زار بعض رجال الاوس والخزرج الساكنين بيثرب او
المدينة مكة وهناك سمعوا محمداً فلسم احدهم ولكنه مات حالا بعد
وصوله لبيته وانتشر الاسلام رويداً ثم جاءه ستة نفر واعتنقوا
الاسلام فلم تبق دار من دور الانصار الا فيها ذكر رسول الله
صلعم. وفي بيعة العقبة الاولى جاءه اثنا عشر رجلاً وارادوا مساعدته
قال ابن هشام «فاشترط علينا ان لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا
نرني ولا نقتل اولادنا ولا نأتي يهتان نفتريه من بين ايدينا ولا
ارجلنا ولا نعصيه في معروف فان وفينا نلنا الجنة» وسميت هذه
البيعة «بيعة النساء» لانها لم يفترض عليهم فيها حرباً. وقد بعث
النبي مصعب بن عمير الى المدينة ليعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين
ثم رجع آخرين منهم رئيسين قوين هما سعد بن معاذ واسيد بن
حضير. وفي السنة التالية رجع مصعب الى مكة مع ثلاثة وسبعين رجلاً
وامرأتين من المدينة مسامين. وفي بيعة العقبة الثانية ارادوا ان
يساعدوه بسيوفهم كي ينضموا الاسلام على الشرك فقال لهم لم تؤمر
بذلك ولكنه بعد مدة وجيزة صرح لهم ان الله اذن له بالحرب حتى

يكون الدين كله لله. ووعد المؤمنين بالجنة. وبعد الهجرة ذهب كل مسلمي مكة تقريباً الى المدينة وبقي في مكة محمد وابو بكر وعلي مدة ثم هربوا من الخطر. ولا نعلم عدد المسلمين الذين تركوا وطنهم لاجل دينهم. وبعد سنة ونصف من الزمان خرج معه في غزوة بدر (الاولى) نحو ثلاثة وثمانين مهاجراً فنسنتج من هذا ان عدد الذين اسلموا في الثلاث عشرة سنة الاولى بواسطة تعليمه اكثر من المائة بقليل. ولنلاحظ انه قد مات منهم نفر قليل. اما الذين اعتنقوا الاسلام في المدينة فكانوا يقلون عن مسلمي مكة بقليل وهؤلاء ربحهم بترغيبه لهم في الملذات الجسدية

وقد ذكر ابو بكر في خطبته في جامع المدينة بعد موت محمد بقليل كيف ان مساعي محمد الودية لم تفلح في مكة فقال ما معناه «مكث محمد اكثر من عشر سنوات بين قومه يدعوهم الى الاسلام فلم يؤمن منهم الا القليل واخيراً بمشيئة الله تعالى بعث اليكم نور محياه واتخذ مدينتكم مأوى هجرية» (عن روضة الصفا)

وقد مكث محمد ثلاث عشرة سنة يعمل بالوسائط الودية لنشر دينه وهذه هي الطريقة التي يجب على كل نبي حقيقي ان يتبعها. ولكنه غالباً عرف كما صرح ابو بكر ان هذه المساعي لم تفلح اذ طرد

من مكة مع اتباعه وسكنوا بين قبائل معادية لقريش . وقد اتقوا في
ديارته كثيراً من العوائد الوثنية كالطواف والحج واستلام الحجر
الاسود فكان يستحيل عليه وعلى اتباعه ان يتموا هذه الفرائض
الا اذا حاربوا اهل مكة^(١) ولم يرجع الانصار عن رغبتهم في الحرب
بل اخبرهم ان الله امر بالجهاد لاجل الدين فصار نبي السيف وصار
السيف حجة الاسلام الوحيدة من ذلك اليوم

واذا حكمنا على اخلاق محمد وتابعيه في ذلك الحين فيظهر انهم
ظنوا عدم لزوم اتباع القوانين الادبية التي تعهدوا بها في بيعة العقبة
انما الامر الوحيد المطلوب منهم هو الجهاد في سبيل الله بالسيف
والحربة والقوس والسهم والخنجر الخ . وكانت هذه الاسلحة الواسطة
في ارتكاب محيصة وابي نائلة جريمة القتل كما ذكرناه قبلاً

واننا لانود ان نشير الى حالة محمد في العفة بل نشير الى صاحبه
عبد الرحمن الذي ولد له من ستة عشر امرأة عدا السراري . ولما
هاجر عبد الرحمن الى المدينة خيره سعد في ان يطلق له ما يختاره من
نسائه ليزوجه بها فتزوج عبد الرحمن احداهن . ولم يعارض محمد بذلك

(١) سورة الحج ٤١ و٤٢ وسورة البقرة ٢١٦

مع ان هذا زني بحسب شريعة الله^(١) ونرى خالد بن الوليد في فتوحه
 للشام ان سيرته كانت غير محموده ومع ذلك لم يسقط اسمه وصيته بين
 المسلمين حتى ان القرآن اباح للمسلمين تعدد الزوجات واتخاذ
 السراري كما ان محمداً تزوج بقدر ما شاء وكذلك وعد المؤمنين بلذات
 شهوانية وخصوصاً للذين جاهدوا في سبيل الله . والذين ماتوا في
 غزواتهم فانهم شهداء عند ربهم وستر حب بهم الحور العين في الجنة
 حتى ولو قتلوا في غزوة لنهب الآخرين وللحصول على ما لهم بالقوة
 وما اعلن محمد الاذن بالحرب والجهاد والغزو حتى كثر انضمام
 العرب اليه وبعد وصوله للمدينة بقليل «لم تبق دار من دور الانصار
 الا وفيها مسلم» كما ذكر ابن هشام . ثم عاهد وأخى بين المهاجرين
 والانصار وامر ببناء جامع

وقد رأينا قلة الذين اساموا في غضون الثلاث عشرة سنة الاولى
 قبل الهجرة اما الآن فكانوا يكثرون جداً حتى انه لما هاجم مكة بعد
 ثماني سنوات كان معه عشرة آلاف مسلم وفي السنة التاسعة للهجرة
 في غزوة تبوك كان معه نحو ثلاثين الفا من الرجال وبعد حين لما
 ارسلهم ابو بكر لفتح الشام قال الواقدي «فنظر اليهم وقد ملأوا

(١) متى ٣٢:٥ و ١٩:٩ ومرقس ١١:١٠ ولوقا ١٨:١٦

الارض» ولا شك ان اغلب هؤلاء التابعين قد انتموا اليه حباً في ما كانوا ينالونه من الغزوات وليس رغبة في ملذات الجنة وكان هذا فكري الخليفة المأمون. والبعض اعتنقه جبراً خوفاً على حياته. فكثيرون من اليهود الساكنين في المدينة او بقربها اعتنقوا الاسلام قال ابن هشام «فتظاهروا بالاسلام واتخذوه جنة من القتل وناققوا في السر» ويذكر اسماء كثيرين من الذين اسلموا ولهم عذر واضح في ذلك وهو ما جرى لآخوانهم بني النضير وبني قينقاع وبني قريظة ولكن ليس اليهود فقط الذين خيروا بين الاسلام او الموت الشنيع بل كانت تلك المعاملة عامة حتى انها عوملت بها قريش فبعد فتح مكة سنة ٨ هـ قالت قريش «قتلنا فاسامنا»

ويذكر ابن هشام حكاية اسلام ابي سفيان الذي لما جىء به من السجن الى النبي قال صلعم «ويحك يا ابا سفيان ألم يأن لك ان تعلم انه لا اله الا الله قال والله لقد ظننت انه لو كان مع الله اله غيره لكان قد اغنى عني شيئاً بعد قال ويحك يا ابا سفيان ألم يأن لك ان تعلم اني رسول الله قال اما هذه فان في النفس منها حتى الآن شيئاً فقال له العباس ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله قبل ان تضرب عنقك قال فشهد شهادة الحق» اذ اقتنع بقوة تلك الحجة

الدامغة وبهذه الحجة نفسها أسلم رفيقاه في سوء الحظ حكيم بن حزام
وبديل بن ورقة

ويخبرنا ابن الاثير ما معناه ان رجلا يدعى بجير هجا محمداً في
كلامه ثم رجع اليه واعتنق الاسلام وان اخاه المدعو كعب لما سمع
بذلك كتب شعراً يعيب محمداً فغضب النبي وامر بقتله فكتب بجير
الى اخيه وطلب اليه ان يسرع باعتناق الاسلام قبل ان ينفذ فيه
الامر بقتله فانتصح كعب بنصح اخيه وبذلك انقذ حياته

وقد رغب محمد تابعيه بوسائل ادنى من ذلك منها ترغيبه لهم
الجهاد حباً في النساء فامر الناس بالتهيء لغزو الروم في غزوة تبوك
واخبرهم انه يريد الروم بخلاف عادته فانه قلما يخرج في غزوة الا كنى
عنها واخبرانه يريد غيرها الا ما كان من هذه الغزوة فقال ذات يوم
وهو في جهازه لذلك للجد بن قيس يا جد هل لك العام في جلاد بني
الاصفر فقال يا رسول الله أو تأذن لي ولا تقتني فوالله لقد عرف قومي
انه ما من رجل باشد عجباً بالنساء مني واني اخشى ان رأيت نساء بني
الاصفر ان لا اصبر فاعرض عنه صلعم وقال قد اذنت لك في جد بن
قيس نزلت هذه الآية «ومنهم من يقول ائذن لي ولا تقتني ألافى
الفتنة سقطوا وان جهنم محيطة بالكافرين» اي انه كان انما خشي

الفتنة من نساء بني الاصفري وليس ذلك به فاسقط فيه من الفتنة اكبر
بتخلفه عن رسول الله صلعم والرغبة بنفسه عن نفسه (انتهى ماخصاً من
سيرة ابن هشام غزوة تبوك) ومما يدل على اخلاقه ما قاله عبد الله
الهاشمي لعبد المسيح الكندي في ترغيبه له باعتناق الاسلام ما
معناه الترغيب في المذات والشهوات الجسدية في الدنيا والاخرة
كقوله بسماع الدين الاسلامي له بان يجمع بين اربع نسوة عدا
السراري وختم قوله له واقبل داخلاً في الدين القيم السهل
ومن البواعث الاخرى التي كان يحرضهم بها محمد للجهاد هو
النهب والسلب وهذا واضح ولكننا سنقدم قليلاً من ذلك منها ان
عبد الرحمن ابن عوف الذي ذكرناه من المهاجرين جاء الى المدينة
فقيراً ولما مات ترك كومة من الذهب كانت تكال بالفؤوس حتى
ادمت ايدي الناس في تفريقها وعدا ذلك ترك الف جل وكثيراً
من قطعان الغنم والبهائم. ثم بعد غزوة نهاوند كانت الغنيمة فائقة
الوصف حتى انه بعد رفع الاخماس قسم ما بقي من الغنائم فكان سهم
الفارس ستة آلاف درهم وكان سهم الراجل الفين (راجع غزوة
نهاوند في روضة الصفا)

وقد صرف محمد وقتاً طويلاً بين الهجرة وموته في وضع طرق

الغزوات لا غناء تابعيه قال الواقدي ان محمداً حضر تسع عشرة غزوة من ست او سبع وعشرين غزوة ويقول ابن الاثير ان الغزوات كانت خمساً وثلاثين ولكن ابن هشام يقول « وكان جميع ما غزا رسول الله صلعم بنفسه سبعة وعشرين غزوة ... قاتل منها في تسع غزوات هذا عدا السرايا والبعوث والنهاب الليلية الخ » واننا لا نعلق على اخلاق محمد هذه بل نكتفي بان نشير الى ما ذكره الكندي في رسالته عن ذلك فراجعه

ولكي تظهر بعض البواعث التي سببت انتشار الاسلام في بدء ظهوره وبعده نكتفي باقتباس قول الخليفة المأمون^(١) « والله اني لا اعلم ان فلاناً وفلاناً وفلاناً » حتى عدد جملة من خواص اصحابه ليظهرون الاسلام وهم ابرياء منه وبراء مني واعلم ان باطنهم ليخالف ما يظهرونه وذلك انهم قوم دخلوا في الاسلام لا رغبة في ديانتنا هذه بل ارادوا القرب منا والتعزز بسلطان دولتنا لا بصيرة لهم ولا رغبة في صحة ما دخلوا فيه واني اعلم ان قصتهم كقصّة ما يضرب من مثل العامة ان اليهودي انما تصح يهوديته ويحفظ شرائع توراته اذا اظهر الاسلام وما قصة هؤلاء في مجوسيتهم واسلامهم الا كقصّة اليهودي واني لا اعلم ان

(١) انظر رسالة الكندي طبعة سنة ١٩١٢ و ٧٣ — ٧٥ (من مطبعتنا)

فلاناً وفلاناً (حتى عدد جماعة من اصحابه) كانوا نصارى فاساموا كرهاً
فما هم بمسلمين ولا نصارى ولكنهم يخاتلون فما حيلتي وكيف اصنع
فعليلهم جميعاً لعنة الله... ولكن لي قدوة برسول الله صلعم واسوة به
لقد كان اكثر اصحابه واخصهم به واقربهم اليه نسباً يظهرهم انهم
اتباعه وانصاره وكان صلعم يعلم انهم منافقون وعلى خلاف ما كانوا
يظهرون له وصح ذلك عنده وانهم لم يزالوا يبتغون له الغوائل
ويريدون به السوء ويتطلبون له العثرات ويعينون المشركين عليه...
ثم ارتدوا جميعاً بعد موته فلم يبق منهم احد كان يظن به رشداً الا
رجع واراد وحرص على تشييت هذا الامر وابطاله ظاهراً وباطناً
وعلانية وسراً الى ان ايده الله وجمع تفرقهم والقي في قلوب بعضهم
شهوة الخلافة ومحبة الدنيا الخ

وليس الارتداد عبارة عن الامتناع عن دفع الزكاة فقط وان
يكن مخالفاً للقرآن بل ان عموم العرب قد ارتدت عن الاسلام حقيقة.
قال ابن الاثير ما معناه ارتدت العرب شرفاء ووضعاء من كل قبيلة
واعلن الشقاق ورفض اليهود والنصارى الخضوع وبقي المسلمون
كالغنم في الليلة الماطرة لفقدهم ولقلتهم وكثرة اعدائهم» وكانت
الظروف حرجة جداً حتى انهم طلبوا من ابي بكر بشدة ان يبقى الجيش

النازل قرب المدينة تحت امرة اسامة بن زيد الذي اعده محمد قبل وفاته لغزو الشام ولكنه رفض ان يعصي امر محمد الا آخر فاخضع ابو بكر القبائل وردّها للاسلام بالوعد والوعيد وبقوة السيف وهذا قد صرح به السيوطي وغيره في قوله « لما اردت العرب جاهدتم ابو بكر واصحابه حتى ردتم الى الاسلام »

وهنا ابتداء انتشار الاسلام خارج حدود بلاد العرب. فيجب ان نبحت اولاً كيف تم ذلك وبامر من وما هي الطرق التي استعملت في اقناع الناس بان محمداً رسول الله وخاتم الانبياء وبأي روح تم ذلك العمل وبأية حجة قبل اهل الشام ومصر وفارس اعتناق الاسلام لما سير ابو بكر الجيوش للشام بعد موت محمد قال ما معناه « اعلموا ان رسول الله كان عزم على غزو سورية فاخذه الله اليه ... واني والله عازم على توجيه ابطال المسلمين الى الشام وقد قال لي رسول الله صلعم قبل وفاته: واعطيت مشارق الارض ومغاربها وما اعطي لي فهو لامي » (الواقدي فتوح الشام) ثم كتب ابو بكر كتباً للمسلمين ولمكة يأمرهم بالجهاد والجهاد اسم اطلقه كتبة المسلمين على الحرب وقد اوصى ابو بكر يزيد بن ابي سفيان حين خروجه مع الجيش الى الشام بما ذكرناه في الفصل الثالث من الباب الثاني من هذا الكتاب.

ومحمد نفسه اوصى زيد بن حارثة ابنه بالتبني بمثل ذلك «اقتلوا اعداءكم
واعداء الله الذين في الشام . وهناك تجدون انساناً في صوامع فلا
ترجعوهم ولا تقتلوا امرأة او وليداً ولا تقطعوا نخلاً ولا تخربوا
نيتاً»^(١) ولكن ذلك لا يدل على رحمة للنساء فانهم كانوا يبقين لشيء
ارداً هو التسري بهن . مع ما رأينا من محمد وقتله نساء في المدينة
ومكة لسبب هجوه ولم يكن المسلمون ارحم منه على النساء بعد موته .
اخبرنا السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء عن امرأتين اولاهما ذمت
محمداً والثانية عابت الاسلام فانهم قطعوا يداً من كل منهما وكسروا
اسنانهما الامامية . ولما سمع ابو بكر بذلك كتب قائلاً لو استشاروا
في ذلك لكان امر ان تقتل الاولى . اما الروح التي بها اعتنقت
الامم المجاورة الاسلام فتظهر في شعر علي بن ابي طالب

السيف والخنجر ریحاننا اف على النرجس والاس

شرابنا دم اعدائنا كأسنا ججمة الراس

وذلك بحسب تعليم القرآن فان في سورة (المائدة آية ٣٦) «انما
جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً ان
يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من

الارض» ثم في سورة التوبة امرهم بعد الاربعة اشهر الحرم بالبراءة من المعاهدة مع المشركين فقال « فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد» (سورة التوبة آية ٦) ولا يخلوا سبيلهم الا على شرط ايتاء الزكاة واقامة الصلاة والتوبة او بلفظ آخر اعتناق الاسلام. ونجد الحكم على اهل الكتاب في نفس السورة آية ٣٠ «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون» ولا يزال هذا الامر محتماً على المسلم الذي يجب عليه ان يلزم اليهود والنصارى ان يعتنقوا الاسلام او تكون حالتهم اذل من حالة العبيد وكما سنرى قام المسلمون بهذا الواجب وبهذا غلبوا الشام وفلسطين ومصر وفارس. لا شك ان الدافع القوي لكثير منهم الى الرغبة في الحرب هو حب النهب واتخاذ السراري. ولكن لا يفوتنا ان الدين شجعهم على ذلك. فكانوا يصرحون بان سبب كل حروبهم هو لا انتشار الاسلام او بعبارة اخرى الجهاد وقد رأينا ان ابا بكر دعا غزوة الشام بهذا الاسم. وان الخليفة عمر في كتابه لعياض بن غانم في فتح ديار بكر وبقية فارس يدعوها الجهاد. والمؤرخون من المسلمين

يدعون كل الحروب بهذا الاسم. وكان يقدم لاهالي تلك الامم القاعدة
الموضوعة في سورة التوبة التي قام بحفظها المسلمون خير قيام وسنقدم
بعض امثلة من ذلك كتب ابو عبيدة لاهالي مدينة القدس لما
حاصرها المسلمون «اذا قبلتم ديننا او رضيتم بدفع الجزية لا تتدخل في
امركم والا فارسل لكم اقواماً الموت لاجل دينهم احب اليهم من حبكم
في اكل الخنزير وشرب الخمر» وكذلك يزيد ارسل بمثل هذه الرسالة
الى مدينة القدس ايضاً. «ماذا تجيئون عن دعوتكم الاسلام والحق
والشهادة التي هي لا اله الا الله محمد رسول الله حتى يغفر لكم الله
ذنوبكم الماضية وبذلك تمنعون سفك دماءكم واذا رفضتم فاعملوا معنا
معاهدات مثل ما عمل من هم اعظم منكم واقوى واذا رفضتم هذين
الشرطين فالويل والهلاك لكم» وقد ضمن كل ذلك المترجم في قوله
« ان الرئيس يخبركم بين الاسلام او الجزية او السيف » فاجابه
المسيحيون اننا لا نرتد عن دين المجد واذا قتلنا فذاك اسهل لنا. وفي
بدى فتح ارمينيا كتب الى بوستيوس حاكم بلدز يقول ارسلنا لكم
كي تشهدوا ان لا اله الا الله لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله
او تدخلوا في ما دخل فيه الناس او تدفعوا الجزية صاغرين
لما ارسل سعد بن ابي وقاص المغيرة بن شيبه الى يزدجرد في

مديان كانت معه رسالة من الخليفة هذا معناها «ندعوك الى قبول الشريعة السمحة فاذا قبلتها لا تدخل قدم في ملكك بدون اذنك ولا يطلب منك سوى الزكاة والخمس واذا لم تقبها تلزم بدفع الجزية والا فاستعد للحرب. وقال الكاتب ايضاً اذا رفضتم الاسلام ودفع الزكاة والخمس فادفعوا الجزية وانتم من الصاغرين» فسأله يزدجرد عن معنى كلمة صاغر فقال معناها ان تدفع الجزية وانت واقفاً على قدميك والسوط يعمل فوق رأسك ويقول الواقدي ان ابا موسى ارسله سعد بن ابي وقاص الى القائد رستم قبل معركة المقدسية يقول جئنا لنطالب منكم ان تقبلوا الشهادة والاسلام والا فالسيف خير شاهد بيننا فيتضح ان المسيحيين والمجوس كانوا مجبورين على دخول الاسلام او مخيرين بين احدى ثلاث (١) اما الاسلام رغماً عن ارادتهم (٢) او دفع الجزية وعم من الصاغرين (٣) او الموت . وكله ناتج من قوانين القرآن الواردة في سورة التوبة كما اوردها قبلاً ولا ننكر ان معاملة المجوس والمشركين كانت اشد من معاملة المسيحيين كما في آية ٦ من نفس السورة فان لقب اهل الكتاب هو لليهود والنصارى فقط وعليه فالذين اجبروا على اعتناق الاسلام خوفاً من السيف ورفضوه لما رأوا في انفسهم قوة على ذلك في سنة ٣٠ هـ ارسل الخليفة

عثمان بن ابي العاص او كما يقال سعد اخاه ضد يزدرجرد الذي كان
يساعد اهل استخر الذين كانوا خضعوا للاسلام ثم ارتدوا عن
الصراط المستقيم ولكن التصريح بان الاسلام ليس من الله فهو خطر
اعظم جداً . اذ ان شريعة القرآن في ذلك القتل فقد جاء في سورة
البقرة (آية ٢١٤) « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر »
وفي ابن هشام في باب فتح مكة يذكر ان محمداً قتل رجلاً
لارتداده عن الاسلام

واذا اعتنق الانسان الاسلام ظاهراً ولم يؤمن به باطناً فهو
منافق ومصيره بحسب القرآن انه في الدرك الاسفل من النار . ومع
ذلك فكان الواجب الاول على المسلمين في ايام الاسلام الاولى ان
يلزموا الناس باعتناق الاسلام او بعبارة اخرى يلزموهم بالنفاق وكذلك
الشهوات والتجارب العالمية كانوا يقدمونها لمن يقبل الاسلام ولو
ظاهراً وبها تين الطريقتين انتشر الاسلام . وكانوا يتخذون الجهل في
تلك الايام وسيلة لحفظ الناس في هذا الايمان وذلك واضح من امر
الخليفة عمر في المكاتب التي كانت توجد في البلاد التي يفتحونها
فقد كتب ابو الفرج عن مكتبة الاسكندرية ما معناه
ان عمرو بن العاص لما فتح مصر سنة ٦٤٠ م سأل عمر ماذا

يعمل بالمكتبة فاجاب اذا وافقت الكتب القرآن فلا لزوم لبقائها واذا لم توافقه فيجب اتلافها. وفي كشف الظنون سأل سعد بن ابي وقاص لما فتح الفرس عما يعمل بمكاتبها. فكان جوابه ما معناه «اطرحها في الانهار فان كان فيها هدى فتحن عندنا احسن هدى في كتاب الله واذا كان فيها ضلال فليقتلنا الله شرها وقد اطاعوا امره في مصر وفارس. الا انه في عصر المعتزلة سادت الحرية نوعاً ما في البلاد الاسلامية في البحث والاستقصاء

والاضطهادات التي وقعت على المجوس الذين رفضوا اعتناق الاسلام جعلت كثيرين منهم يهربون الى الهند حيث سالتهم الآن وفي بومباي جمعية صناعية نشيطة منهم اذ وجدوا انه اسهل بكثير ان يعيشوا في وسط الهنود الوثنيين من ان يعيشوا في بلادهم تحت ذل واضطهاد المسامين. وكل من عاش او سافر الى البلاد الاسلامية يعرف مقدار الذل الواقع على الذميين سواء نصارى او يهود او مجوس فلا تقبل لهم شهادة في المحاكم ولا يمكنهم الدفاع عن انفسهم من الشر والحيف بل هم معرضون في كل آن للمذابح الاسلامية. كما حصل في اطنة وفي ارمينيا وفي بلغاريا منذ سنوات قليلة. ولمدة اجيال كانت تؤخذ ابناء المسيحيين خطفاً ويلزموا باعتناق الاسلام قسراً أو يخدموا

كيسقجية وهم جماعة الانكشارية التي افناها احد السلاطين قريباً
ولما كان مصصح هذا الكتاب في فارس بقرب اصفهان كان
يعرف شخصاً مساماً ساكناً بقرية قريبة منه فقال له هذا المسلم «منذ
خمسین سنة لما كنت ولداً صغيراً كنت انا ووالدي وكل اهلي من
المجوس فاصدر المجتهد (العالم) يوماً ما امرأً بان يعتنق جميعنا الاسلام.
فذهبنا الى الوالي وترحمنا منه ورفضنا ان نغير ديننا وقدمنا رشوة
للعلماء واشراف المسلمين. فاحذوا مالنا ولم يساعدونا. وصرح المجتهد
انه يقدم لنا فرصة حتى ينتصف يوم الجمعة المقبل فان لم نعتنق الاسلام
في تلك المدة فنقتل كنا. وفي ذلك الصباح تجمهر حول قريتنا رعا
المسامين وبايديهم اسلحة مميتة منتظرين الميعاد المضروب ليلتدأ بالنهب
والقتل. وانتظرنا عبثاً ان يلين قلب عدونا حتى انتصف النهار ولكن
عند الظهر تماماً التزمنا ان نعتنق الاسلام وبذلك انقذنا حياتنا»
وفي تلك المدينة الى عهد قريب كان يوجد قانون مؤداه اذا
اعتنق فرد من عائلة مسيحية الاسلام ولو كان اصغرهم فكل ممتلكات
العائلة تسلم اليه ويطردوا اباؤه وامه واخوته واخواته من بيتهم ويتركوا
في ذل . واذا تأملنا في التوحش والاضطهاد الذي حل بالذميين في
مدة ١٣٠٠ سنة الماضية في كل البلاد الاسلامية تتعجب كيف امكن

بعضهم ان يقاوم الاضطهادات التي حلت بهم كي يكونوا منافقين
وها قد اتهمنا من بحثنا في دعوى الاسلام انه آخر وحي من
الله. واذا تأملنا في المقياس الذي وضعناه في المقدمة وتأملنا في مقدار
ما يوافق الاسلام هذا المقياس نجد الجواب سهلاً. واننا نرى ان
الاسلام ليس فيه الا البند الرابع الذي يتفق مع المقياس ولكن من
الوجه الآخر نرى في المسيحية جميع هذه الشروط تامة

الفصل الثامن

وهو الخاتمة

والآن ايها القارئ العزيز ها قد فحصنا معاً الادلة التي تقام
على صحة الاسلام وبحسنا دعاوي محمد بانه سيد المرسلين وخاتم الانبياء.
فبقي عليك ان تحكم لنفسك تحت نظر الله العارف بقلوب البشر اذا
كانت هذه الدعوى حقيقية ام كاذبة والله ارحم الراحمين نسأل ان
يهديك الى سواء السبيل

فعليك ان تختار اما الرب يسوع المسيح كلمة الله او محمد بن عبد
الله—تختار ذلك الذي جال يعمل الخير او المدعو نبي السيف—تختار
الذي قال احبوا اعداءكم^(١) او القائل اقتلوا اعداءكم واعداء الله—الذي

صلى لاجل قاتليه^(١) او الذي امر بقتل من عابه. لا شك انك عارف
 باخلاق وحياة المسيح التي هي من اعظم الادلة واقوى البراهين على
 صحة دعواه « جاءت الشمس دليلاً على الشمس — اذا اردت ان تعرفه
 (الله) فلا تحول وجهك عنه » ومن الوجهة الاخرى قد رأيت ما كتبه
 كتبة المسلمين عن حياة واخلاق محمد . فاحكم لنفسك اذا كانت
 اخلاقه افضل من اخلاق المسيح فانت مبرر في رفض المسيح وقبول
 محمد مخلصاً بدلاً عن الخالص . انت عارف ان الكتاب المقدس هو
 كلام الله وهو يعلمانا انه اتماماً للنبوات قد وضع حياته الثمينة لاجل
 الخطاة وكفر عن خطايانا اما محمد مات موتاً طبيعياً ولم يدع انه مات
 عن خطايا الناس . وقد قام المسيح حسب وعده وبحسب شهادة تلاميذه
 فاثبت بذلك انه غلب الموت^(٢) اما محمد فلا يزال في القبر

يوجد في المدينة بين قبري محمد وابي بكر محل قبر يقول
 المسلمون انه سيكون قبر سيدنا يسوع المسيح ابن مريم لم يدفن به احد
 البتة. وفراغه يذكّر الحجاج انه حي^(٣) ومحمداً ميت فاي الاثنين اقدر
 على مساعدتك؟ انت تؤمن ان المسيح سيأتي ثانية بل تنتظر الآن
 مجيئه بخوف وكذلك نحن المسيحيون ننتظر مجيئه الثاني بفرح وفرح

عالمين ان وعده^(١) ووعد ملائكته^(٢) سيتم. اننا ننتظر الوقت الذي فيه يتم قال الرسول « هوذا يأتي مع السحاب وستنظره كل عين والذين طعنوه وينوح عليه جميع قبائل الارض^(٣) » فكلما اقترب يوم مجيئه زدنا غيرة في طاعة امره الوداعي^(٤) وداومنا الكرازة بالانجيل لجميع العالم. حياتنا على الارض ليست طويلة وكذلك حياتك فكأموات نطلب من اموات ان يؤمنوا بالله الحي القدوس العادل الرحيم . نسألك ان تقبل في داخل قلبك ذلك الذي هو نور العالم^(٥) حتى تسير في هذه الحياة في نور حق الله وتنجو من نفاخ الشيطان ومن سلاسل وعبودية الخطية ولا تخجل اخيراً من المسيح عند مجيئه ليدين العالم^(٦) بالبر « لانه لا بد اننا جميعاً نظهر امام كرسي المسيح^(٧) » الذي اعطي اسماً فوق كل اسم لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الارض ومن تحت الارض ويعترف كل لسان ان يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب^(٨) « ستجثو يوماً ما امامه فلماذا لا تجثو الان اننا نقدم لك البشارة المفرحة عن محبته التي جعلته يضع نفسه

(١) يوحنا ١٤: ٣ (٢) اعمال ١١: ١ (٣) رؤيا يوحنا ١: ٧ (٤) مت ٢٨:

١٨-٢٠ (٥) يوحنا ٨: ١٢ (٦) مت ٢٥: ٣١-٤٦ (٧) ٢ كورنثوس ٥: ١٠

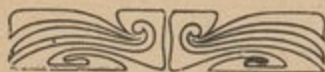
(٨) فيلبي ٢: ٩-١١

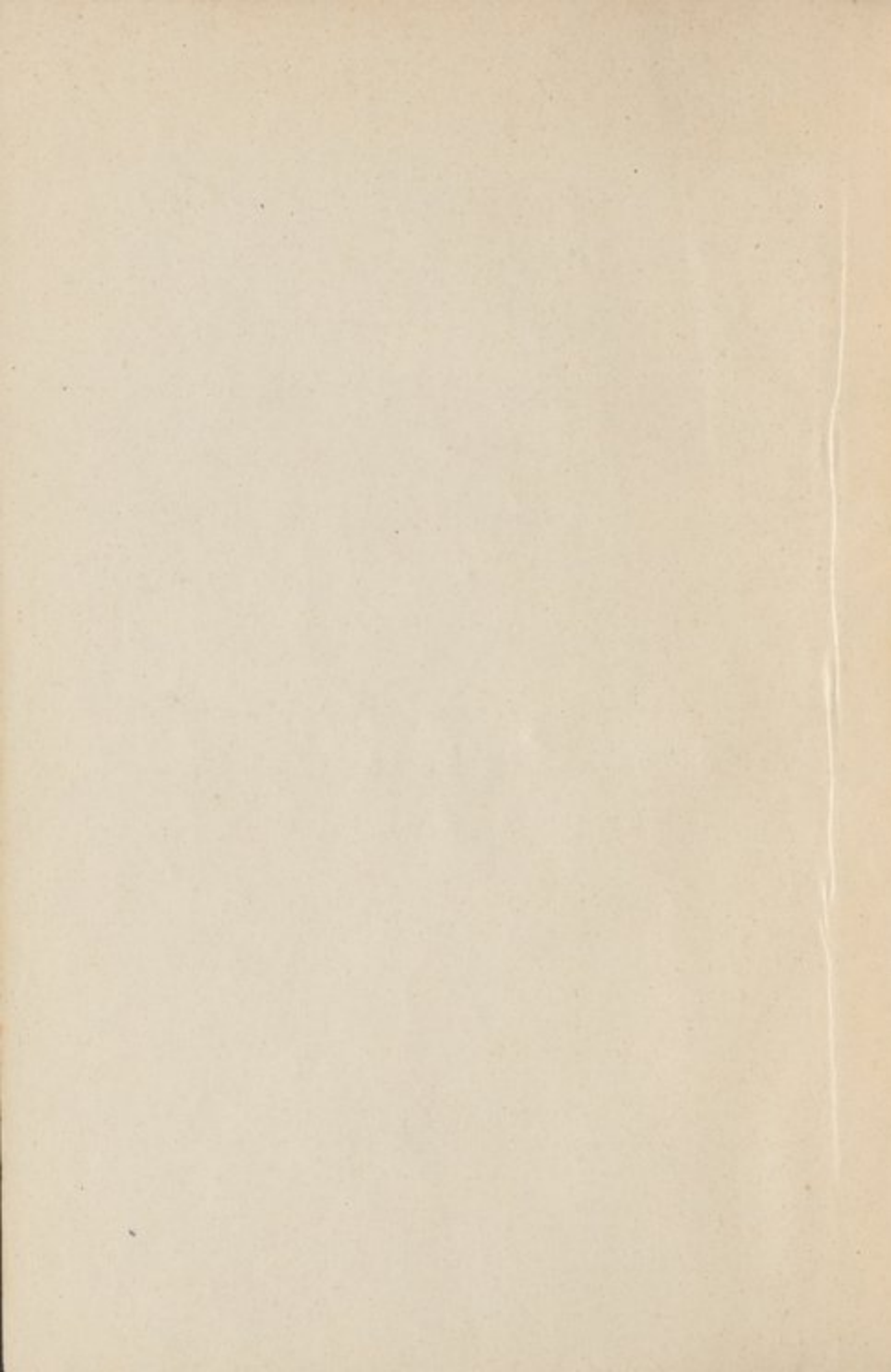
لا جلك انت الذي لم تؤمن به كما آمن^(١) تلاميذه . هو الآن يقدم لك مجاناً هبة^(٢) الخلاص والثقة بمغفرة الله لخطايانا والنعمة لتخدمه تعالى بحياة جديدة واخيراً يعطي لك مكاناً في المنازل السماوية^(٣) في حضرة الله في السماويات التي لا يدخلها نجس^(٤)

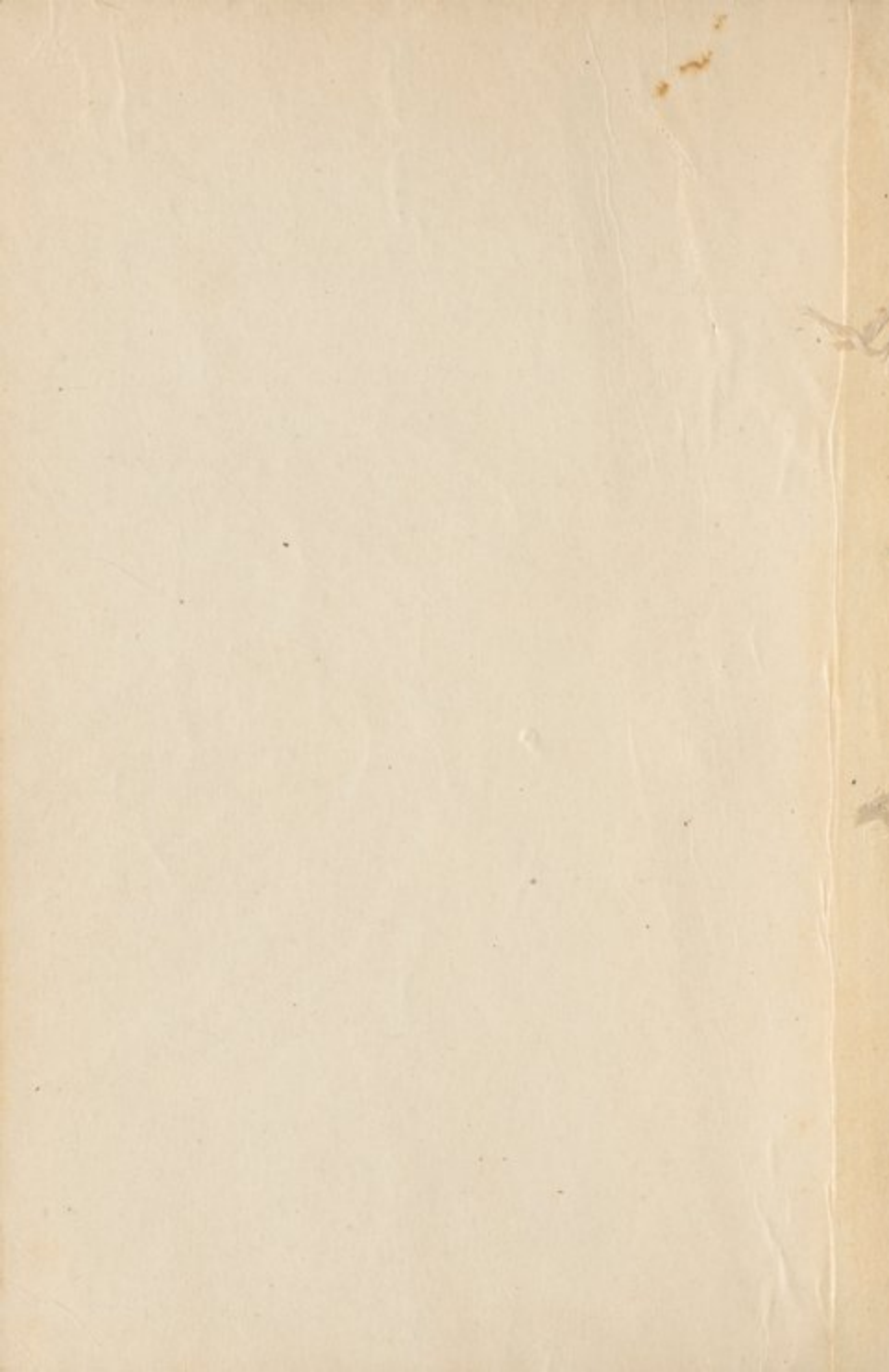
صل ايها الاخ ان يهديك الله وان يرشدك الى حكم عادل في هذا الامر المهم قبل ان يفوت الوقت . وبذلك تكون في جانب الله في الحرب بين الحق والباطل . وتجد الحق في ذلك الذي هو الطريق والحق والحياة^(٥) وان سرت هنا يومياً مع الله وقبلت في قلبك ذلك السلام الذي لا يمكن للعالم ان يعطيه لاحد وأعتقدت من خوف الموت وجهنم يمكنك ان تنظر بفرح الى قيامة مجيدة وعندما يأتي ثانية ليدين العالم بالبر تنال من يده القوية اكليل الحياة الابدية

(١) ١ كورنثوس ١٥: ٣ (٢) رومية ٦: ٢٣ (٣) يوحنا ١٤: ٣ (٤) رؤيا

٢٧: ٢١ (٥) يوحنا ١٤: ٦







LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 055979643